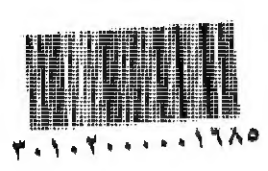


قام الطالب السيد محمد الشريف الشافعي
بالتصحيحات المطلوبة

د. جواد علي رصاص
د. محمد السيد
د. محمد السيد
د. محمد السيد
توقيع الطالب
١٤١٠/٩/٥
١٤١٠/٩/٥
١٤١٠/٩/٥

المجلس الأعلى للدراسات الإسلامية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية



الدكتور محمد بن عبد الملك

محمد بن عبد الملك بن عبد الله بن عبد الملك

(١٠١-١٠٥ هـ)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير
في التاريخ الإسلامي

١٠٢٨٤٧



إعداد الطالب
محمد بن عبد الله بن عبد الملك بن عبد الله بن عبد الملك
إشراف
الدكتور الدكتور الدكتور

الجزء الأول
١٤١٠ هـ



١٤٠٠
بسم الله

عليه
ننوكا وبه
لسان يعين
سر

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

الدولة الاموية في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك

تبرز أهمية الموضوع - على الرغم من قصر خلافة يزيد بن عبد الملك (١٠١-١٠٥هـ) - في أنه لم يسبق دراسته من قبل ، وفي مجيء عهده بعد عهد عمر بن عبد العزيز الذي يعتبر عهده ذروة في جبين الدولة الاموية ، ولاعتبار بعض الباحثين أن عهد يزيد يمثل فترة حاسمة في تاريخ الدولة الاموية ، وأنه كان بداية النهاية لها .

وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه الى ستة فصول ومقدمة وتمهيد . في المقدمة بينت أهمية الموضوع وخطته ، وفي التمهيد عرضت في ايجاز لاحوال الدولة الاموية مطلع القرن الثاني الهجري ، أما الفصل الاول فقد خصص لدراسة سيرة الخليفة يزيد ، والفصل الثاني لدراسة الحركات الداخلية في عهده ، وفي الفصل الثالث درست مرسومه المتعلق باهل الذمة والقاضي بتكسير الاصنام والتماثيل والمطبان وازالة المور وهدم الكنائس المستحدثة ، وعولج في الفصل الرابع الفتوحات في عهده ، وكان موضوع الفصل الخامس سياسته الادارية والمالية في ضوء السياسة الادارية والمالية لسلفه عمر بن عبد العزيز ، ودرست في الفصل السادس مسيرة الحياة العلمية في عهده .

- وفي الخاتمة ابرزت اهم النتائج وتتلخص فيما يلي :
- (١) أن سيرة الخليفة يزيد بن عبد الملك لم تكن على تلك الهيئة السيئة التي صورت بها في كثير من المصادر ، وأن سيرته الذاتية لم يكن لها أثر سلبي ملموس في تصريفه لشئون الحكم .
 - (٢) نجاحه في القضاء على الحركات الداخلية التي شهد عهده الكثير منها .
 - (٣) استمرار الفتوحات في عهده ، حيث واصل الجهاد في ارض الروم وبلاد الفال ، كما افلح في التمدد للاعداء وحماية حدوده في بلاد ماوراء النهر وارمينية .
 - (٤) تجاوز أهمية مرسومه الخاص باهل الذمة حدود دولته ، عندما تآثر به الامبراطور البيزنطي ليو الايسوري ، فانتفع بنفس السياسة في الدولة البيزنطية ، والتي أدت الى قيام الحركة اللايقونية (حركة تحريم عبادة المور) .
 - (٥) اتضح أن يزيد لم ينكث كل اصلاحات عمر بن عبد العزيز ، وإنما خالفه في بعض الاجراءات المالية والادارية ، وأن عهده شهد الكثير من المنجزات والاصلاحات والتنظيمات .
 - (٦) تطور وتنامى الحياة العلمية في عهده ، وبخاصة العلوم الدينية ، وكذلك الادب ، والكتابة التاريخية ، فكان عهده استمرارا لعمر القوة من عمر الدولة الاموية .

عميد كلية الشريعة

المشرف

المطالع

عبد الله بن حسين الشنبري الشريف د. احمد السيد دراج د. سليمان بن وائل التويجري

سِرِّ كَرِيمٍ وَفَاكِ

شكر وعرفان

حمدا لك اللهم على نعمائك وشكرا ، نحمدك ان جعلتنا
لادم فكرمتنا وفعلتنا وهديتنا لاسلام ، وجعلتنا من امة محمد
عليه الصلاة والسلام ، خير امة اخرجت للناس .

ولك الثناء ان جعلتني من طلاب العلم ، فوفقت واعنت
ويسرت ، فلك الحمد كما اثنت على نفسك .

واتباعا لسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، الذي
قال : "لم يشكر الله من لم يشكر الناس" ^(١) ، فاني اشكر كل
صانع معروف ، واعترف بجميل اولى الفضل ، وادعوك ربى ان
تشيب كل من كان سببا فيما اسبغته علينا من النعم .

واخص بالشكر والعرفان استاذى الدكتور احمد السيد
دراج ، الذى كان له بعد الله ، الفضل فى اخراج هذا البحث
بالصورة التى ظهر بها ، والذى ماقتى، يعلمنى مناهج البحث
العلمى الجاد ، مانحا اياى علمه وتوجيهه وجهده ، محيطنى
برعايته واهتمامه .

فما انفكيت آخذ عنه ، واستخير بآرائه ، فوجدت عطاء
شرا ، ومعينا لاينضب ، جزاه الله عنا خير الجزاء .
واخيرا دعوة صادقة لوالدى - رحمه الله - الذى اخذ
بيدى فى بداية حياتى الدراسية ، وحثنى على طلب العلم ،
وسلوك طريقه ، اسكنه الله فسيح جناته ، وجعل ذلك فى
موازين اعماله . والحمد لله رب العالمين .

(١) روى الحديث ابو هريرة رضى الله عنه ، انظر/مسند
الامام احمد ، ٢٤٦/٣ - سنن ابي داود مع شرح عون
المعبود ، ١٦٥/١٣ - جامع الترمذى بشرح حفة الاحوذى ،
٨٧/٦ .

المقدمة

المقدمة

الحمد لله الذى علّم بالقلم ، علّم الإنسان ما لم يعلم ،
والملاة والسلام على من بُعثَ فينا ليُعلمنا الكتابَ والحكمة ،
نبينا محمدٍ ، وعلى آله وصحبه اجمعين ، ومن سار على نهجهم
واتّبع هداهم إلى يوم الدين .

أما بعدُ ، فهذا موضوعُ رسالة ماجستير في التاريخ
الإسلامي ، بعنوان (الدولة الأموية في عهد الخليفة يزيد بن
عبد الملك "١٠١ - ١٠٥هـ") .

ومن المعلوم أنّ اختيار الموضوعات العلمية الجامعية
يقوم على أسس يأتى في مقدمتها ، أهمية الموضوع وجدته .
والحق أنّ عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك ، له أهميته
البالغة ، فهو جزءٌ من العصر الأمويّ ، الذى هو فى امسّ
الحاجة إلى دراساتٍ علميةٍ جديدةٍ ، تقوم على أسس البحث
العلميّ وتطبق مناهجه ، لإعطاء صورةٍ ناصعة ، لايشوبها الكدرُ
لتاريخ ذلك العصر ، وإنما لتقديم صورةٍ واضحة ، هي أقربُ
ما تكون إلى المحقّة والحقيقة ، وإنْ شابها شيءٌ من الكدر ،
فالتاريخُ البشريُّ ، هو تاريخٌ لحياتِ أممٍ وأفرادٍ ، فيهم
الخيرُ والشرُّ ، والموابُ والخطأُ ، وهو رصدٌ لحفاراتِ تدهرُ
وتضمحلُّ ، ولها جوانبُ مشرقةٌ كما لها جوانبُ أخرى مظلمةٌ .

وإنّ مما يؤكدُ أهمية دراسة تاريخ العصر الأمويّ ، هو
معرفةُنا بأنّ ماوصلَ إلينا من تاريخه ، لم يُكتبْ إلا فى العصر
العباسيّ ، وهذا ماأدى إلى تحويه بعضُ الحقائق ، من إخفاءٍ
لبعضٍ محامده ، وتقليلٍ من شأنِ منجزاته ، وإبرازٍ وتضخيمٍ

لسلبياته ، وهذا لا يعنى عدم وجود مؤرخين ، كانوا بمنأى عن
 العوى فى كتاباتهم عن تاريخ بنى امية ، فهناك من الخزم
 الحق فيما دَوَّنَ ، ومنهم مَنْ جمعَ وقَيَّدَ ما بلغَ علمه عن تاريخ
 ذلك العصر ، حسنه وسينه ، لثته وسينه . وهذا مستند قوينا
 فى حاجة تاريخ ذلك العصر ، بل والعصور الإسلامية الاولى
 جميعها ، إلى دراسات علمية جديدة ، ولعمل الدراسات
 الجامعية تقوم بهذا الدور ، وهى بلا شك اقدر الدراسات على
 ذلك ، إذا ما توخى الحق ، وتجنبَت العوى ، ووَعَت المسئولية
 وادركت الهدف . بل إنها ستكون خطوة فى طريق إمداد كتابة
 التاريخ الإسلامى ، الذى لا يعنى بحال من الاحوال ، نكت
 التاريخ القديم ، واخلاق تاريخ جديد ، او تمحيته من كل
 شائبة ، بل تمحيه ذلك التاريخ بدراسات جديدة ، تقوم على
 اسس ومناهج علمية ، غايتها الحقيقة ، ولاغير الحقيقة .
 فيكفى امة الإسلام أن تجلو حقائق تاريخها المجيد ، وفى
 حقائقه من السمو والمجد والرفعة ، ما فيه فخرها وعزها ،
 كيف لا ، وهو تاريخ امة تشريعها وجوهر حضارتها ، دين الإسلام
 ورائد تاريخها رسول السلام ، صلى الله عليه وسلم .

اما الاهمية الثانية لعهد الخليفة يزيد بن عبد الملك
 فتأتى من كونه جاء بعد عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز
 (٩٩ - ١٠١هـ) ، الذى قام بدور مميز فى إصلاح احوال الدولة
 الاموية من جميع الجوانب ، والعودة بالخلافة إلى سيرة
 الخلفاء الراشدين - وسنبيّن اهم إصلاحاته ومعالم سياسته فى
 التمهيد - وتكمن هذه الاهمية فى قول عدد من المؤرخين ، بأن
 يزيد بن عبد الملك ، نكت إصلاحات عمر بن عبد العزيز ، وعمد

إلى كل ما منعه عمر مما لم يوافق هواه فردّه .
وتحتل أهمية هذا الجانب أيضًا ، فيما قيل عن شخصية
الخليفة يزيد ، وطقن بعض المؤرخين عليه في دينه ، واتهامه
بالفسق والفجور ، والقول بحبه اللهو والملذات ، من هرب ،
ونساء ، ولغناء ، وانصرافه عن القيام بمسؤوليات الحكم إلى
ذلك ، مما أدى إلى شياع آخر جهود الخليفة عمر ، وفساد
أحوال الدولة .

كما أنّ مجيئه بعد عمر ، مع ما بين شخصيتي الرجلين من
تفاوت واختلاف ، واستحواد عمر وعمره على اهتمام المؤرخين ،
لما تم فيه من خير وإصلاح ، وعودة إلى سيرة الراشدين ،
وتطبيق شرع رب العالمين ، الذي إليه تطمئن النفوس ، لقيام
الحق والعدل به وعليه ، جعل عهد يزيد يتوارى في ظلال عمر
وعهده .

وتلك المقولات على ما فيها من باطل ومبالغ ، فإن فيها
بعض الحق وليس الحق كله - وهذا سيتضح من خلال دراستنا
لسيرة يزيد ، ومناقشتنا الجدية لسياسته ومنجزات وأحداث
عهده من جميع الجوانب - ومع ذلك فقد اتخذها بعض المؤرخين
مرتكزاً للقول بأن عهد يزيد ، يعتبر من أدق مراحل العصر
الأموي ، لأنه يمثل بداية النهاية للدولة الأموية ، ولأن
عوامل النعك والانحيار أخذت تنسج خيوطها حول جسم الدولة ،
على يد هذا الخليفة .

ومن هنا جاء دورنا في تحقيق مدى صحة هذه الأقوال ،
وتسليط الأنوار على تلك الفترة من عمر بني أمية وذلك من
خلال دراسة عهد يزيد وسيرته ، عرماً وتحليلاً ، مناقشة

ومقارنـةً ، استنباطاً واستنتاجاً ، وهو عملٌ هُمنا الأولُ فيه معرفةُ أحوالِ الدولةِ الأمويةِ في عهدِ هذا الخليفةِ . أما سيرتهُ ، وإنْ عرفنا لها في شيءٍ من الإيجازِ فإنَّ الذي يهْمنا من دراستِها في المقامِ الأولِ ، هو مدى أثرها على الدولةِ ، وسياساتِ حاكمِها ، وجلاءُ بعضِ الحقائقِ حولَها .

ولنْ نستعجلَ القولَ بما توصلنا إليه من هذه الدراسةِ ، فبيانُهُ في ثناياها ، ومجمُلُهُ في نتائجها ، لكن من المستحبِّ أنْ نشيرَ إلى أنَّ يزيدَ لم يكنْ بذلكِ الصورةِ السيئةِ التي رسمَها له بعضُ المؤرخينَ ، من القدماءِ والمحدثينَ ، وأنَّ في عهدهِ من المنجزاتِ والاحداثِ ، ما هو جديرٌ بالدراسةِ ، وحقيقٌ بالبحثِ . وأنَّ الدراسةَ الجديَّةَ لعَهدهِ وسيرتهِ ، وإنْ كشفتْ عن حقيقةٍ جانبٍ مما ذُكِرَ حولَه ، فإنَّ ذلكَ لم يؤخِّرْ بشكلٍ ملموسٍ على الدولةِ في عهدهِ ، بل إنَّ الدولةَ في عهدهِ استمرَّتْ في مسيرتها وحققَتْ عدداً كبيراً من الإنجازاتِ ، وعاشتْ في وحدةٍ ونموٍ ، ونجحَ الخليفةُ يزيدُ إبَّانَ عهدهِ في درءِ الاخطارِ الداخليَّةِ والخارجيَّةِ ، وحفظِ حدودِها ، وما نَ بيفتحها ، وحملِ دينها واهلها .

إنَّ دورَ الباحثِ ومبعثِ فخرِه كما يقولُ استاذي الجليلُ الدكتورُ أحمدُ السيد دراج ، ليس في التعرفِ لعمورِ الازدهارِ ، وشخصياتِ المشاهيرِ من رجالِ التاريخِ ، بل يكونُ في بحثِ ما يكونُ احوَجَ إلى الدراسةِ من الموضوعاتِ البكرِ ، والفتراتِ المعمليةِ ، والشخصياتِ المغمورةِ ، إذا ما كانت تمثلُ مراحلَ دقيقةً ، وتجلو حقائقَ مبهمَةً ، وتجمعُ بعضَ المفاهيمِ التاريخيَّةِ .

والحق أنَّ العناء والجهد في مثل هذه الموضوعات اشدُّ وأعظم ، والمصاعب أكثر وأكبر ، لما يواجه الباحث من ندرة المعلومات ، واضطراب الأقوال ، ولعمري الحقائق ، وقلة الدراسات المساعدة والموجهة .

إنَّ عهدَ الخليفة يزيد بن عبد الملك ، يمثل هذه النوعية من الدراسات ، وتنبثق عليه دواعي البحث التي اشرنا إليها ، كما أنَّ هناك سبباً آخرًا اسهم في اختيار هذا الموضوع ، وهو أنَّ هذا العهد لم يُدرَس من قبل في دراسة علمية جامعية ، ولا كتاب علمي مستقل ، حسب ما وصل إلى علمنا فقد تَقَمَّيْتُ ما استطعت الرسائل الجامعية التي تناولت العصر الأموي ، فوجدت أنَّها قد حُرِّفَتْ لجلَّ الخلفاء الأمويين وعهودهم بل إنَّ بعضهم كُتِبَ فيه أكثر من رسالة وكتاب علمي ، كما وية رعى الله عنه ، وعبد الملك بن مروان ، وعمر بن عبد العزيز وغيرهم . وتبيَّن لي من خلال هذا الاستقصاء ، عدم وجود أيِّ دراسة جامعية عن عهد يزيد أو شخصه . كما حاولت معرفة إذا ما كان قد أُلِّفَ حوله كتاب علمي غير جامعي ، يخدم الموضوع ويغني البحث ، فتعمقت قوائم المراجع الملحقة بكتاب التاريخ الإسلامي ، وبالأخص ما يتعلق بالعصر الأموي ، وبحثت في معارض مكاتب جامعة أمّ القرى ، وجامعة الملك عبد العزيز ، ومعظم الجامعات العربية ، وسالت أهل العلم وطلابه المتخصصين في التاريخ الإسلامي ، فاتَّضح لي أنَّه لم يُؤلَّفْ أيُّ رسالة جامعية أو كتاب علمي ، عن يزيد بن عبد الملك ، أو عهده .

وعلى أساس أهمية هذا العهد ، ودواعي البحث في هذه الفترة ، جاء اختيارنا دراسة الدولة الأموية في عهد يزيد

ابن عبد الملك ، مولوعا لهذه الرسالة .
وقد قام بناؤها ، واستقرت خطتها ، بعد الدراسة وجمع
المعلومات ، والتموير الاسوي والاصح ، وفقّ الحبويب التالي :
هذه المقدمة ، وعرض لاهم المصادر والمراجع ، وتمهيد^٦ ، وستة^٧
فصول ، وخاتمة^٨ .

وقد حوت المقدمة كميّان أهمية موضوع الرسالة ، ودواعي
اختياره ، ثم دراسة نقدية لاهم المصادر والمراجع .
أما التمهيد فهو تحت عنوان : عرض موجز لحالة الدولة
الاموية مطلع القرن الثاني الهجري ، بيّنا فيه ماوصلت إليه
هذه الدولة من تطور ونماء ، وماحققت من منجزات قبل عهد
الخليفة يزيد ، في عرض عام وموجز ، وبشكل يوضح كيف اصبحت
مورة الدولة في نهاية القرن الاول ، ثم عرّفنا بعد ذلك لاهم
معالم عهد عمر بن عبد العزيز ، واهم سياساته ، لكون عهد
(٩٩ - ١٠١هـ) جاء في نهاية القرن الاول من الهجرة ، وبداية
الثاني . فكان خلفة الوصل بين إنجاز الماهيين من خلفاء بني
امية ، ويزيد بن عبد الملك ، ومن تبعه من الخلفاء
الامويين .

وتكمن أهمية عرض سياسات عمر بن عبد العزيز ، ايها ،
لأنه قام بإصلاح كثير من احوال الدولة الاموية ، وتصحيح بعض
اوضاعها ، وسياسات بعض خلفائها وفقا للنهج الإسلامي .
وتزداد أهمية هذا العرض الموجز لمعالم سياسته ، لأننا
سنكون امام مواقف مختلفة للخليفة يزيد ، من سياسات عمر
وإصلاحاته - كما اشرنا إلى هذا في المقدمة سالفا ، وهو
ماساناقشه في كل موطن يرد ذكر ذلك فيه ، خلال هذه

الدراسة - ومن الجدير ذكره ، أنَّ ما سنعرفه من معالم سياسات عمر خلال التمهيد ، لا يغنيانا عن ذكر تفاصيل بمعنى تلك السياسات والإصلاحات والمنجزات ، ومناقشتها ، في ثنايا هذه الرسالة ، مقارنةً وتحقيقاً ، أو توفيقاً وتمحيصاً ، وذلك عند ذكر مواقف الخليفة يزيد بن عبد الملك منها ، سواءً كان موافقاً أو مخالفاً لها .

أما الفصل الأول من الرسالة فقد خصمناه لدراسة سيرة الخليفة يزيد بن عبد الملك ، وقد تناولنا فيها بشكل موجز نسبه ، وحياته قبل الخلافة وبعدها ، مارفين للمعدي له بالخلافة وتوليها ، وما حول ذلك من الاختبار . وقد ركزنا اهتمامنا على شخصية يزيد والعوامل المؤثرة فيها ، وما قيل عنها ، ماله وما عليها ، وأخيراً الخروج بصورة أقرب ما تكون إلى الوفوج ، تمكننا من معرفة مدى أثر تلك الشخصية على الدولة الأموية .

والفصل الثاني من الرسالة تناول الأحداث الداخلية للدولة الأموية في عهد يزيد ، وينقسم إلى خمسة مباحث : المبحث الأول : تحدثنا فيه عن حركة يزيد بن المهدي ، وقد قدمناها ، لأهميتها حداً ، وأسبقيتها زمنياً ، وهو مبحث كبير فاق بقية مباحث الفصل الأخرى مجماً ، وذلك راجع لأهمية هذه الحركة التي كادت أن تطيح بالحكم الأموي ، ولوفرة المعلومات عنها ، فقد اهتم المؤرخون بها ، حتى إنَّ مادتها في بعض المصادر ، قد طفت على ما ذكرنا عن بقية أحداث عهد يزيد مجتمعةً . وهذا ما أدى إلى طغيان هذا المبحث على المباحث التي تناولت الحركات الأخرى ، مع أنَّ من تلك

الحركات مسالٍقل أهميةً وخطراً عن حركة ابن المطلب ، وذلك راجعٌ إلى شح كثيرٍ من المصادر بالمعلومات عن تلك الحركات ، بل إن بعض المصادر أغفل ذكر بعضها أو كلها تماماً .

أما المبحث الثاني : فعرّفنا فيه لحركات الخوارج زمن يزيد ، وكانت أربع هي : حركة شوب ، وحركة مسعود العبدى ، وحركة مصعب الوالبي ، وحركة علفان . واطرها الحركة الأولى وقد اوردنا احداثها ، وناقشنا بعض الحقائق المختلفة عليها عارفين لممارسة الخليفة الاسلوب السلمي بجانب العسكري ، فى القضاء عليها .

والمبحث الثالث : تحدثنا فيه عن حركة شيريم اليهودي فى بلاد الشام ، وهدفها واحداثها واخر الفكر اليهودي فى قيامها مع مانع به اهل الذمة من رعاية وامن فى حى الدولة الاسلامية .

ومثلها حركة بلاي ، التى مثلت محتوى المبحث الرابع ، وماحبها من نصارى الاندلس ، كوّن أول قوة من المتمردين النصارى ضد الحكم الاسلامي . وتمثلت خطورتها واهميتها ، فى كونها نواة المقاومة النمرانية للوجود الاسلامي فى الاندلس واساس الممالك النمرانية التى قامت هناك ، وتمكنت من اخراج المسلمين من تلك البلاد على مدى ثمانية قرون . وهذا مادعانا لاستعراض الحركة من اولها حتى موت صاحبها واثارها مركزين على دور عمال يزيد على الاندلس فى مقاومتها ومحاولة القضاء عليها . وإن اصعب ماواجهنا فى دراستها ، اختلاف المصادر والمراجع على التاريخ لقيامها ، وتطورها ، فعملنا على دراسة النصوص ومقارنتها ، وترجيح ما رايناه اقرب إلى الحق .

أما المبحث الخامس والآخر من هذا الفصل ، فقد احتوى على الحديث عن حركة نصرانية أخرى ، قامت في الأندلس أيضا ، وكانت بقيادة أخيل بن غيطقة ، وكان هدفها استعادة مملكة القوط التي كان يحكمها أبوه قبل لذريق .

وفصل ثالث : اختص بالحديث عن مرسوم الخليفة يزيد القاضي بتحطيم الأصنام ، وكسر الصلبان ، ومحو الصور ، وإزالة التماثيل ، وهدم الكنائس المستحدثة . وهو مرسوم بالغ الأهمية ، اقبل جل المؤرخين ذكره ، وجعل الكثير أمره وتكمن أهميته ليس في آثاره ونطاقه الداخلي ، ولكن في صداه خارجيا ، وبالأخص في الدولة البيزنطية وخلال مناقشة هذا المرسوم ، عرضنا لبعض حقوق أهل الذمة ، وماولحوا عليه ، وحكم التمييز في الإسلام ، وأسباب هذا المرسوم ونطاقه ، وآثاره داخليا وخارجيا .

ورابع الفصول ، كان تحت عنوان : الفتحوات الإسلامية في عهد الخليفة يزيد ، بيننا فيه نشاط الفتحوات في عهده ، ورفع راية الجهاد الإسلامي في كل الجبهات ، ويتكون من أربعة مباحث .

الأول منها عن الفتحوات فيما وراء النهر ، وقد عرضنا فيه إلى جهود عمال يزيد على خراسان في إخماد تمرد الصفد في ذلك الإقليم ، وإعادة السيطرة الإسلامية على تلك البقاع . وقد برز سعيد الحارثي كقائد فد ، أعاد السيادة الإسلامية على كل البلاد التي فتحها قتيبة بن مسلم في مارواء والنهر .

والمبحث الثاني ، تناول الفتحوات في أرمينية ، وقد تعرضنا فيه إلى تحرك الخزر على تلك الجبهة ، ولغو الممالك

الإسلامية هناك ، وحمدي المسلمين لذلك ، وبرز الجراحُ الحكيُّ عاملُ يزيدَ على ذلك الإقليم ، كقائدٍ مقتدرٍ ، حمدي للأعداء ، واعداء هيبة المسلمين في قلوبهم .

أما المبحث الثالث ، فكان عن الفتوح في أرض الروم ، برا أو بحرا . عارفين فيه للموانع والشواحي وتغير نظامها في عهده ، والحملة البحرية وخاصة في الحوض الأوسط والغربي للبحر المتوسط عن طريق أسطول إفريقية ، وبقاء زمام المبادرة بأيدي المسلمين في حربهم مع الروم .

أما المبحث الرابع ، فكان عن الفتوحات في بلاد الفار وقد شهد عهدُ يزيد حملةً من أشهر الحملات الإسلامية في تلك البقاع ، وهي حملة السمع بن مالك البغلاني ، والإعداد لحملة تالية قادها عتبة بن سعيد الكلبي في أول خلافة هشام ، مواصلة الفتوح في تلك البلاد . وقد حرصنا على تحقيق تاريخهما ، لمعرفة في أي عهد تم قيام واحد أو كل منهما ، ثم عرضنا لأحداث الأولى بالتفصيل ، وعالجنا أخبارها وأبرزت نتائجها ، وكذلك عرضنا للآخرى بإيجاز ، مبينا سبب فشل الحملات الإسلامية في تلك البلاد من أحداث فتح شامل ودائم .

ومن أهم فصول هذه الدراسة ، الفصل الخامس ، الذي اشتمل على سياسة الخليفة يزيد الإدارية والمالية ، وفيه تعرفنا على كثير من سمات التنظيم المالي والإداري في ذلك العصر ، وما وصل إليه من تطور ونهضة ودقة .

وينقسم هذا الفصل إلى مبحثين :

المبحث الأول عن السياسة الإدارية ، ويتفرع إلى عددٍ من النقاط ، الأولى : مما قيل عن سياسة يزيد الإدارية ، وموقفه



من سياسة عمر في هذا المجال ، وحقيقة ذلك ومناقشته في ضوء
حقائق عصره ونماذج سياسته ، والعلوم أخيرا إلى معالم
وسمات سياسته الإدارية . والنقطة الثانية : عن رجال الإدارة
في عاصمة الدولة دمشق . أما النقاط من الثالثة وحتى
العاشر ، فقد عرفت فيها لذكر عماله على أقاليم الدولة
الإسلامية كلها . وقد تناولت بالدراسة ولاية كلٍّ منهم
والتاريخ لها وإيرادهم وفق الترتيب الزمني ، والتحقيق في
الطرايب الروايات حول اسمائهم وتاريخ ولاياتهم وترتيبهم .
إلى جانب ما توفر لدينا من معلومات حول سياساتهم في إدارة
تلك الأقاليم ومنجزاتهم الإدارية ، من أعمال استحدثوها ، أو
أنظمة طوروها ، أو فسائر إدارية أصحوه . كوضع الديوان
الرابع لأهل مصر ، وتنظيم الحكومة الإسلامية في سبتمانيا
بجنوب بلاد الفال وغير ذلك ، وتطوير بعض الأنظمة الإدارية
والمالية ، ومبطلها ، والتصرف على شكل العيكل الإداري من
تلك المعلومات مجتمعة ، وما استحدثت من وظائف ألزم التطور
واتساع الدولة إنشاءها ، وإلقاء اللوا على وظائف كانت
شبه مجهولة من قبل . كإهتمام بوظيفة المرزبان في خراسان ،
والتصريف بوظيفة الخابوت في مصر . كما أشرنا إلى جفودهم
في نشر الدين والعلم والأمن ، وتعمير البلاد .

أما المبحث الثاني من الفصل الخامس ، ففي سياسته
المالية ، ويتكون من عددٍ من النقاط ، أولها : عما قيل عن
سياسته المالية ، ومدى صحة ذلك وسميتها الحقيقية ، وبعض
مظاهرها . عارفين لبعض أوامره في هذا الشأن ، وبعض مظاهر
التنظيم المالي والمبطل ، كتجويد العملة ، ومبطل المكاييل

والمسوازين ، وتطور استخدام المقاتح . أما النقطة الثانية فمن الجزية ، ومناقشة القول بإعادة فرضها من قبله على من اسلم ، عارفين بمدى صحة القول بفرضها على من اسلم من قبل وفرضها عنهم من قبل عمر بن عبد العزيز ، كما تعرفنا لفرضها على رجال الكنيسة ، وخاصة في مصر ، وناقشنا ذلك . وكذلك ماكان مفروضا على تمارى النجرائية ، وقبرس ، وغير ذلك في هذا المدرك . أما النقطة الثالثة ، فمن الخراج ، وموقف يزيد من سياسات عمر الخراجية ، والعمل على ضبطه وتنظيمه وزيادته ، كمنح السواد ، عارفين لاسباب ذلك وآثاره وفرض فريضة الخراج على املاك الكنائس والاساقفة ، وغيره مما ذكر في هذا الجانب .

ونقطة رابعة : كان مدار الحديث فيها عن المرائب ، وماعاد يزيد فرضه منها بعد ان رفعه عمر . وقد عرفت خلال ذلك لمناقشة بعض الاقوال ، مستقصيا الحقيقة ، محطرقا لكل انواع المرائب التي اخبر عن فرضها وفي اي الاقاليم والاسباب الداعية لذلك .

أما العطاء ، فكان موضوع النقطة الخامسة ، وذكرت فيه تسغيره من قبل يزيد لخدمة الدولة ، واثار شخصيته فيه . وخامسة ، عن الإقطاع ، وسياسة يزيد في هذا المدرك ، وتوجيهه لخدمة اغراض الحكومة ومكافاة رجالها المخلصين . أما الفصل السادس والاخير من هذه الرسالة ، فقد درسنا فيه اهم مظاهر الحياة العلمية في الدولة الاموية في عهد يزيد بن عبد الملك . وينقسم إلى اربعة مباحث .

المبحث الأول عن العلوم الدينية ، ويتفرع إلى أربع نقاط ، الأولى : عن القراءات ، والثانية عن التفسير ، والثالثة عن الحديث ، والرابعة عن الفقه .

أما المبحث الثاني ، فمن الأدب ، مقدمين باهتمام يزيد بالأدب ورعاية أهله ، عارفين لأهم فنون الأدب آنذاك ، وهي الشعر والخطابة ، والكتابة ، ذاكرين القمص والوعظ .

أما المبحث الثالث : فتناول بالدراسة الكتابة التاريخية ، من حيث ما وصلت إليه آنذاك من تطور ، وأشهر رجالها ، ونحاجهم ، وأشر ذلك في مستقبل الكتابة التاريخية .

وأخيرا المبحث الرابع ، عن بعض مظاهر النشاط العلمي في ذلك العهد .

ولقد امتدّت بشكل كبير في هذا الفصل على تراجم رجال كل علم وفن ، لما وجدته في ثناياها من قيم المعلومات التي امانتنا على رمدها ما وصلت إليه تلك الفنون من تطور ونماء في ذلك العهد ، وإبراز دور رجالها ، جهودهم ، ونحاجهم ، وأشهرهم ، بشكل يمكن من تصور واضح لتلك الجوانب .

وأخيرا اتممت هذه الرسالة بخاتمة عن أهم نتائج هذه الدراسة وما توصلنا إليه من حقائق ومفاهيم .

دراسة نقدية لأهم المصادر والمراجع

طبيعة الموضوع تحدد أساليب معالجته ، ونوعيات مصادره
ونحن بمقدور دراسة عامة عن الدولة الأموية في هذا المقعد ،
تناولنا من خلالها سيرة الخليفة وسياسته ، والحركات
الداخلية والفتوحات الخارجية ، والسياسة الإدارية والمالية
ونظمها ، كما خصصنا مظاهر الحياة العلمية بجانب من هذه
الأنشطة .

وهذا مادعانا الى العودة الى عدد وافر من المصادر
والمراجع ، ونوعيات مختلفة منها ، فإخذنا عن مصادر
التاريخ العامة ، وكتب العمال ، ولجانا لكتب الفتوح
والأموال ، والمعاجم ، وتراجم الرجال ، وغير ذلك ، والغاية
تغطية مجالات البحث وأبحاثها .

ومن أهم تلك المصادر التي اعتمدنا عليها في هذا
البحث : كتاب الخراج لأبي يوسف (١١٣ - ١٨٢هـ) ، وهو يعقوب
ابن إبراهيم بن حبيب الأنباري ، ولد ونشأ بالكوفة ، وتعلم
بها ، وكان من أبرز تلاميذ أبي حنيفة ، وقد عرف بالفقه مع
علمه بالتفسير والمغازي وأيام العرب والحديث . قال عنه
أحمد بن حنبل : صدوق . وقد تقلد القضاء لخلافة من خلفاء
بنى العباس ، وهو أول من دعى بقاضي القضاة .

أما مصنفاته فعدة ، منها هذا الكتاب ، وهو أشهر
واقدم ما وصل إلينا من المصنفات المالية . وقد ألفه بناء
على رغبة هارون الرشيد في أن يضع له كتابا عن جباية

الاموال . فدونه في مقدمة ستة وثلاثين فعلا ، مقسمة على اساس الموضوعات ، وبصيغة السؤال والجواب ، تناول فيها موارد بيت المال ، وطرق جبايتها ، واحكامها ، وماعمل به اهل البلاد المفتوحة ، وحقوقهم ، مالهم وماعليهم ، وقد ناقش آراء الفقهاء حول ذلك ، وماينبغي للملطان فعله ، في أسلوب علمي رصين ، ملتزم بالاسناد أخذ بتعدد الروايات ، جامع بين الدراسة الفقهية والاحداث التاريخية ، فقد كان في استطراده كثير من الاخبار والحقائق التاريخية القيمة .

وقد افدنا منه في الفصل الرابع عند دراستنا للسياسة المالية ، وبخاصة الخراج والجزية ، والفرائض والقطائع ، وغيرها ، كما افدنا منه في حقوق اهل الذمة واحكامهم ، وبعض مامولحواء عليه ، عند مناقشتنا لذلك خلال مرسوم الخليفة يزيد في الفصل الثالث ، وقد وجدنا لديه معلومات وحقائق متميزة ، وآراء فقهية حول بعض القضايا التي عرلنا لها .

والطبقات الكبرى لمحمد بن سعد الهاشمي ، وقيل : الزهري بالولاء (١٦٨ - ٢٣٠هـ) المعروف بكاتب الواقدي ، ولد بالبصرة ومات ببغداد ، وارتحل الى مكة والمدينة ، وتلقى العلم على مايقارب الخمسين شيخا من علماء هذه المدن ، واخيرا لازم الواقدي ببغداد ، مما كان سببا في لقبه ، وقرينة لابن النديم في قوله : ان ابن سعد الف كتبه من تصنيفات الواقدي .

وقد شملت دراساته القرآن والحديث والفقه والانساب والتاريخ وعلم الرجال واللفظ والنحو ، ثم تعدر للتدريس ،

وعلى بالتأليف ، فكان كتابه هذا أهم مؤلفاته وأشهرها .
وقد صدره بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم في مجلدين ، ثم
عرض لتراجم الصحابة والتابعين ، ثم لتراجم النساء ، على
أساس الطبقات . وقد نشر هذا الكتاب في تسعة مجلدات ،
التاسع منها للفهارس ، بعناية وتحقيق المستشرق سناو
وماونه فيه آخرون ، وطبع في ليدن فيما بين سنة ١٩٠٤م وسنة
١٩١٧م . كما طبع عدة طبعات أخرى . وقد سقطت بعض طبقاته ،
فمققها أخيرا بعض الباحثين : الباحث زياد محمد منصور ^(١) ،
والباحث محمد بن صامل السلمي ، والباحث عبد العزيز بن عبد
الله السلمي ^(٢) ^(٣) .

وقد تميز أسلوبه بسوق الخبر عن مجموعة من العرويات ،
مع ذكر الأسانيد مجموعة ، وإن قل استعماله للأسانيد في
الأجزاء الأخيرة ، وبخاصة لتراجم القميرة . كما تميز
برواية السيرة في قمة مترابطة ، ونقد الروايات أحيانا ،
والإشارة إلى وظائف صاحب الترجمة ، وورود بعض الحقائق
التاريخية وبخاصة العسكرية ، والعلمية والاجتماعية ، في
شأها تفصيلات الترجمة .

وتتمثل افادتنا منه في كثير من المعلومات والتراجم
المتناشرة في معظم الفصول ، ولاتعود أهميته بالنسبة لنا في

-
- (١) حقق طبقة تابعي المدينة ومن بعدهم (من ربع الطبقة
الثالثة إلى منتصف الطبقة السادسة) وكان عمله موضوع
رسالة دكتوراه بعنوان : الطبقات الكبرى القسم المتتم
دراسة وتاريخ ، (مطبوع) ، طبعة الجامعة الإسلامية ،
بالمدينة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- (٢) حقق طبقة صفار الصحابة ، وعمله موضوع رسالة دكتوراه
قدم لجامعة أم القرى ونوقش عام ١٤١٠هـ .
- (٣) حقق طبقة من أسلم عام الفتح ومن بعدهم ، وعمله موضوع
رسالة دكتوراه ، قدم لجامعة أم القرى ، ولم يناقش
حتى الآن .

لوزارة المادة العلمية التي استقيناها منه ، فانها قليلة ، ولكنها قيمة بحكم انه اول كتاب وصل الينا من كتب الطبقات والتراجم ، وتركزت افادتنا من طبقة التابعين ، حيث ترجمنا لبعض الاعلام عنها ، واكتسبنا مما حوته من معلومات وحقائق . وتاريخ خليفة بن خياط ، لخليفة بن خياط العمفرى (١٦٠ - ٢٤٠هـ) بصرى من بيت علم ودين ، ألف عدة كتب . وصل الينا منها ، كتاب الطبقات ، والكتاب الذى نحن بصدده الحديث عنه . وقد تميز أسلوبه ومنهجه فى هذا الكتاب ، باتباع طريقة الحوليات ، وذكر سند الروايات ، وتعدد المرويات حول الحدث الواحد ، مع عدم الاكثار من ذلك ، والاعتماد كثيرا عن الجمع بين المتناقض منها ، وايراد ذلك فى ايجاز كبير .

ويعد تاريخ ابن خياط من أهم الكتب التاريخية التى اعتمدنا عليها وافدنا منها ، فهو من أقدم المصادر التى بين ايدينا ، ومصدرا لكثير ممن جاء بعده ، فقد كان ثقة المحدثين ، لذا قدمنا قوله على كثير غيره . وبرزت افادتنا منه فى الفصل الثانى والرابع والخامس . اذ تحدث عن حركة ابن المهلب ، ولعل ذلك لأهميتها ، لكنه أغفل معظم حركات الخوارج . كما تحدث عن الفتوح وتميز عن غيره من المصادر المشرقية ، بالحديث عنها فى معظم الجبهات ، وبالأخص فى البحر المتوسط عن طريق اسطول افريقية ، لكنه أغفل الفتوح فى بلاد الغال ، كما وجدنا عظيم الفائدة من القوائم التى ديل بها عمر كل خليفة ، والتى حوت ذكر عماله على الاقاليم وموظفيه على الدواوين ومرافق الدولة المختلفة . حيث

اعتمدنا عليها في القمل الخاص بالسياسة المالية والإدارية خصوصا أنه أوردتهم مرتبين حسب توليهم تلك الأعمال .

وكتاب فتوح البلدان ، لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت ٢٧٩هـ) قيل : أنه فارسي الأصل ، كان من رجال البلاط العباسي ، نشأ ببغداد ، أخذ العلم على عدد من الشيوخ ، وجمع الكثير عن طريق الرحلة في طلب العلم ، إلى كثير من البلدان الإسلامية . وكان أحد النقلة عن الفارسية ، وله عدد من المؤلفات أشهرها ، هذا الكتاب والصاب الاخراف .

وقد تميز أسلوب البلاذري ومنهجه في فتوح البلدان ، بتقسيم الكتاب على أساس الموضوعات ، مع المحافظة على الترتيب الزمني في عرض الفتوح ، وتلخيص جهود المسلمين في فتح الاقليم الذي يتحدث عنه حتى زمنه ، مع ذكر كثير من الاخبار المتعلقة بذلك الاقليم ، كالتعريف به اسما وموقعا وتاريخا ومكانا ومدنا وانهارا ، وغير ذلك . كما ضمن الكتاب كثير من الموضوعات المالية والإدارية والثقافية والمعمارية ، كالتعريف لمعهود الملح والجزية والخراج وتمصير الامصار ، والدواوين وتعميرها وضرب العملة والكتابة ، وغير ذلك . كما اشتمل على بعض الآراء الفقهية ، والمعلومات القيمة في شأيا استطراده . وقد اتبع طريقة الاسناد في بعض اخباره ، لكنه يروي عن مجاهيل أحيانا ، كما لجأ إلى تعدد الروايات حول الخبر الواحد ، لكنه لا يجمع بين المتناقضات كثيرا ، وأحيانا نجده ناقدا لبعض ما أورده من مرويات ، منسقا ومصفيا لما جمع وأورد .

وأفدنا من هذا الكتاب عن أمر الفتوح فائدة عظيمة ،

فهو كتاب عظيم الاهمية لتاريخ الفتح ، وان كانت عن فترة البحث قليلة وموجزة ، ونالت اقاليم المشرق اكثر اهتماماته بينما قل حديثه عن الاقاليم الشمالية ، والمغرب الاسلامى ، والغفل الحديث عن الفتح فى بلاد الغال ، كما قدم لنا معلومات ادارية ومالية قيمة ، اعتمدنا عليها فى الفصل الخامس .

وكذلك اخذنا عن كتابه انساب الاشراف ، ولكن ليس كثيرا اذ ان فترة البحث لايشتمل عليها ماطبع من اجزائه ، مما تيسر لنا الاطلاع عليه منه ، اما المخطوط ، فما وجد من اجزائه بالجامعة ، فان خطها ردىء ، فعاقنا من الافادة منها الا نورا يسيرا .

وتاريخ الامم والملوك لمحمد بن جرير الطبرى (٢٢٤ - ٣١٠هـ) ، ولد بمدينة آمل من طبرستان ، وتعلم بها ، ثم رحل فى طلب العلم الى الرى وبغداد والبصرة وواسط والكوفة والشام ومصر ، فاخذ عن علمائها ، حتى انتقلت اليه الرئاسة فى التفسير والفقه والتاريخ ، وكان عالما جامعا ، واخيرا استقر ببغداد ، وتفرغ للدرس والتأليف . فمئذ عددا من الكتب ، ندين له منها بكتابين من اهم كتب الثقافة الاسلامية وهى التفسير والتاريخ .

ويهمنا كتابه عن تاريخ الامم والملوك (ويسمى تاريخ الرسل والملوك) ، الذى بلغ من خلاله الطبرى بالتدوين التاريخى ، نهاية عمر الحكوين والنشأة ، وكان كتابه من اهم مصادر التاريخ الاسلامى ، بل والممول عليه فى تاريخ القرون الثلاثة الاولى . وتاريخ الطبرى عالمى عام وشامل ،

بداية بمبدأ الخلق ، وانتهى بعصره ، وينقسم الى قسمين :
الاول ، عن تاريخ ما قبل الاسلام واورده على اساس الموضوعات
والثاني ، عما بعد الاسلام واورده على اساس السنين .

وقد تنوعت مصادره ، وسار في تدوينه على طريقة
المحدثين ، بذكر الاسناد ، مع تعدد الروايات حول الحدث
الواحد ، لكنه عمل على تقديم اقوى الروايات سنداً ، ثم
الروايات المعززة لها ، ثم ايراد ما عداها من الروايات ،
وان كان مخالفاً لها ، او غير معقولاً . وقد حاول انتقاء
مادته وتمييزها ، وان لم يصرح بنقد او ترجيح ، ولعل
اسلوبه هذا امانه على ان يكون محايداً ، بعيداً عن العوى .
وقد بين منهجه في مقدمته ، واوضح عدم التزامه بالمصحح او
الراجع ، وايراد الروايات المختلفة ، وان ما جمع هو
مسئولية الراوى ، وليس هو .

وقد افدنا منه في بحثنا عظيم الفائدة ، فكان رفيقنا
في كثير من فعوله ، وقدم لنا معلومات غزيرة ، كان بها على
راس المصادر التي اعتمدنا عليها ، وتركزت الافادة منه من
الجزئين السادس والسابع ، وتبين من خلالها فيما يخص فترة
البحث ، اهتمامه باحداث المشرق الاسلامى ، بينما قلت
معلوماته عن الحجاز واليمن والشام والاقاليم الشمالية
كارمينية وآسيا الصغرى ، وكذلك مصر وافريقية ، اما الاندلس
وبلاد الغال فاهمل ذكر احداثها .

ومع شمول هذا الكتاب ، الا انه اغفل بعض الحركات
الداخلية ، ذاكرة أهمها في المشرق الاسلامى ، كحركة ابن
المغلب ، وشوذب الخارجى . وصرف همه للحديث عن الامور

السياسية والمشاكل الداخلية وان لم يخل كتابه من اللوحات الحفرية . وكان يذيل اخبار كل سنة بذكر الاحداث الموجزة ، فمنها الحديث عن الولاة والقضاة ، وقد افدنا منها في ذكر عماله ومعرفة بعض التنظيمات الادارية والمالية وهيكل الادارة .

ومن اهم مصادر هذا البحث ، تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر ، على بن الحسن بن هبة الله الشافعي الدمشقي (٤٩٩) - ٥٧٢هـ) ، كان من اسرة معروفة بالعلم والدين ، فطلب العلم منذ صغره ، ورحل من اجله الى كثير من البلدان الاسلامية ، ثم عاد الى دمشق ، فجلس للحديث حوالي اربعين سنة . واشاء ذلك احتفل بالتدوين ، فكتب عددا من الكتب ، كان منها انجازه الكبير ، وهو تاليف تاريخ دمشق في ثمانين مجلدا ، الذي صرف في جمع مادته وتدوينه مايزيد على ثلاثين سنة . وقد كان شاملا لتاريخ دمشق فوائدها وخطتها وعمارتها ورجالها ، بل ويتسع نطاق دمشق عنده الى الشام احيانا ، حين يتطرق الى الترجمة لرجال بعض مدنها كميدا وحلب وغيرها . وقد قسم مادة كتابه حسب الموضوعات ، ثم الترجمة لاملام دمشق وفق الترتيب الابجدي ، ولم يطبع منه الا الجزء الاول وبعض الثاني والعاشر ، والباقي مخطوط . وقد تعددت مصادره ، واتبع طريقة المحدثين ، بذكر السند معها طال او تعدد . وجمع بين الروايات المختلفة ، وهو كالطبري همه الجمع مع اجمال النقد وان كان قد عمد الى التدليل بالحديث والقول المأثور على مااورده . وقد ظهر على كتاباته التحصب لدمشق والرفع من شأنها وجمع فوائدها وان كانت غير صحيحة

ولا يقرها العقل . ومع ذلك فقد حفظ لنا مؤلفه هذا ، ما احتوت عليه كثير من المصادر التي فقدت ، وعلم مشائخ ذهبوا او ذهب ما ألفوا .

وقد افدنا منه فى النواحى المالية والعمرائية ، اما السياسية فقليلة ، لان المطبوع لا يغطى فترة البحث ، كما ان اطلاقنا على سورة المخطوط التى نشرت ، اظهرت قلة تعرفه للاحداث السياسية من خلال تراجم الاعلام ، كترجمته ليزيد بن عبد الملك الذى نحن بصدده دراسة هذه . ومع ذلك لم نعدم الفائدة المتميزة ، من مصدر هذا شأنه ، ومؤرخ هو احد قمم التاريخ الاسلامى .

وكتاب سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد لابن الجوزى جمال الدين عبد الرحمن بن على بن محمد (ت ٥٩٧هـ) وصاحبه من مشهورى المؤلفين والحفاظ والوعاظ ، يعد واحدا من بضعه نفر فى التاريخ الاسلامى . والف فى فروع العلم المختلفة ، منها (٩٢) كتابا فى التاريخ والجغرافيا والرجال . ومجموع آثاره (٤٠٢) كتابا ، بين مخطوط ومطبوع . ويهملنا الكتاب الذى نحن بصدده ، وافدنا منه فى بحثنا ، وهو واحد من كتبه فى مناقب بعض المشاهير ، ويعد من اوسع واشمل الكتب التى حوت اخبار عمر . لكن الغالب عليه الاهتمام بسيرة عمر لاهداث دولته . وهو مع ذلك يقدم معلومات جيدة ومتميزة ، عن سياسته المالية والادارية ، فافدنا منه فى الحديث عن سياسة عمر بن عبد العزيز المالية والادارية ، واملاحاته العامة ، ومناقشة سياسة يزيد بن عبد الملك فى ضوء ذلك وموقفه من تلك السياسات فى الفصل الخامس

وقد أورد مادة كتابه على أساس الموضوعات ، أما أسلوبه فتتميز بذكر السند على طريقة المحدثين ، وإيراد عدد من الروايات المختلفة عن الخبر الواحد ، مع الغفال النقد أو الترجيح .

أما كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير الجزري ، عز الدين علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (٥٥٥ - ٦٣٠ هـ) فيعد من أهم مصادر التاريخ الإسلامي ، ومأخذه من أبرز المؤرخين المسلمين بعد الطبري ، ومؤلفاته التاريخية تبرر ذلك . وقد ولد ابن الأثير بجزيرة ابن عمر على نهر الفرات ، ونشأ بالمومل مع أبيه في كنف الأمراء الزنكيين ، فتعلم على علمائها ، ورحل في طلب العلم إلى بعض بلدان المسلمين ، فبرع في التأليف التاريخي ، ومن أشهر مدونات هذا الكتاب الذي نحن بمصد الحديث عنه ، والذي يتكون من (١٢) مجلداً ، وهو كتاب تاريخ عالمي عام وشامل ، بدأ بمبدأ الخلق وانتهى به إلى عصره . وقد اتبع فيه النظام الحولي ، وأعطاه الأحداث العامة خلال ذلك عناوين خاصة بها ، وأحياناً يستطرد في تتبع الخبر وإن خرج بذلك عن النطاق الزمني لتلك السنة أما الأحداث المنيرة فخصها بموجز في نهاية أخبار كل سنة ، عارفاً لذكر الظواهر الجوية والأرضية .

وهو في عرض مادته محافظ على التوازن بينها موجز أياها ، ناسق لبعضها ، ومقدم ما ارتفعاه من الروايات ، وإن شك فيها أو رد الرواية الأخرى ، وترك الحكم للقارئ ، وقليل ما يفعل ذلك وترك طريقة المحدثين ، فقدم رواياته بدون سند . ومع ذلك وقع فيما نقد فيه غيره ، من

ايراد هــ من الاساطير والخرافات والمبالغات ، وخاصة من تاريخ ما قبل الاسلام والسيرة ، لكنه كان اكثر اتزاناً وجدية وشأناً في التاريخ الاسلامى بعد السيرة ، وهو ما نقل عنه المؤرخون ، واعطى كتابه تلك القيمة . ولأغرابة فى ذلك ، فقد اعتمد ابن الاثير على من سبقه وخاصة الطبرى ، الذى نقل عنه كثيراً ، بل انه فى بعض الاحيان ينقل عنه حرفياً ، ولم يزد دوره من محض ومرجح لبعض ماورده ، او ملطفا اليه ما عند غيره .

وابن الاثير لم يخل من العوى كمؤرخ ، ومن ذلك تعامله على صلاح الدين الايوبى ، بحكم علاقته الطيبة بآل زنكى ، وان كان ذلك لا ينقص قيمة كتابه .

ولقد افدنا من هذا الكتاب كثيراً ، ورافقنا فى عدد من فصول هذا البحث ، لشموله ، وغزارة مادته . وقد تميز لدينا بما قدم من جديد ، وما انفرد به من غيره ، وبخاصة فى ذكر بعض حركات الخوارج التى لم نجدها عند غيره كابن خياط والطبرى ، كما قدم معلومات وحقائق جيدة عن الفتوح ، وقدم ايضاحات من اخبارها فى الشرق وفى ارمينية وارض الروم ، لانجدها عند غيره وتميز بها عن سبقه ، ومع حرصه على التوازن ، لم نجد له كبير اهتمام ، بأحداث المغرب الاسلامى وجزيرة العرب والسند ، وان لم يعملها تماماً .

اما الاخبار الحفارية ، فلم يوليها اهتمامه ، وكذلك النظم المالية والادارية ، وان اكتسبنا بعض المعلومات الادارية ، من خلال ذكره لتولية العمال وبعض اخبارهم . ومن مصادر هذا البحث العامة ، كتاب البداية والنهاية

لابن كثير ، أبو الفدا عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الشافعي (ت ٧٧٤هـ) ، ولد بدمشق وتعلم بها ، ثم رحل في طلب العلم الى بغداد ومصر ، وتعلم على ابن حنبلية والذهبي ، فحاز الكثير من العلوم والمعارف ، فاشتهر بالفقه والحديث والتفسير ، بالإضافة الى العلم بالتاريخ والمسير . وله في تلك الميادين عدد من المصنفات ، يهمنها منها كتاب البداية والنهاية ، الذي يعد من أهم مصادر التاريخ الاسلامي ، وهو كتاب عام وشامل ، بداه مؤلفه بذكر بدء الخليقة ، حتى سنة وفاته ، كما تحدث من الاخرة وعلامات القيامة ، ووعظ ديني بمخافة الله ورجاء رحمته . وقد عد بهذا الكتاب ومصنفاته الاخرى ، مع كبار المؤرخين ، كالطبري وابن الاثير .

وقد قدم مادته على طريقة الحوليات ، مستفيدا من تاخر عمره ، وتقدم العلوم فيه ، وتوفر التواريخ المدونة ، فجمع مادة غزيرة ، اورد اصح الروايات منها ، حيث عمل على التثبت من الاخبار ونقد الاسانيد . وان كان قد عد الروايات احيانا . ولم يكتف بنقد الاسانيد والتثبت من الروايات وذكر اصحها . بل كان يصدر احكامه ، ويدحض بعض اقوال المؤرخين السابقين ويردها كخبرثة الخليفة يزيد ، والرد على من طعن في دينه . وحرص في كل ذلك على توزيع جهده واهتماماته ، زمنا وموضوعا ، وان كان قد اغفل بعض الاقاليم كالاندلس وبلاد الغال والسند والحملات البحرية .

ومما زاد أهمية كتابه ذكر وفيات كل سنة ، مع الترجمة لاعلامها ، وقد نال علماء الدين جل اهتمامه ، فاسهب في

الحديث منهم ، واستطرد في ذكر اخبارهم وشيء من علومهم ، ومع أن ذلك مخل بالفكرة والتسلسل المنطقي ، إلا أنه ساعد على احتواء تلك التراجم على معلومات تاريخية وعلمية وإدارية ، جيدة ، أفدنا منها في الفصل السادس المتعلق بجوانب الحياة العلمية ، وكذلك في الفصول التي اعتمدنا على هذا الكتاب فيها كثيرا .

ومن المصادر العامة التي أثرت هذا البحث ، وبخاصة الفصل السادس المتعلق بالحياة العلمية ، معنفان من كتب الطبقات والتراجم ، استخرجت من ثنايا مباحثه من تراجم للأعلام كثيرا من المعلومات والحقائق ، وبخاصة من تراجم علماء الدين ، فأفدنا منها عند دراسة العلوم الدينية خاصة وغيرها . كما اعتمدنا عليهما في الترجمة لرجال تلك العلوم وبعض الأعلام الآخرين . وأولهما :

سير أعلام النبلاء للذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان قايماز (٦٧٣ - ٧٤٨هـ) ، تركمانى الأصل ، من أسرة حميمية بالولاء ، ولد بدمشق ، ومات بها ، رحل في طلب العلم إلى البلاد الشامية والمصرية والحجازية ، وتركزت دراسته على العلوم الدينية والتاريخ واللغة والأدب ، وبعد أن حظى بنصيب وافر من العلوم ، اهتم بتدوين معنفاته الكثيرة والكبيرة التي تقارب المئة ، واشتغل إلى جانب ذلك بتدريس الحديث في أمهات دور الحديث بدمشق والتي كان يتولى مشيختها ، وقد برزت مكانته العلمية في الحديث والتاريخ والنقد . وكان مفهوم التاريخ عنده يتصل أتمالا وثيقا بالحديث النبوى الشريف وعلومه ، وظهر ذلك في عنايته بكتب

التراجم التى قامت عليها شهرته كمؤرخ .

أما كتابه هذا، فيتكون من (١٤) مجلدا، الأولين منهما عن السيرة النبوية ، والخلفاء الراشدين . وقد نظمته على الطبقات وخمسه بذكر الاعلام ، وأغفل المشاهير والمغمورين ، وشمل به الاعلام من كل الفئات ، وإن كان قد آثر المحدثين . وقد تميز أسلوبه فى فن الترجمة ، بحسن المياعة والعرض ، ناقدًا للمترجمين مبينًا أحوالهم ، حاكما عليهم ، مقوما لهم ناقدًا مصادره ومؤلفيها . وقد اعتمد الاسناد ونقده كما نقد المتن ، بعيدا عن الهوى ، ومن تلك التراجم كثيرا من علوم اصحابها وجهودهم وآثارهم ، فحوت بذلك علما عظيما .

كما أفدنا من بعض كتبه التاريخية الأخرى ، وهى تاريخ الاسلام . وهو مصنف نخم ، وقد لمنا موافقة الذهبى فيما أورده فيه من مادة علمية ، بعض ما عند ابن خياط والطبرى وابن الأثير . وكذلك كتابيه دول الاسلام ، والعبر فى خبر من غبر . والأخيران ليسا كسابقيهما ، وإن لم نعدم الفائدة منهما .

أما الكتاب الثانى من كتب الطبقات ، فهو تهذيب التهذيب لابن حجر ، شهاب الدين أحمد بن على بن محمد الكنانى العسقلانى الأمل ، والمصرى المولد والنشأة (٧٧٣ - ٨٥٢هـ) . تلقى العلم فى مصر ، وبلاد الحجاز والشام واليمن واهتم بالحديث خاصة ، وعلوم الدين عامة واللغة ، وانتقلت اليه الرحلة والرياسة والحفظ فى الحديث ، وانكب على التأليف ، فبلغت كتبه نحو (٢٨٢) مصنفا ، وتولى القضاء ، واشتغل بالتدريس ، والفتوى ، وبلغ مجده العلمى آخر حياته

وشهد جنازته السلطان والخليفة والاكابر وعامة الناس .
وان كان ابن حجر من اقطاب الحديث والعلوم الدينية ،
فهو مؤرخ فذ له تراث تاريخي قيم ، ومن كتبه التاريخية ،
انباء المر بانباء العمر ، والدرر الكامنة في اعيان
المنة الخامنة ، ورفيع الاصر عن قضاة مصر ، والامابة في
تمهيز الصحابة ، وقد افدنا من الاخير ، وغيرها .

والكتاب الذي نحن بمعدده وان كان مؤلف ديني في الرجال
وهو اختصار لكتاب تعذيب الكمال في أسماء الرجال للمزى ،
مع زيادات تبلغ ثلث الملخص . وبديهي ان يتبع طريقة
المحدثين في الاسناد ، كما ذهب الى تعدد الروايات ، ونقدها
وامدار الاحكام ، وابداء الراى . لكن الذهبي فاقه في حسن
مياغة الترجمة وسلاسة عرضها .

وقد استفينا منه مادة علمية جيدة حول جهود العلماء
في خدمة العلوم الدينية وبعض اخبارهم وآثارهم ، والترجمة
لأعلامهم ، سواء كان ذلك في الفصل السادس او غيره واكتساب
بعض المعلومات الادارية او المالية او العسكرية وغيرها ،
فقد يورد في ترجمة الرجل شيئا من وظائفه او جهاده . مما
افادنا في اكثر من فصل ومنحى .

واعتمد البحث الى جانب المصادر على عدد كبير من
المراجع الحديثة العربية والمصرية ، منها الكتاب العلمى ،
ومنها الرسالة الجامعية ، مطبوعة او غير مطبوعة ، ومن
أهمها :

تاريخ بنى أمية لنبيه عاقل ، وقد عرض لتاريخ الدولة
منذ الاحداث التى ادت الى انتقال الحكم لبنى أمية ، حتى

سقوط دولتهم ، وقد عرض لاحداث الدولة وفق عهد خلفائها ، عارفا لسياساتهم ومنجزاتهم والتنظيم المالى والادارى والفتوح والحركات . وقد اهتم بالخطوط العريضة والاحداث العامة ، فى دراسة علمية شاملة ، قامت على التحليل والاستنباط والاستنتاج وابداء الراى وتفنيد التحم والوصول الى حقائق ومفاهيم جديدة . ومن مناقشاته دحض بعض ما اتهم به الخليفة يزيد ، ومناقشة بعض اقوال المؤرخين القديمة حول سقوط الدولة الاموية . ويعاب عليه عدم توثيق كثير من معلوماته ، واهمال تتبع الاحداث وان كان قد بين ذلك فى منتهه .

وكتاب فجر الاندلس لحسين مؤنس . من افضل ما كتب عن تاريخ الاندلس فى عصر الولاة ، وهى دراسة مستفيضة لتلك الحقبة ، اتسمت بالشمول والعمق ، وتطبيق المنهج العلمى فى دراسة النصوص ، فى محاولة من المؤلف للوصول الى حقائق الامور . وقد ادى به ذلك الى استقراء النصوص المختلفة ومقابلتها ومناقشتها والوصول الى ارجح الاقوال ، معتمدا على الكتب العربية والاجنبية ومقابلة ماورد فيها من النصوص وقد خدمنا فى التعرف على السياسة المالية والادارية فى فطرة البحث وجهود العمال ، والفتوح فى بلاد الغال ، وقد قدم دراسة مستفيضة عن حركة بلأى وحركة اخيلا ، وبقدر اعتمادنا عليه واتفاقنا معه فى كثير من الامور فقد كان لنا عليه بعض الملاحظات ، ابديناها فى نطاق الحديث عن تلك النقاط .

ومن المراجع التى خدمت البحث فى دراسة احوال افريقية

والمغروب ، رسالة الماجستير التي أعدتها فاطمة رضوان تحت عنوان : المغرب في عصر الولاة الأمويين ، وهي لم تطبع .
وكتاب ممر في فجر الاسلام لسيدة كاشف . وهو رسالة جامعية في الاصل ، اتسم بالشمول والعمق وتناول الامور السياسية والعسكرية والادارية والحضارية والعلمية في عصر الولاة . وقد ظهر عليه اثر الاعتماد على عدد من المصادر المتنوعة وحسن العرض والمناقشة الجادة الموصلة الى حقائق وآراء جديدة ، افدنا منها فيما يخص اخبار ذلك الاقليم .

ومن المراجع العامة كتاب "الامويون والبيزنطيون" لابراهيم المدوى ، وقد شملت الدراسة الحديث عن البيت الاموى قبل الاسلام وبعده ، ودولة بنى امية ، ومنجزات خلفائها ، والفتوح بارض الروم ، بل وفي المشرق والمغرب ، والعلاقات مع الدولة البيزنطية . واهم دراساته العمل الخامس المتعلق بالتجاوب الحضارى بين الدولتين وفيه عرض لادارة والعمارة والاتصال الثقافى والسياسى ، والافادة منه جيدة ، وان كانت قليلة .

ومن المراجع العامة في دراسة التاريخ الاموى في الاقاليم الشمالية والعلاقات مع الروم ، كتاب الحدود الاسلامية البيزنطية لفتحى مخمان ، ودراسات تاريخية عسكرية عن الشفور البيزنطية العربية منذ الفتح العربى للشام حتى نهاية العصر العباسى الاول لعاشم اسماعيل الجاسم (رسالة ماجستير غير مطبوعة) ، ودراسات في تاريخ الدولة البيزنطية لحسنين محمد ربيع ، ودراسات في تاريخ وحضارة الامبراطورية البيزنطية لوسام عبد العزيز فرج وغيرها .

أما فى الناحية الادارية والمالية ، فيأتى كتاب النظم الادارية والمالية فى الدولة العربية الاسلامية لفرج محمد العولى وهى (رسالة ماجستير مطبوعة) ، ومرجعا مميذا فى هذا المجال .

أما عن الناحية العلمية والتدوين ، فكتاب الحياة العلمية فى الشام لخليل داود الزرو (رسالة ماجستير مطبوعة) ، والحياة العلمية فى المدينة النبوية خلال القرن الثانى الهجرى لسعد موسى (رسالة ماجستير غير مطبوعة) ، وتوثيق السنة فى القرن الثانى الهجرى لرفعت فوزى عبد المطلب (رسالة جامعية مطبوعة) ، والسنة قبل التدوين لمحمد مجاح الخطيب (ماجستير مطبوعة) ، وغيرها من الكتب كفجر الاسلام لاحمد امين ومالا يقل أهمية عما ذكرنا .

أما البحوث فنكتفى بذكر اثنين منهما ، الاول :

حول انهيار الدولة الاموية دراسة مقارنة فى سياسة يزيد بن عبد الملك (١٠١ - ١٠٥هـ) ، لعماد الدين خليل ، وهو بحث جيد ، الا ان مؤلفه الذى دون كتاب ملامح الانقلاب الاسلامى فى خلافة عمر بن عبد العزيز ، كان مبهورا بشخصية الخليفة الزاهد ، متأثرا بفقدان كثير من املاحاته بعد مماته ، مما جعل دراسته ليزيد مقارنة بعمر ، متأثرة بميله الى عمر ، مما دفعه الى التحامل على يزيد واهمال منجزات عمره .

والثانى للممشرق فازيليف ، وعنوانه :

(THE ICONOCLASTIC EDICT OF THE CALIPH YAZID 11, A.D.721)

وهو عن مرسوم الخليفة يزيد بن عبد الملك الخاص

بتحريم المور ، والحق انه دراسة مميزة افدنا منها ، حيث
جمع فيه ماورد حول هذا المرسوم فى المصادر المصرية
الاسلامية والقبطية ، فللا عن المصادر اليونانية والسريانية
والارمنية واللاتينية والمراجع المسيحية الحديثة ، وقد
ناقشنا بعض ماورد فيه خلال دراستنا لذلك المرسوم فى الفصل
الثالث .

وسيجد القارئ فى نهاية هذا البحث ، كتابا كاملا
بالمصادر ، والمراجع العربية والمصرية ، والبحوث التى
رجعنا اليها فى كتابة هذه الرسالة .

واخيرا ، نسال الله تعالى ان يمدنا بعونه ، ويرزقنا
توفيقه ، وان يلهمنا الرشاد والمواب ، ويجنبنا الزلل
والغوى ، انه ولى ذلك والقادر عليه .

الطالب

عبدالله بن حسين الشنبرى الشريف

مكة المكرمة

جمادى الاولى ١٤١٠هـ

العميد

عرض موجز لأحوال الدولة الأموية
مطلع القرن الثاني الهجري

التمهيد

عرض موجز لأحوال الدولة الأموية

مطلع القرن الثاني الهجري

كانت الدولة الإسلامية مطلع القرن الثاني الهجري ، قد اكتملت مقوماتها ، وتميزت شخصيتها عما عداها ، وبلغت شأوا بعيدا من السعة والقوة والتطور والنماء . إذ تراءت أطرافها وضمت حدودها مساحة كبيرة من المعمورة آنذاك . وأصبحت من القوة ما جعلها ممالة الحدود ، محابة الجانب ، مقاتلة في سبيل الله لامقابلة . ولاأراى أعدو الحقيقة إذا ماقلت إنها أصبحت أكبر دولة ، وأعظم قوة ، وأكرم أمة .

كما تطورت التنظيمات الادارية والمالية والعسكرية تمشيا مع التطور العام للدولة ، وخطا المسلمون خطوات حثيثة نحو التقدم العلمى ، وبخامة فى العلوم النظرية ، والعمران ، والزراعة ، والصناعة . وصبغوا مظاهر حضارتهم بمبغة الاسلام ، وجعلوا اللغة الرسمية لغة القرآن ، معتمدين على موروثات الأمة ، آخذين بما عند الآخرين ، مما يناسب الدين الاسلامى ودولته .

ولاشك أن الغفل فى كثير من المنجزات التى حققتها دولة الاسلام حتى ذلك الوقت ، يعود للخلفاء الأمويين ، وينسب الى دولتهم . وسنعرض فيما يلى هذا القول لمعالم الدولة الأموية وأهم منجزاتها حتى مطلع القرن الثاني الهجري ، لتصبح مورثها جلية أمام أعيننا ، ونحن نتناول بالدراسة عهد يزيد ابن عبد الملك ، الذى جاءت خلافته مطلع ذلك القرن .

ان من المتفق عليه ان اعظم انجازات الدولة الاموية ،
 هي تلك الفتوحات الكبرى التي شهدتها ذلك العصر ، حيث بلغت
 الدولة الاسلامية على اثرها ، اقصى اتساع لها - تقريبا - ،
 اذ لم يكد ينقضى القرن الاول (قرن الفتوح العظمى) ، حتى وصل
 المجاهدون المسلمون في دولة بنى امية ، براية الاسلام حتى
 حدود الصين شرقا ، والمحيط الاطلسي غربا ، وبحر خوارزم
 وبحر الخزر شمالا ، والمحيط الهندي ومحراء افريقية الكبرى
 جنوبا .

لقد كان القيام بالدعوة الى الله ونشر دينه القويم ،
 وحرية العقيدة وحماية اهلها . الهدف الاسمي لدولة الاسلام
 منذ نشأتها . فبعد ان اقام الرسول صلى الله عليه وسلم
 الدولة الاسلامية ، وتم له فتح جزيرة العرب ، وكان قد دعا
 رؤساء القوى المجاورة للاسلام ، فلم يستجيبوا ، كانت غزوة
 مؤتة (سنة ٨هـ) في زمنه ، الخطوة الاولى في تحقيق ذلك
 الهدف ، والقيام بالفتح خارج نطاق جزيرة العرب . ثم توالى
 الفتح بعد وفاته عليه السلام ، امتدادا لما بدأه ،
 وتحقيقا لغايات الفتح واهدافه ، وقيام بمسؤوليات الدولة
 وواجب الحكام المسلمين ، فتم للمسلمين في عمر الخلفاء
 الراشدين القضاء على دولة الفرس ، وفتح ممالكها من
 العراق وحتى خراسان وسجستان شرقا ، وفتح الشام حتى جبال
 طوروس والجزيرة وارمينية شمالا ، وفتح مصر حتى بلاد النوبة
 جنوبا ، هذا بالإضافة الى محاولات فتح افريقية التي لم

(١)

تحتل من فتح حام ودائم لها .

وفى العصر الاموى ، استأنف المسلمون فتوحاتهم ، وحمل الخلفاء الامويون وعمالهم وقوادهم راية الجهاد الاسلامى ، فى حركة فتح كبرى ، بدلت باعادة السيادة الاسلامية على بعض المناطق التى تمردت على سلطان المسلمين كخراسان وارمينية مستغلة الفتن الداخلية التى عاشتها الدولة الاسلامية ، واواخر عصر الراشدين واول العصر الاموى . وبلغت اوجها فى عهد الوليد بن عبد الملك ، ففتح من الناحية الشرقية بلاد السند والبنجاب على يد محمد بن القاسم الثقفى ، الذى وجه الى تلك البلاد من قبل الحجاج الثقفى ، عامل الخليفة الوليد بن عبد الملك على العراق والمشرق ، حيث سقطت على يده مدنها واقاليهما كالدجيل ، والعاصمة راور والبيرون والمقتان والكيرج حتى وصل كشمير ، وقد قتل ملك السند داهر ونظم السند لدولة الاسلام ، ونشر الاسلام بين اهلها . وبتوجيه (٢)

(١) عن حركة الفتوح الاسلامية فى عهد الخلفاء الراشدين انظر / البلاذرى : فتوح البلدان ، راجعه وعلق عليه رفوان محمد رفوان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م - الواقدي : فتوح الشام ، بيروت ، دار الجيل - ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب واخبارها ، تحقيق محمد صبيح ، مؤسسة دار التماون للطبع والنشر - ابن اعثم : الفتوح ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٦هـ - شكرى فيصل : حركة الفتح الاسلامى فى القرن الاول ، دراسة تمهيدية لنشأة المجتمعات الاسلامية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة السادسة ، ١٩٨٢م - محمد فرج : الفتح العربى للعراق وفارس ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٣٨٦هـ - احمد عادل كمال : الطريق الى المدائن ، دار النفائس ، بيروت ، ١٣٩٧هـ - احمد عادل كمال : الطريق الى دمشق (فتح الشام) ، دار النفائس ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

(٢) عن فتوح المسلمين فى بلاد السند ، انظر / فوزى محمد عبده ساعاتى : انتشار الاسلام فى بلاد السند والبنجاب حتى نهاية العصر الاموى ، رسالة ماجستير مقدمة لقسم =

من هذا العامل وفى خلافة الوليد أيضا ، قام قتيبة بن مسلم الباهلى بفتح بلاد ماوراء النهر وضمها للدولة الإسلامية .^(١) إذ تمكن من فتح مدنها واقاليمها ، كبخارى وسمرقند والصغد وفرغانة والشاش وغيرها . وسار الى الصين فاتحا ، فصالحه ملكها ، فكان ذلك اقصى مدى وصلتته الفتوح الإسلامية شرقا . كما عمل قتيبة على اجتثاث الوثنية من تلك البلاد ، فحطم الأصنام ، ودعى الى الاسلام ، الا ان دخول اهالى تلك البلاد فى الاسلام كان بطيئا ، وولاءهم سطحيا ، لذلك كثيرا ما سئرى فى بقية العصر الأموى تمردهم ، وخروجهم على سلطان المسلمين كلما حانت لهم الفرص .

كما فتح على يد يزيد بن المهلب ، كل من جرجان وطبرستان وقوهستان ، فى خلافة سليمان بن عبد الملك .^(٢)

اما الفتح شمالا ، فقد عمل الأمويون على تثبيت سلطان المسلمين فى أرمينية ، التى لم تخضع للمسلمين غفوما تاما

= الدراسات العليا التاريخية والحضارية ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م مؤلف السمينى : محمد بن القاسم وفتح بلاد السند ، رسالة جامعية ، جامعة الامام محمد بن سعود .

(١) لم يكن قتيبة أول من عبر نهر جيحون الى بلاد ماوراء النهر فاتحا ، لكن الفتح لم يأخذ شكلا منتظما ، ويحتم فى تلك البلاد الا على يد هذا القائد . انظر عن فتوحاته / ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، مراجعة وتعليق نخبة من العلماء ، دار الكتاب العربى ، بيروت الطبعة الرابعة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ١٠٥ / ٤ - ١٤٢ - رافى عبد الله عبد الحليم : دراسات فى تاريخ خراسان فى العصر الأموى ، الاندلس للاعلام والنشر ، مطبعة جامعة القاهرة ، والكتاب الجامعى ، ١٩٨٧م ، ص ٣٥ - ٤٣ - نبيه عاقل : تاريخ خلافة بنى أمية ، دار الفكر ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ص ٢٠٢ - ٢٠٥ - ٢٤٠ .

(٢) عن فتوح يزيد بن المهلب لهذه الاقاليم ، انظر : نبيه عاقل : نفس المرجع ، ص ١٥١ - ١٥٣ - رافى عبد الله عبد الحليم : نفس المرجع ، ص ٤٥ - ٤٩ .

ودائما ، مثلما حدث في بعض الاقاليم الاخرى ، كالشام ومصر وغيرهما ، والتي اصبحت جزءا لا يتجزأ من الدولة الاسلامية ، حيث ظلت ارمينية منطقة صراع سياسى وعسكرى ، بين المسلمين والامراء المحليين من الارمن من ناحية ، وبين المسلمين والقوى المجاورة من الروم والخزر والقبائل القوقازية من ناحية اخرى . وقد ساعد على ديمومة هذا الصراع ، وعدم استقرار الفتح ما عاشته الدولة من فتن واضطرابات كاحداث الفتن الكبرى ، وكذلك الاحداث التي تعرضت لها الدولة الاموية بعد وفاة يزيد بن معاوية ، وكادت تغطي عليها حتى نجاح عبد الملك بن مروان ، فى القضاء على ابن الزبير والسيطرة على الاوضاع ، وبسط نفوذ الدولة الاموية على كامل الامصار الاسلامية من جديد ، الى جانب شدة مراس الشعب الارمنى ، وبأس اهله ، وقسوة طبيعة ارضه ، وانقسام امرائه على الفسهم ، فاذا والى فريق دولة الاسلام ، مال الفريق الاخر للروم ، او حالف الخزر . وهذا ما ساعد الارمن على الالتفاف كلما حانت لهم الفرصة ، واستغل الاعداء تلك الظروف لاشغال المسلمين بالجبهة الارمينية . وقد تمكن الامويون فى فترات الاستقرار السياسى داخل الدولة الاسلامية ، من بسط نفوذهم على تلك المنطقة ، وضمها لدولتهم ، وقد اعطوا للامراء المحليين ، نوعا من الحكم الذاتى على اقاليمهم ، وهؤلاء يخلصون للوالى المسلم على ارمينية .^(١)

(١) عن ارمينية انظر / صابر محمد دياب : ارمينية من الفتح الاسلامى الى مستهل القرن الخامس الهجرى ، الناشر دار النهضة العربية ، مصر ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م ، ص ٢٠-٤٩ .

أما الفتح في أرض الروم فقد استلزم أمرين ، الأول :
تأمين الفتوح الأولى في البلاد التي كانت تابعة للدولة
البيزنطية ، باتخاذ عدد من وسائل الحماية والدفاع ، تمثلت
في بناء وتحصين الثغور البحرية والبرية ، وبناء الأربطة
والمناظر ، وتزويدها بالرجال ، وشحنها بالميرة والسلاح .

الأمر الثاني : استمرارية الجهاد ومواصلة الفتح في
أرض الروم برا وبحرا . وذلك عن طريق غزوات برية موسمية ،
على أملاك الروم في آسيا الصغرى ، وحملات بحرية مستمرة على
الجزر البيزنطية في البحر المتوسط ، والتعاون مع الحملات
البرية في غزواتها على معاقل الروم في آسيا الصغرى ، أو
الحملات الكبرى على القسطنطينية . وقد تحقق على أثرها ،
الاستيلاء على بعض المدن والثغور البيزنطية في آسيا الصغرى
وعدد من جزر البحر المتوسط . وكان أعظم الحروب التي خاضها
الأمويون ضد البيزنطيين ، هي تلك الحملات الثلاث التي وجهوها
لفتح مدينة القسطنطينية ، عاصمة الدولة البيزنطية .^(١) وان
لم تنجح هذه الحملات ، فإنها شكلت تهديدا اسلاميا للدولة
البيزنطية ، وجعلت زمام المبادرة وكفة التفوق العسكري في
ذلك العصر للمسلمين .^(٢)

وباتجاه الغرب ، أتم الأمويون فتح إفريقية ، وذلك بعد
جهود عسكرية كبيرة قادها عدد من القادة على مراحل متخالية

(١) قامت في عهد معاوية بن أبي سفيان الحملة الأولى سنة
٤٩هـ ، والثانية سنة ٥٤هـ ، أما الحملة الثالثة فقد
حدثت في عهد سليمان بن عبد الملك ٩٨هـ . عن هذه
الحملات انظر/عمر سليمان العقيلي : خلافة معاوية بن
أبي سفيان ، ص ١٠٨ وما بعدها - إبراهيم أحمد العدوي :
الأمويون والبيزنطيون ، ص ١٦٢-١٧٨ ، ٢١٢-٢٢٣ .

(٢) عن الفتوح في أرض الروم ، وأساليب المسلمين الدفاعية
والهجومية ، ولمعلومات أشمل وأوسع ، انظر / هاشم
إسماعيل الجاسم : دراسات تاريخية وعسكرية عن الثغور
البيزنطية والعربية منذ الفتح العربي للشام حتى
نهاية العصر العباسي الأول ، رسالة ماجستير ، غير
مطبوعة . مقدمة لكلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٧م
ص ٨٠-٩٦ ، ١٠٢-١٤٥ - إبراهيم العدوي : الأمويون
والبيزنطيون .

وهم معاوية بن حديج ، وعقبة بن نافع الفهري ، وابو المعاجر دينار ، وعقبة للمرة الثانية ، وزهير بن قيس البلوي ، وحسان بن النعمان ، وآخرهم موسى بن نصير ، الذي فتح الله على يديه أيضا ، هو وقائده طارق بن زياد اقليم الاندلس .^(٢) وحشير مجموعة من المراجع ، الى ان موسى اجتاز جبال البركات (البرنيه) ، فاتحا بلاد الغال ، وان ذلك كان تنفيذا لمشروعه الرامى الى فتح اوروبا من ناحية الغرب ، واسقاط كرسى المسيحية فى روما ، وفتح القسطنطينية عن طريق البحر من غربها ، بعد ان اعجز المسلمون فتحها بحرا من الناحية الشرقية ، ومن ثم الالتفاف شرقا عن طريق آسيا الصغرى حتى الوصول الى دمشق ، لتصبح اوروبا وقد اشرق عليها نور الاسلام ، ويفضى البحر المتوسط بحيرة اسلامية ، ويتخذ من تلك الأرض مسلكا بريّا لاهل الاندلس الى المشرق وبالعكس ، لا يركبون بحرا . لكن استدعاء الخليفة الوليد بن عبد الملك لموسى وطارق ، والحاحه عليهما ، أدى الى عدم تنفيذ هذا المشروع .^(٣)

- (١) عن فتح المغرب ، انظر / حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، القاهرة ، مطبعة مصر ، ١٩٤٧ م .
 (٢) عن فتح الاندلس ، انظر / حسين مؤنس : فجر الاندلس ، دراسة فى تاريخ الاندلس من الفتح الاسلامى الى قيام الدولة الاموية (٧١١-٧٥٦ م) ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، الطبعة الاولى ، القاهرة ، ١٩٥٩ م ، ص ٥٢-١٠٣ .
 السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس من الفتح العربى حتى سقوط الخلافة بقرطبة ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨١ م ، ص ٥١-١١٢ .
 (٣) عن الفتوحات فى بلاد الغال ، انظر / شبيب ارسلان : تاريخ غزوات العرب فى فرنسا وسويسرا وايطاليا وجزائر البحر المتوسط ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٨٢ م ، ص ٢٠-١٤٧ .

كما أدى ذلك الى ايقاف الجهاد في الاندلس قبل ان يتم فتح جميع نواحيه ، وخاصة الجنوب الشرقى الذى اتم فتحه عبد العزيز بن موسى ، والجزء الشمالى الغربى ، وهو منطقة اشترىس ، وجليقية . وقد كانت فلول القوط ، قد تقهقرت امام جيوش الفتح في الاندلس ، واعتمدت بمنصرة بلای من نواحي كتالونية بجليقية ، فى حين وصل موسى بن نصير الى مدينة غيغون من تلك المنطقة ، وبعث سرية وصلت البحر ، وحاربت الفل فى تلك المنصرة ، حتى صاروا ثلاثين رجلا ، ليس لهم من قوت سوى عمل النحل ، فاعى المسلمون امرهم لومورة المنطقة ، فانصرفوا عنهم ، ولعل استعمار ثامنهم ، والحاج الخليفة على موسى بالقدوم ، هو السبب فى تركهم . المهم ان بقاء تلك المنطقة دون فتح ، مكن تلك القلة القليلة من تشكيل قوة مقاومة للوجود الاسلامى ، حيث نبئت هناك وفى تلك المنصرة جذوة المقاومة النصرانية ضد المسلمين - كما سترى ذلك عند حديثنا عن حركة بلای فى العمل الثانى ، الذى تزعم تلك القوة وقاد تلك المقاومة - والتى ستكون نواة لقيام دولة اشتورية المسيحية ، او ما عرف بعد ذلك بمملكة ليون ^(١) .

و ما من شك ان ما تحقق من عظيم الفتوحات فى العهد الاموى ، كان وراءه عوامل مساعدة معنوية وحسية ، ولعل من اهم تلك العوامل ، ما وصل اليه الجيش الاموى من كثرة وكفاءة

(١) عن الجزء الشمالى الغربى من شبه جزيرة ايبيريا وترك موسى بن نصير هذه البلاد دون فتح ، وعن فتح الجنوب الشرقى من شبه الجزيرة على يد ابنه عبد العزيز ، انظر : حسين مؤنس : فجر الاندلس ، ص ١٠٥-١٠٦، ١١١-١١٧ ، ٣١٣-٣١٥ - خليل ابراهيم السامرائى : الخضر الاعلى الاندلس ، ودراسة فى احواله السياسية (٩٥-٣١٦هـ/٧١٤-٩٢٨م) ، مطبعة اسعد ، بغداد ، ١٩٧٦م ، ص ١٠٢ .

وقوة جوهرها الايمان ، وظاهرها ، حسن الاعداد والتنظيم والتدريب والتجهيز ، وتطور الاساليب ، وحنمية القدرات .

ويشير ابن عساكر الى ان الجيش الاموي بلغ تعدادده ،^(١) خمسمائة الف جندي . وتلك قوة هاربة اذا ما جمعت قوة الايمان وسلامة الاعداد ، وهذا ما حرص بنو امية عليه .^(٢)

والحق ان ما فتح على يد الامويين من بلاد ، وما انطوى في قلل دولتهم من العباد ، في تلك الحقبة القصيرة ، يعد من خصائص هذه الامة ، ومفخرة لبني امية ، ودليلا على قوة دولتهم ، واثر دعوة الاسلام ، ومدى استجابة الناس لها .

ومما يحسب للدولة الاموية ، تطور الجهاز الحكومي الذي تمثل في انشاء بعض الدواوين التي دعت الحاجة الى استعدادها وفيما قام به الامويون من تنظيمات ادارية ومالية وعسكرية ، كما وان من ابرز سمات الحكم الاموي ، تحويل نظام الخلافة من نظام يقوم على الشورى الى نظام وراثي ، واخذ الخلفاء الامويين بمظاهر الملك ، بعد بساطة الخلافة الراشدة اما فيما يخص اشكال الحكم واساليبه ، فقد سار بنو امية على كثير مما كان منها في عصر الرسول على الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم . فقام الكثير منهم

(١) تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ، ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م ، ٢٦٢/١ .

(٢) عن الجيش الاموي وتنظيماته ، انظر : خالد جاسم الجنابي : تنظيمات الجيش العربي الاسلامي في العصر الاموي ، رسالة مطبوعة ، دار الشؤون الثقافية العامة والدار الوطنية للتوزيع والاعلان ، وزارة الثقافة والاعلان ، العراق ، بغداد ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٦م - وفيق القدوقى : الجندي في عهد الدولة الاموية ، رسالة جامعية ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م .

بإمامة الناس في الصلاة ، ومباشرة أحوال الناس ، والجلوس لمقالمهم ، والاختصاص بمبدأ الشورى في تصريف معظم من الأمور ، والاستعانة بأهل العلم ، وذوى الراى والخبرة ، وحراسة الدين وسياسة الدنيا به .

كما أبقوا على التنظيمات التى ولعها النخب عليه الصلاة والسلام ، وخلفاؤه الراشدين ، لكنهم طوروها بما يلائم نمو الدولة ، واستحدثوا ما دعت اليه الحاجة ، وذلك بعد توسع رقعة الدولة الإسلامية ، ودخول عناصر جديدة فى المجتمع الإسلامى ، وكذلك ثقافات وأديان ومذاهب متعددة ، والاطلاع على مظاهر حضارية جديدة ، وأساليب حياة ، ونظم حكم ، ورثوها ممن كان قبلهم من الأمم فى البلاد المفتوحة .

وقد برز التطور الإدارى فى العصر الأموى ، فيما وصل اليه نظام الدواوين من تطور ، تمثل فى توسع اختصاصات الدواوين السابقة وتنميتها ، واستحداث أخرى دعت اليها الحاجة ، ولشمول الخدمات والخطط والدقة . ولعل من أهم ما يذكّر لبنى أمية وينسب لدولتهم ، استكمال إنشاء الدواوين التى دعا تطور الدولة الى انشاؤها . وأهم دواوينهم : ديوان الخاتم ، وديوان البريد ، وإنشائها معاوية رضى الله عنه ، وديوان الخراج ، وديوان الرسائل ، وديوان الجند ، وديوان بيت المال . والثلاثة الأخيرة منها انشئت قبل العصر الأموى . كما انشئت دواوين فرعية فى الأمارات للدواوين المركزية الموجودة فى عاصمة الدولة دمشق .^(١)

(١) من الدواوين فى العصر الأموى ، انظر / أحمد السيد دراج : صناعة الكتابة وتطورها فى العصور الإسلامية ، دعوة الحق ، سلسلة شهرية تصدر عن رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة ، السنة الأولى ، ١٤٠١هـ ، ذو القعدة ، العدد (٨) ، ص ٢٦-٣٤ . وقد أشار الى أن =

لكن هذا التطور الذى شهدته الجهاز الادارى والمالى ، كان ينقصه اكتمال الشخصية ، فلقد ظلت بعض الدواوين تكتب بلغة اهل البلاد المفتوحة وتقوم على خبرات كتابها ، حتى عهد عبد الملك بن مروان ، الذى عرب الدواوين ، وكانت تكتب فى الشام بالرومية ، فنقلها له الى العربية سليمان بن سعد الغشنى سنة ٨١هـ ، وكانت تكتب فى العراق بالفارسية ، فعربها صالح بن عبد الرحمن ايام الحجاج بن يوسف ، وفى مصر كانت تكتب بالقبطية ، فنقلها الى العربية ابن يربوع الفزارى ، باشراف الوالى عبد الله بن عبد الملك فى خلافة اخيه الوليد بن عبد الملك بن مروان ، وفى مصر عربت القراطين (اوراق البردى) ، حيث كانت تصدر بالشعار المسيحى فامر عبد الملك بن مروان بازالة ذلك واستبداله بذكر الله تعالى ، والنبى عليه الصلاة والسلام ، وكذلك فعل بمناعة الطرز (الاقمعة) فامر بتعريب الكتابات والنقوش التى عليها كما سك عبد الملك النقود الاسلامية ، واوقف التعامل بالدنانير الذهبية البيزنطية ، والدراهم الفضية الفارسية (١)

= ابو زيد شلبى : (تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ١١٠-١١١) يجعل الدواوين الرئيسية فى العصر الاموى خمسة مسقطا ديوان بيت المال ، كما اشار الى أن فرج الهونى، النظم الادارية والمالية ، ص ١٩٦-٢٠٤ يجعلها سبعة دواوين باضافة ديوان الزمام . ولمعلومات أشمل انظر هذين المرجعين الذى اشار اليهما د. احمد الدراج .
(١) عن تعريب الدواوين والقراطين والطرز وسك العملة الاسلامية ، انظر / فرج الهونى : النظم الادارية والمالية فى الدولة العربية الاسلامية (منذ قيام حكومة الرسول بالمدينة حتى نهاية الدولة الاموية) ، ماجستير فى الآداب ، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والاعلان ، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م . ص ٢٠٥-٢١٩ .
(هذا وقد اغفل فرج الهونى وغيره من المؤرخين المحدثين الذين تحدثوا عن تعريب الدواوين ، الاشارة الى تعريب=

وما عظم اثر تلك الاعمال على الدولة الاسلامية ، فقد صبغت الدولة بمبغة الاسلام ولغته ، وادت الى تميز الدولة وتكامل شخصيتها ، وتحريرها من اى نفوذ اجنبى .

ومن معالم الدولة الاسلامية البارزة مطلع القرن الثانى ما وصلت اليه من تقدم علمى ملحوظ ، وبخاصة فى العلوم الدينية من قراءات وتفسير وحديث وفقه ، وفى الادب ، والكتابة التاريخية . فقد عاشت الدولة الاسلامية حركة علمية نشطة ، تتزامن مع بداية الرسالة ، حيث جاء القرآن آمرا بالعلم حاشا عليه مغفلا لاهله ، وكذلك الحديث والاثر ، ومن هنا عاشت الامة حركة علمية واسعة ، حظيت باهتمام اولى الامر (١) وأهل العلم واقبال الناس .

■ ديوان خراسان ، وكان بالفارسية ، فنقله الى العربية اسحق بن طليق الكاتب سنة ١٢٤هـ فى ولاية نصر بن سيار بأمر من عامل العراق يوسف بن عمر الثقفى ، فى خلافة هشام بن عبد الملك . عن ذلك (انظر / الجعفيارى : كتاب الوزراء والكتاب ، تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابيارى وعبد الحفيظ شلبى ، شركة مكتبة ومطبعة ممطفى البابى واولاده ، بمصر ، الطبعة الثانية ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، ص ٦٧) . وهذا يعنى ان تعريب الدواوين وان بدا فى عهد عبد الملك بن مروان الا انه لم يستكمل فى بعض الاقاليم الا فى اواخر الدولة الاموية .

(١) عن الضموم الدالة على فضل العلم ووجوب العمل به وتعليمه ، وما اتخذ من تدابير فى سبيل دفع الحركة العلمية والكتب التى اختمت بذلك ، انظر : سعد بن موسى موسى : تاريخ الحياة العلمية فى المدينة النبوية خلال القرن الثانى الهجرى ، رسالة ماجستير فى التاريخ الاسلامى ، مقدمة لقسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ، بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، جامعة أم القرى ، غير مطبوعة ، ١٤٠٩هـ ، ص ٣-٧ - خليل داود الزرو : الحياة العلمية فى الشام فى القرن الاول والثانى للهجرة ، رسالة ماجستير فى الاداب ، الجامعة الامريكية ببيروت ، مطبوعة ، دار الافاق الجديدة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى ، ١٩٧١م ، ص ١٨-١٩ - محمد أمين بدوى : دراسات فى التربية والفكر فى الاسلام خلال عصور الاسلام القوية ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ص ٩-١٩ .

ولاشك ان العلم بمبادئ الدين الجديد ، قد حظى باهتمام الناس وتكالبهم عليه ، فكانت حركة العلوم الدينية اكبر الحركات العلمية واوسعها نطاقا . حيث اقبل الناس على القرآن يخلونه ، ويفهمون معانيه ، ويفسرون آياته ويستنبطون منه الاحكام ، وكذلك فعلوا في الحديث ، وقد بدأت هذه الحركة منذ زمن المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ثم اخذت في الاتساع بعده ، فقد تتلمذ صحابته رضوان الله عليهم على يديه ، فصاروا ائمة يقتدى بهم ، وعلماء يعلمون الناس ويفقهونهم في الدين ، اينما كانوا وحيثما حلوا ، سواء كان ذلك بتوجيه من اولى الامر او من تلقاء انفسهم ، فكونوا لهم مدارس بالامصار ، أصبح التابعون فيها تلاميذهم ، ثم اضحى هؤلاء علماء الناس ، تلقى عنهم اتباعهم ، في حركة علمية متنامية جيلا بعد جيل .^(١)

واذا اراد الباحث ان يتحدث عن العلوم في القرن الاول الهجرى فانه لا يستطيع فعل علم من العلوم عن علم آخر ، كما يصعب العثور على عالم لا يجيد الا تخصصا واحدا . لهذا اثرنا الحديث عن العلوم في قول مجمل ، يركز على اهم معالم هذه النخلة ، نشأتها وتطورها ، وايضا بداية التدوين ومراحلها ، والسمات الاساسية للحركة العلمية ، واهم مظاهر نشاطها . لقد ظل الاسلوب الغالب في حفظ العلوم ودارسها ، اسلوب الحفظ في الذاكرة ، حيث سيطر هذا المنهج على العلوم

(١) احمد امين : فجر الاسلام ، مكتبة النخلة العلمية ، القاهرة ، الطبعة المباشرة ، ١٩٦٥م ، ص ١٤٥-١٥٢ .
(٢) سعد موسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ٨ .

(١) الى مايقارب الربع الاخير من القرن الاول الهجرى . لكنه لم يكن الاسلوب الوحيد ، فقد اعتمد المسلمون ايضا على تقييد العلم ، وبدأوا يدونونه منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، بعلمه وامره او اقراره ، من ذلك كتابة القرآن ، وماكتبه الرسول الى الملوك والامراء وبعض عماله ، وكذلك ماكتبه بعض المحابة من صحف خاصة بهم ، ثم فنونا شتى ، كعملى بن ابي طالب ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وابو شاة ، وابو امامة الباهلى ، وابو الدرداء ، وابو موسى الاشعري ، وابن عباس وغيرهم كثير ، ويذكر فى هذا المدد اكثر من خمسين صحابيا كتبوا الحديث او كتب لهم .^(٧)

ولما جاء عمر التابعين ومن تلاهم ، قويت الحركة العلمية ، بسبب الفتوح ، ومادات اليه من دخول امم متعددة ذات خراف حضارى فى الاسلام ، وماورثته من مستجدات ومتغيرات جعلت الحاجة ماسة فى نشر العلم وتلقيه الناس وتلبية حاجاتهم ، فلما العلم وكثر التدوين زمن التابعين .^(٢)

(١) سعد موسى : تاريخ الحياة العلمية فى المدينة ص ٨٥ .

(٢) رفعت فوزى عبد المطلب : صحيفة همام بن منبه عن ابي هريرة رضى الله عنه ، تحقيق وشرح ، مكتبة الخانجي ، مصر ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م ، ص ٤-٥ - وانظر للمؤلف ايضا / توثيق السنة فى القرن الثانى الهجرى اسمه واتجاهاته ، رسالة مطبوعة ، مكتبة الخانجي ، مصر ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨١م ، ص ٤٧-٥٣ - سعد موسى : نفس المرجع ، ص ٨٥-٨٦ - خليل الزرو : الحياة العلمية فى الشام ، ص ٧٥ .

(٣) من اجل ذلك ، انظر / احمد امين : فجر الاسلام ، ص ١٩٧-١٩٨ - سعد موسى : نفس المرجع ، ص ١٠١-٢٤٠ ، ٨٧-٨٨ - خليل الزرو : نفس المرجع ، ص ٧٨ . وسيتبين مدى انتشار التدوين عند دراستنا لجوانب الحياة العلمية زمن يزيد فى الفصل السادس .

وأما تلقى المعلومات ونقلها الى الآخرين ، فكان يتم بعملية شفوية بحتة ، وأما حفظ هذه المعلومات فكان يعتمد على الكتابة فى معظم الأحوال ، ليستذكر العالم ماكتب ، يستعين به على الحفظ ، ويعود اليه وقت الحاجة ^(١) .

أما مراحل ذلك التدوين ، فالحق ان وضع فواصل زمنية لمراحل تطوره ، امر لايمكن تحقيقه على وجه الدقة المطلقة ، والآراء حول ذلك متضاربة ، وان قد تبين لنا بمالامجال للشك معه ، ان بداية التدوين تمت منذ العمر النبوى ، وان كانت بدايات بسيطة غير واضحة المعالم . ويبدو ان اختلاف الآراء حول بداية التدوين ، راجع الى الاختلاف فى فهم المقصود بالتدوين ، اهو بداية الكتابة ، ام تاليف الكتب ، ام وضع المصنفات المبنية المرتبة ، فمن عنى بالتدوين الكتابة جعل بدايته منذ عمر النبوة ، ومن عنى به ظهور الكتب الجامعة للعلم دون تبويب وترتيب ، ارخ له باواخر القرن الاول وبداية الثانى ، ومن عنى به التصنيف فى العلوم كل على حدة وفق التبويب والترتيب ، جعل بدايته منذ منتصف القرن الثانى تقريبا ^(٢) .

ولعل مما ساعد على القول بتأخر التدوين ، الاعتماد على ما اشتهر من القول ، ان المسلمين اعتمدوا فى حفظ

(١) شاكر مصطفى : التاريخ العربى والمؤرخون ، دراسة فى تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله فى الاسلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٣ م ، ٧٦-٧٥/١ .

(٢) ممن فهم التدوين على انه التصنيف الذى تم فى العصر العباسى ، محمد يوسف موسى ، انظر قوله فى كتابه : تاريخ الفقه الاسلامى ، الجزء الثانى ، عصر نشأة المذاهب ، دار المعرفة ، القاهرة ، ص ٥٠ .

معلومهم على الذاكرة وتناقضوها وتدارسوها عن طريق الرواية الشخصية البحتة ، مع اغفال دور التدوين والمدونات في تلك العملية . وكذلك على ماورد من نصوص تفيد كراهة الكتابة والنهي عنها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعض الصحابة رضوان الله عليهم ، وعدد من التابعين ، وذلك امور لاتصح عطفها على ماقدمناه من ثبوت التدوين منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد فند رفعت فوزى عبد المطلب (١) تلك المزاعم وعلل ماورد حول القول بالكراهية واقرب ما رايته الى الحق عن مراحل تدوين العلم ، التقسيمات التي وضعها سعد موسى ، الذي جعلها ثلاث مراحل ، الاولى : كتابة القرآن ، وتدوين بعض المعلومات المتفرقة من حديث او فقه او شعر او نوادر ، على يد بعض الصحابة ، واستمر ذلك حتى الربع الاخير من القرن الاول ، وكان اصحاب هذه المدونات يسمونها صحيفة او جزءا .

الثانية : جمع الكتابات المتفرقة في كتاب واحد بدون ترتيب او تبويب ، كجمع السنن في دفاتر زمن عمر بن عبد العزيز ، وهذه المرحلة جاءت في اواخر القرن الاول وبداية الثاني .

الثالثة : مرحلة التمهيف المبسوط المرتب حسب الموضوعات ، وتبدأ منذ منتصف القرن الثاني تقريبا .

(١) من اجل ذلك ، انظر : توثيق السنة ، ص ٤٣-٥٤ .
 (٢) تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ٨٦-٨٧ .
 وعن مراحل التدوين التاريخي بشكل خاص ، انظر / محمد ابن مامل السلمي : منهج كتابة التاريخ الاسلامي ، ماجستير مطبوعة ، دار طبعة للنشر والتوزيع ، الرياض الطبعة الاولى ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ص ٢٨٦-٢٩٠ .

أما صفة العلماء في العصر الأموي وتدوينهم ومدوناتهم فجملة القول فيها ، أن العلماء كانوا موسوعيون ، يأخذون من كل علم بنصيب وافر ، وكان للعلماء من الموالى دورهم المميز إلى جانب العرب خصوصاً في أواخر القرن الأول ، وكانت العلوم والدروس خليطاً من فنون العلم المختلفة ، لامتياز بينها ولا استقلال ، وإن بدا في أواخره ظهور التدوين والتدريس المستقل لكل علم . أما العلوم المدونة فلم تكن إلا مجموعة روايات وأخبار لا أثر للدرس والتحقيق فيها . فلم تظهر شخصية المؤلف فيما دون ، واقتصر دوره على الجمع في الغالب . وقد انصبت العناية بشكل رئيسي في ذلك العصر على العلوم العقلية ، بينما ظهر الاهتمام بالعلوم العقلية في العصر العباسي .^(١)

ولقد حظيت الحركة العلمية باهتمام غالب الخلفاء الأمويين ، لكنه اهتمام محدود الجوانب والأثر ، غير أن العلوم عاشت حركة نمو من تلقاء نفسها ، في أمة دعاها دينها الحنيف إلى العلم وحثها عليه .^(٢)

وكان لهذا النشاط العلمي مظاهره المتمثلة في مؤسساته ورجاله ، ومناهجه ، ويأتى على رأس المؤسسات العلمية في

-
- (١) أحمد أمين : فجر الإسلام ، ص ١٥٢ ، ١٦٣-١٦٤ .
 (٢) محمد عبد المنعم خفاجي : تاريخ الأدب في العصر الأموي مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م ، ص ١٩ .
 (٣) أحمد أمين : نفس المرجع ، ص ١٦٩ .
 (٤) محمد الحسيني عبد العزيز : الحياة العلمية في الدولة الإسلامية ، ماجستير مطبوعة ، وكالة المطبوعات الكويت ١٩٧٣م ، ص ١٨ - محمد خفاجي : نفس المرجع ، ص ٤٤ .
 (٥) محمد بدوي : دراسات في التربية والفكر في الإسلام ، ص ٢٥-٢٨ - أحمد أمين : نفس المرجع ، ص ١٦٤-١٦٥ ، ١٨٩ .

(١)
 صدر الاسلام المساجد ، حيث قامت بالدور الاساسى فى التعليم
 واشهرها المسجد النبوى ، والمسجد الحرام ، وجامع دمشق ،
 والكوفة ، والبصرة ، وجامع عمرو بن العاص بالقسطنطينية ،
 وجامع القيروان بافريقية . حيث جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
 عليه وسلم فى مسجده يعلم الناس ، وهكذا فعل علماء الصحابة
 والتابعين ، كانوا يجلسون فى حلقات علمية ، غالباً ما تكون
 متعددة فى الجوامع الكبيرة ، ويتناولون من العلم فنونا
 شتى من تفسير وحديث وفقه ومغاز وغير ذلك ، كابن عباس ،
 ومنهم من يقتصر الدرس فى حلقة على فن معين كالقصاص او
 المفازى او اللغة . وكانت هذه الحلقات اما فردية ،
 يتمدرها عالم واحد ، كحلقة سعيد بن المسيب ، او ثنائية
 يشترك فيها عالمان ، كحلقة سالم بن عبد الله والقاسم بن
 محمد فى المسجد النبوى . وكان لبعض الاسر حلقات ، كاسرة آل
 حزم وآل عقبة . كما كان هناك مجالس لبعض العلماء فى
 منازلهم ، ومجلس كبار الفقهاء فى المدينة ، يعرض عليه
 ما اشكل من المسائل . وكان للتعليم فى هذه الحلقات
 (٢)
 والمجالس ، مناهج واساليب وآداب .
 (٣)

-
- (١) عن دور المسجد فى خدمة الحركة العلمية ، انظر / محمد
 بدوى : دراسات فى التربية والفكر فى الاسلام ، ص ٧٢-٧٤
 محمد السيد الوكيل : الحركة العلمية فى عصر الرسول
 وخلفائه ، دار المجتمع للنشر والتوزيع ، السعودية ،
 جدة ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ص ١٤-١٦ .
 (٢) عن الحلقات والمجالس العلمية ، انظر / سعد موسى :
 تاريخ الحياة العلمية فى المدينة ، ص ٨٩-٩١ .
 (٣) عن مناهج وطرق التعليم واساليبه ، انظر / محمد
 السلى : منهج كتابة التاريخ الاسلامى - محمد بدوى :
 نفس المرجع ، ص ٩٤-١٠٦ - خليل الزرو : الحياة
 العلمية فى الشام ، ١٩/٢ ، ٢٣ .

(١) ومن دور العلم الكتاب ، وهي من اقدم مؤسسات التعليم في الدولة الاسلامية ، حيث اشعلت مع المساجد في نشر العلوم والمعارف ، وتعتبر النواة الاولى في العملية التعليمية ، ولعل دورها الاساسي تعليم المبيان القراءة والكتابة ، وتحفيظهم القرآن . وقد اشتهل بالتعليم فيها رجال بلغوا درجة كبيرة من العلم ، كالامام القدوة الحافظ ، القاسم بن مخيمرة العمداني الكوفي (ت ١٠٠هـ او ١٠١هـ) .

كما ظهرت فئة المؤدبين في العصر الاموي ، وهم الذين يعلمون ابناء الخلفاء والامراء والخاصة ، ويشرفون على تاديبهم وتربيتهم في منازل آبائهم ، ومن مؤدبي ذلك العصر دغفل بن حنظلة الشيباني ، الذي اختاره معاوية رضي الله عنه مؤدبا لابنه يزيد ، واسماعيل بن عبيد الله بن ابي المهاجر مؤدب بني عبد الملك بن مروان ، وكان الخليفة يزيد ممن تربى على يديه ، وغيرهما كثير . وكان اختيارهم يتم وفق شروط يأتى في مقدمتها الدين وسعة العلم والفطن ، وكان للتاديب مناهجه وطرقه ، وهو بهذا كان عظيم الاثر في شخصيات هؤلاء المتعلمين .^(٢)

(١) عن الكتاب ، انظر / يوسف احمد حواله : الحياة العلمية في افريقية "المغرب الادنى" منذ اتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري ، رسالة دكتوراه غير مطبوعة ، مقدمة لقسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ، كلية الشريعة ، جامعة ام القرى ، ١٤٠٥-١٤٠٦هـ / ١٩٨٥-١٩٨٦م ، ص ٢٣٢-٢٣٤ - محمد بدوي : دراسات في التربية والفكر في الاسلام ، ص ٦٦-٧١ .

(٢) عن المؤدبين في العصر الاموي ، انظر / محمد صالحية : مؤدبوا الخلفاء في العصر الاموي ، (بحث) ، المجلة العربية للعلوم الانسانية ، تصدر عن جامعة الكويت ، العدد الثالث ، المجلد الاول ، صيف ١٩٨١م ، ص ٣٥-٧٤ - خليل الزرو : الحياة العلمية في الشام ، ص ٢١-٢٩-٢٩ .

والى جانب ذلك عرفت المكتبات العامة والخامة ، وقد
 وملت الى درجة جيدة من وفرة الكتب ، وكفايتها على القيام
 بالدور المنوط بها ، ومنها خزانة الامويين للكتب ، ومكتبات
 العلماء فى منازلهم ، كمكتبة عروة بن الزبير ، وبعض
 المكتبات التى اقامها بعض الناس لخدمة العلم ، وفتحت
 ابوابها لساثر المتعلمين ، كمكتبة عبد الحكم بن عمرو بن
 عبد الله بن صفوان الجمحى ، وقد كان هناك اسواق رائجة
 لنسخ الكتب وبيعها ، ساعدت على انتشار الكتب وظهور
 المكتبات ونشاط حركة العلم .^(١)

وعلى ضوء هذا العرض الموجز لاهم منجزات العصر الاموى
 حتى مطلع القرن الثانى - ماعدا سياسات عمر بن عبد العزيز
 واملاحاته والتى سنشير الى معالمها فى اواخر هذا التمهيد -
 يتبين بما لا اختلاف حوله عظمة الانجازات التى تحققت فى السنين
 عاما - تقريبا - التى سبقت عهد يزيد بن عبد الملك . خصوصا
 اذا اخذنا فى الاعتبار ماعانته الدولة الاموية من مشاكل
 داخلية مستعصية ، كان من الممكن فى حالة عدم وجودها تفاقم
 تلك الانجازات وازديادها .

فقد حفل العصر الاموى بمراع داغلى شبه دائم ، تمثل فى
 قيام كثير من الحركات المناوئة للحكم الاموى ، والخارجة
 على سلطان المسلمين ، والتى كان وراء حدوثها اسبابا
 متعددة ، اما مذهبية ودينية ، او سياسية ذات صبغة شخصية ،
 او نزعة اقليمية ، او عرقية . وان كان من الحق القول بان

(١) انظر / احمد امين : فجر الاسلام ، ص ١٦٣، ١٦٧، ١٦٨ - سعد
 موسى : تاريخ الحياة العلمية فى المدينة النبوية ،
 ص ٩٦، ٨٧، ٢٣، ٢٤ .

سياسات بعض حكام بنى أمية ، كانت وراء قيام بعض تلك الحركات والتي ابتلى المسلمون بفتنها ، وشغلت الدولة باخمادها ، واراقت من الدماء ، واستنزفت من الجهد والمال الكثير . فكانت بذلك عقبات أعاقَت الدولة عن تحقيق كثير من اهدافها العليا ، كالاستمرار فى الفتح ونشر الدين ، والاهتمام بتطوير الدولة وخدمة رعاياها . كما عرقلت للمخاطر وطمع الاعداء المتربصين فى الداخل والخارج . ومع ذلك فقد تصدى لها الخلفاء الامويون ، وعالجوها بشئ من اليقظة والحزم حيناً ، وبالحكمة واللين حيناً آخر ، بينما ظلوا فى عزيمة لاتهن يواصلون تحقيق كثير من الخير للاسلام ودولته . وان كان تكالب تلك الظروف ، واستمرار تلك الحركات ، قد أوهن جسم الدولة الاموية مع الايام ، فادى اخيراً الى انهيارها قبل أن تبلغ من العمر قرناً من الزمان .

ويمكن حصر اهم تلك الحركات ، فى حركات الخوارج ، ومن خرج من رجالات الاسلام والعرب ، على الحكم الاموى ، على اساس رفض وراثة الخلافة ، والمطالبة بمودتها شورية والدعوة لانفسهم باعتبارهم اهل بالخلافة ، ومنهم من كان خروجه لاسباب ومطامع شخصية . وكذلك حركات الموالى ، وحركات اهل الذمة . فبالنسبة لحركات الخوارج فى العصر الاموى ، فما هى الا استمرارا لحركاتهم التى بدأت منذ نشأة هذه الفرقة فى خلافة على بن ابي طالب رضى الله عنه ، اذ يكاد المؤرخون واصحاب الملل والنحل ان يتفقوا على ان ظهور فرقة الخوارج كان بعد حادثة التحكيم زمن الخليفة على رضى الله عنه ، وقد انقسم

الخوارج الى فرق كثيرة اختلف المؤرخون على عددهم ، لكنهم اتفقوا على انها لا تقل عن عشرين فرقة ، بعضها اصول وبعضها فروع . وفرقهم الاصلية - على خلاف - هي : المحكمة الاولى ، والازارقة ، والتجدات ، والبيعية ، والعجاردة ، والشمالبة والاباغية ، والمغربية . ويجتمع الخوارج رغم اختلافهم على تكفير على وعثمان واصحاب الجمل والحكمين ومن رعى بالتحكيم وموب الحكمين او احدهما ، ووجوب الخروج على السلطان الجائر ، كما يتفقون على ان الخلافة لا يتولاها احد الا بانتخاب حر صحيح ، يقوم به عامة المسلمين ، ويبقى في منصبه مادام يطبق الشرع ، فان انحرف او اخطأ وجب عزله وقتله ، ويقولون ان الخلافة حق لكل عربي حر ، وانه اذا اختير لا يحق له ان ينزل عنها ، ثم ادخلوا تعديلا على هذا الشرط في اواخر القرن الاول الهجري ، فاشتراطوا الاسلام والعدل بدلا من العروبة والحرية ، وذلك لانضمام بعض المسلمين من غير العرب الى صفوفهم ، كما انهم يختلفون على امور كثيرة ايضا .

وتعتبر معركة النهروان سنة ٤٣٧هـ ، اول حرب يخوضها الخوارج ضد الدولة الاسلامية ، كما انها اول وآخر معركة يجتمع فيها الخوارج تحت قيادة واحدة ، حيث تفرقوا بعدها ، واختلفوا فيما بينهم ، فتعددت فرقهم .

فلما انتقلت الخلافة الى بنى امية ، راي الخوارج ان حرب معاوية حق لاشك فيه ، لاعتقادهم انه لم ينل الخلافة عن اجماع من المسلمين وربما منهم ، ولما اتخذه من مظاهر الملك لذا قامت منذ عهد معاوية رعى الله عنه ، وحتى آخر العصر

الأموي حروب كثيرة بين فرق الخوارج الشاذلة ، وولاة بنى أمية ، وخاصة فى العراق ، فتمدى لها ولاة بنى أمية على العراق ، كالمغيرة بن شعبة ، وزيد بن أبيه ، والحجاج بن يوسف الثقفى ، ونجحوا فى توجيه ضربات قاسية لنشاط الخوارج الأمر الذى أدى إلى ازدياد الخلاف بين فرقهم وانقسامهم إلى عدة فرق ، مما ساعد الأمويين على ملاحقتهم والقضاء على حركاتهم ، حتى استؤصلت فرق من الخوارج نهائيا ، كفرقة الأزارقة التى قضى عليها (سنة ٧٧هـ) ، فى ولاية الحجاج الثقفى .

ونتيجة لجهود الحجاج وقائده المقلب بن أبى صخرة ، هذات حركات الخوارج فى عهد الوليد بن عبد الملك وأخيه سليمان بن عبد الملك ، ثم عادوا للظهور زمن عمر بن عبد العزيز^(١) .

أما أهم الحركات التى قام بها رجالات الاسلام والعرب ، فكان أولها خروج الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه على يزيد بن معاوية ، بعد رفضه البيعة ليزيد ، وأرسال العراقيين له بالبيعة وهو فى مكة ، داعينه للخروج اليهم

(١) من الخوارج فى تلك الفترة ، انظر / نايف محمود معروف الخوارج فى العصر الأموي ، نشأتهم ، تاريخهم ، عقائدهم ، أدبهم ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م - على مصطفى الفرايى : تاريخ الفرق الاسلامية ونشأة علم الكلام عند المسلمين ، مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٥م ، ص ٢٦٤-٢٨٤ - فاطمة عبد القادر رشوان : المغرب فى عصر الولاة الأمويين (٩٠-١٣٢هـ) ، رسالة ماجستير ، غير مطبوعة ، مقدمة لقسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ، كلية الشريعة ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٤هـ ، ص ١٠١-١٠٤ - حسن إبراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى والثقافى والاجتماعى ، ١/ ٣٧٥-٣٩٤

لمناصرته ، فخرج الى العراق ، لكن الامر انتهى بمقتله بعد
(١)
خذلان اهل العراق له ، وذلك في كربلاء (سنة ٦١هـ) .

واستعادة عبد الله بن الزبير رضى الله عنه بالبيت ،
ثم البيعة له بالخلافة بعد موت يزيد بن معاوية ، وخضوع
الامصار الاسلامية له ماعدا بعض بلاد الشام ، والامويين وبعض
بنى هاشم ، لكن امره تناقص وانتهى بمقتله (سنة ٧٣هـ) .
(٢)

وحركة المختار بن ابي عبيد الثقفي ، والذي قام باسم
المطالبة بحق آل البيت في الخلافة ، والدعوة لمحمد بن
الحنفية ، وان كان قد اخفى مطامعه الشخصية وراء ذلك وهي
الوصول الى السلطان ، وانتهى الامر بمقتله (سنة ٦٧هـ) .
(٣)

وحركة عبد الرحمن بن الاشعث ، الذي خلع الحجاج وعبد
الملك بن مروان ، انفا من الخضوع للحجاج ، وطموحا لاهداف
شخصية ، ساعده على ذلك كره الناس للحجاج ، والنزعة
الاقليمية في نفوس المراقبين تجاه اهل الشام وحكومته ،
(٤) (٥)
وانتهى الامر بمقتله (سنة ٨٥هـ) . وغيرها من الحركات .

(١) عن قيام الحسين على يزيد بن معاوية ، انظر / عيد
العزیز غنیم : موقف الحسين من الخلافة وآثاره
السياسية ، رسالة دكتوراه مقدمة لكلية اللغة العربية
الازهر .

(٢) عن قيام عبد الله بن الزبير على الدولة الاموية ،
انظر / على الخربطلي : حركة ابن الزبير وأثرها على
تاريخ الدولة الاموية ، ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة
القاهرة - شهادة الناطق : ثورة عبد الله بن الزبير ،
ماجستير كلية الآداب ، الجامعة اللبنانية .

(٣) عن حركة المختار الثقفي ، انظر / خالد ابو النمر
محمد : قصة المختار بن ابي عبيد الثقفي ، رسالة
دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة - نجيب جرجس :
المختار الثقفي وأثره في العصر الأموي ، رسالة
ماجستير ، كلية الآداب ، الجامعة اللبنانية .

(٤) عن حركة ابن الاشعث ، انظر / نبيه عاقل : تاريخ خلافة
بنی أمیة ، ص ١٧٢-١٨٣ .

(٥) عن الحركات في العصر الأموي عموما ، انظر / محمد جمعة
عبد العزیز : المعارضة في العصر الأموي ، ماجستير ،
كلية الآداب ، جامعة الملك عبد العزيز .

أما حركات الموالى
 أن سياسات بعض الحكام الأمويين كانت وراء قيامها ، إذ دخل
 الموالى فى دين الإسلام ، مدفوعين اليه بعظمته وسماحة
 مبادئه وشرائعه ، عالمين ماتحتوى عليه من العدل والمساواة
 بين الناس . فكانوا ينتظرون بعد إسلامهم أن يكونوا للعرب
 الفاتحين أخوة فى الإسلام ، متساوين معهم فى الحقوق
 والواجبات ، ينعمون بسعادة الدنيا ونعيم الآخرة . لكن الأمر
 الواقع فى العصر الأموى ، لم يات بذلك الصورة المثلى ،
 التى رسمها الإسلام وحدد معالمها ، حيث تجمع الاشارات فى
 المراجع التاريخية على دلائل لانتفاة العربى وتعالىه على
 الأمجى ، ونحن لانستبعد وقوع شيء من هذا ، إذ كنا نعلم
 بعودة العممية الى الظهور بين العرب أنفسهم ، لكن الأمر
 لا يصل الى الحد الذى نالى فيه بعض الكتاب المحدثين ، فان
 من النصوص ما يدل على حسن معاملة الموالى ، والتعامل معهم
 النـد بالند ، بل وتبجيلهم واتخاذهم أئمة يقتدى بهم ، اذا
 ماكانوا أهلا لذلك ، كالحسن البصرى وغيره من أهل العلم
 والفعل والدين .

والدولة الأموية ، كان من أبرز معالمها الاعتماد على
 العنصر العربى ، لكن ذلك لم يكن على وجه الإطلاق فقد اعتمد
 بنو أمية على الموالى فى ادارة الدولة وماليتها ، وقيادة
 جيوشها ، فمن الولاة أبو المعاجر دينار ، ومن القادة طارق
 ابن زياد ، ومن عمال الخراج عبد الله بن دراج مولى معاوية
 الذى ولاه خراج العراق ، وغيرهم كثير .

والجبين أن تدمير الموالى قد جاء بشكل رئيسى من بعض

السياسات المالية المخالفة للنهج الاسلامي ، والتي عمل بعض الحكام الامويين على تطبيقها ، فالنهج الاسلامي يقتضي اسقاط الجزية عن اسلم ، والخراج عن الارض التي اسلم عليها اهلها والارض التي مولح اهلها على ان تبقى على ملكهم ، وان يفرض له في العطاء ، ولا يفرض عليه فرائب غير شرعية ، ولا يلزم الا بدفع الزكاة .

وكان الامويون قد اعادوا تنظيم الخراج والجزية واتخذوا بعض الاجراءات المالية المخالفة للنهج الاسلامي والمتسمة بالعسف والشدة ، بما يكفل زيادة الموارد لمواجهة الاحتياجات المتزايدة للدولة وتغطية مصروفاتها . ففرضت الجزية على بعض من اسلم ، وكان اول من فرضها الحجاج بن يوسف ، الذي حرّمهم ايضا من حق ترك قراهم اذا ما اسلموا ، والزمهم العودة اليها - وسيكون لنا رأى عن مدى تطبيق هذا القرار وحدوده في الفصل الخامس - وكان عبد الملك قد زاد جزية العراقيين الى اربعة دنانير ، بعد ان رأى قدرتهم على ذلك ، وكذلك فعل باهل الجزيرة .

اما الخراج ، فقد فكر معاوية في زيادة قيروط على القبط ، وان لم يحتم في عهده فقد نفذ في خلافة هشام بن عبد الملك ، مما ادى الى ثورات القبط على الدولة الاسلامية (سنة ١٠٧هـ) ، كما لم يسقطوا الخراج عن الارض التي اسلم اهلها وكسائوا قد مولحوا على ان تبقى ملكا لهم ، وتلك ارض يسقط عنها الخراج ويجوز بيعها وتكون عشوية . اما بالنسبة للعطاء ، ففرض للبعض ولم يفرض للكل ، فقد اشتكى موالى خراسان وافريقية من عدم الفرض لهم في العطاء ، مع اسلامهم

ومشاركتهم فى القتال . ويدل على ذلك أيضا نقد العرب للمختار الثقفى ، عندما جعل للموالى عطاء كمن معه من العرب . وكان أول من فرض لهم فى العطاء معاوية ، حيث جعل لكل واحد خمسة عشر درهما ، زادها عبد الملك خمسة ، وكذلك سليمان وهشام ، الذى بلغ عطاء المولى فى عهده ثلاثين درهما وهو قليل اذا ما قورن بما يعطى للعربى ، ومن هو فى شرف العطاء .

أما الضرائب ، فقد أعيد عليهم الضرائب التى كانوا يؤدونها قبل الاسلام ، كهدايا النيروز والمهرجان وغيرها ، وحدث ذلك منذ عهد معاوية .

وقد استخدم الأمويون أسلوب الشدة فى تنفيذ مثل هذه الاجراءات ، لارغام الموالى على ادائها ، وهذا ما أدى الى تدمير الموالى وتمردهم وخروجهم على الحكام الأمويين ، كلما وجدوا فرصة سانحة لذلك ، فلكل فعل رد فعل ، وذلك بالمشاركة فى الحركات التى تقوم ضد الحكم الأموى ، كالدخول مع المختار الثقفى ، وممعب بن الزبير وابن الأشعث ، بل ومع الخوارج . او بالقيام بحركات تخمسهم تعبر عن نقيمتهم وتطالب بحقوقهم ، وظهر ذلك فى النصف الثانى من العصر الأموى ، مثل ذلك ، تمرد المفد فى ماوراء النهر ، وشورات القبط بمصر ، والبربر بافريقية ، وأخيرا الانضمام لأبى مسلم الخراسانى ، قسائد الثورة العباسية ، فكان لهم دور بارز فى اسقاط (١) الخلافة الأموية .

(١) عن الموالى ، انظر / محمد الطيب النجار : الموالى فى العصر الأموى ، دار الخيل للطباعة ، الطبعة الاولى ، ١٣٢٨هـ / ١٩٤٩م ، ص ٤٨-٦٨ - شريفا حافظ عرفة : =

أما أهل الذمة ، فقد حظوا في ظل الدولة الإسلامية
بسماحة الإسلام ، ووجدوا من الأمويين التقريب وكثيرا من
التسامح والحظوة . فقد أعطوا الحرية الدينية التي نصت
عليها عقود الصلح ، بل وتسامح معهم الأمويون في هذا الأمر ،
أذ سمحوا لهم بممارسة شعائهم بكل حرية ، والاحتفال
بأعيادهم ، وابتناء الكنائس وترميمها ، بل وإعانة الدولة
لهم على بعض ذلك ، كما قرب الذميون ، فكان منهم شاعر
البلاط كالأخطل ، والطبيب ، كابن أشال طبيب معاوية .

أما في مجال الإدارة ، فقد اعتمد الأمويون على أهل
الذمة في إدارة كثير من مرافق الدولة ، وخصوصا المالية
منها ، فقد أسند معاوية إلى سرجون بن منصور الرومي ديوان
الخراج في دمشق وظل يتوارثه أبناؤه حتى تعريب الدواوين ،
وكذا كان حال أهل الذمة جميعا ، والحق أن التعريب لم يكن
يعنى إقصاء أهل الذمة عن تلك الوظائف ، فقد ظلوا يتولون
كثيرا منها ، ولكن بمشاركة العرب ، بعد أن كانت مقصورة
عليهم قبل التعريب .

غير أن المناصب الكبرى حوت إلى العرب ومن أسلم من
أهل الذمة (الموالي) بينما تركت الحكومة الإسلامية لرؤساء
أهل الذمة ، جباية الأموال من أبناء ملتحهم .
لكن الأمويين اتخذوا تجاه أهل الذمة بعض الإجراءات

= الخراسانيون ودورهم السياسي في العصر العباسي الأول ،
رسالة ماجستير مطبوعة ، الناشر تهامة ، جدة ، المملكة
العربية السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ،
ص ٢٨-٣٨ - فرج الهوني - النظم الإدارية والمالية ،
ص ١٩٢-١٩٦ - وأنظر عن ثورات البربر ، فاطمة رهنوان :
المغرب في عصر الولاة الأمويين ، ص ١١٣-١٤٤ .

المطالبة لما اشرفنا اليه من حسن المعاملة والتسامح ، وتمثل ذلك ، في اعادة فرض غرائب النيروز والمهرجان وغيرها مما كان يؤخذ منهم قبل الاسلام في العراق ، كما فرض الخراج على الاساقفة واملأ الكنائس ، وزيد عليهم في الجزية والخراج ، مع اتخاذ بعض الحرايب التعسفية لتنفيذ ذلك ، ولهبطه .

ولقد ظلت طبيعة معاملة اهل الدمة ، مرهونة باختلاف الخلفاء والولاة ، والاضاع السياسية خصوصاً مع الدولة البيزنطية ، وموقف اهل الدمة منها .

وعطفاً على حسن معاملة الامويين لاهل الدمة ، وقلة قيمة تلك الضرائب والزيادات المالية التي وضعت عليهم ، مع احساسهم بعدم ثقلها ، لغرضها على من اسلم ايها ، فقد ادى ذلك الى استكانة اهل الدمة ، وخلو صدر العصر الاموي من مشاركتهم في الحركات المناوئة او القيام بخورات ضد الحكم الاسلامي .

الا ان تزايد تلك الاجراءات المالية مع مرور الوقت ، والتعسف في تنفيذها ، واتخاذ بعض السياسات التي تحد من تجاوز اهل الدمة لما اعطوا من حرية دينية ، بنس عهود الملح والامان ، وما تسمح به مبادئ الدين الحنيف - كبعض سياسات عمر بن عبد العزيز ، ويزيد بن عبد الملك - وظهور بعض الزعامات الدينية والسياسية لهم ، جعلتهم يقومون بعدد من الحركات في اواخر العصر الاموي ، كثورات القبط في مصر (١٠٧هـ) ، وبعض حركاتهم التي شهدتها عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك - وان كانت قد قامت بدوافع سياسية او عقائدية -

(١)

لاتأثرا بسياسات بنى أمية تجاههم .

هكذا كانت الدولة الأموية فى أواخر القرن الأول الهجرى فتوحات كبرى وتطورا فى كثير من المجالات ، وبالمقابل حركات وفتن داخلية شبه دائمة ، ومشاكل مستعمية ، ومتغيرات ومستجدات كثيرة ، كل ذلك تم فى فترة وجيزة من عمر التاريخ مما فاعف المسئولية على هذه الدولة ، وأظهر حاجتها الى وقفة ينظر من خلالها الى كل ذلك ، لاستيعابه والسيطرة عليه وهذا ما يستوجب ترتيب السياسات الأموية بما يتناسب مع كل تلك المنجزات والاحداث ، والقيام بكثير من الاسلحات ، واحتواء كل المتغيرات والمستجدات ومهرها فى قالب الدولة والامة الواحدة ، وتمحيص الاخطاء ، وتطوير النظم والاساليب بما يمكن من هيمنة الدولة على الموقف ، ثم مواصلة الواجب التاريخى .

وحقا جاء عمر بن عبد العزيز الرجل المناسب فى الوقت المناسب ، وأدرك ببعد نظره ماتعانيه الدولة داخليا ، وان بدت قوية ، وان الاستمرار فى التوسع لايعنى الا ازدياد المتغيرات والمستجدات وثقل الحمل على كاهل الدولة ، كما ان الاستمرار على النهج الاموى ، فى مواجهة الحركات

(١) عن اهل الذمة ، انظر / ا.س. توتون : اهل الذمة فى الاسلام ، ترجمة وتعليق حسن حبشى ، دار الفكر العربى ، مطبعة الاعتماد بمصر - توفيق سلطان اليوزبكي : تاريخ اهل الذمة فى العراق (١٢-٢٤٧هـ) ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ، المملكة العربية السعودية الطبعة الاولى ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ص ٧١-١٣٩ - نادية حسنى مقر : سياسة عمر بن عبد العزيز تجاه اهل الذمة المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة ، ص ٧-١٣ . وعن حركات اهل الذمة فى عهد يزيد بن عبد الملك انظر بعد الفصل الثانى ، المبحث الثالث والرابع والخامس .

الداخلية ، والاكتفاء بالحلول الوقتية واخمادها ، دون النظر فى أسبابها وعللها ، وفى اصلاح الاحوال وتغيير السياسات ، بما يضمن زوالها وعدم تكرارها ، ما هو الا استمرار للمشاكل وتعقدها . ادرك كل ذلك عمر ، فوقف يملح شئون الدولة ، يتفحص مواقع الداء ، فيصف الدواء ، ولنعرض الآن لمعالم اصلاحاته وسياساته تجاه اهم الامور التى عاشتها الدولة قبله .

فبالنسبة لموقفه تجاه الفتوح ، نرى انه ارتكز على ثلاثة اسس ، اولها : الحد من التوسع فى الفتوحات الخارجية وذلك لعاملين ، العامل الاول : الالتفات الى اصلاح الشئون الداخلية ، لتمكين الدولة من استيعاب المتغيرات الكبيرة التى اورثتها الفتوح العظيمة التى سبقت عهده ، وذلك عن طريق نشر الاسلام بين العناصر الجديدة التى انفوت تحت لواء الدولة ، وحل مشاكلها وفق النهج الاسلامى ، ومصر الاجناس والحفارات والمعائد فى قالب المجتمع الاسلامى الكبير .^(١)

العامل الثانى : الحرص على الجند الاسلامى ، سواء كان المحارب فى ميادين القتال او المرابط فى الشفور ، وتقديم المحافظة على سلامته وامنه ، على المغامرة به اذا ما تعرض للاخطار ، ويخبين موقفه هذا من سياسته ازاء الفتوحات الاسلامية فى الجبهات العسكرية فى ماوراء النهر شرقا ، ومع

(١) عن سياسة عمر تجاه اهل الذمة ، ونشر الاسلام بين العناصر الجديدة وتفقيها ، انظر / نادية حسنى مقر : سياسة عمر بن عبد العزيز تجاه اهل الذمة - ماجدة فيصل زكريا : عمر بن عبد العزيز وسياسته فى رد المظالم ، ماجستير مطبوعة ، مكتبة الطالب الجامعى ، مكة المكرمة ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ص ١٧٣ - ١٧٩ .

الروم شمالا ، وفى الاندلس غربا ، فلقد حاول عمر اجلاء المسلمين من بلاد ماوراء النهر الى خراسان بعد ان لمس الاخطار المحدقة بهم من جراء تمرد الصغد وهجمات الترك على تلك البلاد ، ثم امر بايقاف الفتح فى ذلك الميدان ، والاكتفاء بما فتح بعد ان امتنع المسلمون عن الجلاء .^(١)

اما الحرب مع الروم ، فقد أمر عمر بفك الحصار الذى فرض على القسطنطينية منذ عهد سلفه سليمان بن عبد الملك ، بعد ان تكالفت الظروف على الفاتحين وتعرفوا للمخاطر والهلاك ، وفى آسيا الصغرى نقل المرابطين فى شفر طرندة الى ملطية ، ثم اخرب طرندة ، خشية على المسلمين لايفالها فى بلاد الروم ، كما فكر فى هدم المميمة للمسبب نفسه ، فامسك عندما تبين اهمية بقائها .^(٢)

كما فكر عمر فى افعال المسلمين من الاندلس واخلاصها منهم ، خشية من تغلب العدو عليهم ، ولانقطاعهم وراء البحر من المسلمين .^(٣)

ولعل خبر ظهور المقاومة النصرانية بقيادة بلاى فى الاندلس ، فى اواخر خلافة سليمان - والتي سنتحدث عنها فى الفصل الثانى - قد وصل الى مسامعه ، فخشى على المسلمين سوء العاقبة .

الاساس الثانى : تغليب الدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، ونشر الاسلام دون قتال ، وتمثل ذلك فى

(١) انظر نص هذا الخبر بعد : الفصل الرابع ، المبحث الاول ، ص ٣١٥ .

(٢) من اجل ذلك ، انظر / ماجدة فيصل زكريا : عمر بن عبد العزيز وسياسته فى رد المظالم ، ص ١٦٨-١٧٠ - هاشم الجاسم : دراسة تاريخية عسكرية ، ص ١٤٠ .

(٣) انظر / حسين مؤنس : فجر الاندلس ، ص ١٢٦-١٢٧ .

توجيه رسائله ورسله الى ملوك القوى المجاورة ، يدعوهم الى الاسلام ، فقد بعث الى ملوك السند وماوراء النهر والى ليو الثالث امبراطور الروم .^(١)

الاساس الثالث : حسن تجهيز القوة الاسلامية ، واعداد الجندي المؤمن المجاهد ، العارف بمبادئ دينه واخلاقياته ، وأكد على قواده ، تحقيق منفع الاسلام في فتوحاتهم ، وذلك بدعوة الاعداء الى الاسلام ، او دفع الجزية ، والا فالقتال . كما حرص على صيانة الثغور واعمارها ، كاسره ببناء اللادقية بعد ان هدمها الروم من جراء غارة قام بها اسطولهم عليها في زمنه وكذلك الحرس على درء الاخطار عن الدولة وصيانة حدودها ، والدفاع عنها ، مثل ذلك توجيه حاتم بن النعمان الباهلي للحمدي للخز الذين اغاروا على اذربيجان ، وايضا الحرس على ابقاء زمام المبادرة بيد المسلمين ومواصلة الجهاد ، من ذلك الاستمرار في ارسال حملات المواثف والشواتي الى بلاد الروم ، وقيام عامله على السند بغزو بعض بلاد الهند ، وكذلك ايفال الجراح الحكمي عامله على خراسان في بلاد الترك حتى هم بدخول بلاد المين .^(٢)

لقد حاول عمر أن يتخذ سياسة عسكرية متوازنة ، فلاقتال الا بعد الدعوة الى الله ، ولاجهاد الا باسم الدين ووفق

-
- (١) عن ذلك ، انظر / قداسة بن جعفر : الخراج وصناعة الكتابة ، شرح وتعليق محمد حسين الزبيدي ، العراق ، وزارة الثقافة والاعلام ، دار الرشيد للنشر ، ١٩٨١ م ، ص ٤٢١، ٤٠٩ - ماجدة فيمل زكريا : عمر بن عبد العزيز وسياسته في رد المظالم ، ص ١٧٢-١٧٣ .
- (٢) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٣٩ - ماجدة فيمل زكريا نفس المرجع ، ص ١٧٢ .
- (٣) ماجدة فيمل زكريا : نفس المرجع ، ص ١٧٠-١٧١ .

مبادئه ، ولاغزو ولامرابطة فيها مخاطرة بجند المسلمين ، ولااستكانة أو ضعف ، بل اعداد وتيقظ ودفاع عن الاسلام ودياره واهله ، وان كانت بعض سياساته كايقات الفتوح ، قد اطمع بعض الاعداء فى غزو المسلمين ، كالترك فى ماوراء النهر ، والخزر فى اذربيجان ، أو تمرد بعض العنابر الجديدة فى الاطراف ، كتمرد الصفد فيما وراء النهر . لكن العمر القصير لخلافة عمر لم يسمح بوفوح منهجه ، والتمكن من تطبيق كل سياساته ، التى أراد من ورائها الاملاح ، فى ضوء فهم صحيح لاوضاع الدولة ، ووفق النهج الاسلامى ، كما ان عودة يزيد بن عبد الملك الى سياسة التوسع فى الفتوح ، قد عاق استكمال مبادئه .

اما سياسات عمر بن عبد العزيز الادارية والمالية ، ومقام به من تنظيمات واملاحات ، وموقفه من السياسة التى اتبعها الخلفاء الامويين قبله فى هذا المجال ، فقد اخذت السمة العامة لخلافته ، وهى العودة الى هدى الخلفاء الراشدين . فاحيا مامات من السنن ، وامات مآظهر من البدع واملح ما احدث من الامور ، فى حركة املاح كبرى ، عمت جميع مناحى الحياة ومرافق الدولة ، وكان هدفها نشر العدل ، ورفع الظلم ، وتطبيق الشرع بين الناس . ولاغرابة فى ذلك فقد جاء عمر الى الخلافة وقد خبر الامور ، واعد لكل داء دواء . وهذا ما جعل البعض يعبه خامس الخلفاء الراشدين . وسنكتفى هنا بذكر المعالم الرئيسية لسياسته فى هذا المجال ، مما له علاقة بما قدمناه عن احوال الدولة قبله ، وما يرتبط بسياسة يزيد بعده .

فبالنسبة لتطوير النظم الادارية والمالية ، قام عمر
بانشاء فروع لديوان بيت المال وفق موارده ، فجعل لكل من
الغنى والصدقة والخص ، بيوت مال تخصها ، منعاً للتدخل
والفسوس ، كما نظم السجون واعد لها ديوانا خاصا يشرف
عليها .

اما ادارة الدولة فقد سار على مبدأ الشورى ، ومظاهر
الخليفة الراشدة ، وقام عمر بعزل من اساء السيرة من العمال
وولى اهل التقوى والصلاح والثقة والقدرة ^(١) . وجعل ولايتهم
عامة ، واطلق ايديهم ، لكنه ظل موجها لهم ، رقيباً عليهم ،
محاسباً لمن خالف منهم ، كما وسع عليهم تحميلاً لهم من
الخيانة واعانة لهم على التفرغ لشئون الرعية . وفى
المقابل امر عمر بمنع استعمال غير المسلمين فى ادارة
الدولة ، والعمل فى دواوينها ، وعزل من كان بها ، الا من ^(٢)
اسلم منهم . وندب عمر نفسه لرد المظالم ، عامة او خاصة ،
وجد فى ذلك .

أما من الناحية المالية : فقد رهد مصروفات الدولة ،
وحفظ بيت المال من الاهمال والتفريط ، وحافظ على اموال
المسلمين .

وفى سبيل معالجة واصلاح بعض السياسات المالية السابقة

(١) عن عزله العمال السابقين ، انظر / اليعقوبى : مشاكلة
الناس لزمانهم ، تحقيق ولیم ملسود ، دار الكتاب
الجديد ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٩٦٢م ، ص ١٩ -
محمد كرد على : الادارة الاسلامية فى عز العرب ، مطبعة
مصر ، القاهرة ، ١٣٥٢هـ / ١٩٣٤م ، ص ٩٧ .
(٢) عن امر عمر بمنع غير المسلمين من الاعمال الادارية ،
انظر / ابن الاثير : الكامل ، ١٦٥/٤ - نادية حسنى
مقرر : سياسة عمر بن عبد العزيز تجاه اهل الذمة ،
ص ٣٤-٤٥ .

أمر عمر برفع الجزية عن أسلم ، وعن الرهبان ، والفى
الخراج غير الشرعية ، ما كان منها على العرب أو الموالي
أو أهل الذمة ، ورفع الخراج عن أملاك الكنائس ، واسقط
مازید على صلح بعض أهل الذمة ، كما وسع دائرة العطاء ،
وزاد فيه ، وفرض للموالي . والفى عمر المكوس .

ومن ناحية أخرى حرص عمر على تنمية موارد الدولة
والمحافظة عليها ، ومن أجل ذلك منع بيع الأراضي الخراجية ،
وأكد على بقائها خراجية حتى مع إسلام صاحبها ، يدفع عنها
الخراج أن بقي عليها ، أو من صارت اليه ^(١) ، ونظم الأراضي
المفتوحة حديثاً ، كما مره بمسح الأندلس . واستعمل واستغل
أراضي الموالي لصالح المسلمين ، ومنع إقطاعها ^(٢) . وأكد على
جباية الزكاة والعشور ، ومرفها في وجوها الشرعية ^(٣) .

أما بالنسبة لدور عمر في النهضة العلمية التي شهدتها
العصر الأموي ، فلا شك أن تكوين عمر العلمي ، وتلقفه في
الدين قد دفعه إلى دور مميز في خدمة العلم والعلماء ، فقد
أمر بنشر العلم ، وحث العلماء على بحثه من خلال حلقاتهم
ومجالسهم ، وعين المعلمين .

(١) عن مجمل سياسة عمر بن عبد العزيز المالية ، انظر
بعد : الفصل الخامس ، المبحث الثاني .

(٢) فالح حسين فالح : الحياة الزراعية في بلاد الشام في
العصر الأموي ، ماجستير مطبوعة ، بدعم الجامعة
الأردنية ، ١٣٨٩هـ / ١٩٧٨م ، ص ٥٢ .

(٣) عن مجمل سياسة عمر الإدارية والمالية ، وأهم تنظيماته
وأصلاحاته ، انظر : فرج العولقي : النظم الإدارية
والمالية ، ص ٢٢٣-٢٥٥ - نبیه عاقل : تاريخ خلافة بني
أمية ، ص ٢٥٥-٢٩٥ - نادية حملي مقر : سياسة عمر بن
عبد العزيز تجاه أهل الذمة - ماجدة فيصل زكريا : عمر
ابن عبد العزيز وسياسته في رد المظالم ، ص ١٠١-١٦٦ ،
٢٢٧-٢٥٦ .

كما ألتقى على العلماء وطلاب العلم ، ووجه البعثات العلمية لتحقيقه الناس وتعليمهم في البوادي والامصار . وان اعظم اعماله في هذا المجال هو امره بتدوين وجمع الحديث ، ونشره في كافة بلدان الدولة الاسلامية وتعليمه . فصدر في هذا الشأن اوامر بصيغة العموم الى الافاق واهل المدينة ، كما خص بالامر بعض العلماء ، كابى بكر بن محمد بن حزم ، ومحمد بن شعاب الزهرى ، وكان العلم يكتب في مجلسه ، ويقوم بمراجعة بعض مآدون . وقد اتهم بعض العلماء كالزهرى ، هذه المهمة في عهد عمر ، وقد دونوا ذلك في دفاتر ، فنسخت وبعث منها الى كل الاقطار الاسلامية . بينما توفي عمر ولم يملكه كل مآدون . ويعرف هذا التدوين ، بالتدوين الرسمى للسنة . كما كان لعمر اهتمامه الخاص بالفقه أيضا .^(١)

اما الادب ، وبخاصة الشعر ، فلم يحظ باهتمام عمر بن عبد العزيز ورعايته ، فقد اغفل الباب في وجوه الشعراء ،

(١) عن عطاءات عمر العلمية ، وامره بتدوين السنة وجمع الحديث ، ونشره وتعليمه ، انظر / ابا زرعة : تاريخ ابي زرعة الدمشقي ، تحقيق شكر الله بن نعمة الله القوجاني ، ماجستير مطبوعة ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، مطبعة المفيد الجديدة ، دمشق ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، ١ / ٣٥٤-٣٥٥ ، ٥٢٠ ، ٦٢٨ - ابن الجوزي : سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد ، ضبطه وشرحه وعلق عليه الاستاذ زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ص ٩٢ - عماد الدين خليل : ملامح الانقلاص الاسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز ، الدار العلمية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م ، ص ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٩٠ - محمد عجاج الخطيب : السنة قبل التدوين ، ماجستير مطبوعة ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م ، ص ٣٢٩-٣٣٢ ، ٣٦٧ ، ٥١٧ - حسن علي الشاذلي : المدخل للفقه الاسلامي ، تاريخ التشريع الاسلامي ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٧م ، ص ٢٢٠-٢٢١ - سعد موسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ٤٦-٤٧ .

ومنع عنهم ما اعتادوه من حظوة الخلافة وعطاياها ، بينما
اهتم بالمغازي ، وأمر بتدريسها في جامع دمشق .^(٢)

ويتبقى أن نلمح لموقف عمر من الحركات والمشاكل
الداخلية ، فالحق أن عمر لم يأت بجديد ، وإنما عاد إلى
تطبيق المنهج الإسلامي على كل مناحي الحياة . فبالنسبة
للحركات نجد أن عهده قد نعم باستقرار نسبي ، غير أنه لم
يخل من قيام بعض الحركات ، ومنها : خروج شوذب الخارجي
بأرض العراق ، وخارجي آخر من الحرورية بالعراق أيضا ،
وشالك منهم بالموصل ، وكذلك استمرار حركة بلای بالاندلس .
ولقد حاول عمر أن يجرب الطريق السلمي مع الخوارج ، عن
طريق مجادلتهم ودموتهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، معالجة
للمشاكل عن طريق تلمس الاسباب ، وحلها ، وكرها في اراقة
الدماء ، وتقديما للحلم واللين على العنف والشدة . فنجح
مع شوذب عندما اقنع رسله ، فحرك القتال ، لكنه عاد للخروج
بعد موت عمر .^(٣) غير أن هذا الأسلوب الذي أفاد مع شوذب ، لم
يكن مجديا على الدوام ، إذ لم يستطع اقناع الخارجي الآخر
بالعراق ، والذي بالموصل ، فاستمروا في طغيانهم ، فما كان
هناك بدا من مقاتلتهم ،^(٤) كما قاتل السمح بن مالك عامل عمر
على الاندلس ستمردى ذلك الاقليم .^(٥)

-
- (١) عن موقف عمر من الشعراء ، انظر / ابن الجوزي : سيرة
عمر بن عبد العزيز ، ص ١٩٦ - ٢٠١ .
(٢) انظر بعد : الفصل السادس ، المبحث الثالث ، ص ٧٣٤ .
(٣) انظر ماسنكتبه من حركة شوذب بعد : الفصل الثاني ،
المبحث الثاني ، ص ٢٣١ .
(٤) انظر ما ذكرناه عنهما بعد : الفصل الثاني ، المبحث
الثاني ، ص ٢٤٦ .
(٥) من أجل ذلك انظر / الفصل الثاني ، المبحث الرابع ،
ص ٢٥٤ - ٢٥٥ ، والمبحث الخامس ، ص ٢٦١ - ٢٦٣ .

أما قضايا الموالى وأهل الذمة ، فكان وراءها فى الغالب أسباب مادية ، وأخرى عامة تتعلق بالعدل والمساواة والحرية ، وكان فيما أشرنا اليه قبل عند عرضنا لسياسة عمر المالية حلولا لمشاكلهم وقضاياهم ، وذلك حينما رفع الضرائب غير الشرعية عن الفستين ، ورفع الجزية عن أسلم من الموالى ، وأعطاهم حرية العجرة الى الأمصار ، والالتحاق بالجيش ، كما فرض لهم فى العطاء مع العرب ، فأزال أسباب تدميرهم ، ومابقى لهم على الدولة حجة . أما أهل الذمة فرفع الجزية عن الرهبان والأساقفة ، والخراج عن أملاك الكنائس ، كما أعطاهم الحرية الدينية ، فى حدود الشريعة ومائمت عليه عقود الملح ، ورد مظالمهم كالزيادة فى الجزية التى مولح عليها بعضهم كاهل قبرص ، وأعاد كنائسهم التى أخذت منهم . وبالمقابل التزم عمر بالنهج الإسلامى ، وماجاء فى عقود الملح ، من إلزام أهل الذمة بحدود لحريتهم الدينية ، إذ منع استحداث الكنائس ، والخروج عما جرى عليه الملح فى ممارسة بعض الشعائر ومظاهر العبادة ، كإظهار الملبان ، ودق النواقيس ، ورفع الصوت بالترتيل ، وإيضا منعهم من العمل فى دواوين الدولة ، ومنع بيع الأرض الخراجية ، وإلزامهم بزيهم الخاص فى الملابس ، وعدم الركوب على السرج ، ومنعهم من اقتناء الأسلحة فى منازلهم .

إن ما فعله عمر لم يكن بدعا ، بل هو الحق ، حين طبق الشرع ، فأعطى رعايا الدولة حقوقهم ، وإلزامهم بحدودهم وواجباتهم ، على أساس من العدل والمساواة فى ضوء الشريعة

(١)

والعهد .

كان ماقدناه في هذا التمهيد وصفا لحال الدولة الاموية مطلع القرن الثاني ، عنيانا فيه بابرار ملامح القوة واهم المنجزات ، وابنا مظاهر التطور والنمو في الدولة الاسلامية خلال العصر الاموي ، بل والاشارة الى مقدمات بعض تلك المظاهر منذ نشاة الدولة الاسلامية ، اذا كان في تلك السمات مايعين على وفوح الرؤية والتمور .

وبالمقابل تتبعنا الحركات والمشاكل الداخلية ، التي اخذت تعاني منها الدولة الاموية ، واضحت تمثل عوامل هدم ، في كيان تلك الدولة ، عارفين لسياسات بني امية في مواجهة تلك القضايا ، واخر ذلك على الدولة .

ثم عرفنا لملامح عهد عمر بن عبد العزيز ، الذي طلع القرن الثاني على عهده ، فعرفنا لمعالم سياسته واصلاحاته ، وتبين انه لم يواقع دولته وحاجتها الى الاملاح ، فوقف معها يعمد ترتيب سياساتها ، ويملح احوالها ، في محاولة منه لامادة توازنها ، حتى تستطيع الاطلاق بدورها التاريخي من جديد ، بكل قدرة وقوة . فبدا املاحاته ، وعمل قدر طاقته ، فقدم الكثير ، وانتظر منه الكثير ، لكن عمر خلافته لم يظل ليأتي يزيد بن عبد الملك مكان عمر خليفة للمسلمين ، فمادام سيقدم من الاجازات ، وماموقفه من سياسة عمر وتلك الاملاحات ، وكيف تكون احوال الدولة في عهده ، وعلى اي حال ستؤول الى خلفه ؟ اسئلة نجد اجابتها في ثنايا هذا البحث .

(١) عن سياسة عمر تجاه الموالي واهل الذمة ، انظر / فقيه عاقل : تاريخ خلافة بني امية ، ص ٢٥٥-٢٩٥ - نادية حسنى مقر : سياسة عمر بن عبد العزيز تجاه اهل الذمة فرج الهونى : النظم الادارية والمالية ، ص ٢٣٥-٢٥٥ - ماجدة فيصل زكريا : عمر بن عبد العزيز وسياسته في رد المظالم ، ص ٢٢٧-٢٤٨ .

الفصل الأول

سيرة الخليفة يزيد بن عبد الملك

العمل الاول

**سيرة الخليفة
يزيد بن عبد الملك**

ان هاتلنا من دراسة سيرة يزيد بن عبد الملك ، تكمن في الرغبة المادقة ، والاهمية الكبرى ، للتعرف على حقيقة شخصية رجل تولى الخلافة ، وادار دفة الحكم في دولة الاسلام ، ومدى تاثير تلك الشخصية على الدولة الاسلامية ، واحداث ذلك العهد . وتبرز هذه الاهمية في ضوء ماورد حول شخصية يزيد من الاقاييل ، وماوصف به من صفه ومجون وفسق وقلة دين ، مور من خلالها في سورة مشوهة ، منصرفه عن شئون الحكم ، مؤثرة سلبيا في مجرى بعض الاحداث .

لذلك سينصب اهتمامنا في المقام الاول ، على ما قيل في يزيد بن عبد الملك ، ماله ، وماعليه ، ومدى صحة ذلك ، في محاولة الوصول الى التصور الارجح لحقيقة شخصيته ، ومدى اثرها على الدولة في عهده . اعتمادا على معالجة المعلومات والحقائق الواردة في مختلف المصادر حول سيرته الذاتية ، وماتوصلنا اليه خلال دراستنا الجدية لاحداث عهده ، واحوال الدولة في زمنه .

ترجمته :

يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن ابي العاص ابن امية بن عبد شمس ، ابو خالد . وقيل : ابو ليلى ، القرشي الاموي ، امير المؤمنين . قيل : كان يلقب القادر

بمنع الله ويزيد الفقى ، وامة عاتكة بنت يزيد بن معاوية
ابن ابي سفيان وكثيرا ما ينسب لامة النابغة الذكر ، فيسمى
يزيد بن عاتكة ^(١) .

ولد بدمشق (سنة ٧١ او ٧٢هـ ، وقيل ٦٦هـ) والثانى
ارجح الاقوال . وكان رجلا طويلا جسيما جميلا ، ابيض مدور
الوجه افقم ^(٢) .

وكان له من الزوجات ، سعدة بنت عبد الله بن عمرو بن
عثمان بن عفان ، وزينب بنت محمد بن يوسف الثقفى ، اخی
الحجاج بن يوسف ، وبنت عون بن محمد بن على بن ابي طالب ،
وربيعة بنت محمد بن عبد الله بن جعفر ، وعاتكة بنت عبد
الله بن معاوية بن ابي سفيان ، والجرباء بنت عقيل بن
علفة .

وله من الاولاد عشرة ذكور هم : الوليد ، ويحيى ،
وعبد الله ، والفمر ، وسليمان ، وعبد الجبار ، وداود ،
وابو سفيان ، وقيل : ابو سليمان ، والعمام ، وهاشم ، وذكر
له بعضهم من الاولاد ايضا محمد والنعمان ، وقيل : شامية ،
وثلاث بنات .

(١) انظر ترجمة امة عاتكة عند / عمر رضا كحالة : اعلام
النساء فى عالمى العرب والاسلام ، مؤسسة الرسالة ،
بيروت ، ٢٢٠-٢١٦/٣ .

(٢) افقم : الفقم فى الفم ، دخول الاسنان العليا الى الفم
وقيل : الفقم اختلافه ، وهو ان يخرج اسفل اللحي ويدخل
اعلاه . ابن منظور : لسان العرب ، دار الفكر ، دار
مادر ، بيروت ، (فقم) .

(٣) هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، الذى تولى الخلافة
(١٢٦-١٢٥هـ) . انظر عنه / حسين عطوان : سيرة الوليد
ابن يزيد ، دار المعارف ، القاهرة . وقد اشتمل هذا
الكتاب على مبحث عن يزيد بن عبد الملك ابو الوليد ،
وقدم فيه المؤلف على منهجه فى الكتاب ، دراسة علمية
مميّزة ، قامت على الاستقراء والتحليل والاستنباط ،
والوصول الى حقائق جديدة ، انظر ذلك بين ص ١٤-٤٧ .

وقد تولى الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز ، يوم الجمعة الخامس والعشرين من رجب (سنة ١٠١هـ) على المشعور . وكان عمره آنذاك تسع وعشرون سنة ، وقيل غير ذلك ، يسند ذلك قول جرير ، الشاعر المعاصر :

سربت سربال صدق غير مفتحب

قبل الثلاثين ان الملك مؤتشب

وحيث ان بعض الروايات القديمة قد جعلت عمره عند توليه الخلافة (٢٩) سنة ، فان ذلك يرجح ان يكون مولده (سنة ٧٢هـ) . وكانت ولايته بعدد من اخيه سليمان بن عبد الملك ، الذى عهد اليه بها بعد عمر بن عبد العزيز . فعهد اليه بها عمر ، واوصاه بالامانة . كما عهد هو بالخلافة من بعده لـ اخيه هشام بن عبد الملك ، ثم ابنه الوليد بن يزيد .

ومات يزيد بن عبد الملك يوم الخامس والعشرين من شعبان (سنة ١٠٥هـ) على المشعور والراجح ، وقيل غير ذلك . عن ثلاث وثلاثين سنة ، او اربع وثلاثين ، وقيل غير ذلك . وقد دامت مدة خلافته اربع سنين وشهرا ، على المشعور والراجح . وكانت وفاته باربد من ارض البلقاء ^(١) ، وقيل : بحوران ^(٢) ، وقيل : بسواد الاردن ^(٤) . وقيل غير ذلك .

-
- (١) اربد : قرية بالاردن ، قرب طبرية . ياقوت : معجم البلدان ، دار احياء التراث العربى ، بيروت ، لبنان ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، ١/١٣٦ .
- (٢) البلقاء : كورة من اعمال دمشق بين الشام ووادي القرى بها قرى كثيرة ، وقسمتها عمان . ياقوت : معجم ، ٤٨٩/١ .
- (٣) حوران : كورة واسعة من اعمال دمشق ، من جهة القبلة ، ذات قرى كثيرة . ياقوت : معجم ، ٣١٧/٢-٣١٨ .
- (٤) سواد الاردن : نواحى قرب البلقاء . وسميت بذلك لسواد حجارته . ياقوت : معجم ، ٢٧٢/٣ .

وهمل على الاعناق ، ودفن في دمشق بين باب الجابية
وباب الصغير وقيل : بل دفن في الموقع الذي مات فيه . وعلى
عليه ابنه الوليد ، وقيل : هشام ، وقيل : مسلمة .
(١)
وكان مرفه طرفا من السل ، او الطاعون .

ولقد استقيننا هذه الحقائق المجملة الموجزة من الكتب
التي ترجمت للخليفة يزيد ، او تناولت شيئا من سيرته ،
سواء كانت من كتب التراجم او كتب التاريخ العامة ، والتي^(٢)
سنعرض فيما يلي لذكر ماورد فيها حول شخصية يزيد بن عبد
الملك ، ماله وماعليها ، ثم مناقشة ذلك ، وابراز
ماوصلنا اليه من الحقائق والمفاهيم الجديدة في هذا
العدد .

بادئ ذي بدء ، لم يترجم ابن سعد (ت ٢٣٠هـ) ، صاحب
أول كتاب وصل اليها من كتب التراجم ، للخليفة يزيد بن عبد
الملك ، وان كان قد اورد عهد سليمان له بالخلافة بعد عمر
في ثنايا ترجمة عمر بن عبد العزيز ، وكتاب عمر الى يزيد
يوصيه بالامة .^(٣)

أما النصابة مصعب الزبيري (ت ٢٣٦هـ) ، فذكر نسبه من^(٤)

-
- (١) اتسمت المصادر الاسلامية بتعدد الروايات ، وفيما يخص
يزيد بن عبد الملك كان هناك اختلافا كبيرا في مولده ،
وولايته ، وعمره عند الخلافة ، وفاته ، وعمره عند
وفاته ، ومدة ولايته ، ومكان وفاته ، وكثير من أخباره
فعملت على تقديم ما رأيته الأرجح ، وأخرت ما عداه ،
وأشرت الى وقوع الاختلاف أو وجود أقوال أخرى .
- (٢) لاستكمال ما أجملناه عن سيرة يزيد انظر ما سنورده في
الصفحات التالية من أقوال المؤرخين حول سيرته .
- (٣) انظر : الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بيروت ، ١٤٠٥هـ /
١٩٨٥م ، ٤٠٦-٤٠٥ ، ٣٣٩-٣٣٥ / ٥ .
- (٤) كتاب نسب قريش ، عنى بنشره لأول مرة وتصحيحه والتعليق
عليه أ. ليفي بروفنسال ، دار المعارف ، القاهرة ،
الطبعة الثالثة ، ص ١٦٢-١٦٣ ، ١٦٦-١٦٧ .

طريق أبيه وأمه ، والعهد له من سليمان بعد عمر ، وإن عبد الملك قد أخذ على سليمان عندما عهد له بالخلافة بعد الوليد أن يعهد إلى أحد بنى عاتكة يزيد ومروان ، وكان مروان قد مات في خلافة الوليد . فجاء عهد سليمان ليزيد بعد عمر . كما أورد استخلافه لعشام ثم ابنه الوليد بن يزيد . وذكر أولاده وأمهاتهم . والأهم أن حديثه عن يزيد جاء خالياً من أي إشارة فيها ما يدل على سوء سيرته .

وترجمته عند ابن خياط (ت ٢٤١هـ) مقتصرة على نسبه (١) ومولده ووفاته وعمره ومدة خلافته ، ليس فيها شيء مما ينسب إلى يزيد من سوء ، ويترجم له عبد الله بن محمد بن يزيد (٢) (ت ٢٧٣هـ) ، ترجمة مختصرة على نهجه في كتابه ، لا تشمل على شيء من سمات سيرته سواء كان له أو عليه . أما ترجمة ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) له في كتاب الإمامة والسياسة ، فقد تضمنت (٣) الإشارة إلى حسن هديه قبل الخلافة ، والسير على نهج الوليد في خلافته ، ونسب قوله : "وكان يزيد قبل ولايته محبوباً في قريش بجميل ماأخذه في نفسه ، وهديه وتواضعه وقمده ، وكان الناس لايشكون إذا مار إليه الأمر ، أن يسير بمسيرة عمر لما ظهر منه ، فلما سارت إليه الخلافة حال عما كان يظن به ، وسار بمسيرة الوليد أخيه واحتذى على مثاله ، وأخذ ماأخذه ،

(١) تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق أكرم غنياء العمري ، دار طبعة ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، ص ٢٢٢-٢٢١، ٢٢٢ .

(٢) تاريخ الخلفاء ، رواية أبي بكر السدوسي وزيادات لأبي بكر السدوسي ، وأبي بكر الشافعي ، وأبي علي بن شاذان تحقيق محمد مطيع الحافظ ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، ص ٢٣ .

(٣) تحقيق طه محمد الزيني ، دار المعرفة ، الناشر مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ، ١٠٣/٢-١٠٤ .

حتى كان الوليد لم يمت" . ثم ذكر استعظام الناس لذلك ، وان جماعة من اشراف قريش وخيار بنى أمية هموا بخلعه ، فاخذهم ومن صانعهم ، وسجن وقتل بعضهم ، واغرم وصار اموال آخرين ، بعد ان نكل بهم وفرقهم فى البلاد . وهذا الخبر الاخير لم نجد له ذكرا فيما اطلعنا عليه من المصادر الاخرى سوى اشارة عن تحدث الناس فى خلعه ، اوردها الكتبى ، ولعله استوحاها من هذا الخبر .

ويترجم له ابن قتيبة فى كتابه الآخر ، المعارف ، والى جانب ذكره لمعالم ترجمته من نسب وخلافة ومولد ووفاة وعمر وولايه وابناء ، نجده اول من يشير الى ميل يزيد الى اللهو والملذات ، ولكن فى قول مختصر ، ونصه : "وكان (يعنى يزيد) صاحب لهو ولذات ، وكان صاحب حباية ، وسلامة" .^(١)^(٢)^(٣)

-
- (١) انظر اشارة الكتبى الى ذلك بعد : ص ٩٨ .
 (٢) تحقيق ثروت مكاشة ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، ص ٣٦٤ .
 (٣) حباية جارية يزيد بن عبد الملك ، مغنية من الحن القيان ، ومن احسن الناس وجها واكملهم عقلا وافضلهم ادبا ، قرأت القرآن وروت الاشعار وتعلمت العربية ، وهى من مولدات المدينة ، كانت لرجل يعرف بابن رمانه وقيل ابن مينا ، هو الذى خرجها وادبها ، فاخذت الغناء من بعض المغنين فى ذلك الوقت ، ثم اشتراها يزيد بن عبد الملك بأربعة آلاف دينار . وكان اسمها العاليه ، فلما هراها يزيد سماها حباية ، ولها اخبار كثيرة . انظر ترجمتها عند / عمر رضا كحالة : اعلام النساء ، ٢٣٢/١-٢٣٥ .
 (٤) سلامة النفس ، نسبة الى عبد الرحمن بن ابي عمار الجشمى وهو من قراء اهل مكة ، يلقب بالنفس لعبادته ، كان قد احبها لكنه انصرف عنها تقوى ، فغلب لقيه عليها . وهى من مولدات المدينة ، اخذت الغناء عن عدد من المغنين وحذقت العرب على الاوتار ، وقالت الشعر الكثير . وهى جميلة ظريفة حسنة الغناء . ثم اشتراها يزيد بن عبد الملك ، وعاشت بعده ، ولها اخبار كثيرة . انظر ترجمتها عند/ عمر رضا كحالة : اعلام النساء ٢٣٤-٢٣٩/٢ .

ونجد ابن قتيبة أيضا في كتابه عيون الأخبار ^(١) ، وإن لم يترجم له ، يذكر أخبارا متفرقة ذات صلة بسيرته ، وهي زواجه من الجرباء بنت عقيل بن علف ^(٢) ، وكتابته إلى أخيه هشام معاذيا إياه على سروره عندما ألم بيزيد المرض ^(٣) ، وكذلك عطفه على أهل الحوى والعشق ، وذلك من خلال إيراد قصة عاشقين ، ماتا كمدا ووجدا ، عندما امتنع أبو الفتاة أن يزوجهما من ابن عمها العاشق ، وكان قد علم بذلك من رسول بعثه إليه عامله على المدينة في أمر ، فعطفه عن مهمته ولم يعطه جوابا مما قدم من أجله ، وأمره بالعودة واستقما ، خبرهما ، واشبات ذويهما في شرف العطاء مع أهل المدينة ، ثم العودة إليه بالخبر ، وأخذ الجواب فيما بعث من أجله ^(٤) .
أولا .

وأخر أخباره في هذا الكتاب عن يزيد ، خطبة لأبي حمزة الخارجي ، يعرف فيها ببنى أمية ، ويصف سوء سيرة يزيد فيها عند ذكره بقوله : "ياكل الحرام ، ويلبس الحلة بالك دينار قد ضربت فيها الإبرار ، وهتكت الاستار ، حباة من يمينه وسلامة عن يساره تفنيانه ، حتى إذا أخذ الشراب فيه كل ماخذ قد شوبه ثم التفت إلى أحدهما فقال : ألا أظير ؟! نعم طر إلى النار" ^(٥) مما يدل على شيوع القول بسوء سمعته ، واستغلالها من قبل غموم الدولة الأموية .

-
- (١) دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .
(٢) نفس المصدر ، ١٧/٤ .
(٣) نفس المصدر ، ١١٤/٣ .
(٤) نفس المصدر ، ١٣٠، ١٢٨/٤ .
(٥) نفس المصدر ، ٢٤٩/٢ .

وترجمته في انساب الاشراف هي اشل ترجمة له في كتب التاريخ ، فقد استوفى البلاذري (ت ٢٧٩هـ) فيها سيرته الذاتية والرسمية ، واستقماها في جميع الروايات ، بغير تحيز له او تحزب عليه ، مع امانة ما يميز شخصيته وسياسته ، والتدقيق في البحث عن دوافعها وبواعثها ، فساق اخبار يزيد التي تشمل باسره ونشأته وازواجه واولاده ، ومزاجه ، وشغفه بالنعيم ، وكلفه بالفناء ، وسرد اخباره التي تشمل بولايته للمعد وخلافته ، والحركات التي قامت في عهده .^(١)

أما اليعقوبي (ت ٢٨٤هـ) في كتابه تاريخ اليعقوبي ، فقد جاءت ترجمة يزيد عنده ، محترمة على نسبه وخلافته ، واحداث عهده وسياسته ، ولم يضر الى شيء مما ذكر له او عليه . لكنه في كتابه الاخر مشاكلة الناس لزمانهم ، يشير الى تآثره بحب حبابة وتأثيرها على سياسته في شيء من الایجاز ، اذ يقول : "وكان يزيد بن عبد الملك فهو اول خليفة اتخذ قينة وغلبيت على امره امرأة ، فكانت حبابة جاريتة تولى وتمزل وتطلق وتحبس وتامر وتنهى" . ويقول : "وكان مع ذلك يسرع الى الدماء والاموال وماود عماله ماكانوا عليه من الجور" .

ويأتي الطبري (ت ٣١٠هـ) على سيرة يزيد بعد ان عرش لاحداث عهده وسياسته ، وقد اشار الى خلافته وعمره آنذاك ،^(٢)

(١) حسين عطوان : سيرة الوليد بن يزيد ، ص ٣٢ .
 (٢) دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، ٣١٠/٢ - ٣١٥ .
 (٣) ص ٢٠ .
 (٤) تاريخ الامم والملوك ، تحقيق محمد أبو الغفل ابراهيم دار سويدان ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م ، ٥٧٤/٦ - ٢٤/٧ .

ثم ذكر وفاته ومكانها وعمره وقت وفاته ومدة ولايته ، ثم
أورد أربع مروييات ، عن بعض سيره واموره ، خص بها الجانب
اللاهى فى حياة يزيد ، ذكر فى الاولى فتوة يزيد وشدة طربه
بغناء جاريته حبابة ، وحزن جاريته سلامة عليه عند وفاته
وتحملها بشعر لبعض الأنصار . وهذه الرواية من حديث عمر بن
شبه (١٧٣ - ٢٦٢هـ) عن على بن محمد المدائنى (١٣٢ - ٢٢٤هـ)
والثانية من قول على بن محمد المدائنى من قصة شراء حبابة
والثالثة من قول على أيضا عن يونس بن حبيب (ت ١٨٣هـ) عن
٨٣ سنة وقيل جاوز المئة ، يذكر فيها شدة طربه بغناء حبابه
وحزنه وبكاءه عليها عند مرضها ، وكانت الرواية الاخيرة من
قول عمر بن شبه عن على بن محمد المدائنى ، وتضمنت الإشارة
الى مكوث يزيد سبعة أيام لا يخرج الى الناس بعد موت حبابة
وذلك بمشورة أخيه مسلمة ، خشية أن يظهر منه مايسفه عند
الناس .

وكما يتبين أن اسناد هذه الروايات منقطع ، فالاولى لم
يذكر فيها مصدر المدائنى ، والثانية لم يذكر فيها المصدر
الذى استقى منه الطبرى قوله عن المدائنى ، ولاالمصدر الذى
روى عنه المدائنى ، وكذلك الثالثة لم يذكر الطبرى المصدر
الذى أخذ عنه رواية المدائنى ، والاخيرة لم يورد مصدر
المدائنى فيها .

وكنا نريد أن نتبع نقد السند الى جانب النظر فى متون
المروييات ، لكن ورود هذه المروييات بسند منقطع فى بعض
المصادر وخصوصا القديمة كالطبرى ، والتي سينقل عنها كثير
من المؤرخين الذين سيأتون من بعدهم ، وورود الكثير منها

فى كثير من المصادر دون اسناد ، دفعنا الى صرف النظر عن اتباع هذا المنهج وهو نقد السند ، والاكتفاء بالنظر فى المتن ، واستخلاص ما توصلنا اليه ، بعد عرفنا لما ورد عن سيرة يزيد فى المصادر التى نحن بصد ذكرها ، خصوصا ان من الروايات ما اسند الى من وصفوا بالصدق والثقة والعدالة ، لذلك لم يعد هناك جدوى من مناقشة تلك المرويات ومعالجتها على اساس نقد السند .

فعلى سبيل المثال ، نجد ان مرويات الطبرى الاربع اخذها عن المدائنى ، وهو اخبارى حافظ ، قال الذهبى فيه : "كان مجبا فى معرفة السير والمغازى والانساب وايام العرب مصدقا فيما ينقله على الاسناد" . وقال ابن معين : ثقة ثقة . وقال الطبرى : "كان عالما بايام الناس صدوقا فى ذلك" . وذكره ابن عدى فى كتابه الكامل فى الضعفاء وقال ليس بالقوى . وقال ابن حجر : "ثم اراه فى ثقات ابن حبان وهو على شرطه" ^(١) . وقال ابن حجر : "صدوق" ^(٢) .

ولغيره من الثقات من رووا شيئا من هذه الروايات ، سنذكر منهم من نرى فى ذكره تاييدا لقولنا آنف الذكر .

ونعود مع ماوردته المصادر حول سيرة يزيد . فنجد ابن اعثم ^(٣) (ت ٣١٤هـ) ، يصب اهتمامه على احداث عصر يزيد وبخامة فتنة ابن الملقب والفتوح ، ثم يشير الى وفاته وعمره ومدة خلافته ولايزيد على ذلك شيئا عن سيرته .

(١) محمد السلى : منهج كتابة التاريخ الاسلامى ، ص ١٧٧-١٧٨
 (٢) تقريب التهذيب ، قدم له دراسة واقية وقابله باصل مؤلفه مقابلة دقيقة محمد عوامه ، دار الرشيد ، سوريا حلب ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ص ٤٠٥ .
 (٣) الفتوح ، م ٢٤٢/٤ - ٢٦٤ .

(١)
 أما ابن عبد ربه (ت ٣٢٨هـ) فقد قدم ترجمة جيدة لمنها
 نسبه وخلافته ومماته وعمره وولايته ، وأولاده ، والعهد لمقام
 وابنه الوليد ، وعتبه على مقام في تنقصه اياه ، وبعض رجال
 الادارة في عهده وشيئا من سياسته ، وفطنة ابن المهلب ، ثم
 عرض للعو يزيد وكلفه بجاريته حبابه وسلامة ، فكرر قول ابن
 قتيبة في كتابه المعارف من انه صاحب لحو وذات ، وهو صاحب
 حبابه وسلامة ، واناف رواية أخرى ، ظهرت فيها روح المبالغة
 تضمنت شدة كلفه بحبابه ، وانه اكب عليها ، يحتملها اياما
 حتى اختنت ، ثم دفنها بنفسه .

ويشير ابن عبد ربه في موضعين آخرين خارج نطاق سيرة
 يزيد ، الى تبذيره المال قبل توليه الخلافة ، عندما ذكر ان
 سليمان هم بالحجر عليه عندما اصدق سعدة بنت عبد الله بن
 عمرو بن عثمان عشرين الف دينار ، وشرى جارية باربعة آلاف
 دينار ، وان سليمان قال : "هممت ان احرب على يد هذا
 السفية و..." (٢)

كما اورد ان كلفه بحبابه وانشغاله بها ، قد ادى به
 الى اضاعته امر الرعية ، والاحتجاب معها عن الناس ، وشهود
 الجمعة ، مشيرا الى لوم مسلمة له على ذلك ، وارعوانه قليلا
 ثم العودة الى سيرته الاولى بتأشير من حبابه . (٣)

(٤)
 أما الازدي (ت ٣٣٤هـ) ، وقد عرض لشيء من سياسة يزيد

(١) العهد الفريد ، تحقيق عبد المجيد الترحيني ، دار
 الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، توزيع دار الباز ،
 مكة المكرمة ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م ،
 ١٨٧/٥ - ١٩١ .

(٢) نفس المصدر ، ١٧٥/٥ .

(٣) نفس المصدر ، ٦٦/٧ .

(٤) تاريخ المومل ، تحقق على حبيبة ، القاهرة ، ١٣٨٧هـ /
 ١٩٦٧م ، ص ٢١-٥ .

وأحداث عهده ، فقد ترجم له بايجاز ، وكرر ذكر الروايات الأربع التي أوردها الطبرى ، لكنه أضاف : "وكان يزيد مولعا بالنساء والغناء واللهو والشراب" . فزاد القول بولعه بالنساء ، والشرب ، دون مستند أو رواية نقل عنها أو أشار إليها .

ويترجم المسعودى (ت ٣٤٦هـ) له فى كتابه مروج الذهب (١) ومعادن الجواهر ، ترجمة مختصرة عن نسبه وخلافته ووفاته ، تاريخها ومكانها ، وعمره ومدة ولايته . ثم عرض لمما من أخباره وسيره . صدرها بذكر الجانب المعتم من سيرته ، فذكر غلبة جاريته سلامة وحبابه عليه ، واقباله على الشرب واللهو واحتجابه عن الناس ، ولوم مسلمة له على ذلك ، واقلاعه عما كان فيه مدة مديدة ، ثم عودته الى ماكان عليه من لهو وقصف . وذكر عدم اكتفائه بهن ، واستدعائه لاحد بنى ابيه لهب من مكة ، على دواب البريد والانفاق على حمله من بيت المال ، لانه يحسن غناء شعر بعينه ، وقدمه على الخليفة وغناه له ، وطربه بغناؤه ، وثناءه على ابيه لهب الذى اخذ عنه ذلك الغناء ، ووصله واعادته مكرما . ثم يكرر رواية شدة طربه لغناء حبابه وسلامه ، واحتجابه عن الناس عند مرض حبابه ، وامتناعه عن دفنها بعد موتها من شدة الجزع عليها حتى جيفت ، ثم دفنها اياها ، وموته بعدها بايام قلائل ، ذاكرا قول ابيه حمزة الخارجى فى يزيد كدليل على سوء سيرته . ثم عرض لبعض أخبار دولته ، وختم قوله :

(١) تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، ص ٣١٥-٣١٦ .

(٢) انظر قوله قبل : ص ٨١ .

وليزيد اخبار حسان . فمدر حديثه عن يزيد بالمساوى ،
وختمه بالاشارة للمحاسن ولم يذكرها ، مع التوسع في ذكر
اخبار لهوه وطربه واحتجابه ، مكررا قول الازدى في شربه
الخير .

(١)
ويترجم له ايضا في كتابه الاخر التنبيه والاشراف ،
فيوجز ترجمته ، ويمطه اخلاقه بعد وصف خلقه ، بقوله : "حتى
الشباب شديد الفخر ظاهر الكبر ، يحب اللهو ويستعمل الحجاب
لايعرف موابا فياتيه ، ولاخطا فيدعه " .

(٢)
ويكرر المقدسى (ت ٣٥٥هـ) القول بلهوه وشغفه بحبابة
وشربه الخمر ، ثم فكره لها ، وعزمه على الرشد ، والتشبه
بعمرو ثم العودة الى سيرته الاولى بتأثير منها ، عندما
هنته ابياتا حزين له فيها اللهو والطرب الامر الذى ادى به
يوما الى الاعتزال معفا في مقصورة له لينال حظه من
الاستمتاع بها ، وامر حبابه الايفتحوا الباب ذلك اليوم ولو
كان بطلبه و اشار الى موتها ذلك اليوم ، حيث غمت بحبة رمان
وحمله جنازتها ، ودفنها ، وموته بعدها بخمسة عشر يوما .

ثم نرى دور الكتاب والحا في تخفيف الامور ، والمبالغة
في الوصف ، والتحريف والزيادة او النقص ، يحبين لنا ذلك
مما افاده الجاحظ (ت ٣٥٥هـ) الى قول ابي حمزة الخارجي في
يزيد ، وهو ينقل الخطبة التى نقلها ابن قتيبة ، اذ يحرف
(٣)
(٤)

-
- (١) دار صعب ، بيروت ، ص ٢٧٧-٢٧٨ .
(٢) كتاب البدء والتاريخ ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٩١٩م
٤٩-٤٨/٦ .
(٣) البيان والتبيين ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون
مكتبة الجاحظ ، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ،
الطبعة الخامسة ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، ١٢٢/٢-١٢٥ .
(٤) انظر قبل : ص ٨١ .

فيها ويزيد ، ونس ماورده : "ثم ولى يزيد بن عبد الملك الفاسق فى دينه ، المأبون فى فرجه ، الذى لم يؤمن منه رشد وقد قال الله تعالى فى أموال اليتامى : {فإن أنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم} فامر أمة محمد عليه السلام (١) أعظم . ياكل الحرام ، ويشرب الخمر ، ويلبس الحلة قومت بالك دينار ، قد ضربت فيها الأبشار ، وهتكت فيها الاستار ، واخذت من غير حلها ، حباة عن يمينه" .

وبالقاء نظرة مقارنة بين النعمين ، نجد أنه زاد كل ما قبل قوله "ياكل الحرام" مفيها بعدها ، رمية بشرب الخمر ، مما يوضح ما أصاب النفس من تحريف ، هذا إن كان قد صح نقله عن قائله من الأساس ، مع عدم التسليم بما جاء فيه ، لأنه قول مدو خارج نال من المحابة رفوان الله عليهم فكيف لا ينال من يزيد .

ويبلغ القول عن أخبار يزيد مع سلامة وحباة مداه عند أبى فرج الأسفهانى (ت ٣٥٦هـ) ، الذى جمع فى ترجمتيهما (٢) الكثير من الروايات حول ذلك ، وكرر القول حول شراهما ، ولصوه وطربه وشربه وغلبيتها عليه ، واحتجابه مع أمائه ، وتركه الظهور للناس ، وشهود الجمعة والجماعة ، والارسال فى أخبار بعض الشعراء والمفنيين ، للسمع منهم ، أو الحكم فيما يختلفون عليه من الشعر والغناء ، كاستقدام الأهوى الشاعر ، ومعبد والفريض المغنيان .

(١) النساء : من آية ٦

(٢) كتاب الأغاني ، مصور عن طبعة دار الكتب ، وزارة الثقافة والإرشاد القومى ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، مطابع كوستا توماس وشركاه ، القاهرة ، ٢٣٤/٨ - ٢٥١ ، ١٤٥-١٢٤/١٥ .

وقد أشار الى هجره حياية مدة من الزمن ، رغبة في التحبه بعمرو بن عبد العزيز ، وفي رواية ، للوم مسلمة اياه على سلوكه ذاك ، ثم العودة الى سيرته ، لتحريضها له واسماعه غناء اطربه ، وقيل من شعر سمعه من الاحوص ، فترك ما اراد من الرشد وعاود الغي .

وباقول جهد ، وشيء من امان النظر ، تظهر مبالغة الاسفهانى فيما اورده ، والخيال فيما قصه ، والتناقض والاضطراب فى مروياته .

فعلى سبيل المثال ، نراه فى رواية يشير الى ان يزيد قال : بماذا مار عمر ارجى لربه جل وعز منى ، فاراد التحبه به ، فشق ذلك على حياية ، فعملت على رده عن الرشد ، ونجحت فى ذلك . وغالب المصادر تشير كما سنرى الى سير يزيد على نهج عمر فى اول خلافته لمدة وجيزة حددها البعض بأربعين يوما ، ثم نكوصه عن ذلك . ولكن ليس بسبب حياية لانها لم تكن عنده آنذاك ، فانه لم يشترها الا فى خلافته ، كما ان الروايات تورد اسبابا اخرى لنكوصه ، نوردها عند ذكر المصادر التى اوردها . ورواية تقول ان التى شرحت حياية هى زوجته سعدى التى اخذت عليها ان تمتد لابنها عبد الله ولاية العهد ، ورواية اخرى تقول ان زوجته الشقفية ام الوليد هى التى شرحتها له ، وانها اخذت عليها ان تعمل على تولية ابنها الوليد العهد ، ورجع القول الاخير .

ويبدو الاضطراب كبيرا فى خبر موتها ودفنها ، فرواية تقول : انه امر بدفنها بعدما انخلت ، وحضر دفنها ، ثم اراد نبشها ورجع عند ذلك ، وفى رواية انه نبشها بعد ثلاثة

أيام فزالوه منها ، ودفنوها فلم يلبث أن مات ودفن الى جانبها . وثالثة ، تقول أن مسلمة طلب منه أن يكفيه الصلاة عليها ، فأمر مسلمة بعض أصحابه بالصلاة عليها وانصرف ، وغيرها . ولعل الأخيرة أقرب المرويات الى ما يقبله العقل ويناسبه ذلك الزمان وأهله .

ويقول حسين عطوان فيما نقله اللفهاني : وهذا أبو الفرج حذو المسعودي في عرض أخبار يزيد الذاتية الالهية مرفعا موجها ، يزرى به وينال منه ، فأكثر ما أورده من المرويات استحقاقه من علماء الزبيريين واليمنيين ، وفيه أخبار ممنوعة . ثم أورد خبرا عن موت حبابة ودفنها وموقف الخليفة وموته كمدا عليها كالمودج على مروياته الباطلة . فمصدر الخبر عبد الله بن عروة بن الزبير الذي قال انه خرج الى الشام مع أبيه زمن يزيد بن عبد الملك ، وحكى القصة . وقد أبطل حسين عطوان الخبر ، على أساس أن عروة بن الزبير لم يدرك زمن يزيد ، فوفاته كانت (٩٣ او ٩٤ او ١٠٠هـ) . مما يدل على تلفيق واختلاق هذا الخبر ، وكثير من الأخبار المصنعة لهذا الشخص هذا الخليفة ، سواء كان ذلك من بعض المؤرخين أو رواة الأخبار .

ومرويات اللفهاني في هذا الصدد بعضها مسند ، وأخرى منقطعة السند ، وغيرها بلا أسناد . وقد اعتمد فيها على عدد من الرواة الكذابين والمجروحين والمطعون عليهم ، الى جانب اناس من أهل الصدق والحق والعدالة . وهو في ذاته لا تقبل أخباره الا بعد تمحيص ونظر ، فهو شيعي المذهب ، شعوبي

النزعة ، كذاب ، يصرح في كتاباته بما يوجب عليه الفسق ،
ويهون شرب الخمر ، وبها كثير من الطعن والاعاجيب .
(١)
وقدم له ابن عساكر (ت ٥٧١هـ) ترجمة جيدة ، جمعت بين
ماله وعليه ، مسندة مروياتها على طريقة المحدثين ، وقد
اورد فيها نسبه ، ومولده ، وخلفته ، وموته زمانا ومكانا ،
وممره ومدة خلافته وصغته ، ثم عرض لبعض سيره ، ومما ذكره
لسيزيد من المحاسن ، مجالسة العلماء ، وحضور حلقاتهم
العلمية والاخذ عنهم سواء في دمشق او المدينة وذلك قبل
تولييه الخلافة ، فيروى عن ابن جابر قوله : "بينما نحن عند
(٢)
مكحول اذا قبل يزيد بن عبد الملك ، فعممنا ان نوسع له ،

(١) عن أبي الفرج الاصفهاني ، ترجمة ، ومذهبا ، ومنهجا ،
ومصادرا ، وقول العلماء فيه وفي كتابه الاثاني ، ونقد
بعض مروياته ، انظر : وليد الاعظمي : السيف اليماني
في نحر الاصفهاني صاحب الاثاني ، دار الوفاء للطباعة
والنشر والتوزيع ، المنصورة ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٨هـ -
١٩٨٨م . وقد اورد فيه روايتين من مختلفات الاصفهاني
عن يزيد بن عبد الملك وناقشهما ، انظر منه ص ١٥٢-١٥٣ .

(٢) تاريخ دمشق ، صورة من نسخة المخطوط بالمكتبة
الظاهرية بدمشق وكمل نقمها من النسخ الاخرى بالقاهرة
ومراكش واستانبول ، صنع لكل جزء منها فهرسا للخارج
والموضوعات الشيخ محمد بن رزق بن الطرهوني ، الناشر
مكتبة الدار بالمدينة المنورة ، ١٤٠٧هـ ، ٢٢٧/١٨-٢٤٥

(٣) ابو عبد الله مكحول بن ابي مسلم شعراب بن شاذل
الدمشقي ، مولى لامرأة هذلية ، واصله من سبي كابل على
المسيح ، حيث اختلف على ولائه واصله ، وهو من
التابعين ، جليل القدر ، محدثا ، ثقة ، صدوقا . كان
يرى القدر ثم رجع ، (ت ١١٢هـ على خلاف) . انظر ترجمته
عند : السدهي : سير اعلام النبلاء ، اشرف على تحقيق
الكتاب وخرج احاديثه ، شعيب الارناؤوط ، مؤسسة
الرسالة ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ،
١٥٥/٥ - ١٦٠ - ابن كثير : البداية والنهاية ، دقق
اصوله وحققه احمد ابو ملحم وفؤاد السيد وعلى عطوي
ومهدي ناصر الدين وعلى عبد الستار ، دار الكتب
العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٨هـ -
١٩٨٨م ، ٣١٧/٩ - ابن حجر : تهذيب التهذيب ، دار
الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ،
الطبعة الاولى ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، ٢٥٨/١٠ - ٢٦٠ .

فقال مكحول : دعوه يجلس حيث انتهى به المجلس يتعلم
الخواصع" . وعن عبد الله بن يمار : "انى لجالس فى مسجد
النبي صلى الله عليه وسلم وقد حج فى ذلك العام يزيد بن
عبد الملك ، قبل أن يكون خليفة فجلس مع المقبرى ومع ابن^(١)
أبى العتاب ... " وذكر قصة وقوف أبى عبد الله المرابط صاحب^(٢)
أبى هريرة رضى الله عنه عليه وهو عندهما ، ووصايته له
بأهل المدينة .

ويبدو أنه حفظ كثيرا من الحديث ورواه ، حتى عد من
المحدثين ، فيروى ابن عساكر أن أبا زرعة قال : "ومن بنى
أمية ممن يحدث ، يزيد بن عبد الملك" .

كما أورد ما يدل على سير يزيد أول خلافته على نهج عمر
ثم نكومه عن ذلك . يقول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : "لما
توفى عمر بن عبد العزيز وولى يزيد بن عبد الملك قال سيروا
بمسيرة عمر ، قال فأتى بأربعين شيئا فشهدوا له ما على
الخلفاء حساب ولا عذاب" ، وقال عبد الملك بن الماجشون :
"لما مات عمر بن عبد العزيز قال يزيد : والله ما عمر باحوج
الى الله منى . قال فاقام أربعين ليلة يسير بمسيرة عمر .."
لكن الرواية علت نكومه عن نهج عمر بسبب عمل جاريته حباة
على صرفه عن ذلك باسماعه غنائها ، فصرفته الى اللهو .
وبالمقابل أورد شيئا مما قيل فيه ، وذلك عن شراء

(١) أبو سعيد المقبرى ، واسمه كيسان ، مولى لبنى جندع من
كنانة ، أدرك عمر بن الخطاب ، وكان ثقة كثير الحديث
(ت ١٠٠هـ) فى خلافة عمر بن عبد العزيز ، وقيل توفى
بالمدينة فى خلافة الوليد بن عبد الملك . ابن سعد :
الطبقات الكبرى ، ٨٦-٨٥/٥ .
وقد يكون الذى تعلم على يديه الخليفة يزيد هو ابن
أبى سعيد المقبرى ، واسمه سعيد بن أبى سعيد المقبرى
فابن عساكر اكتفى بذكر اللقب ولم يحدد الاسم .
(انظر ترجمة الابن بعد : الفصل السادس ، المبحث الاول
ص ٦٥٩) .

(٢) أراه منصور بن المعتمر ويكنى أبا عتاب ، إذ لم نعثر
على أحد بهذا الاسم فى تلك الفترة غيره ، ومنصور من
العباد ، رفيعا عاليا مدوقا ، ثقة كثير الحديث ، مات
١٣٢هـ . ابن سعد : نفس المصدر ، ٢٣٧/٦ .

سلامة واختلاطه مع حبابة وموتها شرقا ، ودفنها بعدما جيفت ، وحزنه وجزعه عليها ، وشعره فيها ، وموته على آخرها . بل أنه أورد رواية تطعن في دينه ، مع أنه ذيلها بالحكم على أسنادها ، إذ قال : "في أسنادها غير واحد من المجهولين" .^(١) أما ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) ، فقد استغل حديثه عن عهد يزيد باستخلاف يزيد ، وبعد أن عرّف لأحداث عهده وسياسته ، استكمل الحديث عن سيرته وشيء من أخباره . فذكر استخلافه بعد عمر بعهد من سليمان ، وأشار إلى وصية عمر إليه ، وقول ينم عن حسن رأيه فيه قال : لما احتضر عمر قيل له : اكتب إلى يزيد فأوصه بالامة . قال : بماذا أوصيه ؟ أنه من بنى عبد الملك ، ثم كتب وصيته إليه .^(٢)

لكن ابن الأثير ، سرعان ما يلتمس حديثه عن يزيد بقوله : "ومد يزيد إلى كل ماضيه عمر بن عبد العزيز مما لم يوافق هواه فردّه ، ولم يخف شناعة عاجلة ولا شأما عاجلا" . وهذه مقولة سنناقش مدى محتها في دراستنا لسياسته الادارية والمالية .^(٣)

أما أخبار سيرته ، فكرر فيها ابن الأثير ، ماورد عند الطبري وغيره من الروايات عن هرائه لجاريته سلامة وحبابة وشدة طربه لفلأتهما وكلفه بهما ، وحزنه وجزعه على حبابة بعد موتها . وعلى طريقة المحدثين كان يورد الروايات المختلفة وإن تناقضت ، وعلى منهجه دون أسناد ، لكن الدارس

(١) الكامل ، ١٦٥/٤ - ١٩٢ .
(٢) انظر نموا بعد : الفصل السادس ، المبحث الثاني ، ص ٧٢٢-٧٢٣ .
(٣) انظر ذلك في الفصل الخامس . وقد اثبتت الدراسة الجديدة عدم صحة هذا القول على وجه الاطلاق .

يلمس تقديمه لما هو اقرب للمنطق ، مستبعدا امدار الاحكام عليه والروايات التي تطعن في دينه . فنراه على سبيل المثال ، يقدم القول بموته بمرض السل ، على موته كمدا على فقد حبابه ، وعندما يصور طربه بالغناء يقدم الرواية التي تقول : "كان يزيد من فتيانهم ، فقال يوما وقد طرب وعنده حبابه وسلامة القس : دعوني اظير ، فقالت حبابه : على من تدع الامة ؟ قال : عليك" . ثم يورد بعدها رواية تقول : "وغنثه يوما :

وبين التراقي واللغة حرارة وماظمئت ماء يسوع فتبرد ا فاهوى ليظير ، فقالت : يا امير المؤمنين ان لنا فيك حاجة فقال : والله لاظيرن ، فقالت : على من تخلف الامة والملك ؟ قال : عليك والله ، وقبل يدها ، فخرج بعض خدمه وهو يقول : سخنت عينك فما اسخفك" . فالخبر واحد ، لكن الرواية الثانية بها زيادة ، وفيها مبالغة تستهدف التمرير والاساءة ، فاورد الاختحين لكنه قدم اكثرها اخزاناً .

(١) ويكثر المؤرخ المجهول ، من الروايات التي ترسم صورة يزيد اللاهى ، فى شيء من المبالغة وهو لا يكتفى بايراد الروايات المشيرة الى لهوه ، وانمرافه الى الاماء ، والشرب ومعام الناس من الظلم والجور بسبب ذلك ، واقلاعه ثم عودته الى سيرته الاولى ، كما عند كثير ممن سبقه من المؤرخين ، بل يمدد احكاما قاسية ، فبعد ان عرف بيزيد على انه صاحب لهو وهو صاحب حبابه وسلامة وصف خلقه ، كما وصف خلقه

(١) الميون والحدائق فى اخبار الحقائق ، ويلييه تجارب الامم لمسكويه ، مكتبة المثنى ، ببغداد ، ٨٠-٧٥/٣ .

بالتجور . ومن المبالغة في رواياته التي نقلها ، القول
بشراء حبابة وسلامة بمائتي ألف دينار ، ورواياته غير
مسندة .

وسنتجاوز عددا من المؤرخين لنصل الى ترجمته عند
اثنين من كبارهم ، اولهما : الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، الذي
تناول شيئا من سيرته في كتبه التاريخية ، فاورد في تاريخ
الاسلام ، وصف خلقه ، وحفوره مجلس مكحول ، كما كرر القول ان
يزيد قال : سيروا بسيرة عمر ، فاتى باربعين شيئا ، فشهدوا
له ان ماعلى الخلفاء من حساب ولا عذاب . و اضاف في كتابه دول
الاسلام قوله : " وكان طائفة من الجهال الشاميين يعتقدون
ذلك " . كما اشار في كتابه تاريخ الاسلام الى طرف من قصته مع
حبابة ، وموتها ، وحزنه عليها وموته على اثرها . وترجم
ليزيد في كتابه سير اعلام النبلاء ترجمة جيدة ، اورد فيها
نسبه ، واستخلافه ، ومولده ، ومفاته ، ووفاته زمانها
ومكانها ، ومدة خلافته ، وعنده لعشام ثم ابنه الوليد . ثم
اشار الى جانب من محاسنه ، حيث كرر القول بحضور حلقة
مكحول لطلب العلم ، والسير بسيرة عمر اول خلافته ، وشهادة
اربعين شيئا له ، ان ماعلى الخلفاء من حساب ولا عذاب .
واورد رواية اخرى لهذا الخبر ، ذكر فيها ان يزيد قال :
والله ما عمر بن عبد العزيز باحوج الى الله مني ، فاقام
اربعين يوما يصير بسيرته ، ثم اشار الى انصرافه عن ذلك

(١) وطبقات المشاهير والاعلام ، مطبعة السعادة ، نشرة
مكتبة القدس ، القاهرة ، ١٩٦٨م ، ٢١٢/٤ - ٢١٤ .

(٢) مطبعة دار المعارف النظامية الكائنة بمدينة حيدر
آباد ، الدكن ، الطبعة الاولى ، ٥٥/١ .

(٣) ١٥٢-١٥١/٥ .

الى اللهو مع حبابة حتى اغرته بفنائها .

ثم عرض للجانب الالهي من حياة يزيد ، فذكر قصة وفاة حبابة ، وحزنه عليها ، وموته بعدها بخمسة عشر يوما . وعرض لوصفها ، كما ذكر لوم مسلمة لاختيه يزيد في شغفه بتلك الجارية ، وتركه مصالح المسلمين ، وعدم اغادته فيه . وبين رأيه في يزيد بقوله : "وكان لا يصلح للامامة ، مصروف الهمة الى اللهو والغواني" .

وثانيهما ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) ^(١) ، الذي تعد ترجمته ليزيد من افضل التراجم التي تناولت سيرته ، لما تميزت به من الشمول والاتزان ، حيث تناول ماله وماعليه بل ودرء بعض الشبه عنه . واشتملت على نسبه ، وصفته ، وخلافته بعد عمر ابن عبد العزيز بعهد من سليمان ، وذكر كتاب عمر اليه ووفاته وعمره ومدة ولايته ، والعهد من بعده لهشام ثم ابنه الوليد بن يزيد . اما اخبار سيرته ، فقدم ما كان ليزيد من اثر حسن ومحامد طيبة ، ثم تناول الجانب الالهي في شيء من الاتزان . فبدأ بخبر متابعة يزيد لعمر بن عبد العزيز الذي عاد الى ماكان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين من عدم توريث المسلم الكافر ، والكافر المسلم ، وترك ماسار عليه بنو أمية منذ عهد معاوية من توريث المسلم الكافر ، فلما تولى هشام اخذ بما كان عليه بنو أمية . ثم كرر رواية تعلم يزيد على يد مكحول وحفوره مجلسه . ثم أكد على كثرة حضور يزيد مجالس العلماء ، واثر ذلك عليه في عزمه على التماسي بعمر عند توليه الخلافة ، يتبين ذلك من

(١) البداية ، ط ٤ ، ٩/٢٤١-٢٤٢ .

قوله : "وقد كان يزيد هذا يكثر من مجالسة العلماء قبل أن يلى الخلافة ، فلما ولى عزم على أن يتخلى بعمر بن عبد العزيز ، فما تركه قرناء سوء ، وحسنوا له الظلم ، قال حرمة عن ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال : لما ولى يزيد بن عبد الملك قال سيروا بسيرة عمر ، فمكث كذلك أربعين ليلة ، فأتى بأربعين شيخا فشهدوا له أنه ما على الخلفاء من حساب ولا عذاب" .

وقد دفع عنه تهمة الطعن في دينه بقوله : "وقد اتهمه بعضهم في الدين ، وليس بصحيح ، إنما ذاك ولده الوليد بن يزيد كما سيأتى ، أما هذا فما به من بأس" . وبالمقابل تناول الجانب الآخر ، حيث تحدث عن علاقة يزيد بجاريته حبابة شراها ، وحفظوها عنده ، وكلفه بها ، وقصة موتها عندما اعتزل كل شيء ليخلو بها في أحد قصوره ، فماتت على اثر شرقها بحبة غلب ، وتأخيرها دفنها حتى جيفت ، ومدى حزنه عليها وموته على أثرها ، بمرض السل .

وقد قدم ذلك بشكل موجز ، مستبعدا ما ينم عن التحامل ، وإن لم يسلم قوله من ذكر ما يستغرب ، كالقول ببقائه أياما بعد موتها يقبلها ويرشفها وهي ميتة حتى انتحلت وجيفت . ويتضح أنه جمع أكثر من رواية في خبر موجز أجمل فيه قصة يزيد مع حبابة ، وبدون اسناد ، مخالفا منهجه وبخامة في الروايات المسندة التي تناولت الجانب الحسن من سيرة يزيد .

وكثر كثير من المؤرخين المتأخرين ، القول بلهوه ، وكلفه بجاريته سلامة وحبابة ، وانصرافه اليهن ، بينما

أشار بعضهم إلى اتباعه نهج عمر أول خلافته . وأصدر بعضهم الأحكام القاسية عليه ، كقول ابن الطقطقا (ت ٧٠٩هـ) : "كان^(١) - يعنى يزيد - خليع بنى أمية ، شفق بجاريتين اسم أحدهما سلامة والآخرى حبابة ، فقطع معهما زمانه " . ومثل ذلك نجده فى ترجمته عند الكتبى (ت ٧٦٤هـ) ، الذى لمن ترجمته الكثير مما يسمى ليزيد دون ذكر لشيء من محاسنه ، فوصفه بالعجز ، وقال : "كان يسمى يزيد الماجن" وخلال تحدثه عن قمته مع حبابة ، قال : أن عقله اختل على أثر موعها . وأضاف قوله : "وتحدث الناس فى خلعه من الخلافة" وهو خبر سبقه إليه ابن قتيبة ، الذى أشار إلى محاولة خلعه ، لعودته إلى سياسة الوليد بن عبد الملك ، وليس بسبب علاقته بحبابة كما قال هذا . وأبدى رأيه فيه ونعمه : "فغلبت - أى حبابة - على قلبه من ذلك - وقت شرائها - ولم ينتفع به فى الخلافة" .

وأضاف بعضهم تحذيره المال ومبلغ حرقه ، فأشار اليافعى (ت ٧٦٨هـ) ، إلى إعطاء يزيد قبل الخلافة لأحد^(٢) الحلاقين أربعة آلاف درهم . ويذكر القلقشندي (ت ٨٢٠هـ) أن^(٣) يزيد كان يلقب القادر بمنع الله . وقد انفرد بذلك . كما يذكر تميمه ومظنة قماشه ، فيقول : "كان قماشه - يعنى

-
- (١) الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م ، ص ١٣١ .
 (٢) فوات الوفيات والذيل عليها ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٤م ، ٢٢٢/٤ - ٢٢٣ .
 (٣) النظر قوله قبل : ص ٨ .
 (٤) مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة حوادث الزمان ، تحقيق عبد الله الجبورى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م ، ٢٥٣/١ .
 (٥) مآثر الإنافة فى معالم الخلافة ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٤م ، ٣٦٣/١ .

يزيد - يحمل على ستمائة جمل ، وانه خلف عشرة آلاف قميص
لنفسه ، وليقن على ذلك باقى امواله " . غير ان لهذا الخبر
مخيلا ينسب مثل ذلك لهشام بن عبد الملك ، لاليزيد ، ولعله
امل هذا الخبر ، فحرفت نسبه من هشام الى يزيد .

قال المصعب الزبيري : ^(١) "وكان - اى هشام - قد اتخذ
طرازا له قدر ، واستكثر منه ، حتى كان يحمل طرازه على
سبعمائة جمل ، وحمله على ذلك ان عمر بن عبد العزيز لما مد
يده الى بعض اموال بنى امية ، لم يعرض لما قطعوا من
الخياب ولبسوا ، تركها لهم ، فرأى هشام ان عمر امام عدل ،
وان من ياتى بعده من اهل العدل يقتدى به ، فجعل يتخذ
المتاع الجيد ويؤخر فيه ويلبسه ، ثم يدخره لولده ، وكان
يستجيده ويفالى بخدمته " .

^(٢) وروى ابن تفرى بردى (ت ٨٧٤هـ) ، فى ترجمته ليزيد
القول بان يزيد صاحب لهو وطرب ، وكذلك سيره على نهج عمر
اربعين يوما ، ثم ترك ذلك الى اللهو والشرب .

بينما خلت ترجمته عند آخرين من اى ذكر لاجبار سيرته ،
كما عند ابن العمرائى (ت ٥٨٠هـ) ، او الاقتصار على ذكر
الحسن من اخباره ، كما فعل السيوطى (ت ٩١١هـ) ، الذى ضمن
ترجمته روايتين عن اتباعه نهج عمر اول خلافته ، ثم عدوله .

-
- (١) نسب قريش ، ص ١٦٤ .
(٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، نسخة مصورة
عن طبعة دار الكتب المصرية ، المؤسسة المصرية العامة
للترليف والترجمة والنشر ، ٢٥٦-٢٥٥/١ .
(٣) الالباء فى تاريخ الخلفاء ، تحقيق قاسم السامرائى ،
دار العلوم للطباعة والنشر ، الرئيس ، الطبعة
الثانية ، ١٩٨٢م ، ص ٥١ .
(٤) تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ،
ص ٢٤٦-٢٤٧ .

ونرى ان فيما اوردناه من اقوال المؤرخين واصحاب
الخرازم ، ما يكفى لمناقشة ما قيل حول شخصية يزيد بن عبد
الملك ، ووقع التصور الاقرب لسيرته ، ولانقول التصور الاصب
او ما كانت عليه سيرته فى الحقيقة ، لان المعلومات التى
اشتملت عليها مصادرنا حول سيرته ، قليلة نادرة ، مقتضرة
على بعض جوانب حياته وليس كلها ، مفتربة متناقضة ، مما
يوجب معها الوصول الى الحقيقة او الحكم القاطع .

وما عرفنا له من المصادر التى تناولت سيرة يزيد ،
يمكن تقسيمه الى فئات ، الاولى : اجمت عن ذكر اخبار سيرته
واقترنت على ايراد ابجدياتها ، من نسب ، ومولد ، وخلافة ،
ووفاة ، وعمر ، ومدة خلافة ، وشئ عن أسرته ، وهى : نسب
قريش ، وتاريخ ابن خياط ، وتاريخ الخلفاء لعبد الله بن
محمد بن يزيد ، وتاريخ اليعقوبى ، والفتوح ، والانباء فى
تاريخ الخلفاء .

فئة ثانية : غمشت ترجمته الجمع بين ذكر المحمود من
سيره ومذمومها ، وهى الامامة والسياسة . وانساب الاشراف
وتاريخ دمشق ، وتاريخ الاسلام ، ودول الاسلام ، وسير اعلام
النبلاء ، والبداية والنهاية ، ومراة الجنان .

وفئة ثالثة : اوردت فى ترجمته من الاخبار ما اخذ عليه
وهى المعارف ، ومشاكله الناس لزمانهم ، وتاريخ الامم
والملوك ، والمقد الفريد ، وتاريخ الموصل ، ومروج الذهب ،
والتنبيه والاشراف ، والبيان والتبيين ، والبدء والتاريخ ،
والانسانى ، والكامل ، والعيون والحداثق ، وماخر الانافة .
بينما وجدنا السيوطى كمثال لمن اقتصر على شئ من محاسنه

فى الترجمة ليزيد .

وهذا التقسيم مبنى على طبيعة ماحوته تلك المصادر من أخبار سيرة يزيد ، لاعلى أساس أنه يبين اتجاه هؤلاء المؤرخين وأهواءهم ، ولايدل بشكل مطلق على اثر الهوى فى كتاباتهم التاريخية . فعلى سبيل المثال ، نجد أن الطبرى قد اقتصر فيما أورده من أخبار سيرة يزيد ضمن ترجمته ، على بعض ماأخذ عليه من علاقته بجاريته حبابة ، لاعن هوى فى نفسه وهو الامام الحافظ العلامة الثقة المدوق حسن المذهب والاعتقاد^(١) ، وان كنا لانجد مبررا لاغفاله أى شىء عن الجانب الحسن من سيرة ذلك الخليفة ، الا أنه لم يسمع او يطلع على شىء من ذلك . بينما اغفل أخبار سيرته الالهية من كان يتوقع منه الطعن والاساءة ، كاليقوبى فى كتابه تاريخ اليعقوبى ، وهو المعروف بالتشيع ، واتباع الهوى فى كتاباته ، وان كان قد ذكر شيئا من أخبار تلك السيرة فى كتابه الآخر مشاكلة الناس لزمانهم .

ويمكن أن نجمل أخبار سيرة يزيد بن عبد الملك ، كما جاءت فيما استعرضناه من المصادر فى جانبين : المحمود من سيرته وهو مايحسب له ، والمذموم منها وهو مايؤخذ عليه . وتمثل المحمود من سيرته ، أنه كان قبل الخلافة محبوبا فى قريش ، بجميل ماأخذه فى نفسه ، وهديه وتواضعه وقصده^(٢) . ويحتمل بنا أن نفوه - وان كان من خارج تراجم يزيد فى

(١) عن ترجمة الطبرى ، وعقيدته ، انظر : محمد السلى : منهج كتابة التاريخ الاسلامى ، ص ٤٣٦-٤٣٩ .

(٢) عن ترجمة اليعقوبى ، وعقيدته ، انظر : محمد السلى : نفس المرجع ، ص ٤٢٦-٤٢٢ .

(٣) انظر قبل : ص ٧٩ .

المصادر التي عرضنا لها - الى حسن تربيته وتاديبه في صغره
كواحد من ابناء الخليفة عبد الملك بن مروان ، الذي اولى
تربية اولاده عناية كبيرة واهتماما بالغاً ، زودهم
بتوجيهاته ووصاياه ، واعطاهم حبه ، واسبغ عليهم عطفه ،
وهاهو ذا يعبر عن حبه لهم بشعر قال فيه عن يزيد :

يزيد زيادة الرحمن فينا وصاحب عروة الامر الشديد (١)

كما احسن اختيار المؤدبين لابنائهم ، فانلقاهم من اهل
الدين والعلم والفن ، وقدم لهم توجيهاته ، فيما ينبغي ان
يفعلوه وما يريد ان يكون عليه ابناؤه . فكان منهم الضحاك
ابن مزاحم الغلالى ، وعامر بن شراحيل الشعبى ، واسماعيل بن
عبيد الله بن ابي المهاجر ، ومحمد بن مسلم الزهرى .
(٢) (٣) (٤)
وقد تسادب يزيد على يد اسماعيل بن ابي المهاجر ،

(١) عن اهتمام عبد الملك بن مروان بتربية ابنائهم ، انظر
محمد ضياء الدين الريس : عبد الملك بن مروان والدولة
الاموية ، مطابع سجل العرب ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٩م
ص ٤٩-٥٣ - عواد مجيد الاعظمى : الامير مسلمة بن عبد
الملك ، منشورات اتحاد المؤرخين العرب ، بغداد ،
١٩٨٠م ، ص ١٩-٢٢ .

(٢) عن مؤدبى بنى عبد الملك ، التمرىف بهم ، واس
اختيارهم ، وتوجيهات عبد الملك لهم ، وتربيتهم لبنيهم
انظر : محمد صالحية : مؤدبو الخلفاء ، (بحث) ، ص ٤٠-
٤٣ ، ٤٨-٥٣ .

(٣) اسماعيل بن عبيد الله بن ابي المهاجر ، مولى بنى
مخزوم ، امام كبير ، من العلماء رواة الحديث الثقات
كان مقلده اولاد الخليفة عبد الملك بن مروان ، وهو من
الزهاد ، ولى المقرب لعمر بن عبد العزيز ، فاقام بها
سنتين حتى عزل بابن ابي مسلم ، وقد اسلم عامة البربر
فى ولايته . وكان حسن السيرة . توفى سنة ١٣٢هـ .
الذهبي : سير ، ٢١٣/٥ .

(٤) ابو زرعة : تاريخ ابي زرعة ، ٣٤٧/١ - ٣٤٨ .

(١) (٢)

والزهري .

ولاشك أن مثل هذه التربية ، والتأديب ، والتعلم ، على مثل هؤلاء العلماء ، سيكون له الأثر الحسن في سلوك يزيد وهدية ، وإن كان حسين عطوان ، يشير إلى ضعف الملة العاطفية بين يزيد وأبيه عبد الملك ، وأنه كان ميالا لابنه الوليد ، فلم يرع يزيد كبقية أبنائه من زوجاته الأخريات ، وطلق أمه .

وذكر أنه بعد تطليق عبد الملك لأمه عائكة بنت يزيد ، أصبح يزيد كل أمها ، خصوصا أنه ابنها الأكبر ، ولما اتصف به من حسن الخلق وتمام البنية وسمات الرجولة ، فاسبغت عليه حنانها ، واحاطته برعايتها ، وغرست فيه الشموخ بالنسب والنفس ، لانتمائه إلى البيت المرواني عن طريق أبيه والبيت السفلياني عن طريق أمه . كما قوت فيه الشعور بالكرامة والشهامة ، والفخر بذاته ومنزلته ، وقد نشأ في أحضانها نشأة فيها الرقة والنعومة والترف .

ولعل هذه التربية في أحضان أمه ، ما أوجد فيه بعض

(١) محمد بن مسلم الزهري القرشي ، الفقيه الحافظ ، أحد الأئمة الأعلام ، وعالم الحجاز والشام ، كان ثقة كثير الحديث ، له نحو ألفي حديث ، وكان وافر العلم ، كثير الرواية ، جامعاً . وكان يكتب كل ما يسمع ، من أعلم الناس ، قال عنه عمر بن عبد العزيز : لم يبق أعلم بسنة ماضية منه . وقال عن نفسه : ما نشر أحد من الناس هذا العلم نثرى ولا بذله بذلي ، ولد سنة ٥١هـ على خلاف ومات سنة ١٢٤هـ على خلاف أيضاً . انظر : ابن حجر : تهذيب ، ٣٩٥/٩-٣٩٩ . وأما الذهبي : أنه قدم الشام على عبد الملك بن مروان ، ثم لازم الوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز ويزيد ، فاستقفاه يزيد بن عبد الملك مع سليمان بن حبيب جميعاً . انظر : سير ، ٣٢٦/٥-٣٥٠ .

(٢) محمد صالحية : مؤدبو الخلفاء (بحث) ، ص ٤٢ .

(٣) سيرة الوليد بن يزيد ، ص ١٤٠ .

السمات ، وما كان معينا لبعض المؤرخين يستقون منه
اوصافه التي ضمنوها كتبهم ، كقولهم انه كان فتى الشباب ،
ظاهر الكبر ، شديد الفخر ، وغير ذلك من الصفات .

وعلى كل حال فانه لما شب ونضج ، اعتمد على نفسه ،
وسعى فى طلب العلم ، فكان يكثر من مجالسة العلماء قبل ان
يلى الخلافة ، ويغشى مجالسهم ، ويحضر حلقاتهم ، ويتأدب
بآدابهم ، ويمضى لكلامهم ويقبل توجيهاتهم ، ويأخذ العلم
عنهم . وشيوخه الذين تلقى عنهم العلم ، مكحول والزهرى ،
فى الشام ، والمقبرى ، وابن ابي العتاب ، من علماء
المدينة .

وعلى ما يبدو انه بلغ درجة رفيعة من العلم وبخاصة فى
حفظ الحديث وروايته ، جعلت بعضهم يعده من المحدثين .
وقد كان رأى عمر بن عبد العزيز فى يزيد حسنا ، كما
كان عمر عند يزيد ممن به يقتدى ، فانه لما ولى الخلافة بعد
عمر ، اراد التأسى به ، والسير على طريقته ، وقال : والله
ما عمر باحوج منى الى الله ، فامر بالسير على نهجه . وكان
مما تابعه فيه ، احياء سنة عدم توريث المسلم الكافر ،
والكافر المسلم . وذلك كما كان متبعها فى عهد الرسول صلى
الله عليه وسلم ، وخلفائه الراشدين . بعد ان ورث معاوية

(١) انظر قبل : ص ٩١-٩٢، ٩٥، ٩٦-٩٧، ١٠٢-١٠٣ .

(٢) انظر قبل : ص ٩١ .

(٣) عن تعلم يزيد على يد الزهرى ، انظر : حسين عطوان :
سيرة الوليد بن يزيد ، ص ١٥ (نقلا عن : عيون التواريخ
مخطوطة المكتبة الظاهرية ، رقم ٤٥ تاريخ ، ج ٥ ،
الورقة : ١٥٥) .

(٤) انظر قبل : ص ٩٢ .

(٥) انظر نص ابن عساكر فى ذلك ، قبل : ص ٩٢ .

(٦) انظر اشارة ابن الاثير الى ذلك ، قبل : ص ٩٢ .

رضى الله عنه المسلم الكافر ، وتابعه على ذلك خلفاؤه من بنى أمية ، حتى عاود عمر السنة الأولى ، ووافق في ذلك يزيد . وقد سار يزيد بسيرة عمر مدة حددها البعض بأربعين يوما ، إذ لم يتركه قرناء السوء ، فحسنوا له الظلم ، واتوه بأربعين شيخا ، شهدوا له أن ماعلى الخلفاء من حساب ولاعذاب ^(١) .

أما الجانب الآخر ، وهو ماذم به وأخذ عليه ، فتحمل في عدد من الأوجه أولها : تركه السير على نهج عمر الذى عمل به أول خلافته ، سواء على أثر شهادة الأربعين شيخا أن ماعلى الخلفاء من حساب ولاعذاب ، أو بفعل حبابة التى سمعت الى مرفعه الى اللهو معها ، وزاد من ذلك أنه عمد الى كل شيء صنع عمر مما لم يوافق هواه فردّه - كما قال بذلك ابن الأثير وهو ما سنناقشه فى ثنايا الفصل الخامس بعد - والعمل بسيرة أخيه الوليد ، واتباع هديه ^(٢) ^(٣) .

الوجه الثانى : وهو الجانب اللاهى فى حياة يزيد ، أو ميله الى اللهو واللذات . وقد بنى على قصته مع جاريته سلامة وحبابة ، واستمد مما روى حقا حول حبه لهما ، وكلفه بهما ، وحظواتهما عنده ، ومازىد على ذلك ، أو اختلق حوله وقد اقتبح لى أنه المحور الذى دارت عليه الرحا التى طحنت شخصية يزيد بن عبد الملك .

وقصة يزيد مع جاريته فى الأمل بسيطة كما يبدو لى ، فهما جاريتان ، جميلتان ، ظريفتان ، مغنيتان ، شراهما

(١) انظر ذلك قبل : ص ٩٧، ٩٥، ٩٢ .

(٢) انظر قوله : ص ٩٣ .

(٣) انظر ذلك ضمن قول ابن قتيبة قبل : ص ٨٠-٩ .

يزيد بعد استخلافه ، فملكنا عليه قلبه ، خصوصا حباة ،
التي كلف بحبها ، واشتد طربه لغنائها ، فحظيت عنده ، فلما
ماتت ، حزن لموتها وجزع عليها ، ولم يطل العمر به بعدها
حيث مات بعدها بأيام معدودة ، بالطاعون وقيل بل كان مريض
الصل .

وقد أغضب كثير من المؤرخين القول بموته مطمونا أو
مسلولا ، وجعلوه كمدا واسفا على فقد حباة . مع أنه من غير
المستبعد ذلك بل هو الأولى ، فكثيرا ما انتشر وباء الطاعون
وغيره من الأوبئة في حواضر الشام كدمشق ، فكان ذلك من
الأسباب التي دعت الخلفاء الأمويين إلى بناء قصور لهم في
بوادي الشام وأريافه .^(١)

ومع أن قصر الصفراء الذي بناه سليمان بن عبد الملك
ظل دارا للخلافة حتى اتخذ هشام بن عبد الملك الرصافة مقرا
له بدلا من دمشق ، إلا أن يزيد كان ككثير من الخلفاء
الأمويين الذين اتخذوا لهم قصورا خارج دمشق ، يستجمون بها
ويقضون فيها بعض أوقاتهم . فنزل قصر الموقر ، الذي يرجح^(٢)

-
- (١) عن أسباب بناء الأمويين للقصور الصحراوية والريفية ،
انظر : فواز أحمد طوقان : الحاضر في العمارة الأموية
الإسلامية ، بحث ضمن أعمال المؤتمر الدولي (الأول)
لتاريخ بلاد الشام ، من القرن السادس إلى القرن
السابع عشر الميلادي ، المنعقد في الجامعة الأردنية ،
١٩٧٤م ، الدار المتحدة للنشر ، بيروت ، ١٩٧٤م ،
ص ٧١-٧٥ (وإن كان قد حاول إبطال القول بالأسباب
القديمة كالهروب من الأوبئة ، وذكر أسبابا أخرى) .
- (٢) عصام عبد الرؤوف : الحواضر الإسلامية الكبرى ، دار
الفكر العربي ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٦م ، ص ٤٢ .
- (٣) موقر : اسم موضع بنواحي البلقاء من نواحي دمشق ،
وكان يزيد بن عبد الملك ينزله . ياقوت : معجم
البلدان ، ٢٢٦/٥ . ويتضح أن القصر سمي باسم المكان
الذي بنى فيه .

(١)
أن يكون يزيد بن عبد الملك هو الذى بناه ، أو رممه ، وقد
بنى على قمة جبل الموقر ، الى الشمال الشرقى من قصر
المشتى ، وقد تهدم ولم يبق منه سوى البركة وانقاض
أبنيته .^(٢)

ولقد احتوت مدائح وقصائد بعض الشعراء فى يزيد بن عبد
الملك ، اشارات الى ذلك القصر ونزوله فيه ، من ذلك قول
الاحوس الشاعر يمدح يزيد بن عبد الملك :

الا لآلمه اليوم ان يتبلدا فقد غلب المحزون ان يتجلدا
نظرت رجاء بالموقر ان أرى اكاريمن يحتلون خاغا فمئشدا^(٣)
وقول جرير :

اشامت قريش للفرزدق خزيه

وتلك الوفود النازلون الموقرا

عشية لاقى القين قين مجاشع

هزبرا ابا شبلين فى الغيل قصورا^(٤)

(٥)
ويرجع ايضا نسبة قصر المشتى ليزيد بن عبد الملك ،
فانه وان اختلفت الآراء حول نسبة هذا القصر ، الى أى
العمور والملوك والخلفاء ، فان انفجها نسبته الى العصر

-
- (١) ابراهيم أحمد العدوى : الأمويون والبيزنطيون ، الدار
القومية للطباعة والنشر ، دار الجبل ، الفجالة ،
الطبعة الثانية ، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٣م ، ص ٢٧٢ - فيليب حتى
تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ترجمة كمال اليازجى ،
أشرف على مراجعته وتحريره جبرائيل جبور ، دار
الثقافة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٢م ، ١٢٥/٢ .
(٢) عن موقع هذا القصر وصفته ، انظر : فواز طوقان :
الحائر (بحث) ، ص ١١٩ .
(٣) انظر قوله عند : الأصمغانى : الاغانى ، ١٢٣/١٥ .
(٤) ياقوت : معجم ، ٢٢٦/٥ .
(٥) عن قصر المشتى موقعه وصفته ، انظر : زكى محمد حسن :
فنون الاسلام ، ملتزم الطبع والنشر ، دار الفكر العربى
ص ٤٨-٥٢ .

الأموى ، وقد ذهب من نسبه الى العصر الأموى الى رأيين :
الاول نسبته الى يزيد بن عبد الملك ، والثانى الى ابنه
الوليد بن يزيد ، وقد فسر أصحاب الراى الاول ترك القصر قبل
اتمامه بوفاة يزيد بعد وفاة جاريته حبابة ^(١) .

وحيث أن أجزاء من قصر المشتى جاءت خالية تماما من
رسوم الكائنات الحية ، عكس بقية الأجزاء التى احتوت على
رسوم طيور وحيوانات حقيقية وخرافية ، مما حير علماء الآثار
وأدى الى اختلافهم فى تفسير هذه الظاهرة ، والتى رأى بعضهم
أن صاحب هذا القصر اقتنع بعد اتمام القسط الأكبر من
الزخرفة ، بكراهية تصوير الكائنات الحية فى الإسلام ، ففضل
الزخارف النباتية فى الجزء الباقى ^(٢) .

ولعلمنا بموقف الخليفة يزيد بن عبد الملك من الصور ،
والمتمثل فى اصداره المرسوم القاضى بمحو الصور وإزالة
التمائيل وكسر الأصنام وتحطيمها ^(٣) ، فإننا نرى ذلك قرينة
قوية لنسبة قصر المشتى اليه .

ولقد جعلنا موته بالطاعون أولى ، لموته بعد فترة
وجيزة من موت جاريته حبابة . بينما لا يستبعد موته بالسل ،
فلقد وردت الاشارات الى مرضه أثناء الخلافة ، فلعنه كان
مریضا بالسل . فقد ذكر أن يزيد ألم به المرض واشتكى شكاية
شديدة ، قيل أن أخاه هشاما سربها . فكان من يزيد العتب ،
ومن هشام الاعتذار ^(٤) .

(١) زكى محمد حسن : فنون الإسلام ، ص ٥٢ .
(٢) زكى محمد حسن : نفس المرجع ، ص ٥٠-٥١ .
(٣) انظر مرسوم الخليفة يزيد فى الفعل الثالث .
(٤) ابن قتيبة : عيون الأخبار ، ١١٤/٣ - ابن عساکر :
تاريخ دمشق ، المخطوط ، ٣٤١/١٨ - ابن كثير : البداية
ط ٢٤١/٩ - وقيل : بل كان ينتقمه ويتمنى موته ، انظر
ابن عبد ربه : العقد ، ١٨٩/٥ - المسعودى : مروج
٢١٣/٣ .

(١) كما أشار أيضا الى مرضه هذا بعض المصادر غير الإسلامية وكما ذكرنا أن قصة يزيد مع جاريته كانت في الاصل بسيطة عادية ، غير أنها جاءت في المرويات التي تناولتها معولة مشوهة ، اعتراها كثير من المبالغة والاضطراب ، والتناقض والزيادة بل والاختلاق ، فمنها ما يشير الى تلك القصة باتزان ، ومنها وان كان مسندا ونقله بعض كبار المؤرخين على طريقة المحدثين ، فقد شابه مايقبل ويعقل ، ومنها ماظهرت فيه الاساءة والطعن بتحريف ، او زيادة ، او اختلاق ، فجاءت تلك المرويات تحمل العجب والمنكر ، وذلك اما لهوى في نفس راويها ، او لغرض يقمده ناقلها ، او نقلها من لم يهتم بالاختيار ، او نقلها مسندة ، فحمل المسئولية من رواها .

فاذا مادتقنا النظر في الروايات التي تناولت لهو يزيد من خلال هذه القصة ، لوجدناها بدأت متزنة الى حد ما عند المؤرخين الاوائل ، كابن قتيبة والطبري ، ثم بدا (٢) الترقى في تفخيمها ، والزيادة عليها واختلاق ما لم يكن موجودا ، مع تكرار اقوال السابقين أو بعضها .

وان أوضح مثال لذلك ، مأمور به الخليفة يزيد عند موت حبابة ، ومدى حزنه عليها . فمن المصادر مايشير الى موتها واعتزال يزيد بن عبد الملك الناس بعد وفاتها سبعة أيام حتى لايرى عليه مايسفحه ، بعد أن ترك أمر الصلاة عليها ودفنها لاختيه مسلمة ، فأمر مسلمة أحد أصحابه بالصلاة عليها

(١) انظر ذلك بعد : الغمل الثالث ، ص ٢٨٨ .

(٢) انظر قبل : ص ٧٩-٨١، ٨٣ ، ٢٦٨ .

واخرى قالت بدفنه اياها ، وغيرها قالت لم يستطع المشى جزءا فحمل بينما تشير بعض المصادر الى تاخير دفنها ثلاثة ايام ، وقال غيرهم كان يقبلها ويرشها وهى ميتة حتى جيفت بينما نجد من بالغ فى تصوير حزنه بعد دفنها وبكائه على اطلاقها ، والتمثل بالاشعار وتقريب صوحيباتها ، حتى وصل بهمهم الامر الى القول بنبشه قبرها واخراجها ، لامرأة فحسب بل ومرتين .

ولنرى كيف صور الاصمغانى يزيد بن عبد الملك ، قال :
 "روى المدائنى : انه اشتاق اليها بعد ثلاثة ايام من دفنه اياها ، فقال : لابد من ان تنبش ، وكشف له عن وجهها وقد تغير تغيرا قبيحا فقبل له : يا امير المؤمنين اتق الله ، الا ترى كيف قد صارت ؟ فقال : مارايتها قط احسن منها اليوم اخرجوها ، فجاءه مسلمة ووجوه اهلها ، فلم يزالوا به حتى ازالوه عن ذلك ، ودفنوها ، وانصرف فكمد كمدا شديدا حتى مات^(١) فدفن الى جانبها " .

سُخف وايماء سُخف ، لاسخف يزيد الخليفة ، بل سُخف هذه الروايات وما اشتملت عليه ، مما لا يقره العقل ، ولا يوافق المنطق والعرف ، امر يستبعد عن سفيه فى عصرنا الحاضر ، فكيف نصدق من خليفة للمسلمين ، عاش مطلع ثانى خير القرون ولكنه التاريخ ، يوجب علينا ان نذكر مثل هذا السخف ، فندرسه وننقده .

وليتبين لنا اثر بعض الرواة والمؤرخين فى تفخيم هذه القصة ، وتعظيمها مع تقادم الازمان ، بما زادوه فيها او عليها ، حتى صارت بالشكل الذى وصل اليها ، وجعلت سيرة

(١) الاغانى ، ١٤٤/١٥ - ١٤٥ .

يزيد بتلك المصورة المعتمدة التي أمسى فيها . سنتتبع أهم الإضافات ، والآراء ، والأحكام ، في المصادر التي استعرضنا أخبار سيرته فيها ، آخذين في الاعتبار تكرار المؤرخين لبعض أو كل مذكوره السابقون حول ذلك . فيشير اليعقوبى الى غلبة حباية على يزيد حتى غدت تولى وتعزل ، وتطلق وتحبس . ثم كان ابن عبد ربه أول من أشار الى احتجابه مع تلك الجارية وترك شعود الجمعة والجماعة ، واتهامه بالسفاهة والتبذير .^(١)^(٢)

ويمرح الأزدي ، باتهام يزيد بالولع بالنساء وشرب الخمر ، وان كان قد ورد ذكر شربه عرضا في خطبة ابي حمزة الخارجي التي رواها ابن قتيبة . ويظهر المسعودى مدى اهتمامه بالفناء ، واستدعاء المغنين اليه ، ولا يقف عند ذلك فيصفه بما لا يحمد ويتعمه بالجهل .^(٣)^(٤)^(٥)

ويتكرر قول تلك الاشياء أو بعضها ، في كل مصدر يأتى فلما اتانا الاصمغاني ، أو جثنا على ماعنده فى الاغاني ، وجدنا عنده حشدا كبيرا من تلك الروايات واخبار حباية وسلامة مع يزيد ، ودعوته المغنين ، منها ما هو مكرر ومنها ما هو مبالغ ، وان كان فى الحقيقة لم يبد آراءه فى يزيد ولم يعدر اوصافا شنيعة أو احكاما قاسية ، من لدنه .^(٦)

ولم يسلم يزيد من روايات تطعن فى دينه ، كما جاء فى تاريخ دمشق ، وقد دفع عنه ابن كثير ذلك . كما بالغ المؤرخ^(٧)^(٨)

-
- (١) انظر قبل : ص ٨٢ .
 (٢) انظر قبل : ص ٨٥ ، وانظر كذلك القول بتبذيره وتعمه ص ٩٨-٩٩ .
 (٣) انظر قبل : ص ٨٥-٨٦ .
 (٤) انظر قبل : ص ٨١ .
 (٥) انظر قبل : ص ٨٦-٨٧ .
 (٦) انظر قبل : ص ٨٨-٨٩ .
 (٧) انظر قبل : ص ٩٣ .
 (٨) انظر دفعه لتلك التهمة ، قبل : ص ٩٧ .

المجهول في رواياته المزرية بهذا الخليفة ، فكرر وبالف في
(١)
كثير مما ذكر ، واتهمه بالفجور .

ونصل الى بعض المؤرخين الذين لم يكتفوا بايراد
الروايات التي تتناول شخصيته ، فقدموا له اوصافا خلقية ،
وبيّنوا فيه آراءهم وامدروا فيه احكامهم ، في ضوء تلك
المرويات التي وصلت اليهم ، فكان منها الجارح المرفوض ،
والمعتدل المقبول .

فقالوا : فتى الشباب ، شديد الفخر ، ظاهر الكبر ،
يحب اللهو ، ، فاجرا ، عاجزا ، لا يعرف صوابا قياتيه ،
(٢) (٣)
ولاخطا فيدعه . ووصفه بعضهم : بخليع بنى أمية ، ويزيد
(٤) (٥)
الماجن . (٦)

ومن اقوالهم : ولم ينتفع به في الخلافة ، وكان لايملح
(٧)
للأمانة ، مصروف العمة الى اللهو والغواني . (٨)

وتأتى الاشارة الى تحدث بعض الناس وعزمهم على خلع
يزيد من الخلافة ، واحدة ذكرها ابن قتيبة ، وذكر ان ذلك
(٩)
جاء لتركة سيرة عمر التي اطمأن لها الناس ، واخرى عند
الكتبي ، اوردها على اثر حديثه عما صار اليه حال يزيد بعد
(١٠)
موت جاريته حبابة . وهاتان الاشارتان لم اجد لهما مثيلا

-
- (١) انظر قبل : ص ٩١-٩٥ .
(٢) انظر قبل : ص ٩١-٩٥ .
(٣) انظر قبل : ص ٩٨ .
(٤) انظر قبل : ص ٨٧ .
(٥) انظر قبل : ص ٩٨ .
(٦) انظر قبل : ص ٩٨ .
(٧) انظر قبل : ص ٩٨ .
(٨) انظر قبل : ص ٩٦ .
(٩) انظر قبل : ص ٨٠ .
(١٠) انظر قوله قبل : ص ٨٨ .

ولاقربينة في المصادر التي اطلعت عليها في هذا البحث ، سواء
اثناء دراسة سيرة يزيد ، أو احداث عصره .

هكذا كانت شخصية الخليفة يزيد بن عبد الملك ، كما
صورتها المصادر الاسلامية ، فكان جهدنا استقراء ماذكر حوله
وابراز ماله وماعليه ، ماحمد من سيرته وماذم . مؤكداين
وكما ناقشنا وبيننا في ثنايا هذه الدراسة على مااعتري
مرويات هذه السيرة من مبالغة واختلاق وتزييف ، حتى غدت
كانها اسطورة من نسج الخيال ، حوت مالا يوافق المنطق ،
ولا يقبله العقل ، ولا يقره العرف . وابتلى صاحبها بالادواف
الشنعية ، والآراء المتحاملة ، والاحكام الجائرة .

ونحن اخيرا لانستطيع ان ننفي كل ما قيل عنه ، ولانؤكد
ما قيل فيه ، ولانحكم له أو عليه ، لان مثل ذلك لا يتم الا
بالحجة البينة والحقيقة الواضحة ، فكنا نريد ان نصل الى
ذلك من طريق نقد السند ، فوجدنا قليلا المسند ، وكثير
قليلا منقطع السند . اما كثيرها فغير مسند . واذا
ماجئنا الى نقد المتن ومقابلتها ، وهذا ما عملنا عليه
ما استطعنا ، فاننا نجد كثيرا من الاضطراب والتناقض والاختلاف
مما يدل على الزيادة والتحريف والاختلاق . لذلك لم نستطع
الوصول الى الحقيقة المطلقة ، ولا الحكم النهائي القاطع ،
غير اننا نستطيع ان نقول ، ان يزيدا لم يكن بترك الدرجة
التي صور بها من سوء ، ونردد قول ابن كثير فيه : اما
هذا فما به من باس .

ويبقى سؤال مهم يفرض نفسه ، مامدى تاثير شخصية يزيد
وحياته الخاصة في سياساته الرسمية وادارته الدولة الاسلامية

ومسامدى تاجر الدولة بسيرته ، ومآمدلول أحداثها على حقيقة
شخصيته ؟

لاشك أن لبعض جوانب سيرة يزيد شيء من الأثر على سياسته
العامة . فيذكر أنه ماعزل أبا بكر ابن حزم عن المدينة ،
إلا انتقاما لنفسه ، فان يزيدا كان قد حج فى خلافة الوليد
ابن عبد الملك ، فتزوج بنت عون بن محمد بن على بن أبى
طالب ، وصدقها مالا كثيرا ، فكتب الخليفة الوليد الى ابن
حزم قاضى المدينة ، أن يفسخ نكاح يزيد من بنت عون ، وأن
يستعيد المال ، فنفذ ابن حزم أمر الوليد .^(١)

كما أن إصهاره الى ثقيف ، وتزوجه من زينب بنت محمد
ابن يوسف ، أخو الحجاج بن يوسف الثقفى ، كان له بالغ الأثر
فى سوء العلاقة بين الخليفة يزيد ، ويزيد بن المهلب ، الذى
أوكل اليه زمن سليمان ثعقب آل الحجاج ومحاسبتهم وتعذيبهم
فما قبل ابن المهلب شفاعة يزيد بن عبد الملك فى زوجته
الثقفية أو اختها ، مما أغضب عليه يزيد بن عبد الملك ،
الذى هدده بالانتقام ان تولى الخلافة ، فكان ذلك من الأسباب
التي أدت الى هروب ابن المهلب من سجن عمر بن عبد العزيز
فى آخر حياته ، وخروجه على يزيد بن عبد الملك ، والقيام
بالحركة التي استهدفت تقويض الحكم الأموى .^(٢)

أما مدى تاجر الدولة بشخصية يزيد ، فالحق أنه لم يكن
الرجل المناسب لتلك الفترة ، ولم تكن سياسته تلائم وضع
الدولة آنذاك . فان خليفة عمر بن عبد العزيز الذى أدرك

(١) حسين عطوان : سيرة الوليد بن يزيد ، ص ١٧ .
(٢) انظر ذلك خلال أسباب حركة ابن المهلب ، بعد : الفصل
الثانى ، المبحث الأول ، ص ١٣٣-١٣٥ .

حاجة الدولة للإصلاح ، كان يجب أن يدرك ذلك ، ولو لم يكن كعمر في شخصه ، وان اتخذ في سبيل ذلك سياسة تخصه ، المهم ان يحقق الغاية ويتم ما بدأه عمر بن عبد العزيز .

غير ان من الحق أيضا ، أن يزيدا لم يقدا الدولة نحو العاوية ، ولم يكن عهده بداية الانهيار والنهاية ، وان شخصيته وسيرته ، لم تكن سببا قويا فيما أصاب تلك الدولة ، ولعل مجمل دوره ، أنه عاد بالدولة الى سابق عهدها ، فطبق كثيرا من سياسات أسلافه من بني أمية ، وخالف كثيرا من سياسات عمر ، وأبقى على شيء منها ، لتعيش الدولة من جديد في ظل كثير من الظروف الماضية التي كانت بمثابة معاول هدم تزايد أثرها مع الزمن حتى أسقطت الدولة الأموية .

ومما هو جدير بالذكر أن دراستنا الجديدة لأحداث عصره ، أثبتت لنا قيام يزيد بتحمل مسئولية الحكم ، ومباشرة مهام الدولة ، فوجدناه على رأس كثير من الأحداث الجليلة ، والأخبار الهامة ، يموسها ، فيضع الخطط ، ويستشير ذوي الرأي ، ويتخذ القرارات ، ويشرف على التنفيذ ، ويتابع الأحداث ، وينتظر النتائج ، ويتخذ الحلول المناسبة للمشاكل المستعصية .

فلم نجد لسيرته الذاتية الإلهية ، أثرا كبيرا في قيامه بواجبات الجانب الرسمي من حياته ، إذ لم نطلع على حدث نتج عن إهماله ، أو على خبر يؤكد انصرافه عن شئون الحكم ، وترك مصالح المسلمين .

لكن الواضح أن قدراته السياسية ، وكفاءته الإدارية ،

لم تكن تؤهله لملء مكانه وقيادة الدولة باقتدار ، او تحقيق
العظيم من المنجزات والفريد من السياسات التي خلفت اليه
الانظار .

فكان يزيد حاكما عاديا ، ليس سياسيا مقتدرا كماوية
او اداريا ناجحا كعبد الملك ، او مصلحا كعمر ، كما لم يكن
سيئا كابنه الوليد بن يزيد . ويمكن القول ان توليه الخلافة
بعد عمر بن عبد العزيز جعل المفارقة بينه وبين عمر واضحة
وكبيرة ، وادت الى متامة صورته لدى جمهرة المسلمين .

هذه سيرة يزيد ، وتلك سمة شخصيته ، التي كان لها مدى
واسع ، استغله الاعداء والخصوم واهل الهوى ، من الساسة
والقادة والمؤرخين ، واهمل بسببها كثير من المؤرخين قدماء
ومحدثين ، أحداث عهده ومنجزات حكمه .

ومادراستنا هذه لعهد يزيد وسيرته ، الا مدى لتلك
السيرة ، ولكنه مدى ايجابيا ، استهدف البحث الجاد ، وجلاء
الحقائق ، وتمحيص كثير من المفاهيم الخاطئة ، عن يزيد بن
عبد الملك وعهده .

الفصل الثاني

الحركات الداخلية في الدولة الأموية في
عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك

المبحث الأول : حركة يزيد بن المهلب .

المبحث الثاني : حركات الخوارج .

١- حركة شاذب .

٢- حركة مسعود العبدى .

٣- حركة مصعب الوالى .

٤- حركة سعيد بن بحدل .

٥- حركة عققان .

المبحث الثالث : حركة شيريم اليهودى .

المبحث الرابع : حركة بلاى .

المبحث الخامس : حركة أخىلا

الفصل الثانى

الحركات الداخلية فى الدولة الأموية
فى عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك

يعتبر عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك ، نموذجا يمثل الحركات المختلفة المشارب ، التى عانت منها الدولة الأموية منذ قيامها ، وكذلك سياسة الدولة فى التمدى لها ، واساليب معالجتها ، وقدرة الدولة على تجاوزها والاستمرار فى أداء واجبها التاريخى .

وسنعرض فى مباحث هذا الفصل للحركات التى قامت فى عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك ، أحداثها ، وسياسة الدولة فى التمدى لها وإخمادها ، وأهم آثارها ونتائجها .

المبحث الاولحركة يزيد بن المهلب

حدثت حركة يزيد بن المهلب ضد الدولة الاموية فى عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك ، لكن مقدماتها واسبابها لم تكن وليدة زمنه ، بل بدأت فى الظهور منذ خالق نجم ابن المهلب ، خصوصا بعد ولايته على خراسان ، فى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان ، وبروزه كزعيم يمنى التفت حوله عمبيته وتحولى جل شأنها ، فوضعه ذلك مابين نقمة الخلفاء ذوى الهوى القيسى وامرائهم على المشرق ، وبين حظوة من قرب اليمانية واعتمد عليهم من بنى امية . فاضى ابن المهلب ممن يشكل سياسة عصره ، ويحرك احداثها ، وجنى من وراء ذلك تحمل مسئولية بعض الاحداث وعداء بعض اطراف النزاع فيها ، كالحجاج الثقفى ومن ثم الخليفة يزيد بن عبد الملك . وهذا ماادى الى خلق دوافع الثورة واسباب حدوثها . كما اشرع من كسب ابن المهلب مقومات القيام والتحدى ، وهذا ما تمثل فى المكانة التى وصلها ، والخبرة التى نالها ، والثروة التى جمعها . فكان لزاما علينا ان نعرض لتلك المرحلة من حياة يزيد بن المهلب وهى ما قبل الحركة ، لنتمعرف بايجاز على تلك المقدمات والاسباب .

حياة ابن المهلب قبل الحركة :

كان لحياة يزيد بن المهلب قبل الحركة ومارافقها من احداث ، بحكم مكانته وموقعه منها كقائد وامير وزعيم قبيلة

وعلاقته بالبيت الحاكم ، وامارة المشرق ، دور كبير في الخروج على الحكم الاموى ، وتبدل موقف الاسرة المهلبية ، ودورها الايجابى فى مساندة الامويين وتثبيت سلطانهم فى شرق الدولة الاسلامية ، الى اسرة شائرة ، وعصبية يمنية ناقمة . ما فتئت تلعب دورها فى هدم البيت الاموى وتقويض سلطانه .

نمبـه :

هو يزيد بن المهلب بن ابي صبرة واسمه ظالم بن سراق ابن صبح بن كندى بن عدى بن وائل بن الحارث بن العتيك بن الازد - ويقال الاسد بالسعين الساكنة - بن عمران بن عمرو بن عامر بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الازد ، الازدى العتيكى البصرى ، من ازد دبا .^(١)
^(٢)

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ٢٩٩/٦ - الزركلى : الاعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، الطبعة السابعة ، ١٩٨٦م ، ١٨٩/٨ - المسعودى التنبيه والاشراف ، ص ٢٧٧ (واضاف : عمرو بعد كندى ، وقال : عامر بن حارثة بن ثعلبة ، وزاد بعد الازد على نسبه : الازد بن الفوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان ابن سبا) .

(٢) ابن قتيبة : المعارف ، ط ٤ ، ص ٣٩٩ (قال : ان دبا فيما بين عمان والبحرين . اسلم اهلها وارثدوا ، فحاربهم عكرمة وقتل وسبى ، وكان ابو صبرة غلاما لم يبلغ وكان فيمن بعث منهم الى ابي بكر ، فاعتقهم عمر فنزل ابو صبرة البصرة) . لكن ابن خلكان الذى يضيف فى كتابه : وفيات الاعيان ، ٣٥٨/٥ على التعريف بدبا قوله اضيفت جماعة من الازد اليه لما نزلوه ، وكان الازد عند تفرقهم اضيفت كل طائفة الى شئ يميزها عن غيرها ، فقبل ازد دبا وازد شنوءه ، وازد عمان ، ومرجع الكل الى الازد المذكور . ونجده فى نفس المصدر ٣٥٠/٥ - ٣٥١ . يرد على الواقدي قصة قدوم ابي صبرة على ابي بكر وهو غلام ناقلا عن ابن قتيبة بقوله : هذا الحديث باطل ، اخطأ فيه الواقدي لان ابا صبرة لم يكن فى هؤلاء ولا رآه ابو بكر قط ، وانما وفد على عمر وهو شيخ ، امره عمر ان يخضب . وكيف يكون غلاما زمن ابي بكر وقد ولد المهلب =

(١)

ويكنى بأبي خالد .

وقد برز آل المهلب كقيادة كبار لقبيلة الازد ، في
البصرة ، وكانوا فيها كما كان الاحنف في تميم . وكانوا من
المكانة ملوا وجودا في دولة بنى امية كالجرامكة في دولة
بنى العباس . حتى اننا نجد التشابه في النهاية السيئة
للاسرطين على يد الدولة وتمصيتهما . لكن ناجى حسن ينقل عن
الاصفهانى : " ان آل المهلب لم يكونوا من الازد ، وانما كان
ابو صفرة والد المهلب فارسي من اهل خارك ، فقطع الى عمان
(٥)

= وهو من اصاغر ولده قبل وفاة الرسول صلى الله عليه
وسلم بسنتين ، وقيل سنين وقد كان في ولده من ولد قبل
وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بثلاثين سنة أو أكثر .
ونحن نستغرب رد ابن خلكان الذي قال أنه نقله عن ابن
قتيبة ، لاننا نحن قد نقلنا الخبر عن ابن قتيبة الذي
صرح بنقله عن الواقدي ، ولم يشك في الخبر ولم يرد
عليه بعدما ذكره (للتأكد من ذلك ، انظر ابن قتيبة :
نفس المصدر والصفحة) .

وليس هناك خلاف بين الخبرين الا ان الواقدي قال :
فاطلقهم ابو بكر ولم يقل عمر كما وجدناه نحن عند ابن
قتيبة . وقد أورد قصة الواقدي ابن خلكان ورد عليها
نقلا عن ابن قتيبة .

(١) الزركلى : الاعلام ، ١٨٩/٨ .

(٢) الاحنف بن قيس بن معاوية بن حمين المري السعدي
المنقري التميمي ، أبو بحر ، سيد تميم ، واحد
المظماء الفصحاء الشجعان الفاتحين . يضرب به المثل
في الحلم ، ولد في البصرة (سنة ٣ ق.هـ) ، أدرك النبي
صلى الله عليه وسلم ولم يره ، ووفد على عمر ، واعتزل
الفتنة يوم الجمل ، وشهد صفين مع علي ، كما شهد
الفتوح في خراسان ، ووليها . وقد وفد على صديقه مصعب
ابن الزبير في الكوفة ، وتوفي فيها وهو عنده ، سنة
٧٢ هـ . انظر : الزركلى : نفس المرجع ، ٢٧٦/١-٢٧٧ .

(٣) ناجى حسن : القبائل العربية في المشرق خلال العصر
الاموي ، الطبعة الاولى ، ١٩٨٠ م ، ص ٩٨ .

(٤) اليافعي : مرآة الجنان ، ٢٤١/١ - ابن العماد : شذرات
الذهب في اخبار من ذهب ، ١٢٤/١ .

(٥) خارك : جزيرة في وسط البحر الفارسي (الخليج العربي)
من أعمال فارس . انظر / ياقوت : معجم البلدان ،
٣٧٧/٢ .

(١) ثم قدم البصرة ، فكان سائما لعثمان بن أبي العاص ، ولما هاجرت الازد الى البصرة كان معهم في الحروب فوجدوه نجدا فاستلطوه ، فادعى الى الازد . (٢) (٣)

(٤) وقد ولد يزيد بن المهلب (سنة ٥٥٣هـ) ، ونشأ في كنف ابيه ، فشاركه في معظم حروبه ، واكتسب خبرة حربية عالية ، كما كان افضل اولاد المهلب ، يتجنب مواطن الدم ويعمد الى فعل المحامد . الا انه لم يكن بمنأى عن رمى خصومه له ببعض المثالب ، كاتهامه بالنساء وشرب الخمر ، وان كان هناك

(١) عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد دهمان بن عبد الله ابن همام بن أبان بن يسار بن مالك بن خطيط بن جشم من ثقيف . أبو عبد الله . قدم على الرسول مع وفد ثقيف ، فاستعمله على الطائف ، وأقره أبو بكر وعمر ، الذي ولاه البصرة ، وقيل عمان والبحرين سنة ١٥هـ . ثم عزله عثمان بن عفان ، له فتوح وغزوات في الهند وفارس . وهو الذي منع ثقيفا من الردة ، خطبهم وقال : كلتم آخر الناس اسلاما فلا تكونوا أولهم ارتدادا . وسكن البصرة حتى توفي سنة ٥١هـ وقيل : سنة ٥٥هـ . انظر : ابن سعد الطبقات الكبرى ، ٤٠/٧ - ابن حجر : التهذيب ، ١١٨-١١٧/٧ - ابن حجر : كتاب الامابة في تمييز الصحابة دار احياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٣٢٨هـ ، ٤٦٠/٢ - الزركلي : الاعلام ، ٢٠٧/٤ .

(٢) استلطوه : أي الزقوه بانفسهم . انظر : اللسان (لوط) . القبائل ، ص ٩٨ (نقلا من : الاغانى ، ٣٠٠/١٤ - الاعلاق ، ص ٢٠٦) . وقد دحض خبر الاصفهاني بفارسية المهالبة ، لعدم ذكرها في المصادر الاخرى ، ومجيئها على لسان خصوم المهالبة . الا أننا وجدنا هذه التهمة عند المؤلف المجهول وياقوت ، اللذين أورداها على لسان بعض الخصوم والشعراء المعاصرين . (انظر : العيون والحدائق ، ٤٩/٣ - معجم البلدان ، ٣٣٧/٢) . لكن ذلك ليس كافيا لتحديد هذه المقولة ، خصوصا أن كتب التراجم لم تقل بذلك ، وقد عدنا لترجمة عثمان بن أبي العاص (انظر أملاه هـ ١) ولم نجد في ترجمته ذكرا لكون أبي صبرة مولى له . ومع ذلك فان هذه الروايات تفتح بابا للبحث الجدي حول هذه المقولة ، والوصول الى حقيقتها .

(٤) لسافع توفيق العبود : آل المهلب بن أبي صبرة (ودورهم في التاريخ حتى منتصف القرن الرابع الهجري) ، رسالة دكتوراه ، غير مطبوعة ، مقدمة لجامعة بغداد ، كلية الاداب ، ١٩٧٦م ، ص ٥٧-٥٩ - الزركلي : الاعلام ، ١٨٩/٨ .

مايعارضها ، كتحذيره لابنه مخلد من التعرض لاعراض الناس ،
واقامتته الحد الشرعى على ذوى المنكر ، مثل فربه للشاعر
هزيمة بن كعب حدا فى السكر ، وعزله لكاتبه يحيى بن يعمر
العدوانى بسبب شربه النبيذ . ويمكن القول : ان يزيدا كان
شخصية قوية ومؤثرة ، استطاع ان يقوم مقام والده ، ويوحد
شمل بيته . فكان اخوته سندا قويا له فى الشدائد ، وبخاصة
عند خروجه على الامويين .^(١)

ولايته الاولى على خراسان :

ولى يزيد بن المهلب خراسان بعد وفاة ابيه (سنة ٨٢هـ)
اذ استخلفه عليها عند وفاته ، وهو امير خراسان آنذاك من
قبل الحجاج الثقفى . فكتب يزيد بذلك فاقره الحجاج على
خراسان . وقيل بل كانت ولايته (سنة ٨٣هـ) .^(٢)
وقد اقره الحجاج على كره منه لمبلغه وتيهه . فمكث فى
ولايتها اقل من ثلاث سنوات . اذ مالبث الحجاج ان عزله عنها
بإذن الخليفة عبد الملك بن مروان ، وذلك سنة ٨٥هـ .^(٣)

-
- (١) عن صفات يزيد بن المهلب ، وحياته فى كنف ابيه .
انظر / نافع العبود : آل المهلب بن أبى صقرة ،
ص ٩٩-٥٧ .
(٢) لمعلومات اوسع عن ولاية المهلب على خراسان . انظر /
الطبرى : تاريخ الامم ، ٣١٩/٦ ومابعدها - نبيه عاقل :
تاريخ خلافة بنى أمية ، ص ١٦٦ .
(٣) نافع العبود : نفس المرجع ، ص ٥٩ - الطبرى : نفس
المصدر والجزء ، ص ٣٥٤-٣٥٥ - ابن الاثير : الكامل ،
٨٤-٨٣/٤ .
(٤) الزركلى : الاعلام ، ١٨٩/٨ .
(٥) عواد مجيد الاعظمى : مسلمة ، ص ٤١ .
(٦) نافع العبود : نفس المرجع ، ص ٦٠ ومابعدها - نبيه
عاقل : نفس المرجع ، ص ١٦٦ - الطبرى : نفس المصدر
والجزء ، ص ٣٩٥ - الزركلى : نفس المرجع ، ١٨٩/٨-١٩٠ .
الا أنه جعل ولايته ست سنوات . وهذا خطأ ، اذ ان
ولايته كانت سنة ٨٢هـ ، وعزله سنة ٨٥هـ ، بإمر
الخليفة عبد الملك الذى توفى سنة ٨٦هـ . فكيف تكون
ولايته ست سنوات ، وهى فى الحقيقة مايقارب سنتين
وأربعة أشهر .

أسباب العداء بين ابن المهلب والحجاج :

لما فرغ الحجاج من حركة عبد الرحمن بن الأشعث ، لم يكن له هم الا يزيد بن المهلب ، واهل بيته ، وقد كان اذل اهل العراق كلهم الا آل المهلب ، ومن معهم بخراسان . اذ كان يخاف على العراق ، خشية من بأسهم ^(١) . فقد كان المهالبة اصحاب السيطرة والنفوذ في خراسان ، ويعود ذلك لان قبيلتهم (أزد عمان) التي نزحت من البصرة وسكنت خراسان ، حالفت قبائل ربيعة وحالفت منها جبهة يمنية ربيعة في خراسان ، تقابل جبهة مضرية تتألف من قبائل تميم وقيس . وكان يلي خراسان في هذا الوقت يزيد بن المهلب الذي كان ايضا زعيم الجبهة اليمنية المناوئة للحجاج ، الذي كان بدوره يريد التخلص من ابن المهلب لاشياء اخضاها عليه منها عدم جديته في ملاحقة فلول ابن الاشعث الذين التجاؤا الى هراة ، واطلاقه اليمنية دون المضرية ممن اسر منه ، وتباطؤه في محاربة موسى بن عبد الله بن خازم ، واصحابه من القيسية ، ^(٢)

- (١) ابن الاثير : الكامل ، ٩٦/٤ .
 (٢) الزركلي : الاعلام ، ١٨٩/٨ - ١٩٠ .
 (٣) هذا التفسير المبني على العممية القبلية وحدها ، وان الحجاج القيسي كانت قبائل اليمن مناوئة له ، وان خطر ابن المهلب عظم بزعامته لهذه الجبهة ، وان عزله كان خشية من هذا الخطر ، يعتبر تفسيراً قاصراً ، فقد كان المهلب سيد الأزد وزعيمها قبل ابنه ومع ذلك لم يخش الحجاج بل كان محل احترامه ومقدر جهوده ، فكافاه على قضائه على الأزارقة بامارة خراسان ، ثم أقر ابنه من بعده ، وكان بمقدوره أن يجعلها لغيره ، لذا فاننا سنجد فيما سيأتي ذكره في الصفحات التالية العبررات الحقيقية لعزل ابن المهلب عن خراسان .
 (٤) موسى بن عبد الله بن خازم ، شاعر اعتمهم بعد أن ضعف أمر أبيه بترمز - وكان أبوه أمير خراسان لابن الزبير فرفض البيعة لعبد الملك بن مروان ، وقتل رجاله ، =

وامتناعه عن تنفيذ أمر الحجاج بغزو خوارزم سنة ٨٥هـ ،
التي غزاها فيما بعد عندما توجه من الحجاج خيفة بالحاحه
عليه بالقدوم الى واسط ، وعدم اطاعة الحجاج بقتل بنى
الاهتم ، واتهامه باختلاس مبلغ وقدره مائة ألف درهم من خراج
(١)
خراسان .

(٢)
الا أن تعاضم أمره وحظوته عند الامويين ، وسعيه الى
تشبيت مركزه بالاعتماد على الازد وحليفاتها ربيعة ، وحرمه
على توثيق ملته بالامويين ، حيث اظهر مناوآته حركة ابن
الاشعث ، وتصديه له فى خراسان ، وذلك بايعازه الى اخيه
المفضل واليه على هراة بحريهم ، كان كل ذلك من الاسباب
(٣)
الرئيسية التى اقلقت بال الحجاج من ابن المهلب ، خصوصا ان
محت الرواية القائلة بأن راهبا اجاب الحجاج عن سؤاله فيمن
سيلي العراق من بعده : انه رجل يقال له يزيد . فوقع فى

= فقتل سنة ٧٢ هـ - وظل فيها نحو خمسة عشر عاما ،
وسيطر على ماوراء النهر جملة فى كثير من الاحيان ،
ونجح فى التغلب على من قاتله من الترك ، وجيوش امراء
خراسان ، وكان المهلب غير مقاتلا له ، وأوصى بنيه
بعدم مقاتلته ، وقال : ان قتلتم موسى كان اول قادم
عليكم أمير من قيس على خراسان . فلم يقاتله يزيد بن
المهلب ، ثم قاتله المفضل بن المهلب ليحضى عند
الحجاج ، فظفر به سنة ٨٥هـ ، فعزله الحجاج بقتيبة بن
مسلم الباهلي . (انظر عنه / ابن الاثير : الكامل ،
٩٧/٤-١٠١) .

(١) نافع العبود : آل المهلب ، ص ٦٠ وما بعدها - عواد
الاعظمي : مسلمة ، ص ٤١ . وأضاف : وفى رواية (ابن
اعثم : الفتوح ، م ٢١٣/٧) أن الحجاج طالب يزيد بن
المهلب بمبعة آلاف درهم فأنكرها .

(٢) نافع العبود : نفس المرجع ، ص ٦٠ وما بعدها .

(٣) نافع العبود : نفس المرجع ، ص ٥٩ .

نفسه انه يزيد بن المهلب ، فكتب الحجاج الى عبد الملك يذم
 يزيد وآل المهلب ويستأذنه فى عزله . وكان الحجاج قبل ذلك
 يحاول استخراج يزيد من خراسان الى واسط ، والآخر يعتذر
 بالعدو وحرب خراسان . وقد رفض عبد الملك مشورة الحجاج
 بادىء الامر ، ثم وافق أخيرا على عزل ابن المهلب ، وكان
 ذلك (سنة ٨٥هـ) . وبعد استصدار عزل يزيد من عبد الملك ،
 تزوج الحجاج هند بنت المهلب لثلا يثير شكوك يزيد ،
 واستدعاه ، فقدم عليه واسط ، وترك أخاه المغفل على خراسان
 الذى كتب اليه الحجاج بولايتها ، فآخذ يستحث يزيد على
 الخروج الى الحجاج . فلما قدم يزيد على الحجاج سجنه ،
 وعزل حبيب بن المهلب عن كرمان وسجنه ، وعزل عبد الملك بن
 المهلب عن شرطته . وأمر فأخرج اخوته عن خراسان وقطع
 أموالهم منها ، وفرق التجمع اليمنى الذى كانوا يراسونه .
 وفى (سنة ٩٠هـ) هرب يزيد بن المهلب واخوته الذين كانوا
 معه فى سجن الحجاج ، الذى كان يطالبهم بستة آلاف الف ،
 وآخذ يعذبهم عليها ، فاحتالوا لذلك والتجأوا الى سليمان
 ابن عبد الملك فى الرملة من فلسطين ، فأمّنهم واستعفى
 الخليفة الوليد بن عبد الملك ، فعفى عنهم ، وكتب الى
 الحجاج بالكف عنهم ، فكف عنهم . وأقام يزيد بن المهلب عند

-
- (١) ابن الاثير : الكامل ، ٩٦/٤ .
 (٢) نبيه عاقل : تاريخ خلافة بنى أمية ، ص ١٨٣-١٨٤ .
 (٣) نافع العبود : آل المهلب ، ص ٦٠ وما بعدها .
 (٤) ابن الاثير : نفس المصدر والجزء والمفحة .
 (٥) نافع العبود : نفس المرجع ، ص ٦٠ وما بعدها - ابن
 العماد : شذرات ، ١٢٤/١ - الياقعى : مرآة ، ٢٤٢/١ -
 ٢٤٣ - الزركلى : الاعلام ، ١٨٩/٨ .
 (٦) نبيه عاقل : نفس المرجع ، ص ١٨٣-١٨٤ .

(١)

سليمان بن عبد الملك .

مما تقدم من حياة يزيد بن المهلب يظهر تغير موقف الحجاج أمير المشرق تجاه الأسرة المهلبية ، وسوء العلاقة بين الطرفين ، مما ترتب عليه إبعادهم عن مراكز السلطة ، ومعايشتهم بأكثر مما كانوا ينتظرونه . ومع ذلك نستطيع أن نقول أن هذا العداء كان لا يزال محصوراً بين آل المهلب والحجاج أمير المشرق ، وحفظ البيت الأموي ولواء المهالبة واليمانية باجارة سليمان وعفو الوليد حتى الآن . لكن قادم الأيام من حياة يزيد بن المهلب بولايته الثانية على العراق ثم خراسان ، وتوليّه تعذيب آل أبي عقيل ذوى الحجاج بأمر من الخليفة سليمان بن عبد الملك ، سيوسع دائرة الصراع ، لتسوء علاقتهم بالبيت الأموي نفسه ، ممثلاً في الخليفة عمر بن عبد العزيز ، المحاسب لابن المهلب على أموال المسلمين التي أفساء الله بها عليهم من فتوحاته لجرجان وطبرستان ، وماجمعه من خراج خراسان ، فانكرها ، ويزيد بن عبد الملك

(١) نافع العبود : آل المهلب ، ص ٦٦-٦٩ (وقال : أن سليمان أجارهم لعلمه بمكانتهم في اليمانية الذين كان يسمى إلى استمالتهم ليساعده للوصول إلى الخلافة ، كما أضاف : أنه اتخذ يزيد كاتباً له) - نبيه عاقل : تاريخ خلافة بني أمية ، ص ٢٣٩ (وقال : أن سليمان تحمل المال الذي طالبهم به الحجاج ، وعدد مدة بقاء يزيد لديه بتسعة أشهر) - ابن الأثير : الكامل ، ١١٤/٤-١١٦ . ونحن نشير هنا إلى أننا قد سميناً لجمع أسباب الخلاف بين الحجاج وآل المهلب . حتى لانفهم الأحداث من زاوية واحدة ، وبمنظرة قاصرة ، ولتكن الرؤية الشاملة لما يحيط بالحدث هي عين الباحث الممحصنة ، ومولا إلى الحقيقة ، وتحقيقاً لمعالجة تاريخية أدق . فقد رأينا قصور النظرة لمن علل هذا العداء على أساس المعصية ، أو الخوف على المركز فحسب ، ولكننا وجدنا وراء ذلك أسباباً تعددت وتعاونت على خلق الحدث . كما أن هذا العداء يمثل سبباً رئيسياً في ثورة ابن المهلب على الدولة الأموية كما سنرى .

الناقم على ابن المطلب في تعذيبه لاصهاره آل أبى عقيل وعدم مبالاته بشقاعة الامير الاموى لهم ، مما سيؤدى بالتالى الى سجنه على يد عمر ، والخروج على سلطان الدولة زمن الخليفة يزيد بن عبد الملك .^(١)

ولايته على العراق ، وتوليته خراسان للمرة الثانية :

ما ان تولى الخلافة سليمان بن عبد الملك سنة ٩٦هـ ، حتى امر بالقبض على آل أبى عقيل ، وهم اسرة الحجاج . ثم بعث يزيد بن المطلب الى البلقاء من اعمال دمشق ، فاستولى على اموال الحجاج وحمل عياله الى سليمان ، وكان فيهم زوجة يزيد بن عبد الملك - وهى من ثقيف - فعذبها يزيد بن المطلب بالرغم من شقاعة زوجها لها . وفى نفس العام عزل سليمان يزيد بن أبى مسلم عن العراق وأمر عليه يزيد بن المطلب ، وجعل صالح بن عبد الرحمن على الخراج ، وأمره ان يقتل آل أبى عقيل ويبسط عليهم العذاب ، فعذبهم ، وكان الذى يلى عذابهم عبد الملك بن المطلب . وهنا نرى اعتماد سليمان على خصوم الحجاج فى الانتقام منه بتعذيب آلّه . ثم ولاه الخليفة سليمان اماره خراسان بطلب منه لما عساه ان تدره عليه من الاموال والثروات التى حرمه منها صالح بن عبد الرحمن فى العراق ، فقدمها سنة ٩٧هـ ، بعد ان اقصى عنها وكيع بن الاسود الذى ثولاها تسعة أشهر بعد قتل قتيبة ، وقد استخلف

(١) انظر تطور الاحداث فى الملفات التالية .

(٢) نافع العبود : آل المطلب ، ص ٦٨-٦٩ .

(٣) الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٠٦/٦ - ابن الاثير : الكامل ، ١٣٨/٤ - الزركلى : الاعلام ، ١٨٩/٨ .

(١)
على العراق واموره فيها .

وفى عام ٩٨هـ فتح الله على يدى ابن المهلب جرجان وطبرستان كما صالح قهستان (٢) وفتح الرويان ودنباوند (٣) وسبى وغنم ، وكتب الى سليمان بالفتح يعظمه ويخبره انه قد حصل عنده من الخمس ستمائة الف الف وقيل اربعة آلاف الف ، وهذا نص كتابه :

"اما بعد ، يا امير المؤمنين فان الله عز وجل قد فتح فتوحا لم يفتحها على خليفة من خلفاء المسلمين من قبلك من اهل خراسان الى جرجان ودهستان وطبرستان ، وقد اعىى ذلك الفاروق وعثمان ومن بعدهما من الخلفاء ، حتى فتح الله ذلك كرامة لامير المؤمنين وزيادة فى نعم الله عليه ، وقد صار فى يدى مما افاء الله على المسلمين بعد ان صار الى كل ذى حق حقه من الفى والغنمة عشرون الف الف درهم ، وانا باعث بهذه الاموال التى افاء الله بها الى امير المؤمنين ان شاء الله ، والسلام" (٥)

عزله عن خراسان وسجنه بأمر الخليفة عمر بن عبد العزيز :

ويذكر البلاذرى : ان ابن المهلب ولى ابنه مخلدا خراسان ، وانصرف الى سليمان ، فكتب اليه ان معه خمسة

(١) نافع العبود : آل المهلب ، ص ٦٩-٧٤ - الزركلى : الاعلام ، ١٩٨/٨-١٩٩ .

(٢) انظر عن تفصيل هذا الفتح واخباره : ابن الاثير : الكامل ، ١٤٧/٤-١٥٠ - الزركلى : نفس المرجع ، ١٨٩/٨-١٩٠ .

(٣) عواد الاعظمى : مسلمة ، ص ٤٢-٤٣ .

(٤) ابن الاثير : نفس المصدر والجزء ، ص ١٥٠ .

(٥) ابن اعثم : الفتوح ، م ٢٢١/٤ - نافع العبود : نفس المرجع ، ص ٧٦-٧٧ . وقد خالفه فى مقدار الخمس بانه (سنة آلاف الف درهم) . (نقلا عن الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٤٤/٦) .

وعشرون ألف ألف درهم ، فوقع الكتاب فى يدى عمر بن عبد العزيز ، فاخذ يزيد به وحبسه . اذ كان سليمان بن عبد الملك قد توفى فى هذه الاثناء سنة تسع وتسعين ، وتولى الخلافة عمر بن عبد العزيز بعهد من سليمان . الذى كتب الى ابن المهلب باستخلاف سليمان له وليزيد بن عبد الملك من بعده وطلب منه اخذ بيعة من قبله ، فبايعوا ، ثم كتب اليه ان يستخلف على خراسان ويقدم عليه ، فلما بلغه كتابه شخص من خراسان ، واستخلف بها ابنه مخلدا ، وحمل كل ماكان معه مخافة من اهل خراسان ، وامطحب معه وجوه خراسان ، وقد اشار عليه قوم الا يبرج ، فلم يفعل ، وخرج ، حتى صار الى الرى فوجه بجميع ماكان معه من الاموال الى البصرة ، ثم خرج بعد ذلك يريد البصرة فنزل واسطا ، وركب منها السفن الى البصرة فلما وصل الى نهر معقل ، عند جسر البصرة ، لحق به موسى بن الوحيه الحميرى الذى بعثه عدى بن اوطاه امير البصرة من قبل عمر بن عبد العزيز ، فقبض عليه واوثقه ، وكان عمر قد كتب الى عدى بالقبض عليه وارساله مقيدا . فقدم له كتاب عمر ، فقال سمعا وطاعة لامير المؤمنين وعامله ، ثم رجع مع

-
- (١) فتوح البلدان ، ص ٣٣٣ - ابن خلكان : وفيات ، ٢٩٩/٦ .
 (٢) ابن الاثير : الكامل ، ١٥٢-١٥١/٤ .
 (٣) الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٦٧/٦ - ابن الاثير : نفس المصدر والجزء ، ص ١٦٢ - ابن الجوزى : سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز ، ص ٣١٨-٣١٩ - مجهول : العيون ، ٤٨/٣ - ابن اعثم : الفتح ، م ٢٣٢/٤ .
 (٤) فى هذا الخبر دليل على ايشار ابن المهلب للعافية ، وعدم عزمه على الانشقاق والفتنة . وان اسباب الثورة وان كانت قد ظهرت قبل زمن الخليفة يزيد ، الا ان شرارة اعمالها كان خوفه من يزيد بن عبد الملك ، وهروبه من السجن لذلك .

(١) ابن الوجيه الى واسط ، وكان قدومه اليها حيث وجد امر عزله والقبض عليه (سنة ٩٩٩هـ) .
(٢)

فاستأذنه عدي في الاموال التي جباها من خراسان وطبرستان وجرجان بامر عمر ، فقال فرقتها في الاجناد لتقويتهم على جهاد عدوهم ، فلما أبى اخراجها امر بحبسها ، ثم اوثقه في الحديد وبعث به الى عمر (سنة ١٠٠٠هـ) ، فلما وصل عمر زج به في السجن .
(٤)

- (١) الطبري : تاريخ الامم ، ٥٥٤/٦ - ٥٥٧ - ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٠ - اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، م ٣٠١/٢ - ابن اعثم : الفتوح ، م ٢٣٢/٤ - مجهول : العيون ، ٤٨/٣ - ٤٩ - ابن الاثير : الكامل ، ١٥٤/٤ - ١٥٧ - الذهبي : تاريخ الاسلام ، ٣٣٣/٣ - الذهبي : كتاب دول الاسلام ، ٥٣/١ - أرمنيوس فامبري : تاريخ بخاري ، ترجمة أحمد محمد الساداتي ويحيى الخشاب ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٥م ، ص ٧٤-٧٥ . وهو يقدم قولاً ليس له أصل في المصادر الاسلامية التي اطلعنا عليها اذ يقول : "اذا كان ابن المهلب قد أشار شكوكه - يعني عمر - بما صار له من النفوذ والثراء البالغ في مدى عامين ، وحين تأكد له اعتزام عامله هذا على الخروج عليه رأى أن يسبقه في خطئه ويفسدها عليه ، فعمد بخلق يزيد الى قائده مسلمة وكان يقود الجند في حرب الروم اذ ذاك ، وكتب الخليفة نفسه الى يزيد يستدعيه فلبى الدعوة ، حتى اذا ما بلغ البصرة ألقى القبض عليه " وهذا القول يتنافى مع موقف ابن المهلب الذي لم يسمع لمن نصحه بعدم اجابة الخليفة عمر بالقدوم عليه ، بل استجاب وأعلن السمع والطاعة له ولعامله عدي بن أرطاة عند القبض عليه . الا أن عزله قد يكون لأن عمر لا يحب آل المهلب ، اذ كان يقول هؤلاء جبابرة ، ولا أحب مثلهم . كما أن نوعية ابن المهلب من الرجال لاتناسب سياسة الخليفة الجديد التي اعتزمها . (انظر / نافع العبود : آل المهلب ، ص ٧٨ - الطبري : نفس المصدر والجزء ، ص ٥٥٤-٥٥٨ - ابن الاثير - نفس المصدر والجزء والمفحات ابن خلكان : وفيات ، ٣٠٠/٦) .
- (٢) نافع العبود : نفس المرجع والمفحة - ابن خياط : نفس المصدر والمفحة - الذهبي : تاريخ الاسلام ، ٣٣٣/٣ .
- (٣) ابن اعثم : نفس المصدر ، م ٣٣٢/٤ - ٣٣٧ .
- (٤) الطبري : نفس المصدر ، ٥٥٨/٦ - مجهول : نفس المصدر ٤٨/٣ - ٤٩ - ابن كثير : البداية والنهاية ، دار الفكر العربي ، دار الفيل ، الجيزة ، الطبعة الاولى ، ١٣٥١هـ-١٩٣٣م ٢١٠/٩٠ - ابن خياط : نفس المصدر والمفحة الذهبي : نفس المصدر والجزء والمفحة - أرمنيوس فامبري ، نفس المرجع ، ص ٧٥ - ابن قتيبة : المعارف ط ٤ ، ص ٤٠٥ .

فدعا به عمر ، وسأله عن الاموال التى كتب بها الى سليمان ، فاعتذر بأنه لم يكتب ذلك الا لسمع الناس ، ولعلمه أن سليمان لن يأخذه بها ، وأنه بالغ فى المرف لتفخيم أمر الخلافة ، وأنه لذلك أنفق أكثرها على عساكره وبعثها على الاملاحات العمرانية فى جرجان فلم يقتنع الخليفة بانفاقها جميعا ، واعتقد أن يزيد اختلسها ، وأنها حقوق للمسلمين لايسعه تركها ، فأمر به الى السجن . ورفض وساطة ابنه مخلد بن يزيد ، الذى طلب من الخليفة أن يصاله على مايسأل فيه أبيه ، فأبى الخليفة الا أن يحمل كل المال ، فقال مخلد : ان كان لك بينة فخذ بها والا فمدق قوله واستحلفه ، فان لم يفعل فصالحه ، فأبى الخليفة الا أخذه بجميع المال ، فلما أبى يزيد أن يؤديها ، ألهمه جبة صوف وحمله على جمل وأمر بتسييره الى دهلك . فاستشار ابن المهلب قبيلته ، التى غلبت له ، وخشى انتزاعه ، وأشير على عمر برده الى محبسه ، فرد الى سجنه بحمن حلب . وكلم عمر فى يزيد ، فقال هو رجل سوء قتال والسجن خير له . ولعل

(١) دهلك : جزيرة فى بحر اليمن (البحر الأحمر) وهى مرسى بين بلاد اليمن والحبة ، بلدة فيقة ، كان بنو أمية اذا سخطوا على أحد نفوه اليها . (انظر / ياقوت : معجم ٤٩٢/٢) .

وقيل : جزيرة فى بحر عيذاب (البحر الأحمر) بالقرب من سواكن . (ابن خلكان : وفيات ، ٣٠٠/٦) . والمعنى واحد . وانظر عن التعريف بها أيضا / القلقشندي : صبح الاعشى ، ٣٣٥/٥ .

(٢) لمعلومات أوسع عما كان بين عمر وابن المهلب ، انظر / نافع العبود : آل المهلب ، ص ٧٧-٧٨ - ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٢٧٠ - ابن الأثير : الكامل ، ١٥٧/٤ - اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ٣٠٢-٣٠١/٢ - المسمودي : التنبيه والاشراف ، ص ٢٧٧ - ابن أعثم : الفتوح ، م ٢٣٧-٢٣٨ - مجهول : العيون ، ٥٠/٣ - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢١٠/٩ - ابن خلكان : نفس الممدر والجزء والمفحة - الزركلى : الاعلام ، ١٩٠/٨ - مجهول : نفس الممدر والجزء والمفحة .

هذا يوضح لنا رأى عمر فيه وفى اهل بيته اذ يقول : هؤلاء جبابرة ولا احب مثلهم ، وكأنه يشير الى جبروت هذه الاسرة واحتمالات تشكيلها مركز ثقل يحدد الدولة الاموية وارادة سلطتها العليا ، لكنه لم يتعامل مع راس هذا المركز على انه يمثل كتلة يمنية من ازد اليمن ، وانما كسارق لاموال المسلمين . وكان رأى عمر فيه قديما ، وماكذب رايه ، بل اضحى الشك يقينا فيما ان توفر السبب ، وتعيات الفرصة ، بمرض عمر وانتظار كرسى الخلافة ليزيد بن عبد الملك الناقم على ابن المهلب ، حتى هرب من سجنه وهدد كيان الدولة بتمرده على سلطانها ، وخلعه حاكمها .

اسباب الحركة :

لم يزل يزيد بن المهلب محبوسا فى سجن عمر بن عبد العزيز حتى بلغه خبر مرضه فاخذ يعمل فى الحرب من سجنه مخافة ان يتولى يزيد بن عبد الملك الخلافة ، لما كان بينهما من العداة . فقد قام ابن المهلب بتعذيب آل ابي

(١) محمد على نصر الله : تطور نظام ملكية الاراضى فى منطقة السواد حتى نهاية العصر الاموى ، رسالة ماجستير لم تطبع ، مقدمة لاداب بغداد ، ١٩٧٤م ، ص ٢٥٦ - عماد الدين خليل : دراسة مقارنة فى سياسة يزيد بن عبد الملك ١٠١-١٠٥هـ ، بحث ، مجلة البحث العلمى والتراث الاسلامى ، العدد الرابع ، ١٤٠١هـ ، ص ٢٩٦ - الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٥٧/٦ - ابن الاثير : الكامل ، ١٥٧/٤ - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢١٠/٩ .

(٢) كان لعمر رأى فى يزيد ، عبر عنه فى مجلس الخليفة سليمان بن عبد الملك ، على اثره اختصم الرجلان . عن ذلك (انظر : المؤرخ المجهول : العيسون ، ٤٨/٣) وهذا يعطد قولنا ان عزله كان لرأى عمر فيه ، وانه لا يلائم السياسة التى اعتزم انتهاجها . أما سجنه فكان لانكاره اموال المسلمين ، الثابتة عليه فى كتابه الى سليمان .

مقيل اسمعار الخليفة يزيد بن عبد الملك ، حيث كان متزوجا من أم الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي ، أخى الحجاج . وذلك زمن الخليفة سليمان بن عبد الملك ، الذى طلب آل أبى مقيل فآخذهم وسلمهم الى يزيد بن المهلب ليخلص اموالهم ويعذبهم . وبعث ابن المهلب الى البلقاء من أعمال دمشق وبها خزائن الحجاج وعياله فنقلهم ومأمعهم اليه ، وكان فيمن أتى به منهم أم الحجاج زوجة يزيد بن عبد الملك ، وقيل بل اخت لها ، فأتى يزيد بن عبد الملك الى ابن المهلب فى منزله ، فشفع فيها ، فلم يقبل منه ، وأراد احتمال ماقرر عليها ، فابى ابن المهلب ، فقال يزيد بن عبد الملك متهددا : أما والله لئن وليت من الأمر شيئا لأقطعن منك عضوا فرد عليه ابن المهلب : وأنا والله لئن كان ذلك لأرمينك بمائة ألف سيف ، فحمل يزيد بن عبد الملك ماكان عليها وقدره مائة ألف دينار ، وقيل بل أكثر من ذلك .^(١)

وفى القول تناقض ، فكيف حمل عنها وقد اشار الى ان ابن المهلب لم يقبل شفاعة فيها واحتماله ماعليها ، وهذا بيت الداء وأساس العداء ، فلو كان قد حمل عنها فهذا معناه قبول ابن المهلب شفاعة يزيد بن عبد الملك ، فلماذا يعاديه اذا ، ولم كان يخشاه ابن المهلب .

والاصح انه لم يقبل منه . ثقة فى حظوته عند الخليفة سليمان ، وان غضب يزيد لن يؤخر عليه ، واستبعادا فى ذلك

(١) عن سبب العداء بين يزيد بن عبد الملك ويزيد بن المهلب انظر / (الطبرى : تاريخ الأمم ، ٦٤/٦ - ابن الاثير : الكامل ، ١٦٠/٤ - ١٦١ - ابن كثير : البداية ، ١٦ ، ٢١٤/٩ - مجهول : العيون ، ٥٠/٣ - ابن خلكان : وفيات ، ٣٠٠/٦ - ابن خلدون : العبر ، ٧٦/٣) .

اليوم أن يكون الأمر ليزيد بن عبد الملك على الأقل قريبا ،
فحملها عليه يزيد بن عبد الملك ، وخشى ذلك ابن المهلب
عندما علم بمرض عمر وأن الخلافة سائرة الى يزيد بن عبد
الملك .

ويغيب ابن أعثم سببا آخر للعداء بين الرجلين ، وهو
أن ابن المهلب خرج من الحمام يوما في عهد سليمان وقد تغمغ
بالغالية^(١) ، فمر على يزيد بن عبد الملك الجالس الى جنب عمر
ابن عبد العزيز ، فقال يزيد : قبح الله هذه الدنيا
وما فيها ! لوددت أن مثقال غالية بالف دينار فلاينالها الا
كل شريف . فسمعه ابن المهلب ، وقال : وددت أن الغالية
لا توجد الا في جبهة الاسد فلاينالها الا مثلى . فقال يزيد :
والله ان وليت هذا الامر يوما من الايام لاقطعن خير طابق في
يدك ، او قال : لاقتلنك . فقال ابن المهلب : والله لئن
وليت هذا الامر وانا حى لأضربن وجهك بخمسين ألف سيف . وليس^(٢)
لنا أن نستبعد هذا السبب او ذاك ، وان كنا نستطيع أن نقول
ان هذا السبب ان صح فانه يعتبر ثانويا وشخصيا وقد أدى الى
اذكاء روح العداوة بين الرجلين والتي يرجع سببها الرئيسى
الى تعذيب ابن المهلب لاصهار الخليفة .

وكانما حكم على ابن المهلب أن يظل طريد السلطة
وسجينها من عهد الى آخر ، لكن الكارثة كانت تتربص به على
يد يزيد بن عبد الملك ، فأدرك أنها النهاية القريبة ، فلم

(١) الغالية : من الطيب ، نوع مركب من مسك وعنبر وعود
ودهن ، وهى معروفة ، يقال أن أول من سماها بذلك
سليمان بن عبد الملك ، والأصح أنها عرفت بهذا الاسم
قبل ذلك . انظر : اللسان (غلا) .

(٢) الفتوح ، م ٢٣٩/٤ - ٢٤٠ - ابن الاثير : الكامل ، ١٧٥/٤ .

(١)

يجد لنفسه سبيلا غير الحرب .

هرب ابن المهلب من سجن عمر :

كتب ابن المهلب الى مواليه الذين كانوا معه بالشام ،
ان يمدوا له ابلا وخيلا ليهرب عليها ، وقد عين لهم مكانا .
فاحتال لذلك ، وقيل بل رشا حرسه وعامل حلب ، فخلى سبيله .
فلما ثقل على عمر المرض ، نزل يزيد من محبسه الى المكان
الذى واعد فيه مواليه ، ومضى هاربا من هناك ومعه مواليه يؤم
العراق ، فلما قرب من العراق ، كتب الى عمر بن عبد العزيز
انى والله لو علمت انك تبقى ماخرجت من محبسى حتى تكون انت
الذى تخرجنى ، ولكنى لم آمن يزيد لما قد علمت بينى وبينه
فلاتظن بى غير ذلك والسلام .
(٢)

(١) ابراهيم بيغون : ملامح التيارات السياسية فى القرن
الاول العجوى ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،
بيروت ، ١٩٧٩م ، ص ٣٣١ .

(٢) ابن قتيبة : المعارف ط٢ ، ص ٤٠٠ - ابن خلدون : العبر ،
٧٦/٣ - ٧٧ - نافع المعبود : آل المهلب ، ص ٧٩ . وعلق
على ذلك بقوله : لماذا لم يحاول الهرب قبل مرض عمر
مادام يستطيع ذلك بالرشوة ، او يدفعنا هذا الى
احتمال ان يكون الخليفة نفسه قد سهل اخراجه ،
واحتمال ان يكون امير حلب كارها لمجرى يزيد بن عبد
الملك الى الخلافة ، فأبدى تعاطفا مع ابن المهلب ،
واطلق سراحه .

الا اننا نرد قوله ونقول : لم يهرب ابن المهلب قبل
مرض عمر ، لانه لم يكن يخشاه ، وكان يأمل العقو ، اما
ان يكون عمر سهل أمر اخراجه ، فهذا ما تبطله النصوص
التي سنشير اليها مبينة موقفه من هربه (انظر نفس
المفحة هـ-٣) كما نستبعد تعاون امير حلب وتعريفه نفسه
للخطر ، ولكن لانستبعد تواطؤ حرسه ، الذين قد يكونون
من اليمينية ، فأثرت عليهم روح العصبيية ، وحلاوة
المادة ، مما سهل على مواليه وعثرته أمر التفاهم
معهم ومساعدته .

(٣) من هرب ابن المهلب : انظر : الطبرى : تاريخ الامم ،
٥٦٤-٥٦٥ - ابن اعثم : الفتوح ، م ٢٤٠/٤ - مجهول :
العيون ، ٥٠/٣ - ابن الاثير : الكامل ، ١٦٠/٤ - ١٦١ -

ولعمل نس هذا الكتاب يعهد قولنا في الرد على العبود
الذى احتمل أن يكون الخليفة عمر سهل هروب ابن المهلب من
سجنه ، والراجح أنه كان يتأمل العفو منه ، ولا يخشى شره . وكان
هروبه هذا قبل موت عمر بليلتين ، فلما بلغ ذلك عمر بن عبد
العزیز قال : اللهم ان كان يريد بهذه الامة سوءا فاكفهم
شره ، واردد كيده في نحره . ولم يقف الخليفة عند قوله
هذا ، بل وجه في اشره رسلا فلم يلحقوا به . الا أن ابن
خلكان ينقل عن الواقدي زعمه : أن هرب ابن المهلب كان بعد
موت عمر وذلك في رجب (سنة ١٠١هـ) . ورد عليه بقوله :
"وجدت في مسودة تاريخ القاضي كمال الدين بن العديم الحلبي
أن عمر حبس يزيد بن المهلب وابنه معاوية بحلب ، وهربا
منها - أي في حياته - والله أعلم" . (٤)

موقف الخليفة يزيد بن عبد الملك من هربه :

أما يزيد بن عبد الملك فما أن تولى الخلافة بعد وفاة

= ابن خلكان : وفيات ، ٣٠٠/٦ - ابن كثير : البداية ،
ط ١ ، ص ٢١٤ ، (وقال : علم أنه يموت في مرضه ذلك ،
وبذلك كتب اليه ، وأظنه كان عالما أن عمر قد سقى
سما) لكن أمر علمه بذلك فرما يستبعد صحته ، خصوصا أن
قضية سم عمر أمر مختلف عليه ، والأقرب أنه ماخرج من
سجنه بعد احتياله على ذلك ، الا بعد أن علم بشغل
المرض على عمر .

- (١) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٣٠٨/٢ .
- (٢) ابن كثير : نفس المصدر والجزء ، ص ٢١٤ - ابن خلدون :
العبر ، ٧٧/٣ - ابن خلكان : نفس المصدر والجزء
والصفحة .
- (٣) اليعقوبي : نفس المصدر والمجلد والصفحة .
- (٤) نفس المصدر والجزء ، ص ٣٠١ - الطبري : تاريخ الامم ،
٥٦٥/٦ - المسعودي : التنبيه ، ص ٢٧٧ - الياقبي : مرآة
٢٤١/١ - الذهبي : دول الاسلام ، ٥٣/١ (وأضاف : وسار
على البريد) أي أنه سلك طريق البريد - المقدسي :
البيداء ، ٤٧/٦ - ابن العماد : شذرات ، ١٢٤/١ .

عمر بن عبد العزيز حتى بعث في طلب ابن المهلب الذي توجه الى العراق فلم يقف له على خبر . وليس هناك من تفسير لعدم تمكن رسل عمر ومن بعده يزيد في اللحاق بابن المهلب ، الا انه اتخذ طريقا غير المألوف ، متواريا عن العيون ومضللا ممن قد يلحق به ويطلبه ، خصوصا اذا علمنا انه هرب قبل موت عمر بليلتين ، أي أن الخليفة عمر طلبه بعد هربه في أقل من ليلتين ، وكان من الممكن اللحاق به ، اذا ما استخدمت خيل البريد . فاتخذ الخليفة يزيد الخطوة الثانية في محاولة القبض على ابن المهلب ، الذي يخشى خطره ان وصل الى البصرة مكن قوته وأرض عشيرته . راجيا ان يستأصل الداء في معده . فكتب الى عبد الحميد بن عبد الرحمن عامله على الكوفة ، يخبره بهربه ، ويأمره بطلبه ، ليقطع الطريق عليه الى البصرة ، كما كتب الى عدى بن أرطاة ، عامله على البصرة ، يعلمه بهربه ، آمرا اياه ان يتحيا لاستقباله ، وان يأخذ من كان بالبصرة من اهل بيته .^(١)

فقام عبد الحميد بالقبض على خالد بن يزيد بن المهلب

-
- (١) مجهول : العيون ، ٥١/٣ .
 (٢) عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوي ، أبو عمر ، أمير من اهل المدينة ، ثقة في الحديث ، استعمله عمر بن عبد العزيز على الكوفة . وتوفي بحران في خلافة هشام سنة ١١٥هـ . (الزركلي : الاعلام ، ٢٨٦/٣) .
 (٣) عدى بن أرطاة الغزاري ، أبو واثلة أمير من اهل دمشق كان من العقلاء الشجعان ، ولاء عمر بن عبد العزيز على البصرة سنة ٩٩هـ ، فاستمر الى أن قتله معاوية بن يزيد بن المهلب ، بواسط ، في فتنة أبيه يزيد بالعراق (الزركلي : نفس العرج ، ٢١٩/٤) .
 (٤) الطبري : تاريخ الأمم ، ٥٧٨/٦ - ابن الاثير : الكامل ، ١٦٨/٤ - ابن أعثم : الفتوح ، ٢٤٢/٤ (لم يشر الى كتاب الخليفة الى عبد الحميد) - مجهول : نفس المصدر والجزء والصحة .

وكان بالكوفة ، وعلى حمال بن زحر الجعفى ، لملته
بالمهالبة ، فبعث بهما الى الخليفة يزيد بن عبد الملك ،
(١)
فسجنا حتى هلكا .

كما بعث هشام بن مساحق بن عبد الله القرشى على رأس
قوة من الكوفة لاعتراض طريق ابن المهلب عند العذيب ، حيث
(٢)
ستكون طريقه من هناك ، فنزل هشام العذيب ومر ابن المهلب
بالقرب منهم ، فالتقوا الأقدام عليه ، وقيل بل ارتفع ابن
المهلب على القطقطانة ، فأخبر هشام بمروره فركب اليه فحاد
(٣)
عنه ، ومضى يزيد الى البصرة ، وانصرف هشام الى عبد الحميد
وكان قد بلغه خبر وفاة الخليفة عمر وتولى يزيد بن عبد
الملك الخلافة ، وكتبه الى اميرى الكوفة والبصرة ، وسجن
اخوته ومواليهم ، فاعتم لذلك ولم يكن معه آنذاك الا اقل من
(٤)
مائة رجل ممن اتبعه من اهل الشام ومواليه وبنى عمه .
ويذكر المؤلف المجهول من كان معه بقوله : ومامعه الا برذون

-
- (١) الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٨٥/٦ - ابن الاثير : الكامل ،
١٦٩/٤ - ابن خلدون : المعبر ، ٧٧/٣ (الا أنه أورد اسم
حمال : حماد بن زحر ، تحريفاً) .
- (٢) العذيب : هو الماء الطيب وهو ماء بين القادسية
والمغيشة ، وقيل هو واد لبنى تميم ، من منازل حاج
الكوفة ، وقيل هو حد السواد ، وقيل : العذيب يخرج من
قادسية الكوفة اليه . وهناك عذيب العجانات ، وعذيب
القوادس . (ياقوت : معجم ، ٩٢/٤) . وأظن المقصود
العذيب الذى يخرج من قادسية الكوفة اليه .
- (٣) القطقطانة : موضع قرب الكوفة من جهة البرية بالطف ،
تخرج منها الى عين التمر ، ثم ينحط حتى يقرب من
القيوم الى هيت . (ياقوت : معجم ، ٣٧٤/٤) .
- (٤) الطبرى : نفس المصدر والجزء ، ص ٥٧٨-٥٧٩ - ابن أعثم
الفتوح ، م ٢٤٢/٤ (وأضاف لاسم هشام بعد عبد الله : بن
مخرمة الكناني) - مجهول : العيون ، ٥٢-٥١/٣ - ابن
الاثير : نفس المصدر والجزء ، ص ١٦٨ (وأضاف لنفسه
العامرى . ولاتناقض فالعامرى قرشى والقرشى كناني) -
ابن خلدون : نفس المصدر والجزء والمفحة .
- (٥) ابن أعثم : نفس المصدر والمجلد والمفحة .

(١) وعجلان وأبو فديك ، ومولى له آخر ومن على ثقله .

استيلاؤه على البصرة :

استجاب عدى بن أرطاة لأمر الخليفة فأخذ آل المهلب ،
وفيهم المفضل وحبيب ومروان بنو المهلب ، فحبسهم . وكان قد
أمن المفضل وعبد الملك ، ثم بعث إلى أبي عيينة ومدر ك ،
فصاروا ستة فقيدهم جميعا وحبسهم . (٢)

وقد أشار عليه وكيع بن الأسود بقتلهم أو هدم دورهم أو
إعطاء الناس من بيت المال ليدافعوا عنه ، فأباه . ثم جمع
عدى إليه أهل البصرة ، وخذق عليها ، وبعث على خيلها
المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل الثقفي في خمسمائة فارس
كما بعث على كل خمس من أخماسها رجلا . وتقدم في هذه الأثناء
عبد الملك بن المهلب إلى عدى بن أرطاة ، بأن يحبس ابنه
حميدا مكانه ، ليتولى رد يزيد عن البصرة إلى فارس ، حتى
يطلب لنفسه الأمان ، فلم يقبل عدى منه . وقد يكون ذلك من
خشية عبد الملك على أخيه عندما رأى استعداد عدى وظن قدرته (٣)

-
- (١) العيون ، ٥٢/٣ .
(٢) الطبرى : تاريخ الأمم ، ٥٧٨/٦ - ابن الأثير : الكامل ،
١٦٨/٤ - اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ٣٠٨/٢ - ابن
خلدون : العبر ، ٧٧/٣ .
(٣) مجهول : نفس المصدر والجزء ، ص ٥٣-٥٤ - الجاحظ :
البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة
الخانجي ، مصر ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م ،
١٧٣/٢ .
(٤) مجهول : نفس المصدر والجزء ، ص ٥١ .
(٥) عن تهيو عدى لابن المهلب انظر / الطبرى : نفس المصدر
والجزء ، ص ٥٧٩-٥٨٠ - مجهول : نفس المصدر والجزء ، ص
٥٤ - ابن الأثير : نفس المصدر والجزء والصفحة - ابن
خلدون : نفس المصدر والجزء والصفحة (ويلاحظ عليه هنا
وفى كثير من المواضع تحريف الأسماء) .
(٦) الطبرى : نفس المصدر والجزء ، ص ٥٧٩ .

فى القبض على يزيد ، أو على الأقل منعه من دخول البصرة ، وهذا نفسه ماعى عدى الى رفض عرضه وطمعه فى الخليفة . الا ان تدخل محمد بن المهلب الذى لم يقع فى يدى عدى ، والذى جمع حوله قوة تمكن بها من مساعدة يزيد على الدخول الى البصرة قلبت موازين القوى فى صالح ابن المهلب .

ذلك انه عندما أقبل يزيد ومن معه وجد البصرة محفوفة بالرجال ، فجمع محمد بن المهلب - ولم يكن ممن حبسهم عدى - أهل بيته ورجالا من مواليه وخرج لاستقبال يزيد ، فأقبل فى كتيبة تهول من رآها ، مامرت بخيل أو قبيلة الا تنحوا له عن الطريق ، ولم يعرفوا له . فتصدى له المغيرة الثقفى فى الخيل ، الا أنه تراجع عندما حمل عليه محمد بن المهلب ، وافرغ لهم الطريق دون قتال . بل انه عندما مر بالحرس الذين صيرهم عدى فى الأزد بقيادة بدل بن نعيم فى رجال من بنى تميم ، رحبوا بابن المهلب ولم يفعلوا شيئا . ويبدو أن مهمة هذه القوة كانت مكلفة بحراسة منزل الأزد فى البصرة ، لئلا يمنع ابن المهلب من دخوله ، لكنهم تخاذلوا كما يفيد النص فنزل يزيد دار المهلب. وقيل : نزل داره . وقد أشير على عدى بأخذ ابن المهلب بعد دخوله البصرة ، قبل أن يعظم أمره ، فأبى ذلك . وكأنه لا يريد أن يبدأ الفتنة . وكان دخوله البصرة ليلة البدر من شهر رمضان سنة احدى ومائة من

(١) ابن الاثير : الكامل ، ١٦٨/٤ - ابن خلدون : العبر ، ٧٧/٣ - نافع العبود : آل المهلب ، ص ٧٩-٨٠ .

(٢) مجهول : العيون ، ٥٢/٣ .

(٣) مجهول : نفس المصدر والجزء والمفحة .

(٤) الطبرى : تاريخ الأمم ، ٥٨٠/٦ - ابن الاثير : نفس المصدر والجزء والمفحة . وقد لا يكون هناك خلاف ، على اعتبار أن دار أبوه المهلب قد تكون آلت اليه بعد ممات أبيه ، فعدت دارا له .

(٥) مجهول : نفس المصدر والجزء والمفحة .

(١)
الهجرة .

وباستقراء لموقف عبد الحميد بن عبد الرحمن أمير الكوفة ، وعدى بن أرطاة أمير البصرة ، يتبين لنا أنهما مجزا عن تحقيق هدف الخليفة بواد الفتنة في مهدها عن طريق القبض على ابن المهلب ومنعه من الوصول الى البصرة مكن قوته وموطن عشيرته . فان كان عبد الحميد بن عبد الرحمن قد قبض على بعض بنى المهلب ومواليهم ، الا أن مبعوثه هشام بن مساحق لم ينجح في المهمة الموكلة اليه ، وهى اعتراض طريق ابن المهلب والقبض عليه . ضعفا من ابن مساحق وسوء اختيار من عبد الحميد ، وسوء تقدير ، فما كان عليه لو خرج الى ابن المهلب بنفسه .

ومع أن عديا بن أرطاة ، أمير البصرة ، قد تاهب لذلك فخذق عليه في البصرة ، وأعد جنده ، الا أن ابن المهلب تمكن من التغلب عليه ، ودخل البصرة . وهذا يكشف لنا حال أهل البصرة وموقفها المبكر من الخليفة وعامله . إذ سرعان ما اتفح تخاذلهم ، بإفساح المجال لابن المهلب قبيلة بعد أخرى دون أن يعرضوا له . بل أن المفيرة الثقفى الذى كان ينتظر منه موقف أشد حزما ، لما بين آل أبى عقيل والمهالبة من عدا . نجده يتراجع أمام محمد بن المهلب ، حتى دخل ابن المهلب البصرة دون قتال . أما عدى نفسه فاننا نستطيع أن

(١) مجهول : العيون ، ٥٢/٣ . أى أنه قطع الطريق من حلب الى البصرة فى أكثر من شهر ونصف ، وفى هذا ما يبطل القول بأنه سار على البريد ، لامكانية وصوله بأسرع من هذا الوقت بكثير فيما لو حدث ذلك ، وهذا يسند قولنا بأنه أخذ طريقا غير المألوف ، أو أنه اختفى فى مكان ما حتى خف عنه الطلب . انظر قبل : ص ١٣٨ .

نقول ان مواقفه تبين نوعية رجال عمر بن عبد العزيز ،
لاشاره العافية على القتال ، وعدم التصرف فيما ليس من
ملاحياته ، مع أن خطورة الموقف وبعد المكان عن مركز الخلافة
يتطلب اتخاذ الاسباب المناسبة لدرء الخطر وتحقيق الغاية في
حدود الشرع ما أمكن ، فتوقف عند أمر الخليفة بالقبض على
ابن المهلب ، لذا لم يفسح المجال لعبد الملك ليرد أخاه عن
البصرة الى فارس ، لكنه عجز عن تنفيذ الأمر . فما استطاعت
قوته التي اعدّها الوقوف في وجه ابن المهلب ، كما أنه لم
يسع الى القبض عليه بعد نزوله البصرة قبل استفحال خطره .
ولعل قلة القوة الشامية في العراق منذ عهد عمر بن عبد
العزيز ، جعل عدى يعتمد على عرب البصرة ، الذين لم يكونوا
ليقفوا الى جانبه دون مقابل ، وهو لم يدرك ذلك ، إذ رفض
نميحة وكيع بن الأسود بتوزيع بعض المال على الناس ليدافعوا
عنه . المهم أن يزيد بن المهلب نزل البصرة ، فحل بين أهله
وأتباعه وقبيلته الأزدي وحلفائها من ربيعة ، وهما أعز القوى
بها واكبرها . نجد ذلك على لسانه في اجابة منه على سؤال
الخليفة سليمان له : فيمن العز بالبصرة ؟ إذ يقول : " فينا
وفي حلفائنا من ربيعة " ^(١) . ولعل هذا مما ساعده على دخولها
لمساندتها له وترحيبها به من ناحية ، وتقدير القبائل
الأخرى لهذه القوة ، بل قد يكون ذلك مامن عدى من أخذه بعد
دخولها ، لعلهم أن قومه لن يخلوا بينه وبين ابن المهلب .
ولأنّ ارتباط المهالبة مع البصرة وأهلها بعلاقات

(١) ناجي حسن : القبائل ، ص ١٥٣ - نبيه عاقل : تاريخ
خلافة بني أمية ، ص ٢٩٦ .

قديمة منذ زمن والده ، حيث كون لهم ذلك انصارا . فضلها على خراسان التي اشار بها عليه اخوه حبيب ، لعلمه بانهايار سمعة الخلافة الاموية في هذا الاقليم ، وازدحامه بالقوى المعارضة .^(١)

وكتب ابن المطلب من ليلته التي وصل فيها الى يزيد بن عبد الملك يما له الامان ، وبعث به مع حميد بن عبد الملك بن المطلب ، وابنه خالد بن يزيد ، فلما قدما على الخليفة يزيد استشار الناس في امانه ، فقالت المفزية لا تؤمنه ، فانه احمق غدار ، وقالت اليمانية تؤمنه فتحقق الدماء وتستملح قومه . فامر ان يكتب له امانه ولاهل بيته ، على ان يقيم "ببلده" . وانفذ معهما خالد القسري وعمر الحكمي ،^(٢)^(٣)^(٤)

-
- (١) ابراهيم بيضون : ملامح التيارات السياسية ، ص ٢٣١-٢٣٢
 (٢) الطبري : تاريخ الامم ، ٥٨٠/٦ - ابن الاثير : الكامل ، ١٦٨/٤ - مجهول : العيون ، ٥٢/٣ - ابن خلدون : المعبر ، ٧٧/٣
 (٣) مجهول : نفس المصدر والجزء والمفحة . (كننا نلف عند قوله هذا ، فقد ذكر ان خالد بن يزيد قد قبض عليه عبد الحميد بن عبد الرحمن ، وبعثه الى الخليفة يزيد ، وظل في سجنه حتى هلك . بل اننا لن نجد له ذكرا في احداث الفتن ، مما يعقد الرواية الاولى ، ويدفعنا الى استبعاد قول المؤرخ المجهول ، منفردا بذلك ومخالفا لمن هو اقدم منه) . انظر قبل : ص ١٣٨-١٣٩ .
 (٤) يفهم من هذا النص انه اعطاه الامان على ان يقيم ببلده (اي البصرة) ، ولكن محقق كتاب العيون والحدائق للمؤلف المجهول ، اشار في هامش (٣) ، ص ٦٧ ان المقصود ببلده هو بلدة (كود) Cod ، وبالرجوع الى معجم البلدان للحموي ، وجدت تعريفا لها في ٨٨/٤ قال فيه ان كود : بالشيم هو كود اثال . وهو اسم موضع قتل فيه المميل بن الامور الفبابي . وقيل : ماء لبنى جعفر وقيل : جبل . واثال : جبل لبنى عيسى بينه وبين الماء الذي ينزل عليه الناس اذا خرجوا من البصرة الى المدينة ثلاثة اميال ، وهو منزل لاهل البصرة بعد قو وقبل الناجية ، وقيل مواضع اخرى . انظر نفس المصدر ، ٨٩/١-٩٠ . وقد ذكر "كي لسترنج" ان جبل كود يقع على بعد فرسخ عن مدينة كم الواقعة الى الجنوب الشرقي من ماهان وفي شرق كرمان . انظر : بلدان =

(١)
فتقدم خالد الى أبيه بالبشارة . وفى طريقهما الى ابن
المهلب بأمانه ، لقيا الحواري بن زياد بن عمرو العتكي
هارباً من يزيد بن المهلب يريد الخليفة ، فأخبرهما بتغلب
ابن المهلب على عدى وأشار عليهما بالرجوع ، فاقبلتا عائدين
الى الخليفة ومعهما حميد ، الذى ناشدهما ايمان الامان لعمه
فما سمعا منه ، وفى الطريق سلماه الى عبد الرحمن بن سليم
الكلبي ، وكان يزيد قد بعثه عاملاً على خراسان ، فلما بلغه
خبر خلع ابن المهلب للخليفة ، كتب الى الخليفة أن يجعله
ممن يجاهد عدوه ، راغباً عن ولاية خراسان ، وبعث بحميد الى
الخليفة يزيد بن عبد الملك . (٢)

- = الخلافة الشرقية ، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ،
مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥هـ /
١٩٨٥ م ، ص ٣٥٠ .
كما ذكر فى ص ٣٧٧ من نفس المرجع "كودزره" وقال انها
عقيق ثانى لبحيرة زرة الواقعة جنوب عدوة نهر هيلمند
الاسفل الا أننا لم نعرف العلاقة بين كود والنس ، عندما
فسر المحقق أن كلمة (ببلده) تعنى كود . إذ لم نجد
علاقة بين ابن المهلب وبين هذا الاسم ، وأن المعالمة
استوطنوه أو كان بلدا لهم .
(١) مجهول : الميرون ، ٦٦/٣ - الطبرى : تاريخ الامم ،
٥٨٠/٦ - ابن الاثير : الكامل ، ١٦٨/٤ . وقد أشار
كالطبرى الى اسم والد الحكمى فقالا : عمر بن يزيد
الحكمى .
(٢) لم أعثر له على ترجمة . وقد ولاه مسلمة بن عبد الملك
الجمرة اثناء ولايته على العراق ثم عزله . انظر :
الفصل الخامس ، المبحث الاول ، ص ٤٦٣ .
كما شارك فى قيادة الحملات العسكرية فى أرض الروم ،
زمن الخليفة يزيد بن عبد الملك . انظر الفصل الرابع
المبحث الثالث ، ص ٣٧٧ ، ٣٨٠ .
(٣) الطبرى : نفس المصدر والجزء ، ص ٥٨٤-٥٨٥ - مجهول :
نفس المصدر والجزء ، ص ٦٧ . لكنه لم يشر الى التقاء
الوفد بالحواري ، وقال : أن الوفد سار حتى وصل الى
المكان الذى به عبد الرحمن بن سليم بالقرب من الكوفة
حيث أقام فيه عندما سمع بخلع ابن المهلب للخليفة ،
قال : فشد على حميد وأوثقه وبعث به الى الخليفة -
ابن الاثير : نفس المصدر والجزء ، ص ١٦٩ وقد أورد =

نرى مما تقدم أن ابن المهلب طلب الأمان من الخليفة يزيد بن عبد الملك حين وصوله البصرة ، وهذا يبين أن ابن المهلب لم يكن في بادئ الأمر يفكر في الخروج على الخلافة ، وإنما دفعه إلى الحرب خوفه من يزيد بن عبد الملك ، فأراد أن يأخذ لنفسه الأمان ، وهو في مأمن من شر خصمه . إلا أن حبس عدى لأخوته ، أخرج موقفه فإن هو آمن على نفسه في البصرة أو في غيرها أن خرج منها ، فأخوته في خطر ، وكونه غدير واثق من حصوله على أمان الخليفة ، حدا به ذلك إلى مفاوضة عدى بأن يطلق أخوته مقابل خروجه وإياهم عن البصرة (١) فلم يقبل منه .

فخشى أن يبقى على هذا الوضع ولا يعطيه الخليفة الأمان ، ويبعث في طلبه فيكون هو وأخوته تحت رحمة الخليفة وأمير البصرة وفي متناول سلطته . وهذا مادفعه إلى جمع الناس حوله ليستطيع الدفاع عن نفسه وقت الحاجة وانقاذ أخوته ، إلا أنه فيما يظهر بلغ أعوانه واتباعه من العدد والقوة ما أوحى له بحرب عدى واستنقاذ آل المهلب من سجنه ، ليكون هو وأخوته سواء أما في أمان الخليفة وعفوه ، أو في

= اسم الحواري : المغيرة بن زياد ، ولم يشر إلى تسليم حميد الكلبي ، بل قال : ورجعما به - ابن خلدون : العبر ، ٧٧/٣ . وافق ابن الأثير في اسم الحواري ، والخبر .

(١) الطبري : تاريخ الأمم ، ٥٨٠/٦ - مجهول : العيون ، ٥٢-٥٣/٣ - المصعودي : التنبيه ، ص ٢٧٧ - ابن الأثير : الكامل ، ١٦٨/٤ - ابن أعثم : الفتوح ، م ٢٤٣/٤ . إلا أنه يشير إلى أن مفاوضة ابن المهلب لعدى كانت قبل دخوله البصرة ، وأنه لزل على مرحلة منها وبعث إلى عدى إلا أننا نرى صحة القول بحدوثها في البصرة ، إذ لو تمت قبل ذلك ، وأنه دخل البصرة مخالفا لعدى محاربا له ، لما استأمن من الخليفة بعد ذلك .

مواجهته . لكن ظهوره على عدى وغلبته على البصرة وماوالها واستشعاره القوة سيدقعه الى خلع الخليفة يزيد بن عبد الملك وروم الخلافة لنفسه .

اما الخليفة يزيد ، فان معالجته لحركة ابن المهلب من اولها تميزت باليقظة واعطائها حقها من الاهتمام والسمي الى اخمادها في مهدها ، فمن البعث في طلبه عند هربه الى امدار الاوامر لامراء العراق باستقباله والقبض على ذويه والجد في طلبه ^(١) . ونراه بعد ان ومه كتاب ابن المهلب الذي تمكن من دخول البصرة مركز عصبية يطلب الامان فيه ، يتعامل مع الواقع بكل حكمة ، فيستشير ، ويرتفع بنفسه كخليفة عن التعامل مع الحدث تحت تاثير الهوى والتعصب ، فينسى كراهيته لابن المهلب وحزانات الماضي ، كما يرفض رأى المفرية عصبية بعدم اعطائه الامان ، وياخذ برأى اليمانية الداعى لتأمينه ، حقنا للدماء واستملاحا لقومه . فيؤمنه . وبذلك يسمو فوق روح العصبية واطارها الضيق ، الى مستوى المسئولية ، وتعامل السلطة مع الحوادث بما يحقق المصلحة العامة ، ويحفظ الامن ويكفل استمرار السيادة .

لذا فاننا نخالف نافع العبود الذى يقول : "اعلن يزيد ابن المهلب خلافة ليزيد بن عبد الملك على اثر وموله البصرة ليلة القدر من شهر رمضان سنة ١٠١هـ/٧١٩م" . اذ رأينا مما ^(٢)

(١) انظر قبل : ص ١٢٧-١٢٩ .
(٢) آل المهلب ، ص ٨٠ (نقلا عن ابن خياط : تاريخ ابن خياط ص ٢٤١) . ونحن نرجح قول المؤرخ المجهول بأنه دخل البصرة ليلة البدر ، أى ليلة النصف من رمضان . انظر قبل : ص ١٤١ . وبرجوعنا لابن خياط : تاريخ ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، ص ٢٢٢ . وجدناه ذكر دخوله ليلة البدر كما عند المؤرخ المجهول ، ليلة القدر ، وهذا يعنى أن العبود وقع فى خطأ فى النقل ، أو الطبع

تقدم أن ابن المهلب كاتب الخليفة وفاوض عدي بعد دخوله البصرة ، وهذا يدل على أنه لم يعلن مخالفته إلا بعد أن تعذر عليه اخراج اخوته عن طريق المفاوضة مع عدي ، واجتماع الناس حوله ، مما اغراه بالخروج .

فقد بعث يزيد الى الازد وربيعة ، فجاءت الازد وابطأت ربيعة ، ثم جاءت وطلب مساندتها ، ثم أمر العرفاء أن يفرسوا للناس ، وجعل يعطيهم قطع الفضة ، واعطى قومامن القراء والقصاص^(١) فمال الناس اليه ، ربيعة وبكر وبقية تميم وقيس وبعض الجند الشامي في العراق ، بينما كان عدي لايعطى^(٢) الا درهمين درهمين . والذي دفع ربيعة لمساندة الازد ذلك الحلف القديم الذي وجد بين القبيلتين ، الا أن علينا الانغفل أثر المصلحة المادية الى جانب ذلك ، فعندما حدثت ربيعة أثناء الحركة استبطاته في امر يتعلق بالعطاء ، فشغبت عليه حتى أرفأها وهي بعملها هذا انما تعرض الحركة للفشل^(٣) . وكان ممن مال اليه عمران بن عامر بن مسمع الذي غضب عندما حول عدي الراية عنه الى ابن عمه نوح بن شيبان وعبد الملك ومالك ابنا مسمع^(٤) .

وجعل سادات البصرة يخرجون الى ابن المهلب ، فيحسن اليهم ويمنيهم ، حتى صار في قريب من ثلاثة آلاف ، وقعد عامة

-
- (١) مجهول : المعيون ، ٥٣/٣ .
 (٢) محمد عبد الحى شعبان : الثورة العباسية ، ترجمة عبد المجيد حبيب القيسي ، رسالة دكتوراه مطبوعة ، دار الدراسات الخليجية ، أبو ظبي ، ١٩٧٧م ، ص ١٦١ - المسعودي : التنبيه ، ص ٢٧٧ - ابن الاثير : الكامل ، ١٦٨/٤ .
 (٣) ناجي حسن : القبائل ، ص ١٥٤-١٥٥ .
 (٤) الطبري : تاريخ الأمم ، ٥٨٠/٦ - مجهول : نفس المصدر والجزء ، ص ٥٤-٥٦ .

(١)
 اهل البصرة في منازلهم ممن كان يهوى ابن المطلب .
 كما انضم اليه جماعتان ، أحدهما من الخوارج بقيادة
 السميذع ، والثانية من المرجئة يقودها رؤبة .^(٢)^(٣)^(٤)^(٥)
 ثم أرسل يزيد الى الاسواق فحرقها أو أكرها الى الأزد
 واشترى السلاح ، واعتزل فنزل مقبرة بنى يشكر . وكانت
 اليمانية وربيعية تختلف اليه ، ومضر تأتي عديا .^(٦) فان مع
 هذا الفئ اتضح لنا تعصب الرجل في حركته من أولها . الا انه
 كيف يخلص بها الأزد ، ويحرم ربيعة وهي الحليفة ، وان رغبت
 ربيعة ، فهل ستسكت مضر ، وما نصيب من انضم اليه منها على
 الأقل . وهذا ما يدعونا الى استبعاده ، كما ان قول كثير من
 النصوص بانضمام كثير من القبائل اليه او بعلمها ، يبين انه

-
- (١) ابن أمثم : الفتوح ، م ٢٤٣/٤ .
 (٢) السميذع : السميذع الكندي من بنى مالك بن ربيعة من
 ساكنى عمان ، يرى رأى الخوارج ، وقد خرج أثناء
 الفتنة بين عدي وابن المطلب ، واعتزل مع طائفة من
 القراء ، دعاه ابن المطلب الى نفسه ، فأجابه ،
 واستعمله يزيد على الأبله . (الطبرى : تاريخ الأمم ،
 ٥٨٣/٦) .
 (٣) المرجئة : الأرجاء بمعنى التأخير ، أى أمهله وأخره ،
 أو أمطأ الأرجاء . قيل : الأرجاء تأخير حكم صاحب
 الكبيرة الى يوم القيامة . وقيل : الأرجاء تأخير على
 رضى الله عنه عن الدرجة الاولى الى الرابعة .
 والمرجئة أربعة أصناف : مرجئة الخوارج ، ومرجئة
 القدرية ، ومرجئة الجبرية ، والمرجئة الخالصة وقد
 قيل أن أول من قال بالأرجاء : الحسن بن محمد بن على
 ابن أبى طالب . (الشهرستاني : الملل والنحل ، تحقيق
 عبد العزيز محمد الوكيل ، طبعة دار الفكر ، بيروت ،
 لبنان ، ص ١٣٩-١٤٦) .
 (٤) رؤبة : رأس طائفة المرجئة ، نامر ابن المطلب في حربه
 لبنى أمية ، هو وجماعة من أصحابه . (الطبرى : نفس
 الممدر والجزء ، ص ٥٩٣) .
 (٥) محمد شعبان : الثورة ، ص ١٦١ .
 (٦) مجهول : العيون ، ٥٣/٣ وان كان الامر ليس على ما قال
 تماما ، فمن مضر من انضم الى يزيد ، ومن اليمانية من
 نامر عديا .

ليس من الحكمة أن يمنع ذلك ، فهو أحرى أن يتحالف الناس بالعدالة حتى يجمعهم حوله . وهناك نصوص تؤيد مذهبنا إليه وذلك بدعوته إلى جعل الأمر شورى ، والعودة إلى سيرة العمرين وغيرها .^(١) كما أنه ليس من الدقة أن نقول بانقسام أهل البصرة إلى قسمين ، مفر مع عدى والازد وربيعه مع ابن المهلب ، إذ أشرنا إلى انقسام بعض المفزية إلى ابن المهلب واليمنية إلى عدى ، لكن ذلك ينطبق على الاكثرية لا الكلية .^(٢)

أما عدى بن أرطاة ، فقد جمع أصحابه وأخبرهم أنه لا يستطيع أن يعطيهم من بيت المال شيئا إلا بأمر الخليفة ، وإذا فرغ من قتال يزيد أعطى كل على قدر جهده ، وقسم عليهم مالا أصاب كل فرد درهمين ، وفى ذلك يقول الفرزدق :

أظن رجال الدرهمين يقودهم

إلى الموت آجال لهم ومعارع

واكيسهم من قرفى قعر بيته

(٣)

وايقن أن الموت لابد واقع

ولعل هذا ما أدى إلى تفرق الناس من حوله ، فنجد ابن

أعثم يقول : حتى بقى عدى فى أصحابه الذين قدموا معه من الشام ونفر يميز من قيس عيلان وتميم .^(٤)

وهذا ليس من الدقة بمكان فقد جمع عدى حوله جند أهل

الشام ، وانضمت إليه بقايا قبائل البصرة ومن بينها الازد ،

(١) انظر بعد : ص ١٥٣، ١٥٦ .

(٢) انظر قبل : ص ١٤٨-١٤٩ .

(٣) ابن أعثم : الفتوح ، م ٢٤٤/٤ - مجهول : العيون ، ٥٤/٣ قال : خطبهم وفرش لهم فى كل يوم درهمين ، وأخبرهم أنه كتب إلى الخليفة ليطلق يده فى عطايتهم - الطبرى تاريخ الأمم ، ٥٨٠/٦-٥٨١ .

(٤) ابن أعثم : نفس المصدر والمجلد ، ص ٢٤٣ .

(١)
قبيلة ابن المهلب نفسه . كما أيده بنو مجاشع الذين اشار
حفيظتهم قتل الخيار بن سبرة المجاشعي على يد ابن المهلب ،
وكان أميرا على عمان من قبل عدى ، الى جانب مناوئة
زعمائهم لابن المهلب خشية من عزلهم عن زعامة اخماس
(٢)
البصرة .

وباستقراء الموقف نجد بعض الاضطراب في النصوص
التاريخية ، فبعضها يشير الى مساندة الازد ليزيد واخرى
تقول بولائها لعدى ، وكذلك القبائل الاخرى . الا انه يظهر
لنا ان الازد خاصة وربيعة قد والت ابن المهلب ، الا بعض
الاسر والرجال لعداء قديم او مصالح رئاسية ظلوا على ولائهم
لعدى وحاربوا يزيد ، وكذلك القبائل الاخرى ، نجد بعضها
انضم ليزيد لمصالح مادية او اهدافا رئاسية او خلاف مع عدى
الا انه فيما يظهر ان سواد البصرة الاعظم لم يشارك في ذلك
الصراع بين ابن المهلب والامير عدى بن اوطاة ، على الاقل
قبل غلبة الاول على البصرة وسجنه أميرها ، وهذا ما نستشفه
(٣)
من عدد الذين انضموا اليه ، وعدد من قاتل بهم عدى بعد .

(٤)
وبعد ان جمع عدى رجاله عزم على محاربة ابن المهلب ،
فاستعد لحربه ، ونظم مابين دار الامارة والمربد الخيل
والرجال ، وكتب الى الخليفة يزيد بن عبد الملك يعلمه بخلع
ابن المهلب له . فكتب اليه الخليفة يأمره باخذ ابن
(٥)

-
- (١) محمد شعبان : الثورة ، ص ١٦١ .
(٢) ناجي حسن : القبائل ، ص ١٥٦ .
(٣) كان عدد الذين انضموا اليه ثلاثة آلاف . (انظر قبل : ص ١٤٨) .
(٤) ابن اعثم : الفتوح ، م ٢٤٣/٤ .
(٥) مجهول : العيون ، ٥٤/٣-٥٦ . لم يرد معنا ما يثبت خلع
ابن المهلب للخليفة قبل حربه لعدى واستيلائه على
البصرة ، الا اذا كان عدى اعتبر استعداد ابن المهلب
للحرب مخالفة للخليفة ، وأرى المؤلف قد حمل النص
أكثر من معناه . وهذا ما يستفح من سياق الاحداث .

(١) المهلب . وكنا قد ذكرنا نزول ابن المهلب جبانة بنى يشكر
 وهو المنتقم فيما بينه وبين القصر ، وكان بعد مسيره لحرب
 عدى قد أمر بتخريب ظلال السوق وهدم الدكاكين واستعد للحرب
 فجاءت عديا بنو حميم وقيس وأهل الشام ، وخرج على جمعهم
 هريم بن أبى طحمة الى المربد . فوقف فى القلب فى حنظلة
 وسعد . وكانت محاربة عدى لابن المهلب فى شهر رمضان من نفس
 العام . وفى هذه الاثناء خرج السמידع الكندى وكان يرى رأى
 الخوارج ، واصحاب يزيد وعدى مطفون للقتال ، فاعتزل ،
 ومعه ناس من القراء ، فقال طائفة منهم رغبنا بحكم السמידع
 فدعاه يزيد الى نفسه ، فاجابه واستعمله على الابله ، فاقبل
 (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧) (٨)

-
- (١) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ٣١٠/٢ (ولعل الخليفة
 اراد تعطيل ابن المهلب بحرب عدى له حتى يعد جيش
 الشام ويرسله اليه) .
 (٢) انظر قبل : ص ١٤٩ .
 (٣) مجهول : العميون ، ٥٤/٣ - ٥٦ .
 (٤) الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٨١/٦ - ابن اعثم : الفتوح ،
 م ٢٤٣/٤ - ٢٤٦ (قال : خرج اليه عدى فى اهل الشام ومن
 جاءه من اهل البصرة . والصحيح ان عديا لم يخرج اليه
 بنفسه باذى الامر ، وانما خرج بعد هزيمة اصحابه
 واقتراب يزيد من القصر ، كما سئرى ذلك فى الصفحات
 التالية) - ابن الاثير : الكامل ، ١٦٨/٤ (وذكر هو
 والطبرى خروج بنو عمرو بن حميم من اصحاب عدى الى
 المربد ، ولعلهم كانوا اول من نزل به قبل تكامل
 اصحاب عدى فيه مع هريم ، فبعث اليهم ابن المهلب دارس
 مولى حبيب بن المهلب ، فهزمهم) .
 (٥) هريم بن عدى (ابى طحمة) بن حارثة بن الشريد بن مرة
 المجاشعى الدارمى التميمى ، من فرسان حميم فى العصر
 الاموى ، قاتل الازارقة مع المهلب ، ثم كان مع عدى بن
 ارسطاة فى حرب ابن المهلب ، واخذ اللواء يوم سورا فى
 حربه ايضا ، كان شجاعا كيسا ، عاش بعد ذلك وكبر ،
 توفى سنة ١٢٠هـ . (الزركلى : الاعلام ، ٨٢/٨) .
 (٦) مجهول : نفس المصدر والجزء ، ص ٥٤ - ٥٦ .
 (٧) اليعقوبى : نفس المصدر الجزء والصفحة .
 (٨) الابله : بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى فى زاوية
 الخليج الذى يدخل الى مدينة البصرة وهى اقدم من
 البصرة . (ياقوت : معجم ، ٧٧/١) .

(١) على النعيم . ولعل العداء للبيت الاموى قد جمع بينهما ، كما ان فى هذا اشارة الى ان الخوارج كانوا ينشدون من وراء بعض حركاتهم الدنيا ونعيمها . وتدانى القوم ، فبعث اليهم يزيد محمد بن المهلب وابن عمه المهلب بن العلاء بن ابي صبرة فى الف رجل وقيل بل محمد والمشمعل الشيبانى ودارم مولى حبيب بن المهلب ، فاقتتلوا ، وهزم اصحاب عدى ، وكان قد مال الى يزيد اثناء القتال بشر بن حاتم بن سويد بن منجوف واصحابه ، واعان ابن المهلب ، فشكر ووصل . وتمقب ابن المهلب القوم اثر انهزامهم حتى دنا من القصر ، فخرج اليه عدى بنفسه ، الا انه انهزم واصحابه . وكان هذا النصر لابن المهلب فى اليوم الثانى من القتال ، بعد هزيمة رجال عدى الذين بعثهم عند مسجد الانصار ، وفى كل ناحية . وقد لجأ عدى بعد هزيمة اصحابه وهزيمته هو امام القصر الى دار الامارة ، فتسلقوا عليه الدار ، واخذوه ، واقبل ابن المهلب حتى وقف على باب الدار ولم يدخلها ، واخرج اليه اخوته الذين كانوا فى سجن عدى ، فاطلق قيودهم . وكان امتناهم عن دخول الدار ، ليكون الامر شورى على حد زعمه ، فنزل دار

-
- (١) الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٨٣/٦ .
 (٢) ابن اعثم : الفتوح ، م ٢٤٣-٢٤٦ .
 (٣) مجهول : المميون ، ٥٦-٥٤/٣ .
 (٤) عن حرب ابن المهلب لعدى انظر / الطبرى : نفس المصدر والجزء ، ص ٥٨١-٥٨٢ - مجهول : نفس المرجع ، ٥٦-٥٧/٣ .
 ابن اعثم : نفس المصدر والجزء والصفحة - ابن الاثير : الكامل ، ١٦٩/٤ .
 (٥) الطبرى : نفس المصدر والجزء والصفحات - ابن الاثير : نفس المصدر والجزء ، ص ١٦٨-١٦٩ .
 (٦) مجهول : نفس المصدر والجزء ، ص ٥٦-٥٨ - الطبرى : نفس المصدر والجزء والصفحات - ابن اعثم : نفس المصدر والمجلد ، ص ٢٤٥ - ابن الاثير : نفس المصدر والجزء والصفحة - نبيه عاقل : تاريخ خلافة بنى امية ، ص ٣٠١ =

(١) سلم بن زياد بن أبي سفيان ، المجاورة للقصر . فامر بسجن
عدى وبعض من اخذ من اصحابه ، (٣)
عدى من ابن المطلب عندما توثب على البصرة . لكنه خبر
يبطله إجماع جل المصادر على سجنه وبقائه في الحبس حتى
مقتله في واسط على يد معاوية بن يزيد في أعقاب هزيمة أبيه
في العقر . ويزيد من ضعف الخبر وروده في مصادر ثلاثة
متأخرة ، يوهنها مخالفتها تسلسل الأحداث المؤيد لمن قال
بسجنه . وقد تمكن سادات أهل البصرة من قيس وحميم ومالك بن
المنذر ، من العرب ، بعد ظهور ابن المطلب ، فلحق بعضهم
بالكوفة ، والبعض الآخر بالشام . (٥)

وهكذا تم ليزيد بن المطلب في سنة ١٠١هـ الاستحواذ على
البصرة ، واخذ عاملها أسيرا ، بعد حصار وقتال طويل . (٦)

- = (لكنه يقدم خبرا شاذاً ، يشير فيه الى حدوث مناوشات
بين المقاتلة المساجين وحرسهم ، انتهت بتمكنهم من
الافلات والعرب من سجن عدى . فلم نجد لذلك أصلاً في
المصادر التي اطلعنا عليها ، والتي أجمعت على
إخراجهم من السجن على يد أخيه بعد تغلبه على عدى) .
(١) قال ابن أمثم في كتابه الفتوح ، م ٢٤٥/٤ أنه نزل دار
أم محمد بنت عبد الله بن عثمان الثقفي . وهذا تعارض
إلا أنه قد لا يكون هناك تناقض ، فقد تكون هذه المرأة ،
زوجه ، أو أمه . لأن الرجل كانت إقامته في البصرة حتى
وفاته بها (سنة ٧٣هـ) . انظر ترجمته في : (الزركلي :
الاعلام ، ١١٠/٣) .
(٢) الطبري : تاريخ الأمم ، ٥٨١/٣ - ابن الأثير : الكامل ،
١٦٩/٤ (لكنه حرق سلم إلى سليمان) - ابن خلدون :
المعبر ، ٧٧/٣ (وحرق اسم سلم إلى مسلم) .
(٣) الطبري : نفس المصدر ، ٥٨٢-٥٨٣ - المسمودي :
التنبيه ، ص ٢٧٧ - مجهول : العيون ، ٥٨/٣ - ابن كثير
البدائية ، ط ١ ، ٢٤٤-٢٤٥ - ابن الأثير : نفس المصدر
والجزء والمفحة .
(٤) الذهبي : المعبر في خبر من غير ، ١٢٤/١ - الياقبي :
مرآة الجنان ، ٢٤١/١ - ابن العماد : شذرات ، ١٢٤/١ .
(٥) الطبري : نفس المصدر والجزء ، ص ٥٨٣ - ابن الأثير :
نفس المصدر والجزء والمفحة - مجهول : نفس المصدر
والجزء ، ص ٦٦ - ابن خلدون : نفس المصدر والجزء
والمفحة .
(٦) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٣١٠/٢ - ابن كثير : نفس
المصدر والطبعة والجزء ، ص ٢٤٤ - ابن خلكان : وفيات
٣٠٣/٦ .

وإذا ما أردنا تفسيراً لهزيمة عدى أمام ابن المهلب ،
لوجدنا فى ثنايا أخبار القتال بين الرجلين بعض وجوه ،
ولعل أولها تخاذل أهل البصرة عن نصره أميرهم ، فإن كان
العدد الذى انضم الى يزيد قليلا إلا أن من اعتزل القتال هو
سواد الناس ، وكانت قلوب عامتهم خصوما من اليمن مع ابن
المهلب . ومع ذلك فإنه يظهر أن ابن المهلب لم يكن مرغوبا
من الجميع ، بالذات من العلماء وبعض الزعامات والمضرية ،
وذلك لمعرفة حقيقته وماعهد سليمان عنهم ببغداد وان كان
قد استهوى بعض أهلها بالمال والسلطان .^(١)

أما لما تركوا عديا إذا ، فلعل التزامه بالروح
الإسلامية فى سياسته المالية فى مثل ذلك الظرف فى عرب
العراق ، الذين لم يكن للمال بدىلا يجمعهم حول عدى ، فهم^(٢)
المناوئون لحكومة الشام تعصبا للعراق ومجده المندثر ، أو
المحاربون لها باسم الأحزاب والقوى المعارضة التى كان
العراق مسرحها ، فلم يكن العراقيون يوما مناصرين لبنى أمية
إلا لمصالح يضمنونها فما وجدوها عند عدى ، أو تحت رهبة أمير
قوى وجيش شامى يفرض سيادة الدولة والانقياد لطاعتها . فما
كان عدى تلك الشخصية ، كما أن أحداث الحركة قد بينت بجلاء
قلة الجند الشامى . الذى قد يكون الخليفة عمر بن عبد
العزيز قد سحب جلده ، لأنه وطد سلطانه بالعدل وكانت سياسة^(٣)
السلم شعار حكمه خارجيا وداخليا . وقد دعاهم الى هذا
الموقف خشيتهم من تعصب الخليفة لقيس ، وعودة سياسة الحجاج
من جراء ذلك ، صاحب ذلك كره القراء للخليفة يزيد لما

(١) نبيه عاقل : تاريخ خلافة بنى أمية ، ص ٣٠١ - يوسف
العش : الدولة الأموية والأحداث التى سبقتها ومهدت لها
ابتداء من فتنة عثمان ، ص ٢٧٩ .
(٢) يوسف العش : نفس المرجع ، ص ٢٨٠ .
(٣) محمد شعبان : الثورة ، ص ١٥٣-١٥٤ - يوسف العش : نفس
المرجع والمفحة .

(١)

سمعوا عنه من سوء السيرة .

ومع ذلك لانغفل العوامل الأخرى ، فخيانة بعض رجاله
 أثناء القتال كابن المنجوف الذي مال هو وأصحابه إلى ابن
 المهلب فاعانه ، وخبرة يزيد العسكرية ، ساعدت في النهاية
 على انتصار ابن المهلب ، وسيطرته على البصرة .

خروج يزيد بن المهلب على الدولة وأخذ البيعة لنفسه :

بعد ظهور ابن المهلب أقام يومه ذاك ، فلما أصبح نودي
 في الناس ، فاجتمعوا في المسجد وخطبهم قائلاً : انا غضبنا
 لكم فانظروا لانفسكم رجلاً يحكم فيكم بالعدل والسوية ، ويقيم
 فيكم الكتاب والسنة ويسير فيكم بسيرة الخلفاء الراشدين ،
 وحشهم على الجهاد ، زاعماً ان جهاد أهل الشام أعظم شواهاً
 من جهاد الترك والديلم . وهكذا خرج على الخلافة ، ودعا إلى
 التبرؤ من بني أمية . وقيل دعاهم إلى سيرة عمر بن الخطاب
 فبايع الناس يزيد بن المهلب على كتاب الله وسنة رسوله صلى

-
- (١) يوسف العش : الدولة الأموية ، ص ٢٧٩ ، ٢٨٠ .
 (٢) مجهول : الميرون ، ٥٦/٣ - ٥٧ . وانظر قبل : ص ١٥٣ .
 (٣) مجهول : نفس المصدر ، ٥٨/٣ - ٥٩ . الطبري : تاريخ الأمم
 ٥٨٧/٦ - ابن الأثير : الكامل ، ١٧٠/٤ .
 (٤) الطبري : نفس المصدر والجزء والمفحة - ابن أعثم :
 الفتوح ، م ٢٤٦/٤ - ابن الأثير : نفس المصدر والجزء
 والمفحة .
 (٥) الذهبي : تاريخ الإسلام ، ٨٦/٤ - الأربلي : خلاصة الذهب
 المسبوك مختصر من سير الملوك ، تصحيح مكى السيد جاسم
 مكتبة المثنى ، بغداد ، ص ٦٩ - المقدسى : البدء ،
 ٤٧/٦ .
 (٦) الذهبي : نفس المصدر والجزء ، ص ١٥٠ - والعبر في خبر
 من غبر ، ١٢٤/١ - السافعي : مرآة ، ٢٤١/١ - ابن
 العماد : شذرات ، ١٢٤/١ .

(١)
الله عليه وسلم . وكانت بيعته : تبایعون على كتاب الله
وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وعلى ألا تطأ الجنود بلادنا
ولا بيضتنا ، ولا يعاد علينا سيرة الفاسق الحجاج ، فمن بايعنا
على ذلك قبلنا منه ، ومن أبى جاهدناه ، وجعلنا الله بيننا
وبينه ، ثم يقول : تبایعون ؟ فإذا قالوا نعم ، بايعهم .^(٢)

وبتحقق هذه النصوص ، نجد ابن المطلب يعلن الخروج على
الحكم الأموي ، ومحاربة الوجود الشامي في العراق ، وإقامة
حكم اقليمي على أساس الشريعة الإسلامية ، أيده من حضر
بالبيعة له ، لكن ذلك لم يعتمد حتى الآن حدود ذلك . فلم
يخلع الخليفة ، ولم يتعرض لسيادة الدولة فيما عدا العراق
كما أنه لم يرم الخلافة لنفسه ، وهذا ما سنرى حدوثه مع تطور
الفتنة وتنامي قوته .

يؤيد ما ذهبنا إليه ما أضافه ابن أعثم إلى خطبته في
الناس حيث يقول : "ولست أقول أنني خليفة" .^(٣)

لكن البيعة لم تكن عامة ، فقد عارضه البعض ، كالحسن
البصري ، وكثير من أهل الشرف والسيادة ، إذ حضر الحسن إلى^(٤)

(١) ابن أعثم : الفتوح ، م ٢٤٦/٤ - مجهول : المعيون ، ٥٩/٣ .

(٢) الطبري : تاريخ الأمم ، ٥٩٢/٦ - ابن كثير : البداية ، ٢٤٦/٩ ، ١٦ .

(٣) نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٤) الحسن بن أبي الحسن يشار البصري ، أبو سعيد ، مولى
زيد بن ثابت الأنصاري ، وقيل في ولاته غير ذلك ، تابعي
كان سيد أهل زمانه علما وعملا ، وهو شيخ أهل البصرة ،
من رواة الحديث ومن القراء والمفسرين ، وكان مجاهدا
كاتباً ، وكان عالماً جامعاً رفيعاً ، فقيهاً ، ثقة حجة
مأموناً ، عابداً ، ناسكاً ، فصيحاً ، نشأ بوادي القرى
وسكن البصرة ، لم يكن يخشى في الحق لومة لائم ، تولى
الكتابة والقضاء ، وله أخبار وفضائل ومآثر . ولد سنة
٢١هـ ، وتوفي بالبصرة سنة ١١٠هـ . (الذهبي : سير ،
٥٨٨-٥٦٣/٤) .

المسجد وسمع مايدعو اليه ابن المهلب ، فانكر قوله ، وأشار الى سوء سيرته عندما كان فى خدمة بنى أمية ، مخذلا الناس مع ابدائه عدم الرضى عن اهل الشام ، لكن ابن المهلب لم يلتفت اليه ، ولم يرد قوله الناس عن الالتفاف حول يزيد .
 (١)
 اذ ان بعضا من القراء قد ناصر ابن المهلب ، كالنضر بن انس (٢) ابن مالك ، الذى ايد يزيد ودعا الناس الى اجابته .

بعدها خرج ابن المهلب من المسجد وبين يديه الاعلام (٤) وقد احدث به الناس ، فتحول الى دار الامارة ، وكان الناس قد سلموا له بيت المال بعد أن بايعوه ، فوجد فيه عشرة آلاف

-
- (١) عن موقف الحسن هذا انظر / الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٨٧/٦-٥٨٨ - مجهول : العيون ، ٥٩/٣ - ابن اعثم : الفتوح ، ٢٤٧/٤ (وقال : أن الحسن لم يجد رايه فى اهل الشام عندما سألوه ، ودخل منزله ، وكأنه يشير بذلك الى اعتزاله الفتنة) - ابن الاثير : الكامل ، ١٧٠/٤ - ابن خلكان : وفيات ، ٣٠٤/٦ - الذهبى : سير ، ٥٠٦/٤ .
- (٢) النضر بن انس بن مالك الانصارى ، ابو مالك البصرى ، تابعى ثقة له احاديث ، قيل كان فيمن خرج الى الجماجم وذكر الطبرى انه فيمن خرج مع ابن المهلب أيام خروجه على يزيد بن عبد الملك . مات قبل أخيه موسى ، والحسن البصرى . (ابن حجر : تهذيب ، ٣٨٩/١٠) .
- (٣) الطبرى : نفس المصدر والجزء ، ص ٥٨٧ - ابن الاثير : نفس المصدر والجزء والمفحة - ابن اعثم : نفس المصدر والجزء ، ص ٢٤٦-٢٤٧ الا أن ابن خلدون يشير الى انكار النضر كالحسن لما يدعو اليه ابن المهلب . ومتابعة الناس لهما فى النكير (العبر ، ٧٨/٣) . لكننا لم نجد هذا القول عند غيره ، وهو مخالف لمن سبقه ، كما أن الاحداث لم تشر الى انكار الناس ومخالفتهم ابن المهلب بل اتبعه أكثرهم .
- (٤) ابن اعثم : نفس المصدر والمجلد ، ص ٢٤٧ . الا أنه يشير فى نمه الى وجود الشاعر القطامي مع ابن المهلب وارتجازه امامه بأبيات من الشعر ابان خروجه من المسجد لكننا نجد عند الطبرى ، ما يخالف ذلك ، حيث يشير الى أن القطامي كان ممن بعثهم الخليفة يزيد من الشام ليسكنوا اهل الكوفة ، وأنه شارك فى معركة العفر الى جانب مسلمة بن عبد الملك ضد ابن المهلب . نفس المصدر والجزء ، ص ٥٨٥ .
- (٥) مجهول : نفس المصدر والجزء والمفحة .

(١)
الف درهم ، فأخذها وفرقها في الناس ، ثم خندق على
(٢)
البصرة .

وهكذا تم له الاستيلاء على البصرة ، بعد هزيمة أميرها
واسره ، ونجاحه في جمع أهلها حوله .

استيلاء ابن المهلب على ماحول البصرة :

لما استوثق الأمر ليزيد في البصرة ، بعث عماله على
الاهواز وفارس وكرمان ومكران والسند والهند وماجاورة من
بلاد فاحتوى عليها ، فاستعمل زياد بن المهلب على عمان
وأشعث بن عبد الله على البحرين ، وهلال بن عياض على الاهواز
ومحمد بن المهلب على فارس ، ووداع بن حميد على قنذا بيل ،
(٤)
(٥) (٦)
والمنهال بن أبي عيينة على جزيرة بركوان .

-
- (١) ابن أعثم : الفتوح ، م ٢٤٦/٤ .
(٢) مجهول : العميون ، ٥٩/٣ .
(٣) ابن أعثم : نفس المصدر والجزء والمفحة .
(٤) قنذا بيل : مدينة بالسند ، وهي قبضة لولاية الندبة .
ياقوت : نفس المصدر ، ٤٠٢/٤ - وقال لسترنج أنها من
أعمال طوران وتعد قبضتها ، ص ٣٧٠ .
(٥) بركاوان : بالفتح ، والسكون ، ناحية بفارس . (ياقوت :
معجم ، ٣٩٩/١) . ولم يقل جزيرة كما ذكر صاحب العميون .
(٦) مجهول : نفس المصدر والجزء والمفحة - عبد الرحمن عبد
الكريم المعاني : عمان في العمور الإسلامية الأولى ،
ودورها في المنطقة الشرقية من الخليج العربي وفي
الملاحة والتجارة الإسلامية ، رسالة دكتوراه ، لم تطبع
مقدمة إلى آداب جامعة بغداد ، ١٩٧٥ م ، ص ١١٠-١١١
(أشار إلى ولاية زياد على عمان ، وأضاف أنه قتل
الخير بن سبرة المجاشعي عامل الحجاج وطلبه ، وكان
الخير قد أضر بالآزد ، ويرجع ذلك إلى الروابط التي
تربط يزيد بآزد عمان ، ولشعر الأمويين بهم ، مما أوجد
له سندا شعبيا ، حتى القبائل الأخرى لم تعارفه ، وقد
يكون ذلك لمعاملته الطيبة لهم ، أو لسيطرته على
مناطق ذات ارتباط وثيق بعمان كالبصرة ، ولأنه لا يحمل
عقائد مذهبية ، مما جعلهم يؤيدونه ، أو على الأقل لم
يعارضوه . إلا أن الأمويين أعادوا سيطرتهم على عمان
بعد القضاء على ثورة ابن المهلب .

(١)

كما بعث مدرك بن المهلب الى خراسان ، وكان عليها عبد الرحمن بن نعيم الأزدي ، فلما وصل الى رأس المغازة ، حرض ابن نعيم عليه تميمًا ، فخرجوا يستقبلونه ، فلحق بهم الأزدي ، ومنموه منهم ، الا انهم مع ذلك لم يوافقوه على الدخول الى خراسان ومساندته ، بل أرادوا أن ينصرف حتى ينجلي أمر أخيه ، فان نصر كانوا أسرع الناس اليه ، مبدين عواطفهم نحو آل المهلب . فرأى الانصراف عند ذلك ، وترك خراسان .^(٢) الا أن موقف عبد الرحمن بن نعيم الناتج من حرمه على مركزه ، لا يمثل موقف أزدي خراسان ، الذين اظهروا تأييدهم للحركة . ومع ذلك فقد فسد تطلع ابن المهلب الى خراسان ، الذي كان في ضمه اليه ما يجعل من الجبهة الشرقية للدولة الإسلامية بما فيها من امكانيات القوة وحدة واحدة تحت سلطة ابن المهلب ، يواجه بها سلطان الخلافة في الغرب . افسد هذا التطلع موقف عرب خراسان والأزدي خاصة ، الذين وان منعوا مدرك من تميم ، وابدوا تعاطفهم مع ثورة أخيه ، الا انهم في النهاية لم ينصروا الحركة ولم ينضموا اليها ، إذ انهم بدلا من أن يسفلوا طريق مدرك الى خراسان ، صدوه عنها ان تقديم المصلحة والمافية على الانحياز للعممية ظاهرة هامة في تاريخ تلك الفترة ، كما أن انضمام فئة من الجيش

(١) مدرك بن المهلب بن أبي صفرة ، قائد من الشجعان ، ولد سنة ٥٣هـ . قال كعب بن معدان : لا يستحي الشجاع أن يفر من مدرك ، له أخبار في حروب أبيه مع الأزارقة . توفي سنة ١٠٢هـ . (الزركلي : الاعلام ، ١٩٧/٧) .

(٢) الطبري : تاريخ الأمم ، ٥٨٥/٦ - ٥٨٦هـ - ابن الأثير : الكامل ، ١٧٠/٤ - ابن كثير : البداية ، ١٥ ، ط ١ ، ٢٤٥/٩ - ابن خلدون : العبر ، ٧٨/٣ - نافع العبود : آل المهلب ص ٨٢ .

(٣) نافع العبود : نفس المرجع والمفحة .

الشامى الى حركة يزيد ، يعتبر ظاهرة مميزة لتلك الحقبة ، وقد يكون عرب خراسان الذين ارتفعهم سياسة عمر لم يجدوا مبررا للحركة ، خاصة ان الخليفة يزيد اقر لهم حتى ذلك الحين ، الوالى الذى ميله عمر . وقد يكون لسياسة ابن المهلب التى عرفوها ومقتوها أثناء ولايته على خراسان ، زمن سليمان بن عبد الملك ، والمتمثلة فى اهمال رجال القبائل ، والتصرف الحر المتعسف فى اموال يعتبرونها حقا لهم ، الى جانب تحيزه وتفضيله للجند الشامى ، دور كبير فى عدم الاستجابة ليزيد ، والبقاء على الولاء للبيت الاموى ممثلا فى عامله عبد الرحمن بن نعيم . اما الازد خاصة فقد يكون لوقوف تميم ضدهم ، حائلا دون مناصرة الحركة ، لأن الغلبة والكثرة فى خراسان لتميم ، كما هى للازد فى البصرة ، كما عرف الازد بولائهم للخليفة الاموى ، فانهم من وقفوا فى وجه قتيبة بن مسلم عندما اراد خلع الخليفة سليمان والباوا عليه مفر .^(١)

وان كنا قد وجدنا تفسيراً لموقف عرب خراسان السلبي وازدها خاصة نحو حركة يزيد بن المهلب ، الا ان جند الشام فى موقفه من الحركة وانضواء فئة منه الى ابن المهلب ، يعد ظاهرة جديدة وخطيرة ، اذ لم يعرف اهل الشام الا عمادا للبيت الاموى وسر سيادته ، بولائهم الشام ، لخليفة دمشق او ممثله فى اى قطر وامام اى خصم . ولعل اعتماد ابن المهلب أثناء ولايته على العراق وخراسان زمن الخليفة سليمان على الجند الشامى وتمييزه فى توزيع الفنائم وغيرها ، جعل له فى

(١) محمد شعبان : الثورة ، ص ١٦٣ .

(٢) محمد شعبان : نفس المرجع ، ص ١٤٥ .

(٣) ابن الاثير : الكامل ، ١٤٠/٤ .

(٤) ابن الاثير : نفس المصدر والجزء ، ص ١٣٩-١٤٠ .

(٥) محمد شعبان : نفس المرجع والصيغة .

لغوسهم مكانة دفعتهم الى الانقواء تحت لوائه ، ولما ستره
الحركة من مكتسبات في حالة نجاحها ، خصوصا بعد فقدانهم
خاصية التمييز في ظل سياسة عمر الرامية الى عدم الاعتماد
على جند الشام في حكم الدولة وفرض سيادتها على اقاليمها .
(١) وقد ولي يزيد بن المهلب شرطته عثمان بن الحكم الازدي
وكان قد بسط العدل في الناس ، وبذل الاموال . ولعله اراد
(٢) ان يقدم للعراقيين ما افتقدوه جل العمر الاموي ، لعلهم اذا
ما خشوا فقد هذه المكتسبات ، وقفوا وراء من قدمها لهم ،
وهكذا تالفهم ، وهياهم للذود عن حركته الا انه كما رفض هذه
الحركة بمعنى رؤساء اهل البصرة ، بالوقوف الى جانب عدي في
(٣) حرب ابن المهلب ، والخروج منها بعد انهزامه ، نجد ان فئات
ورجالا من مجتمع البصرة ، كـ بعض علمائها ، ممثلين في شيخ
البصرة آنذاك ، الحسن البصري ، الذي كما رأينا انكاره على
ابن المهلب ما يدعو اليه بعد ظهوره على عدي ، واعتزاله
الفتنة في بيته ، فائنا نجده يدعو الى ترك القتال معه
باعتباره جائرا ، وان هدفه السلطة والمملحة ، كما انه ليس
(٤) القائد اللائق للجيعة المعارضة للحكم الاموي . ونحن نقول ان
المصادر قد اتفقت على ان الحسن البصري قام بتخذيل الناس
(٥) عن ابن المهلب ، بل وخطب الناس وحط من شأنه . الا ان من
المؤكد ان الحسن البصري لم يكن يوما ما في حزب معارضة حتى
يرى بان ابن المهلب غير لائق لقيادة المعارضة او كفوا لها

-
- (١) مجهول : العيون ، ٥٩/٣ .
(٢) ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٤٤/٩ .
(٣) انظر قبل : ص ١٥٤ .
(٤) محمد نمر الله : تطور ، ص ٢٥٥-٢٥٦ .
(٥) الذهبي : دول الاسلام ، ٥٣/١ .

وقد ساءت العلاقة بين الرجلين حتى هم يزيد بهرب الحسن
 البصرى حتى الموت ، لولا خوفه من علو قدره فى المصر وفعله^(١)
 وهذا مادفعه الى منع احد قومه من قتل الحسن ، وقد غشوا
 مجلسه ، الذى فيما يبدو انه نال منهم فيه ، وذلك خوفا من^(٢)
 انقلاب الناس عليه . لذا فانه من الصعب تصديق القول^(٣)
 باستعمال ابن المهلب الحسن البصرى على قضاء البصرة ، ان^(٤)
 يشير وكيع الى القول بتوليته القضاء عند خروج ابن المهلب
 منها لقتال مسلمة ، فقبلها الحسن ، فقد لزم الحسن بيته
 بعد خروج يزيد ، وأنكر بعض اهل العلم صحة ذلك الخبر .^(٥)
 وكان لقادة الفقيه موقف كموقف الحسن ، فقد ذهب الى
 تنقص ابن المهلب والذيل منه ، فقيدته ، وبعث به الى الاهواز^(٦)
 فظل محبوسا حتى قتل يزيد فاخرج .

الا ان تلك المعارضة لاتقلل من الاهمية الكبيرة
 والخطورة السياسية والادارية ، والقوة العسكرية التى
 تحققت لابن المهلب ، باستيلائه على البصرة ، والاقاليم
 المجاورة ذات الملة بها . ولعله اول من احس بذلك ، مما
 قوى نفسه ، ففدت تحدثه بالخلافة وان يزيد بن عبد الملك

-
- (١) مجهول : العيون ، ٦٦/٣ .
 (٢) محمد أمين صالح : العرب والاسلام من البعثة النبوية
 حتى نهاية الخلافة الاموية ، مكتبة نهضة الشرق ،
 القاهرة ، ١٩٨٠م ، ص ٣٦٨ .
 (٣) نافع العبود : آل المهلب ، ص ٨٦ .
 (٤) اخبار القضاة ، تصحيح عبد العزيز المراغى ، المكتبة
 التجارية ، مصر ، مطبعة الاستقامة ، طبعة أولى ،
 ١٣٦٦هـ ، ٣٠٨-٣٠٣/١ .
 (٥) قتادة بن دعامة بن قنادة بن عزيز ، أبو الخطاب ،
 السدوسى البصرى ، مفسر حافظ ، ضرير أكمه ، كان يرى
 القدر ، مات بواسط فى الطاعون (سنة ١١٨هـ) . (الزركلى
 الاعلام ، ١٨٩/٥) .
 (٦) مجهول : نفس المصدر والجزء والمفحة .

(١)
ليس أحق بها منه .

خلع ابن المهلب للخليفة يزيد بن عبد الملك وروحه الخلافة :

أقدم يزيد بن المهلب على خلع الخليفة يزيد بن عبد
الملك ، وكان ذلك عندما خرج إلى المملى يوم عيد الفطر
— سنة ١٠١هـ — وشتم بنى مروان ، بل رام الخلافة لنفسه ،
ونجد ذلك عند حاشيته ، فحظية له تسلم عليه بامرة المؤمنين
فينشدها :

رويدك حتى تنظري عم تنجلي

(٥)
عماية هذا العارض المتألق

(٦)
لكن الذهبي ينقل لنا أن ابن المهلب ، دعا إلى نفسه ،

-
- (١) مجهول : العيون ، ٦٥/٣ .
(٢) ثابت اسماعيل الراوى : العراق فى العصر الاموى ، من
الناحية السياسية والادارية والاجتماعية ، رسالة
ماجستير مطبوعة ، مكتبة الاندلس ، بغداد ، الطبعة
الثانية ، ص ٢١٦ — الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٧٨/٦ —
المسعودى : مروج ، ٢١٠/٣ — المسعودى : التنبيه ،
ص ٢٧٧ .
(٣) نافع العبود : آل المهلب ، ص ٨٠ .
(٤) الذهبي : أسماء الذين راموا الخلافة ، نشر ملاح الدين
المنجد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، لبنان ،
الطبعة الثانية ، ١٩٧٨ م ، ص ٩-١٠ — ابن خلكان :
وفيات ، ٣٠٣/٦ .
(٥) نساجى حسن : القبائل ، هامش ٤ ، ص ١٥٤ (واشار أن ذلك
كان من أحد الأزد ، لاحظيته) — ابن خلكان : نفس المصدر
والجزء والمفحة .
(٦) الذهبي : نفس المصدر والمفحة ، وهامش (١) . (كما اضاف
قال قره عن ابن سيرين قال : القحطاني حق ، ولكنه من
قريش . وروى ابن أبي ذيب عن المعدى ، عن أبي هريرة
مرفوعا : لا تقوم الساعة حتى يسوق الناس رجل من قحطان
ويروى نحوه شور بن زيد ، عن أبي الغيث ، عن أبي
هريرة . وروى الزهرى ، عن محمد بن حبان وعبد الله بن
عمرو : سيملك رجل من قحطان) — اليافعى : مرآة ،
٢٤١/١ — الذهبي : تاريخ الاسلام ، ١٥٠/٤ — ابن العماد
شذرات ، ١٢٤/١ .

وتسمى بالقحطاني ، ونعيب رايات سوداء . فكان ممن بويغ له
 بالخلافة في ايام بني أمية ^(١) . بل اننا نجد اخبارا من نوع
 آخر ، فيذكر انه دعا الى الرفا من بني هاشم ، ^(٢) وانه وجه
 الى علي بن عبد الله بن عباس يدعو الى القيام بالامر ،
 وان عليا اجابه " ان رايت الا تذكر اسمي حتى الى مايمير
 اليه امرك ، فان ظفرت صنعت ماتريد وان كان غير ذلك لم تكن
 ذكرت اسمي " ^(٣) . وقد شكك العبود في هذه الرواية لكون الدعوة
 العباسية سرية تعتمد على كتمان اسم الامام ، اذ يرى انه من
 المستبعد ان يضع علي بن عبد الله يده في يد ابن المهلب ،
 ويطلب اليه القيام بالامر . ونحن نقول : ان ابن المهلب لو
 صحت هذه الرواية التي ندخلها ، لبحث عن رجل علوي ، اذ ان
 الناس في ذلك التاريخ لم يكونوا يشايعون الا آل علي دون
 العباسيين ، الذين هم انفسهم كانوا يدركون هذا ومن اجله
 عموا على الناس في دعوتهم السرية ، بالدعوة للرفي من آل
 محمد ^(٤) ، كما انه ليس من المنطق ان يقدم يزيد ثمرة جهده
 للعباسيين وليس لهم فيه ادنى جهد .

ويقال : ان يزيد دعا المغفل بن عبد الرحمن بن العباس

-
- (١) ابن العبراني : الانباء ، ص ٥٥ .
 (٢) نافع العبود : آل المهلب ، ص ٨٠ (قال لنعلم علاقة بين
 يزيد وبني هاشم ، ولعل ذلك دعاية لثورته وانحاضة لبني
 أمية بتلويحه لهم انه سيحول الخلافة الى الـد خصومهم)
 مجهول : العيون ، ٦٦-٦٥/٣ .
 (٣) نفس المرجع ، ص ٨٤ .
 (٤) عن الدعوة العباسية انظر / مجهول : اخبار العباس
 وولده - الدوري : أضواء جديد على الدعوة العباسية
 مجلة آداب بغداد ، عام ١٩٦٠م - الشيبال : تاريخ
 الدولة العباسية - فاروق عمر : طبيعة الدعوة
 العباسية - شاكرو مصطفى : دولة بني العباس .

ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، الى متابعتة ،
(١)
فتابعه ، ثم حوارى .
(٢)

والدكتور محمد شعبان يذكر محاولة ابن المهلب القضاء
(٣)
على الحكم الاموى ونقل الخلافة الى بنى هاشم ، او ادعاءه
لقب القحطاني ، ويقول ان هذه الاخبار مبالغات خيالية اضيفت
مؤخرا الى حركة يزيد ، ولم يقم الدليل على صحتها ، ويعمل
حركته بانها محاولة لايقاف سياسة الحجاج التوسعية التي يرى
ان عمر يزيد سيكون استمرارا لها ، فلم يجد غير اللجوء الى
العنف وحمل السلاح لايقافها .

ونحن ان كنا وافقناه في بطلان اخبار دعوته للرعى من
بنى هاشم ، فاننا نقول انه ان لم يدع انه القحطاني ، فقد
تكون اشاعة فشت بين اتباعه ، قد يكون مصدرها الازد من
قحطان ، او هو الذي اوحى بها ، دعاية لحركته ، واثافة
عامل معنوى يسندها . اما قوله بعدم رغبته الاطاحة بالحكم
الاموى وروحه الخلافة ، فليس له دليل على ذلك ، ونرى النصوص
التي قدمناها ، وماسياتي من نصوص على لسان الخليفة يزيد
نفسه او مسلمة بن عبد الملك ، وحربهم له ، دليلا كافيا
على صحة مااطلع اليه يزيد بن المهلب من عظيم الامر . كما
ان تحليله للحركة ابعاد ما يكون عن المحة ، فابن المهلب
ذاته كان يوما يدا للحجاج في خراسان ، يمثل سياسته

(١) لم أعثر له على ترجمة . ويبدو انه المفضل بن عبد
الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب
الذي شارك ابن الأشعث في حركته ضد الدولة الاموية ،
وكان له دور بارز فيها . (من أجل ذلك : انظر :
الطبري : تاريخ الأمم ، ٢٤٣/٦ ، ٣٧١-٣٧٢ وما بعدها) .

(٢) مجهول : المعيون ، ٦٦/٣ .

(٣) الثورة ، ص ١٦٢-١٦٣ .

التوسعية ، بل وبعد ذلك فى عهد سليمان ، الذى كان عمره استمرارا لسياسة بنى أمية التوسعية خارجيا ، وان تميزت بالاعتزان داخليا ، ولعل موقف عمر بن عبد العزيز من ابن المهلب ، وعزله ، وسجنه ، دليلا على عدم صلاحه لسياسته السلمية ، وأنه يمثل سياسة الحجاج ومن سايره ، بل كان يقول : هؤلاء - يعنى المهالبة - جبابرة ولا أحب مثلهم . فابن المهلب هرب من سجنه خائفا على نفسه من يزيد بن عبد الملك ثم حارب عدى لينقذ اخوته من سجنه ، ثم خالف يزيد كارها وطامعا ، وخلعه أخيرا ورام الخلافة لنفسه بعد أن آتس القوة والقدرة . دعوة يميزها الاضطراب . وحركة تتنامى فى مراحل يدفع صاحبها تعاضم شأنه واشتداد شوكته .

لذا جاء اعلان ابن المهلب الخروج على الحكم الاموي وخلع الخليفة يزيد بن عبد الملك بعد أن حشد له الازد وغيرهم ، وسيطر بهم على البصرة ، وقد عظم أمره ، واشتدت شوكته . ولعل الظروف التى أعلن فيها حركته تستلزم منه الدخول فى تيار العممية القبليّة والاعتماد على اليمنية ، سيما أن التكتلات القبليّة آنذاك أصبحت تتخذ هيئة أحزاب سياسية .

ثم كتب يزيد بن المهلب الى أخيه زياد عامله على عمان وأمره أن يعرض الناس ، فغرض لثلاثة آلاف رجل واستعمل عليهم

-
- (١) انظر قوله هذا فى : ص ١٣٣ .
 (٢) عواد الاعظمى : مسلمة ، ص ١٩٩-٢٠٠ .
 (٣) ناجى حسن : القبائل ، ص ١٥٣ (نقلا عن المسعودى : مروج الذهب ، ٢١٠/٣) لكنه أرخ لثورته بعام ١٠٢هـ ، والاصح عام ١٠١هـ ، والقضاء عليها سنة ١٠٢هـ (انظر قبل : ص ١٥٦) وبالرجوع الى كتاب مروج الذهب لم نجده أرخ بذلك .
 - مجهول : العيون ، ٦٥/٣ .
 (٤) نافع العبود : آل المهلب ، ص ٨٦ .

(١)

المشمام بن عمر الأزدي ، فقدموا على يزيد بن المهلب .

هكذا اشتعلت الحركة في البصرة ، فاليمانيون كانوا خائفين على أنفسهم حاقدين على الحجاج ، وأهل البصرة كانوا يكرهون سياسة الحجاج ، مع وجود من يدرك مقصد ابن المهلب من حركته كالحسن البصري ، لكنهم لم يستطيعوا عمل شيء كبير (٢) وقد كان هذا الشعور كافيا لقيام الحركة بينهم ، وعدم المسارعة الى اخمادها ، فمع قلة من قام في الحركة من شيعة ابن المهلب ، تحقق لها النجاح في بادئ الامر لعدم من يقف في وجهها . كما أن كرههم لبقاء جند الشام مفروطين عليهم ، ياكلون خراجهم ، ويمتازون عليهم في العطاء ، من أسباب سكوتهم عليها ، وعدم مقاومتها . (٣)

ولم تكن البصرة وحدها قد أعطت البيعة لابن المهلب ، فقد كانت حركته فرصة للمتذمرين من أهل العراق ، ومجالا لمنازلة الدولة الأموية ، فقد بايعه بعض زعماء الكوفة ، وانضموا تحت لوائه ، كما شملت حركته عمان والبحرين والجزيرة . بل نجد ناجي حسن يقول : "باندفاع قبائل الكوفة بارباعها لتأييد ابن المهلب بكل ماتملك" . (٤) إلا أن الواضح

-
- (١) مجهول : العيون ، ٦٦/٣ .
 (٢) انظر قبل : ص ١٥٧-١٥٨ ، وبعد : ص ١٧٩ .
 (٣) يوسف العضي : الدولة الأموية ، ص ٢٧٩-٢٨٠ .
 (٤) نافع العبود : آل المهلب ، ص ٨١ .
 (٥) شابت السراوي : العراق ، ص ٢١٧ (نقلا عن الطبري / تاريخ الأمم ، ١٥١/٨ - وانظر بعد : ص ١٨٠ لوجود ما يخالف ذلك) .
 (٦) القبائل ، ص ١٥٦-١٥٧ (وأضاف : كان لربيعة دور كبير في مساندة ثورة ابن المهلب) .

ان انضمامهم اليه كان بعد خروجه من البصرة لحرب مسلمة والعباس ، وهو الذى بعث الرجال على ارباعها ، بل انه سعى الى ان تكون ارض المعركة بالقرب من الكوفة ، حتى يتمكن الناقمون فيها على بنى امية من الانضمام اليه ، وهذا ما حدث بعد نزوله العقر . كما ان الامر ليس بما يوحيه النص ، فلم ينضم اليه كامل اهل الكوفة بل اناس من ارباعها . تسلموا اليه ، فقد استطاع الامويون منع ابن المهلب من الوصول اليها ، وتمكنوا من بقائها بأيديهم ، وقاتل بعض اهلها مع مسلمة^(١) . اذ ان حركته لم تلق تاييدا جماعيا من قبائل العراق ، كالذى لقيته حركة ابن الاشعث لاختلاف دوافع الحركة فى الحالين ، اذ كانت حركة ابن المهلب ، وليدة عدااء شخصي لذلك لعبت العصبية دورها ، فناصرت الازد وحليفاتها ربعة ابن المهلب ، وناصر جل مضر الخليفة يزيد وعامله . على ان دوافع هذه الحركة لم تكن قبلية خالصة لذا كان معه نفر من مضر ، كما وقفت طائفة من اليمانية فى صفوف بنى مروان كآل مخنف فى الكوفة الذين عرفوا بولائهم للبيت الاموى^(٢) .

وقد يعود فشل ابن المهلب فى استقطاب اهل الكوفة والبصرة واشرافهما اليه ، كما استطاع ابن الاشعث ، الى السياسة السليمة التى اتبعها ولاة عمر بن عبد العزيز فى حالف اهل العراق ، لاسيما وان الخليفة يزيد لم يعمد الى

(١) انظر ذلك فيما بعد ، فى ثنايا الاخبار التى تلت نزول ابن المهلب العقر .

(٢) احسان النص : العصبية القبلية واثرها فى الشعر الاموى دار الفكر ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٣م ، ص ٣١٨-٣١٩ .

(١)

عزل اميرى الكوفة والبصرة .

كما اننا نجد اثر العصبية القبلية يحفز بعض الازد
للقوف الى جانب ابن المطلب فى حركته بالبنان واللسان ،
كالشاعر ثابت قطنة ^(٢) ، فبعد وقوفه للدفاع عن مدرك بن المطلب
حين قدم خراسان من قبل اخيه ليدفعها للحركة ، وتمدت له
تميم ، فمنعه الازد ^(٣) . نجده يكتب الى يزيد بن المطلب ،
يحرشه على بنى امية مؤيدا خروجه كغيره ممن نفخوا فيه ،
واثبت فى اسفل الكتاب ابياتا منها :

ان امرءا حدثت ربيعة حوله

والحى من يمن وهاب كنودا

لضعيف ما سمت جوانح صدره

ان لم يلف الى الجنود جنودا

ليزيد كن فى الحرب ان هيبتها

كأبيك لارعشا ولارعديدا

شاورت اكرم من تناول ماجد

فرايت همك فى الحموم بعيدا

(١) نجدة خماش : الشام فى صدر الاسلام (من الفتح حتى سقوط خلافة بنى امية ، دراسة للأوضاع الاجتماعية والادارية) ، رسالة دكتوراه ، نسخة غير مطبوعة ، مقدمة لجامعة دمشق ، كلية الآداب ، قسم التاريخ ، ص ١٢٧ .

(٢) ثابت بن كعب بن جابر العبكي ، من الازد ، من شجعان العرب وأشرفهم فى العصر المروانى ، يكنى أبا العلاء له شعر جيد ، جمعه ماجد بن أحمد السامرائى البغدادى شهد الوقائع فى خراسان سنة ١٠٢هـ ، واصيبت عينه فجعل عليها قطنة فعرف بها ، كان له وقائع مع الترك وظفر بهم ، واستمر معهم حتى قتلوه . (الزركلى : الاعلام ، ٩٨/٢) .

(٣) الهادى حموده الغزى : الشعر الاموى فى خراسان والبلاد الايرانية ، رسالة ماجستير ، مطبوعة ، الدار التونسية للنشر ، مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع ، الكويت ، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م ، ص ١٦٨ .

يا ليت أسرتك الذين تغيبوا
كانوا لأمرك في العراق شعودا
فخرى مواطنهم اذا اختلف القنا
والمشرفية يوقدون وقودا
فلما وردت هذه الابيات على يزيد هش لها ودعته نفسه
الى قتال بنى أمية ، وعزم على ذلك .^(١)
ويلاحظ فيها التفاف ربعة حوله ، وان يزيد استشاره
فاشار عليه بالحرب .
والابيات وردت مجزاة في المراجع ، جمعنا منها ما فيه
الدلالة على ما ذهبنا اليه ، ويظهر انها من قصيدة طويلة .
وراج غيره من الشعراء يعقدون أمره ، وَيَعِدُّونَهُ بالتمكن من
بنى أمية وازالة ملكهم . فيشير يزيد بن الحكم الشقي الى
ذلك بقوله :

ابا خالد قد هجت حربا مريرة
وقد شمرت حرب عوان فشمير
فان بنى مروان قد زال ملكهم
فان كنت لم تشعر بذلك فاشعر
فمت ماجدا أو عش كريما فان تمت
وسيفك مشعور بكفكك تعذر
كما ذهب الكهان الى انه سينقض دمشق حجرا حجرا ، والى
هذا اشار الفرزدق في قصيدته التي مدح بها مسلمة عندما
حارب يزيد بن المهلب ، فقال :

(١) نافع العبود : آل المهلب ، ص ٨٢-٨٣ - الهادي الغزي :
الشعر الأموي في خراسان ، ص ١٦٩ - ابن أعثم : الفتوح ،
م ٢٤٨/٤ .

اتحك جنود الشام تخفق فوقها

لها خرق كالطير حين استقلت

تخبرك الكهان انك ناقض

(١)

دمشق التي كانت اذا الحرب حرت

وفى الخبر اشارة الى انضمام بعض ثقيف الى حركة ابن

المغلب ، مما يؤكد عدم حصر اسباب الحركة في عدااء شخصي

سببه تعذيب ابن المغلب لآل ابي عقيل من ثقيف ، او قيامها

على اساس العصبية القبلية ، اذا ما علمنا ان ثقيف تعد من

(٢)

قبائل قيس عيلان . كما ان فيه ما يوحى بمدى القوة التي وصل

اليها ابن المغلب ، والحالة التي حازتها حركته .

اللقاء على الحركة :

كان لخروج ابن المغلب في البصرة واعلانه خلع الخليفة

يزيد بن عبد الملك مدى واسعا في دمشق واشرا بليغا في نفس

(٣)

الخليفة يزيد ، غير ان اخاه مسلمة بن عبد الملك ، كان يشد

(١) نافع العبود : آل المغلب ، ص ٨٣ - مجهول : العيون ، ٦٨/٣ ، أورد البيت الاول متأخرا ، ومخالفا له في صدره بقوله : اتحك جنود الشام تخفق بالقنا . كما أورد البيت الثاني ، وخالفه في عجزه بقوله : دمشق التي قد كانت الجن جرت .

(٢) نادية حسنى مقر : الطائف في العصر الجاهلي ومدر الاسلام ، رسالة دكتوراه مطبوعة ، دار الشروق ، جدة ، الطبعة الاولى ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، ص ٦١ (نقلا عن ابن قتيبة : المعارف ، ط ٢ ، ص ٤٧ ، ٤٨ . ذكرت ذلك على خلاف لمعرفة ذلك انظر كتب الانساب) .

(٣) مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، الامير القائد الاموي ، يلقب بالجرادة المفراء ، وله فتوحات مشهورة ، اهمها مسيره على رأس مئة وعشرين ألفا لغزو القسطنطينية في دولة اخيه سليمان ، وولاه اخوه يزيد امرة العراقيين ، ثم ارمينية ، وغزا الترك سنة ١٠٩هـ قال الذهبي : كان اولي بالخلافة من سائر اخوته ، ومات بالشام (سنة ١٢٠هـ) . (الزركلي : الاعلام ، ٢٢٤/٧) .

من أزره ويهون الأمر عليه ، فقد دخل مسلمة على أخيه يزيد ،
حين خلعه ابن المطلب ، قرآه في ثوب مصبوغ ، فقال له :
ألبس مثل هذا وأنت ممن قيل فيهم :

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم

دون النساء ولو باتت باطهار

فقال يزيد : إذا ونحن نحارب اكفاءنا من قریش ، فاما
أن ينطق ناعم مزونى ، فلاولاكرامة . قال مسلمة : فسميت^(١)
رائحة الفتح من هذه الكلمة . على كل وان كان فى الرد^(٢)
عنجهية ، الا انه يرمز الى الثقة فى النفس ، وان خالطها
غرور لايحمد فى مثل هذه المواقف .

على أن الخليفة يزيد بن عبد الملك ، اعطى الحركة
ماستحقه من الاهتمام ، وهذا ماالمسناه فى مواقفه منذ
بدايتها . فقد جهز جيشا كبيرا من مقاتلة الشام والجزيرة ،
بلغ عدده ثمانين الفا ، وجعل قيادته لمسلمة بن^(٣)

(١) المزون : عمان ، وهو اسم من اسمائها ، ومعناه ان اصل
ابن المطلب من ازد عمان وقال ابو عبيدة اراد بالمزون
الملاحين وكان ارد شير بن بابك جعل الازد ملاحين بسحر
عمان قبل الاسلام بستمائة سنة . (ياقوت : معجم ، ١٢٢/٥
مجهول : العيون ، هامش ٦٨/٣) .

(٢) عواد الاعظمى : مسلمة ، ص ١٨٥، ٦٣ (نقلا عن / مجهول :
تاريخ الخلفاء ، ص ٣٨٢ - ابن خلكان : وفيات ، ٣٠٩/٦ ،
الا انه بمراجعة كتاب الوفيات (نفس الطبعة) وجدناه
قد ذكر أن الذى قال البيت يزيد وأن الذى رد عليه
مسلمة ، ولم يشر الى قوله : فسميت رائحة النصر ،
لكنى لم اتمكن من الاطلاع على تاريخ الخلفاء لمجهول) .

(٣) اختلفت المصادر فى عدد الجيش الموجه الى ابن المطلب
وتلك ظاهرة اعتدنا عليها فى معادرتنا الاسلامية ، عند
ذكر الاعداد ، ايا كان نوعها ، فقليل سبعون ، وقيل
خمسون ، وقدمنا ماأيده شعر الفرزدق ، اذ يقول :
اتتك جنود الشام تخطر بالقنا

لها خرق كالطير لما استقلت
يقود نواصيها اليك مبارك

اذا ماتمدى للكتيبة ولت =

(١) عبد الملك ، وعلى مقدمته العباس بن الوليد ، وقيل جعله على جند دمشق خاصة . وأمرهما بالمسير الى ابن المهلب ، للقضاء على حركته ، فبعث الخليفة يزيد بن عبد الملك العباس بن

- = من آل أبي العاصي حول لوائه
ثمانون الفا كلها قد اطلت
(انظر / ابن الاثير : الكامل ، ١٦٩/٤ - ١٧٠ - مجهول :
العيون ، ٦٨/٣ - ابن اعثم : الفتح ، ٢٤٨/٤م) .
(١) كان اختيار الخليفة لمسلمة قائدا لجيش الشام ،
اختيارا موفقا ، لما يملكه من قدرة قتالية ، وخبرة
عسكرية . ولعل هناك سببا آخر ، فقد عرف الخليفة ،
رغبة مسلمة في التخلص من ابن المهلب ، عندما أوفد
اليه مروان بن عبد الملك يشير عليه بقتل يزيد بن
المهلب . وقد يعزى ذلك الى اطلاع مسلمة على تصرفاته
التي حاسبه عليها الخليفة عمر ، من خلال ملازمته له
أثناء خلافته . انظر/ عواد الأعظمي : مسلمة ، ص ١٨٧-١٨٨
وهامش (٦) الذي أورد فيه أن الخليفة سليمان كتب الى
مسلمة وهو محاصرا القسطنطينية ، يطلب شخوصه اليه
ليوجهه الى خراسان لمحاسبة ابن المهلب وأخذ الأموال
منه . وان كنا نستبعد خبر سليمان إذ ليس من المنطق
أن يقوم سليمان بنزع مسلمة من قيادة الحملة التي
أعطاهها اهتمامه وكلفت الدولة الكثير من الأموال من
أجل ذلك . كما أن ابن المهلب لم يفسط الخليفة
سليمان لمحاسبته ، فقد عرف بولائه له ، وكتب اليه
بالأموال وعزمه على إرسالها ، وهذا مادفع عمر الى
سجنه عندما أنكرها .
(٢) العباس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان الأموي ،
أمير من كبار القادة ، كان يقال له : "فارس بني
مروان" . قائد الجيش مع عمه مسلمة بن عبد الملك الى
قتال يزيد بن المهلب ، وقد افتتح مدنا وحصونا كثيرة
من بلاد الروم ، فقد ولاه أبوه المغازي أكثر من مرة ،
واستعمله على حمص ، قال المرزباني : كان يتهم في
دينه ، وقد سجنه مروان بن محمد في حران فمات سجيناً
(سنة ١٣١هـ) . (الزركلي : الاعلام ، ٢٦٨/٣) .
(٣) الطبري : تاريخ الأمم ، ٥٨٥/٦ - ابن كثير : البداية
ط ١ ، ٢٤٥/٩ - ابن اعثم : نفس المصدر والمجلد والصفحة
وفي هذا الخبر رد على الراوي الذي أشار في (ص ٢١٧ من
كتابه الموسوم العراق في العصر الأموي نقلا عن الطبري
نفس المصدر ، ١٥١/٨) أن حركة ابن المهلب شملت
الجزيرة . فكيف يسير مقاتلتها مع الشاميين اليه وهي
معه . وبرجوعنا (للطبري : نفس المصدر ، طبعة دار
سويدان ، لبنان ، ١٣٨٤هـ ، ٥٨٥/٦ ، ٥٨٨) لم نجد ذكرا
لذلك ، بل وجدنا مايدل على بقائها تحت سلطان بني
أمية - عواد الأعظمي : نفس المرجع ، ص ١٨٧ .

(١) الوليد على رأس أربعة آلاف فارس ، ليعادرو الى الحيرة قبل ابن المهلب ، ليكونوا محاذين لاهل الكوفة . ثم اقبل مسلمة وجنود اهل الشام ، آخذوا على الجزيرة وعلى شاطئ الفرات ، حتى نزل الانبار ، وقيل بل قدما الكوفة ونزلا بالنخيلة . (٢) وقد يكون ذلك للراحة ، ثم المسير من هناك نحو العقرة . (٣) (٤)

واراد الخليفة ان يقسم الجبهة العراقية ، ويفوت على ابن المهلب محاربة الدولة باهل العراق جميعا ، فارسل رجلا

- (١) وقيل بل سار في عشرين ألف فارس ، واقبل مسلمة في ثلاثين . انظر : ابن اعثم : الفتح ، م ٢٤٨/٤ . والاولى القول الاول . فغالبا ما تكون المقدمة ، وهي من الفرسان ، قليلة العدد خصوصا اذا كانت موجهة الى المسارعة الى شيء .
- (٢) الطبري : تاريخ الامم ، ٥٨٥/٦ - ابن اعثم : نفس المصدر والجزء والمفحة - اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ٣١٠/٢ - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٤٥/٩ - الياقعي : مرآة ، ٢٤١/١ .
- (٣) النخيلة : موضع قرب الكوفة على سمت الشام . (ياقوت : معجم ، ٢٧٨/٥) .
- (٤) عواد الاعظمي : مسلمة ، ص ١٨٩ - ابن الاثير : الكامل ، ١٧٠-١٦٩/٤ (وفيه تفصيل اكثر) - ابن خلدون : العبر ، ٧٨/٣ (والظاهر ان لاختلاف بين القول بنزول مسلمة النخيلة او الانبار ، فيبدو انه نزل النخيلة في قدومه من الشام ثم سار منها الى الانبار عندما سمع بنزول ابن المهلب العقرة ، ومن الانبار عقد جسرا ونزل على يزيد بن المهلب بالعقرة . (انظر بعد : ص ١٨٧) .
- كما يبدو لنا ان مسلمة قد قضى على ثورة شاذي الخارجي بعد نزوله النخيلة من ارض الكوفة ، وقبل توجهه الى ابن المهلب ، حتى لا يترك عدوا قد يطعنه في الظهر ، ويضيق عليه النصر ، اذ تشير المصادر الى ان اهل الكوفة شكوا الى مسلمة ما لقيوه من الخوارج . فبعث اليهم الحرشي فقص عليهم ، وكون مسلمة قد نزل الحيرة بعد قضائه على ثورة ابن المهلب ولم يرجع الى الكوفة فان في ذلك ما يؤيد ما ذهبنا اليه . انظر / الطبري : نفس المصدر والجزء ، ص ٥٧٧ - ابن الاثير : نفس المصدر والجزء ، ص ١٦٧ - ابن كثير : نفس المصدر والطبعة والجزء ، ص ٢٤٤ (وقد جعل القضاء على شاذي سنة ١٠١هـ وهذا يعتمد قولنا ، اذ ان القضاء على ابن المهلب تم سنة ١٠٢هـ) .

(١)
 من أهل الشام منهم القطامي بن الحمين ، الى الكوفة ،
 يسكنون أهلها ، ويثنون عليهم بطاعتهم ، ويفرقون عليهم
 شيئاً من المال ، ويمنونهم الزيادة .^(٢) وان كان مافعله
 الخليفة تجاه أهل الكوفة واجراءات أميرها التي ستحدث
 عنها فيما بعد لم تمنع بعض الكوفيين من الانضمام الى ابن
 المهلب ومساندة حركته . الا أنه فيما يبدو أن ابن المهلب
 قد ضيع من يده فرصة ضم الكوفة اليه ، فلم يسارع بعد ظهوره
 على البصرة الى الاستيلاء عليها ، مع علمه بموقف الكوفة
 التاريخي من حكومة الشام الأموية ، وضعف أميرها ، الذي عجز
 عن الامساك به وهو هارب في أقل من مئة رجل .^(٣) ونتساءل لماذا
 أهمل شأن الكوفة خصوصاً اذا علمنا بأن أخاه حبيب قد أشار

(١) قال الطبري : وهو أبو الشرقى واسم الشرقى الوليد .
 تاريخ الأمم ، ٥٨٥/٦ . وقد ترجم له الزركلي بقوله :
 الوليد (المعروف بشرقى) بن حمين (الملقب بالقطامي)
 ابن حبيب بن جمال ، عالم بالادب والنسب ، من أهل
 الكوفة ، استقدمه المنصور ليعلم ولده المهدي الادب ،
 وكان صاحب سمر (ت نحو ١٥٥هـ) . انظر : الاعلام ، ١٢٠/٨
 وعلى هذا يكون غير القطامي الشاعر عمير بن شبيب .
 انظر ترجمة هذا بعد : الفصل السادس ، المبحث الثاني
 ص ٧١٦ .

وكان قد ذكر أن القطامي كان مع ابن المهلب عقب
 انتصاره على أمير البصرة عدي بن أرطاة (انظر قبل :
 هامش ٤ ، ص ١٥٨) ، وحيث أن القصيدة التي وردت على
 لسان القطامي في المصدرين واحدة ، فالقائل واحد ،
 فهل يكون القطامي ترك ابن المهلب وخرج الى الشام ،
 فبعثه الخليفة الى أهل الكوفة ، أو يكون ذلك لبسا
 حمل على ابن اعثم ، إذ أن القصيدة مألوفة أن يقال لأحد
 اليزيديين ، وهي الى الخليفة أقرب والمصدر السابق هو
 الطبري ، الذي أشار الى أنها في الخليفة ، وأن
 القطامي فيمن بعثه الخليفة الى الكوفة لتسكين أهلها
 إذ كيف ينال رجل لابن المهلب ثقة الخليفة ، وان ترك
 صاحبه .

(٢) الطبري : نفس المصدر والجزء والمفحة - مجهول :
 العيون ، ٦٧/٣ - ابن الأثير : الكامل ، ١٦٩/٤ - ابن

خلدون : العبر ، ٧٧/٣-٧٨ (ولم يذكر القطامي) .
 (٣) انظر قبل : ص ١٣٩ .

(١) عليه بذلك بعد غلبته على البصرة ، فلم يطمعه . وليس لنا أن نقول أن ذلك كان لخوفه أن لا يكون رأى أهلها معه ، فقد ثبت انضمام أناس من أهلها اليه ، وأن رأى بعض زعمائها معه وهذا ما نلّمسه من مشورة أخيه حبيب والشمّام أرباعها اليه بعد خروجه لحرب مسلمة . وعلى كل فقد سهل ذلك من مهمة جيش الشام ، وأضعف من قوة ابن المهلب وهون من شأنه .

وعندما بلغ يزيد بن المهلب خروج جيش الشام اليه ، استخلف على البصرة مروان بن المهلب ، ثم خرج بأصحابه (٢) قاصدا الكوفة حتى نزل بنهر معقل ومعه الأموال والآلة والسلاح فعسكر هناك . وقد استشار يزيد أصحابه حين توجه نحو واسط ، (٣) بعد خروجه من البصرة ، فأشار عليه حبيب بن المهلب أن يأتى فارس فيتحمن بها ، فيدنوا من خراسان ، فإن حقق ما يريد والا أتى خراسان ، فأبى ذلك ، فأشار حبيب وكان قد دعاه بعد ظهوره على البصرة أن يأخذ الكوفة ، فما أطاعه ، أن يبعث خيلا تبادر الى الجزيرة ، ثم يلحق بهم ، فإن أهل الشام لن

-
- (١) الطبري : تاريخ الأمم ، ٥٨٨/٦ .
 (٢) الطبري : نفس المصدر والجزء والصفحة - ابن أعثم : الفتوح ، م ٢٤٩/٤ - مجهول : العيون ، ٦٩/٣ - اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، م ٣١٠/٢ - ابن كثير : البداية ، ط ١ ٢٤٥/٩ - ابن خلكان : وفيات ، ٣٠١/٦ (خالف ذلك ، وقال استخلف على البصرة ولده معاوية بن يزيد ، وهذا ليس وقع فيه ، فاستخلفه لابنه معاوية كان على واسط وليس البصرة ، وهذا ما سيأتى ذكره في الصفحات التالية) .
 (٣) ابن أعثم : نفس المصدر والمجلد والصفحة - مجهول : نفس المصدر والجزء والصفحة - اليعقوبي : نفس المصدر والمجلد والصفحة - المسعودي : مروج ، ٢١١-٢١٠/٣ - المسعودي : التنبيه ، ص ٢٧٧-٢٧٨ .
 (٤) واسط : عدة مواضع ، والمقصود هنا مدينة واسط التي بناها الحجاج ، وقد سميت بذلك لتوسطها بين البصرة والكوفة والمدائن والأموار ، وقد بناها الحجاج زمن عبد الملك بن مروان ، بين سنتي ٨٤-٨٦ ، وسماها واسطا (ياقوت : معجم ، ٣٤٧/٥-٣٤٨) .

يسيروا اليه ويتركوا جنده في الجزيرة وراءهم ، فيقيمون عليهم ، فيأتيهم يزيد ، الذي سيأتيه من بالموصل من قومه ويجتمع اليه اهل العراق والشفور ، فيقاتلهم وقد جعل العراق وراء ظهره ، لكنه كره ان يقطع جيشه . فإشار عليه^(١) أخوه محمد ان يقاتل باهل البصرة ، لكن حبيب نصحه بعدم الركون اليهم ، وانهم غير مقاتلين معه ، ثم نصحه بالخروج الى الموصل ليدعو عشيرته التي بها ، فرأى ذلك قربا من العدو ، الذي سيقاقله في بلاده ، وأخيرا ارتأى يزيد لنفسه ان يأتي واسطا ، ثم يقترب من الكوفة ، فيرتاد مكانا صالحا للمعركة ، راجيا بذلك ان ينضم اليه من اهل الكوفة مثل من^(٢) معه .

لم يكن ابن المطلب مخطئا عندما رفض اللجوء لفارس ، اذ لن يحقق ذلك اغراضه ومراميه الكبيرة ، فهو ليس شائرا عاديا يطمع في قليل من المال او السلطان ، او النجاة بنفسه . كما ان حربه باهل البصرة لا يكفي لمواجهة جيش قوى ، خصوصا اذا علمنا انقسام اهلها على طاعته وان سكتوا عن

(١) الطبري : تاريخ الامم ، ٥٨٨/٦ - ٥٨٩ - ابن الاثير : الكامل ، ١٧٠/٤ - ١٧١ (وأورد اسم حبيب محرفا ب "خبيب") مجهول : العيون ، ٦٩/٣ - ابن اعثم : الفتح ، ٢٤٨/٤ - ٢٤٩ (الا انه اشار الى ان هذه الاستشارة حدثت قبل خروجه من البصرة وسماعه بخروج مسلمة اليه) . والحقيقة وان كان قد خالف الاجماع ، الا ان مشورة اخوانه تدل على عدم علمهم بخروج جيش الشام . وان حذر ابن المطلب كان من واقع الدراية والخبرة ، وان اهل الشام لم يتركوه حتى ذلك الوقت ، فخشي المفامرة ، وكان حذره في مكانه .

(٢) مجهول : نفس المصدر والجزء والصفحة - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٤٥/٩ (لكنه ذكر ان هذه المشورة كانت بعد نزوله واسط ، وأنه اشير عليه بالاهواز ، او الجزيرة) .

حركته . ويبدو أن ابن المهلب قد رأى أن الوقت قد فات على الوصول إلى الجزيرة أو الموصل ، وأن قسم جيشه مغامرة ، قد تكون لصالح جيش الشام الذي قد اقتررب من العراق ، بل وعجل بمقدمته إلى الحيرة لقطع الطريق على ابن المهلب من الوصول إلى الكوفة فكيف بغيرها .

نزول ابن المهلب مدينة واسط :

لذا سار يزيد بمن معه حتى نزل واسط^(١) ، وقد قدم في عشرين ألفاً ، وكان قد احتمل معه عدى بن أرمطة ومن حبه معه ، فسجنهم بها^(٢) . وفي هذه الاثناء كان مروان بن المهلب يحث الناس في البصرة على حرب أهل الشام ، ويسرحهم إلى يزيد ، وكان الحسن البصري يردهم عن ذلك ، درءاً للفتنة ، ولئلا يتكرر ما حدث من قتال طويل أيام ابن الأشعث ، ازهق فيه كثير من النفوس ، فلما بلغ ذلك مروان ، تهدد الحسن في خطبته ، فغضب له أهل البصرة ، وعزموا على منعه أن اراده مروان بسوء فابى عليهم الحسن ، واشتد مروان عليهم ، واخذ أناساً منهم ، ثم خلاهم ، وفرقهم . إلا أن الحسن لم يدع كلامه وكف عنه مروان^(٣) . ولعل ذلك عندما أحس الخفاف أهل القطر

(١) الطبري : تاريخ الأمم ، ٥٨٩/٦ - ابن الأثير : الكامل ،

١٧١-١٧٠/٤ - ابن أعثم : الفتح ، م ٢٥٠/٤ - ابن كثير البداية ، ط ١ ، ٢٤٥/٩ - ابن خلدون : المعبر ، ٧٨/٣ .

(٢) مجهول : العيون ، ٦٩/٣ .
(٣) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٣١٠/٢ - مجهول : نفس المصدر والجزء والمفحة .

(٤) الطبري : نفس المصدر والجزء ، م ٥٩٣-٥٩٤ - ابن الأثير نفس المصدر والجزء ، م ١٧٣-١٧٢ - ابن أعثم : نفس المصدر والمجلد والمفحة - مجهول : نفس المصدر والجزء والمفحة - ابن كثير : نفس المصدر والطبعة والجزء ، م ٢٤٦ - ابن خلدون : نفس المصدر والجزء والمفحة .

حولته ، وغلبهم له .

أما يزيد فإنه لما بلغه اقبال مسلمة والعباس في جند الشام والجزيرة ، استقدم أخاه محمداً من فارس فقدم عليه ^(١) ، ولعل في انضمام جيش الجزيرة الى جند الشام ما يفسر اختلاف بعض المصادر حول عدد جيش الدولة ، ففعل بعضها ذكر عدد الجيش الشامي قبل انضمام جند الجزيرة والاخرى ذكرت العدد بعد انضمامه ، ثم اخذ يزيد يعد جيشه معنويًا ويستشير فيهم النزمات التي دفعت كثيرًا منهم الى قتال اهل الشام ، فخطب فيهم في واسط ، وقال : "يا اهل العراق يا اهل السبق والسباق ومحاسن الاخلاق ، ان اهل الشام في افواههم لقمة دسمة قد رتبتم لها الاثاق وقاموا لها على ساق وهم غير تاركيها لكم بالمرء والجدال ، فالبسوا لهم جلود النمر" ^(٢) . اننا لن نجد عناء في فهم ما يرمى اليه ابن المقلب ، الا وهو استجاشة كره المراقبين وحسدكم للشاميين على السلطة التي تمتعوا بها والثروات التي ادرتها عليهم ، بتمييزهم على من سواهم ، باعتبارهم جند الدولة المخلصين ويد سلطانها ، بل ان في الخطبة ما يبين اهداف الحركة الحقيقية ، والنزعة الاقليمية التي وراءها .

وهي في حقيقة الامر تدل على ذكاء ابن المقلب حين شخص السداء ووصف له الدواء ، فكان مداها كبيرًا باندفاع الناس اليه على مختلف مشاربهم ، وهي محاولة من القبائل اليمنية للمحافظة على سيطرتها في المنطقة التي تمت بجهود آل

(١) مجهول : العميون ، ٦٩/٣ .

(٢) نافع العبود : آل المقلب ، ص ٨٩ - شابت الراوى : الراوى ، ص ٢١٧-٢١٨ .

المغلب ، بعد ان لاحظت بوادر ذهابها لصالح القيسية على يد زعيمها المتطرف يزيد بن عبد الملك .^(١)

الا اننا نكف قد تفسير الاحداث على اساس التعصب القبلي فان كان يزيد قد اعتمد على الازد وحليفاتها ربيعة ، الا ان حركته شملت سائر القبائل بمشاربها المختلفة ، ولعل هذه الخطبة تؤيد مذهبنا اليه ، ويرد على تفسير ناجي حسن لها فهو ينادى اهل العراق يمنيهم ومغربيهم ، باسم الاقليمية والدوافع المادية ، كما ان الخليفة يزيد بن عبد الملك حتى ذلك الحين لم يخبين اتجاهه وموقفه من العممية القبلية .

اختيار المقر ارضا للمعركة ونزوله فيه :

وفي فترة اقامة ابن المغلب في واسط ، وجه اخوته يختارون له مكانا للمعركة ، فاختاروا المقر .^(٢)

(١) ناجي حسن : القبائل ، ص ١٥٤ .
(٢) المقر : عدة مواقع منها مقر بابل قرب كربلاء ، من الكوفة ، قتل عنده يزيد بن المغلب في (سنة ١٠٢هـ) وكان خلع طاعة بني مروان ، ودعا الى نفسه ، فندب له يزيد اخاه مسلمة ، فوافقه بالمقر من ارض بابل ، فاسفرت الحرب عن قتل ابن المغلب . (ياقوت : معجم ، ١٣٦/٤) . وعنه نضيف : ومنها المقر القرية بين تكريت والموصل ، او المقر القرية الواقعة على طريق بغداد الى الدسكرة ، او المقر القلعة الحصينة في جبال الموصل ، او مقر السدن من قرى الشرطة بين واسط والبصرة . وهذا التعدد للاماكن المسماة بهذا الاسم ، هو ما وقع بعض المؤرخين في خطأ تحديد الموقع ، خصوصا انها مختلفة المناطق وجعلها في ارض العراق ، مما ادى الى اللبس على غير المدقق . وقد ذكر المؤرخ المجهول في كتابه العيون (٧٠/٣) : ان المقر من ارض سورا بين المدائن والكوفة . وحيث ان سورا : موقع بالعراق من ارض بابل وهي مدينة السريانيين ، قريبة من الوقف والحلة المزيديية . (انظر / ياقوت : معجم ، ٢٧٨/٣) . وقد نقل فتحى عثمان من تولدكه : انها معقل قرب بابل القديمة . (انظر : الحدود الاسلامية البيزنطية ، ص ١٠٩ ، ١١٠) . فاننا نرجح انها من بابل ، اذ لا خلاف بين المصادر : فالمقر من ارض سورا ، وسورا من بابل ، وهي من الكوفة ، واقعة بين المدائن والكوفة .

وفى ذلك يقول الفرزدق :

هلا زجرت الطير ان كنت زاجرا

(١)
فداة نزلت العقير انك تعقر

(٢)
وكان قد اقام فى واسط اياما يسيرة حتى تكامل عسكره .

فلما عزم على الخروج منها للقاء مسلمة والعباس ، استخلف ابنه معاوية وترك عنده بيت المال والاسرى الذين اخذهم بالبصرة فى حربه مع عدى بن اوطاة . ثم خرج بجيشه مطلع سنة ١٠٢هـ ، وقدم بين يديه اخوه عبد الملك ، ثم سار حتى مر بضم النيل ، ومنه سار حتى نزل العقير من ارض بابل ، وعزم على محاربة القوم . والظاهر ان يزيد لم يرد ان يتحرك العراق امام جند الشام الذين تقدموا نحوها ، واراد ان يسبقهم الى الكوفة قدر الامكان ، الا ان قوات الدولة كانت قد سبقته فتوقف فى آخر سنة ١٠١هـ عند عقير التي تواجه فارط قرب بابل القديمة . (٤)

-
- (١) مجهول : الميرون ، ٧٠/٣ .
(٢) الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٨٩/٦ - ابن اعثم : الفتح ، م ٢٥٠/٤ - ابن الاثير : الكامل ، ١٧١/٤ - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٤٥/٩ .
(٣) نافع العبود : آل المهلب ، ص ٨٩ (وقد ذكر انه كان قامدا الكوفة فوجد اهل الشام سبقوه اليها فنزل للعقر عند كربلاء) . (نقلا عن الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٩٠-٥٩١/٦ - مجهول : الميرون ، ٦٦/٣) - ابن اعثم : نفس المصدر والجزء والمفحة - ابن كثير : نفس المصدر والطبعة والجزء والمفحة .
وهو الوحيد الذى ارخ لمسيره .
(٤) فتحى عثمان : الحدود ، ص ١٠٩-١١٠ (خالف ابن كثير فى تاريخه لمسير ابن المهلب الى العقير ونزوله فيها ، ونحن نرجع قول ابن كثير ، ان اقامة مسلمة ويزيد فى العقير قبل المعركة ، ثمانية ايام فقط ، اى ان مسلمة وصل العقير قبل المعركة التى حدثت ١٣ صفر او ١٥ صفر على خلاف بثمانية ايام . اى فى خامس صفر او سابعه وحيث انه لم يسر اليها ، الا بعد علمه بنزول ابن المهلب فيها ، وكان فى النخيلة من ارض الكوفة =

ونجد أن فتحى عثمان ، ونافع العبود ، ذهبا الى ان ابن المطلب خرج من واسط قامدا الكوفة محاولا ان يسبق اهل الشام اليها ، فلما وجدهم سبقوه اليها ، نزل العقير ،^(١) ويبدو لنا انه غاب عنهما تلك النصوص التى اشرنا اليها قبل^(١) والتى توضح ان ابن المطلب قد وضع خطة مسيره من قبل دخول واسط ، وانه عزم ان يعسكر قرب الكوفة ، عسى ان ينفذ اليه بعض اهلها ، وانه بحث من واسط من يختار له ارضا سالحة للمعركة ، فوقع الاختيار على ارض العقير ، وهذا يبطل ماذهب اليه ، فقد كان نزوله العقير اختيارا لاضطرارا . نعم لقد حاول يزيد بعد نزوله العقير ضم الكوفة اليه فلم يوفق ، وهذا ماسنطالعه فى الصفحات التالية .

وقعة سورا :

وبعد ان نزل ابن المطلب العقير ، حاول الاستيلاء على الكوفة ، فوجه اخاه عبد الملك اليها ، فاستقبلهم العباس ابن الوليد عند "سورا" ليمدهم من الكوفة ، وكان فى اربعة آلاف سوى من انضم اليه من اهل البصرة وعلى راسهم هريم بن ابي طحمة ، وقد اضطرهم اصحاب عبد الملك الى نهر ، فاستنجدوا باهل الشام وسالوهم الا يسلموهم ، فكر الشاميون ، وهزم اصحاب ابن المطلب ، حتى انتهى بهم عبد الملك الى اخيه فى

* والمصافة ليست بالبعيدة ، فهذا يرجح ان يزيد نزل العقير فى المحرم من سنة ١٠٢هـ (عن اقامة الفريقين قبل المعركة فى العقير ، انظر / الطبرى : تاريخ الامم ٥٩٥/٦ - ابن الاثير : الكامل ، ١٧٣/٤ - ١٧٤) .
(١) انظر قبل : ص ١٧٧-١٧٨-١٨١ .

(١) المعقر . وان كانت معركة سورا وقعة جانبية ، الا ان خسارتها تعنى فiasco المحاولة الاولى لابن المهلب في الوصول الى الكوفة ، بينما ادت الى ارتفاع الروح المعنوية لجيش الدولة ، والشك في قدرة جيش ابن المهلب القتالية .

ثم عقد ابن المهلب لعبد الله بن حيان العبدى على أربعة آلاف وسم اليه لغيل بن هناد وسالم المنكوف في خيل فعبروا الى جانب المراة الاقصى ، فعمسرو في جمعه وخندق عليه فقطع اليهم مسلمة الماء وسعيد بن عمرو الحرشي ، وقيل بل عبر اليهم الوفاج ، فكانوا بازائهم . (٢) الا ان المؤرخ المجهول قال : ان مسلمة وجه اليهم الحرشي ، فاقتتلوا وقتل عبد الله بن حيان ، وكان لائل الشام كمين خرج عند جولة المراقبين فانهزموا ، حتى اتوا يزيد بن المهلب في المعقر وهكذا كانت المناوشات الاولى في صالح الشاميين ، وعلى اثرها تبدد أمل ابن المهلب في الوصول الى الكوفة ، واتضح

(١) مواد الاعظمى : مسلمة ، ص ١٩٠ (وقد ذكر مخطئا ان العباس ابن عم مسلمة ، والمصحح انه ابن اخيه الوليد) مجهول : الميرون ، ٧٠/٣-٧١ (الا انه ذكر ان يزيد وجه اخاه محمدا وابنه الممارك ، وليس عبد الملك ، وذلك حين اقترب منه اهل الشام ، ولم يقل نحو الكوفة ، ووافق الاعظمى وابن الاثير في كون اللقاء حدث بسورا ، وأحداشه) - ابن الاثير : الكامل ، ١٧١/٤ .

(٢) اعتبر ابن كثير ان معركة سورا لقاء بين مقدمتي الجيشين ، على اثره تم اللقاء الحاسم ، لكن الواضح انها معركة مستقلة حيث ان جيش ابن المهلب قد استقر في المعقر ، وماكان رجاله الذين غاضوا معركة سورا ، الا في حملة ذات هدف محدد وهو الاستيلاء على الكوفة ، فمضت ، وانتهى الامر ، وتحت المعركة الفاصلة في المعقر بعيدا عنها بعد ذلك . (انظر : البداية ، ط ١ ، ٢٤٥/٩-٢٤٧) .

(٣) الطبري : تاريخ الامم ، ١٩١/٦ - مجهول : نفس المصدر والجزء ، ص ٧١ .

(٤) نفس المصدر والجزء والمفحة .

ضعف قوته .

ولكن أهل الكوفة التي لم يستطع ابن المطلب الوصول إلى مدينتهم ، استطاعوا الوصول إليه ، فقد اجتمع إليه كثير من الكوفيين وبعض زعمائهم ، وانضم إليه ناس من الثفور ، فبعث على أرباع أهل الكوفة الذين خرجوا إليه رجالا ، إذ جعل على ربع أهل المدينة عبد الله بن سفيان بن يزيد بن المغفل الأزدي ، وبعث على ربع مذجع وأسد النعمان ابن إبراهيم بن الأشتر النخعي ، وبعث على ربع كنده وربيعه محمد بن اسحق بن محمد بن الأشعث ، وبعث على ربع تميم وهمدان حنظلة بن عتاب بن ورقاء الحميمي ، وجمعهم جميعا مع المغفل بن المطلب^(١) . وهذا يرد على من قال بعدم خروج أهل الكوفة لمساعدة ابن المطلب ، وذلك لاختفاء الأشتر الشيمي^(٢) . مع أن الرد عليه جانباً آخر ، وهو أن الكوفيين على رأس المراقبيين الذين غالباً ما حركتهم الخزعة الاقليمية ضد الشاميين ، والكراهية للامويين ، مع الأخذ في الاعتبار بالتأثيرات المادية والمطامح الشخصية والخارات القديمة ، وتلك كفيلة بانضمام أهل الكوفة إليه أو بعضهم ، كما أننا قد رأينا من قال بدعوة ابن المطلب في حركته للفرس من بني هاشم^(٣) ، وأن كنا قد استبعدنا مثل هذه المقولة ، وقد يكون

(١) الطبري : تاريخ الأمم ، ٥٩١/٦ - ٥٩٢ - ابن الأثير : الكامل ، ١٧٢/٤ - ابن خلدون : المعبر ، ٧٨/٣ (إلا أنه لم يشر إلى ضمهم إلى المغفل ، وأحداث المعركة حسنة القول الأول) .

(٢) ثابت الراوي : المراق ، ص ٢١٨ (ولنا أن نقول : أن شيعة الكوفة ، قد ساندوا ابن الأشعث ، ولم يكن في حركته (الأشتر الشيمي) ، عن حركته وموقف الكوفة منه (انظر : الطبري : نفس المصدر ، ٣٣٤/٦ وما بعدها) .

(٣) انظر قبل : ص ١٦٥ .

هذا التسلل الكوفي الى ابن المهلب في العقرب مادما امير الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن ، ان يلج على الكوفة مناظر وارصاد لتحسين اهل الكوفة عن الخروج الى يزيد بن المهلب ، بل وعسكر بالنخيلة . كما أغرق الارض بالمياه بين الكوفة وابن المهلب ، لئلا يعمل اليها . اما ابن المهلب فقد استمر توافد الناس اليه فانضم اليه عامر بن الميمثل الازدي في جمع وبايعة . ولقد احصى ديوان ابن المهلب مائة وعشرين الفا ، الا ان ابن المهلب كان يرى ان اكثرهم ليسوا من اهل القتال ، فكان يتمنى ان يكون معه بدلا منهم قومه الذين بخراسان . وهذا ماامناه من اقوال الحسن البصري في البصرة فانه عندما لم ير من يعرفهم فيمن انضم الى ابن المهلب من اهل السيادة والشرف ، قال هؤلاء والله الفناء . كما اتضح ذلك من نتائج المناوشات

- (١) الطبري : تاريخ الامم ، ٥٩٢/٦ - ابن الاثير : الكامل ، ١٧٢/٤ - ابن خلدون : المعبر ، ٧٨/٣ - مجهول : الميون ٧٠/٣ ، لكنه لم يذكر المناظر والارصاد .
- (٢) الطبري : نفس المصدر والجزء والمفحة .
- (٣) عواد الاعظمي : مسلمة ، ص ١٩١ . وقد همش معلقا على مآدار من محاورة حول رأي ابن المهلب في جيشه مع بعض رجاله ، بانها تعطى انطبعا بما يسود جيش ابن المهلب من تخوف وتردد وضعف الروح القتالية ، والخوف من فشل الحركة كما فشل ابن الاشعث - ابن الاثير : نفس المصدر والجزء والمفحة - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٤٦/٩ - ابن اعثم : الفتوح ، م ٢٥١-٢٥٠/٤ . مخالف العدد قال : دنت عساكر الشام في خمسين ألف ، ويزيد يومئذ عن عشرين ألفا . ونحن لانظمن لمن قال ان جيشه بلغ (١٢٠ ألف) ، لكننا ايضا لانوافق ابن اعثم على العدد الذي اشار اليه ، فقد ذكر المؤرخ المجهول : ان ابن المهلب قدم واسطا في عشرين ألفا . انظر : نفس المصدر ، ٦٩/٣ . وقد ثبت لنا انضمام كثير من اهل الكوفة اليه ، واناس من اهل الثغور ، وبعض الازد ، وغيرهم ، وذلك بعد نزوله العقرب ، الى جانب من سار معه من واسط ، وهذا يعني ان العدد قد زاد عن العشرين ألف بكثير ، لكنه بالتأكيد لم يبلغ ١٢٠ ألفا .
- (٤) الطبري : نفس المصدر والجزء ، ص ٥٨٧ .

الأولية ، وهذا ماسيؤكدده انقباضهم السريع وتخاذلهم من ابن
المغلب في العقبر . وبلغ مسلمة بن عبد الملك نزول ابن
المغلب العقبر ، فاقبل يسير على شاطئ الفرات حتى نزل
الأنبار ، فمقد جسرا على الفرات ، فعبر من قبل قرية فارط ،
بجيش الدولة وقد خلف الاثقال ، فاقبل حتى نزل على يزيد .
وعلم بذلك العباس ، فاقبل من الحيرة حتى نزل على مسلمة ،
الذي خندق عليه خندقين ، وجعل على الخندق حائط وضع عليه
رجال من رماة النبل .

وخشى ابن المغلب ان يصل الشاميون بخندقهم الى خندقه
ورأى ان يبيتهم ، اى ان يفاجئهم بالهجوم ليلا ، وذلك
بمشورة بعض آلهم ، الا ان من كان معه من القراء ، قالوا :
لايحل لنا ذلك حتى ندعومهم .

- (١) الأنبار : عدة مواضع - المقصود منها هنا - مدينة على
الفرات في غربي بغداد بينهما عشرة فراسخ ، فتحت على
يد خالد بن الوليد (سنة ١٢هـ) في زمن الخليفة ابي بكر
الصديق ، عمرها سابور بن هرمز ، ثم جدها ابو العباس
السفاح . (ياقوت : معجم ، ٢٥٧/١ - ٢٥٨) .
- (٢) عواد الامظى : مسلمة ، ص ١٨٩ . وقد اورد في الحاشي
تمليق فلها وزن على طريق مسلمة بقوله : ولما كانت
الأنبار على الضفة الشرقية ، فلا بد ان يكون مسلمة قد
سار أولا من هناك من عند بلدة "القاراط" الى الغرب ،
ثم قفل راجعا الى الضفة الشرقية ، كما فعل قحطبة بن
شبيب الطائي (نقلا عن فلهاوزن : تاريخ الدولة
العربية ، ٣٠٧/١) - فتحت عثمان : الحدود الإسلامية
البيزنطية ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ص ١٠٩-١١٠
ابن الاثير : الكامل ، ١٧٢-١٧١/٤ - ابن اعثم : الفتوح
م ٢٥٠/٤ - مجهول : العيون ، ٧١/٣ - ابن خلدون : العبر
٧٨/٢ (وحرف كلمة الأنبار الى "الأنهار") .
- (٣) ابن اعثم : نفس المصدر والجزء والصفحة .
- (٤) مجهول : نفس المصدر والجزء والصفحة .
- (٥) الطبري : نفس المصدر والجزء ، ص ٥٩٨ .
- (٦) مجهول : نفس المصدر والجزء والصفحة .

ثم دعا يزيد برؤوس اصحابه ، وبين لهم رايه في ان يبعث مع محمد بن المهلب اثني عشر الف رجل ، يبببتوا مسلمة وجيشه ، فيدفعون خندقهم ، ويقاقلوهم بقية ليلتهم ، بينما يزيد يمدد بالرجال ، فاذا اصبح نفض اليهم بالناس ، فيناجزهم ، راجيا ان يكون في ذلك النصر . فقال السميذع : قد دعوناهم الى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وقد زعموا قبوله ، فليس لنا ان نمكر ولانفدر ، ولا نريدهم بسوء ، حتى يردوا علينا ما زعموا قبوله منا . فايده ابو روبة المرجئي ، وحذرهم يزيد بان ذلك دهاء من مسلمة حتى يمكن بهم ، فابوه . وقد امد عبد الحميد بن عبد الرحمن امير الكوفة مسلمة ببعث من اهل الكوفة عليهم سيف بن هاني ، الحميداني ، فاثني عليهم لطاعتهم ، الا انه استقلهم ، فبعث اليه عبد الحميد ببعث اكبر عليهم سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف الازدي ، فغم اليه مسلمة من كان عنده من اهل الكوفة ، لطاعة اهل بيته وولائهم للبيت الاموي ، ونلاحظ هنا ان قيادة البعثين من الكوفة يمنية ، مما يؤكد ان العممية لم تكن المحرك الوحيد لمن انضم الى ابن المهلب ، او خالفه . وفيما يبدو ان عدم سيطرة عبد الحميد بن عبد الرحمن على الكوفة ، بعجزه عن منع اهلها من الانضمام الى حركة

(١) عواد الاظمي : مسلمة ، ص ١٩٣ (وقد علق على ذلك ان موقف السورمين زاد من ضعف جيش ابن المهلب ، وتصدع وحدته) - ابن اعثم : الفتوح ، م ٢٥١/٤ (وقد اورد عدد الجند المقترح للخطبة ثمانية آلاف) - ابن الاثير : الكامل ، ١٧٢/٤ .

(٢) الطبري : تاريخ الامم ، ٥٩٢/٦-٥٩٣ - مجهول : العيون ، ٧٠/٣ (وقد ذكر امداده ببعث بدون ذكر اسم اميره) - ابن الاثير : نفس المصدر والجزء والصفحة (لم يشر الى بعث الحميداني) - ابن خلدون : العبر ، ٧٨/٣ (اشار فقط الى بعث سبرة ، وحرقه بمبرة) .

ابن المهلب ، كما عجز من قبل من القبض على ابن المهلب نفسه عندما مر بالقرب من الكوفة ، وتسيير عدد لا يتناسب مع عدد الكوفيين الى مسلمة ، قد دعا مسلمة الى عزله وتولية محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة ، ذو الشامة ، أميراً على الكوفة .^(٢)

أما الفريقان في العقر فقد أقاما ثلاثة أيام ليس بينهم حرب ، ومسلمة بن عبد الملك يدعو ابن المهلب الى حقن الدماء ، والرجوع عما هو عليه ، عل أن يوليه واخوته أي بلد شاءوا ، ويزيد يابى ذلك . بل أن مسلمة سعى من ناحية أخرى أن يثير البلبله والشك في صفوف خصمه ، بإبطال بعض ما ادعاه ، فقد كتب مسلمة اليه : "انك والله ما انت بصاحب هذا الامر ، صاحب هذا الامر مغمور موتور ، وانت مشهور فير موتور" . فقال له رجل من الازد قدم ابنك مخلص حتى يقتل فتمير موتورا .^(٣)

والظاهر انه يعنى ادعاه انه القحطاني المنتظر ، هذا اذا مامح هذا النص ، الذي اذا ما ثبت ، سيدق تلك المقولة التي شككنا فيها ، وان كنا لم نستبعد تفشيها بين الناس ، من قومه قحطان . لكن النص ذاته يحمل معلومة شكك في صحته

-
- (١) ذو الشامة : لم اعثر على ترجمته .
 (٢) الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٩٣/٦ - ابن الاثير : الكامل ، ١٧٢/٤ - ابن خلدون : المعبر ، ٧٨/٣ (قال : ابن عمر) .
 (٣) وردت منذ الطبرى ثمانية أيام . (انظر : نفس المصدر ، ٥٩٥/٣) .
 (٤) ابن اعثم : الفتح ، ٢٥١/٤م .
 (٥) الموتور : الذي قتل له قتيل فلم يدرك بدمه ، وفي قول محمد بن مسلمة : أنا الموتور الخائر ، أي صاحب الوتر الطالب بالخار . انظر : اللسان (وتر) .
 (٦) الجاحظ : البيان والتبيين ، ٤٤ ، ٢٤٠/١ .

اذ ان مغلدا كان قد توفي زمن عمر بن عبد العزيز ، بعد ما وفد عليه في اعقاب سجنه لاييه ^(١) . وان كان ذلك لا يبطل الخبر فيمكن ان يكون قد قيل بتقديم احد بنيه غير مغلد ، فذكر المؤرخ خطأ اسم مغلد لشهرته . وان كنا نحسائل ، كيف يستطيع ابن المقلب ان لا يكون مشهورا ، اذا قدر ان يكون موتورا .

ومع ذلك فان هذا النص في حال صحته ، يكون تأكيداً من مسلمة على يمنية ابن المقلب ، ونفياً للتهمة القائلة ^(٢) بفارسيته . حيث ان بني امية احرص الناس على استغلال ذلك لو كان معروفا . ومسلمة مع كل هذا واثق من النمر ، يقول : ليت هذا المزوني لا يكلفنا اتباعه في هذا البرد ^(٣) .

اما ابن المقلب الذي اضطرب عسكره عندما سمع بقدوم مسلمة والعباس في جيشهما النخيم من اهل الشام ، خصوصا عندما شارفاه ، ونزلا عليه في العقير ، فانه سعى الى التقليل من شان خصمه وتحويل امر قيادته ، ساخرا منهم ، مشيرا الى ولاء جزء كبير من الجيش الشامي له ، ليرفع من الروح المعنوية لجنده ، حاشا اياهم على المدق والمبر ، مؤكدا عزمه على القتال حتى النمر او الموت ، وقد تمثل هذا في خطب القاها في جنده في العقير ، كما فعل من قبل في ^(٤) واسط .

(١) الطبري : تاريخ الامم ، ٥٥٧/٦ - ابن الاثير : الكامل ، ١٥٧/٤ .

(٢) انظر ما كتبناه من ذلك قبل : ص ١٢١-١٢٢ .

(٣) مجهول : العيون ، ٦٨/٣ .

(٤) من اجل ذلك ، انظر : نافع العبود : آل المقلب ، ص ٧٩ (قال بان خطبته كانت في واسط ، ولعله يعني خطبته الاولى في واسط، وقد تبعها آخر في العقير) - محمد نصر =

وبصرف النظر عن مدى صحة ماتضمنته أقواله من ازدراء وتشنيع واتهام ، فالهدف كان منها التحريض والتهوين وكفى .
 إذ لا يصدق ما قال عن الجيش الشامي المتمرس ، وإن كان قد ظن أن اليمينية الشامية ستكون معه ، فقد غاب ظنه ، إذ سئى صدق ولائهم لحكومة الشام ، وإن قتلَهُ سيكون على يد أحدهم ، والقضاء على أهل بيته بنى المقلب ، وتمفيتهم في قنابيل على أيديهم .

واننا نستشف من أقواله حقيقة خلافه مع الأمويين ، كما أبرزت منطقة الطبقي العنمرى في تلك الحركة ^(١) .

لكن يزيد ابن المقلب ذاته وفي قرارة نفسه لم يكن واثقا من النصر على الأمويين وإزالة ملكهم ، فقد اتاه يزيد ابن الحكم بن أبي العاص الشقي في واسط ، قبل نزوله العقير فقال :

إن بنى مروان قد باد ملكهم

فإن كنت لم تشعر بذلك فاشعر

قال يزيد : ما شعرت . فقال ابن الحكم الشقي :

فعمى ملكا أو مت كريما وإن تمت

وسيفك مشهور بكفك تعذر

قال يزيد بن المقلب : أما هذا فعسى . وما ظن الواقع ^(٢)

خالف هذا ، ولكن رجلا كابن المقلب أبدى العداوة ، وأظهر

= الله : تطور ، ص ٢٥٦ - عواد الأعظمي : مسلمة ، ص ١٩٢ - الطبري : تاريخ الأمم ، ٥٩٢/٦ - ابن أعثم : الفتوح ، م ٢٥١-٢٥٠/٤ - المسعودي : المروج ، ٢١١-٢١٠/٣ وما بعدها (وانظر نص هذه الخطبة وشرح بعض الفاظها ، بعد : الفصل السادس ، المبحث الثاني ، ص ٧٢٠-٧٢١) .

(١) محمد نمر الله : نفس المرجع والمفحة .

(٢) الطبري : نفس المصدر والجزء والمفحة .

الخلافة ، تآبى نفسه الكبيرة ، وتاريخه العسكرى الحافل ، وعزة قومه أن يستسلم أو يجبن ، ولكنها الحرب ، على أمل يسير من النصر أو الموت بكرامة فى ساحة القتال .

معركة العقر :

اقام مسلمة بن عبد الملك يطاول يزيد بن المهلب فى العقر ثمانية ايام ، جرت بينهما ابان ذلك المراسلات والرسل لتحقيق المصالحة بين الطرفين ورغبة فى حقن دماء المسلمين وانهاء الفتنة . فقد عرض مسلمة على ابن المهلب الامان ، داعيا اياه للسلام ، كما وعده واخوته بالامارة على اى البلاد شاؤا ، فلم يجد اذنا صاغية وباءت محاولاته بالفشل ، وكان كل منهما اثناء ذلك يعد نفسه للحرب ، فحمنا مواقعهما ، وخذلنا عليهما ، واعد كل قائد جيشه معنويا وعسكريا فلما^(١) ينس مسلمة من خيمه فى ان يعود الى الرشد ، ويجنب الناس ويلات الحرب وشر الفتنة ، خرج اليه ، يوم الجمعة لاربعة عشرة ليلة^(٢) خلت من صفر (سنة ١٠٢هـ) ، اى يوم الرابع عشر ، فكونها خلت اى اصبح الناس فى نهارها ، والعرب يقدمون الليل على النهار^(٣) ، ولو لم يقل خلت ، لقلنا : يوم الثالث

(١) انظر ذلك فى الصفحات السابقة بعد نزول الفريقين ارض العقر .

(٢) أرخ ابن خياط لذلك ب : يوم الجمعة لاثنتى عشرة خلت من صفر (انظر : تاريخه ، ص ٣٢٥) ، كما أرخ لذلك ابن خلدون ب : الجمعة منتصف صفر (انظر : المعبر ، ٧٨/٣) ، ولعل ورود التاريخ بالليالى هو ما اوقع البعض فى اللبس ، والتاريخ الذى اشتهاه فى المتن هو ما اجمعت عليه اكثر المصادر .

(٣) قال هورنشو : "وكانوا (اى العرب) يبنون التاريخ على الليالى دون الايام بخلاف المعجم ، فانهم كانوا يبنون على الايام دون الليالى" . انظر : علم التاريخ ، ترجمة وعلق عليه واناف اليه فعلا فى التاريخ عنسد =

عشر .

(١) خرج اليه ليلتحيا في العقر ، والخروج هنا اراء من خندقه الى ارض المعركة ، وكان مسلمة قد مبا جند الشام ، فجعل على ميمنته جبلة بن مخرمة الكندي ، وعلى ميسرته الهذيل بن زفر بن الحارث العامري ، وجعل العباس على ميمنة سيف بن هانيه الحمداي وعلى ميسرته صويد بن القعقاع التميمي ، ومسلمة على الناس . اما يزيد بن المهلب فقد جعل على ميمنته حبيب بن المهلب وعلى ميسرته المغفل بن المهلب وكان مما يلي العباس بن الوليد ، ورايته مع المهلب بن العلاء ، ومحمد بن المهلب ومعه الناس على حاميتهم .

وخرج ابن المهلب وقد دعا بدرعه وملابسه ووضع له كرسي على باب خندقه وكرسي آخر لمحمد بن المهلب ، وذلك انه قد اصاب يزيد بن المهلب قبل ذلك حمى فلعف . وقيل بل كان مبطونا شديد العلة ، فامر الناس بالتقدم ، ولحق بهم اخوه محمد . وزحف اهل الشام ، فاحتلوا وجالت الخيلان ، وبدأت

= العرب ، عبد الحميد المبادي ، سلسلة المعارف العامة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الثانية ، ١٩٤٤م ، ص ٣٤ - السيد عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨١م ، ص ٢٤-٢٥ .
(١) شد عن هذا القول اليعقوبي ، الذي قال بالتحاقهما "بمسكن" . انظر تاريخه ، ٣١١/٢ .

ومسكن : موقع قريب من اوانا على نهر وجيل عند دير الجشالين به كانت الوقعة بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير (سنة ٧٢هـ) . وذكر الحازمي ان مسكن بدجيل الاهواز حيث كانت وقعة الحجاج بابن الاشعث ، وهذا غلط . (انظر : ياقوت : معجم ، ١٢٧/٥-١٢٨) . وهذا يبين لنا ان اليعقوبي وقع في خلط بين الوقعتين ، وقعة عبد الملك ومصعب ، ويزيد وابن المهلب .

(٢) مجهول : العيون ، ٧٢-٧١/٣ .

(٣) اليعقوبي : نفس المصدر والجزء والمفحة .

الحرب كالصادة بالمبارزة ، عندما تواجهت الجيوش ، فبارز حبيب رجلا من اهل الشام ، وبرز محمد بن المهلب لرجل من اهل الشام دعا الى المبارزة ، اصاب محمد كفه ، قيل انه حيان النبطي ، فلما نشبت الحرب ولم يشتد القتال ، امر مسلمة بن عبد الملك الوضاح مولى عبد الملك ان يخرج بالوضاحية ،^(١) ويحرق جسر الصراة والسفن التي في الصراة . فاحرق الجسر وبعض السفن ، فلما رأى اصحاب ابن المهلب الدخان قد علا ، وعلموا ان الجسر الذي جاءوا عليه قد احرق ، لاذوا بالفرار وانعزموا من ارض المعركة ، فلما رأى يزيد بن المهلب فرار

(١) الوضاحية : لم يكن يعتمد عسكريا على موالى بنى أمية حتى عهد مروان بن الحكم ، ثم ازداد هذا الاهتمام تدريجيا بهم منذ خلافة عبد الملك ، عندما شكلوا جزءا من الجيش الذي قهر به على ثورة الجراحمة في جبل اللكام . وفي عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك نرى ظهور فرقة عرفت بالوضاحية ، لعبت دورها في القضاء على ثورة ابن المهلب ، حيث كانت جزءا من جيش الشام بقيادة رجل منها يسمى الوضاح ، وهو مولى لبنى أمية من البربر . وقد اعتمد على قول جرير :
لقد جاهد الوضاح بالحق معلنا

فاورث مجدا باقيا آل بربرا
لذا يمكننا القول ان الوضاحية فرقة من الموالى ، لاسيما اننا نرى هذا البيت في قصيدة لجرير (فاربوا هام الملوك) قالها في اواخر حياة الخليفة يزيد بن عبد الملك ، حيث نراه يثنى على الموالى ، ويطنيل في ربط العرب بالعجم بابى الانبياء ابراهيم عليه السلام ، فيقول :

وابناء اسحق الطيوث اذا ارتدوا

محامل لابسين المنورا

لقد جاهد الوضاح بالحق معلنا

فاورث مجدا باقيا آل بربرا

ابونا ابو اسحق يجمع بيننا

أب كان معديا نبيا مطهرا

وهو في هذه القصيدة يتراجع عن نظرة الاشمئزاز من الموالى ، لاشترائهم مع جيوش الخليفة في القضاء على ثورة ابن المهلب .

انظر : نجدة خماش : الشام في صدر الاسلام ، ص ٢٩٩-٣٠٠

(٢) عند ابن الاثير : امره ان يخرج بالسفن حتى يحرق الجسر
فعل . (انظر : الكامل ، ١٧٣/٤) .

اصحابه خرج في جمع من قومه ومواليه ، ليردهم ، ففربوا وجوه المنهزمين الذين استقبلوه مثل الجبال ، وتكاثروا عليه ، فلما ينس منهم امر بتركهم ، وثبت في معابة من اصحابه ، تسلل بعضهم ، فبقى في شدة قليلة وقد استقبلته الهزيمة .

فقد فقت عین المغفل ، وجاء محمد وقد غربه الحرشي بعمود على جبهته . ويزيد يتنقل على كرسيه من مكان الى آخر وقد ثبت معه السמידع واصحابه ، وابو روبة المرجئي ومن معه . فلما جاءه الخبر بموت حبيب ، دعا فرسه ولبس سلاحه ، وأمر دارسا مولى حبيب بن المطلب ان يكون قريبا منه ، ثم طاف على رايات اهل الشام ، يسأل عنها ويقول : ايقاتلني بقومي من لا قوم له . فاخذ يتقدم وهو يزدلف ، لايمر بخيل الا هزمهم ، واهل الشام يتجاوزون عنه يمنا ويسرة ، فاشار عليه ابو روبة وقيل رجل من بني عمه ان ينصرف الى واسط ويخندق عليه حتى ياتيهِ المدد ، فابى الفرار ، وقيل بل باشر الحرب قبل موت حبيب واطفئه بمد انهزام الناس ، ودعا مسلمة للمبارزة ، فاحجم ، وقد اشار عليه بذلك رجل من اهل الشام ذاكرًا له شجاعة ابن المطلب ، وانه فارس العراق قاطبة . فلما علم بموت حبيب كره الحياة ، وازداد غيظا وحنقا ، فقمده على فرس له اشهب نحو مسلمة ، لايريد غيره ، فحمل وحمل الناس معه ، واقتتلوا ، فحمل يقاتل قتال رجل ينس من الحياة ، حتى قتل من اهل الشام بشرا كثيرا ، فلما واجه مسلمة ، ادنى فرسه وركبه ، فعطف بخيل الشام عليه وعلى اصحابه ، وكان في اهل الشام رجل من كلب يدعى القحل بن

عياش ، لما نظر الى يزيد عرفه وقال : يا اهل الشام ، هذا والله يزيد ، والله لا تقتله او ليقتلني ، ودعا من يكفيه اصحاب يزيد ليمل اليه ، فحمل عليه وحملوا معه ، واضطربوا ساعة ، انفرج بعدها الفريقان عن يزيد ابن المهلب قتيلًا ، قتلته القمل بن عياش وقد صرعه يزيد فمات الى جانبه ، كل قتل صاحبه .

وقيل ان الذي قتلته الهذيل بن زفر بن الحارث الكلبي ، ولم يجتز راسه انفة . ويمك الذهبي مقتلته بقوله : "قتل عن تسع واربعين سنة ، ولقد قاتل قتالا عظيما ، وتغللت جموعه ، فما زال يحمل بنفسه في الاكوف ، لاجهاد ، بل شجاعة وحمية ، حتى ذاق حمامه ، نعود بالله من هذه القتل الجاهلية " .

وقد جاء براسه الى مسلمة مولى لبنى مرة ، لم يقتله ، فلم يعرفه مسلمة ، ففصل وعمم ، فعرفه ، وكان قد اصاب ابن المهلب ماينيف على ثلاثين فرسة ، وقتل من الفريقين مايزيد على الثلاثة آلاف ، بينهم حبيب وحماد ومدرك ومحمد ابناء

-
- (١) القمل بن عياش بن حسان بن سمير بن شراحيل بن عرين بن ابي جابر بن زهير بن خباب الكلبي . (المسعودي : التنبيه ، ص ٢٧٧-٢٧٨ - الطبري : تاريخ الامم ، ٥٩٧/٦)
- (٢) الهذيل بن زفر بن الحارث بن عبد عمرو الكلبي ، من الرؤساء الشجعان الفمحاء ، في العمر المرواني ، كان مع ابيه ايام قيامه في الجزيرة الفراتية في عهد مروان بن الحكم ، ومات ابوه سنة ٧٥هـ ، فعاد الى ولاته لبني مروان ، وفي حرب مسلمة لابن المهلب ، كان على ميصرته في معركة العقر . قال ابن حزم : "والهذيل هو قاتل يزيد بن المهلب يوم العقر وقد قيل غير ذلك" (الزركلي : الاعلام ، ٨٠/٨) . وما اظن القول بقتل الهذيل الا دعوى قيسية ، للنيل من اليمنية واغاثتهم .
- (٣) ابن الاثير : الكامل ، ١٧٣/٤-١٧٤ - ابن خلدون : العبر (٧٨-٧٩) وقد اورد اسم الحارث في نسب الهذيل "الحارث" تحريفا . انظر ص ٥٠٦/٤ في الترجمة اعلاه .
- (٤) سير ، ٥٠٦/٤ .

المهلب ، لذا يقول بعض آل المهلب :

سقى الله أجسادا ببابل كسروا

سيوفهم والاثري المعفدا

حبيبا وحمادا وذو الباس والندا

يزيدا واسقى مدركا ومحمدا

كما قتل السميدع . وبقتل يزيد بن المهلب انهزم الناس
الا المفضل فقد ظل يقاتل أهل الشام ، مايدرى بقتل يزيد
ولا بهزيمتهم ، وهو يغشى الناس ويكشفهم ، وقد اجتمع أهل
الكوفة حول عامر بن العمير الازدى ، فاجتمع اصحاب المفضل
ليكروا مع ربيعة الكوفة بعد انكشافها على القوم ، اذ جاءه
مقتل يزيد ومن قتل معه من اخوته ، ففرق من معه ، واخذ
طريقه الى واسط ، وقيل بل خدعه اخوه عبد الملك اذ اخبره
أن يزيد انحدر الى واسط ، خوفا من أن يستقفل ولا يترك أرض
المعركة ، فانهزم بمن بقي معه من الجنود وبني اخوته الى
واسط . وهذا ما اغضب على عبد الملك ، فحلف الا يكلمه ابدا ،
فما كلمه حتى مات ، وكان يقول : ففحنى عبد الملك آخر
الدهر ، ألا صدقنى ، فقتلت كريما . وهذا القول هو الاقرب
الى طبائع بنى المهلب .

وجاء أهل الشام على عسكر يزيد بن المهلب ، فقاتلهم
ابو روبة المرجنى وجماعته ساعة من النهار حتى ذهب عظمهم ،
فانصرفوا ، فاستحوذ مسلمة على ما فى معسكر ابن المهلب ،
واسر من اصحابه نحو ثلاثمائة بعث بهم الى الكوفة . ثم بعث

(١) مجهول : العيون ، ٧٣/٣ - ٧٤ - ابن الاثير : الكامل ،
١٧٤/٤ .

مسلمة برام ابن المهلب مع خالد بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، الى الخليفة يزيد بن عبد الملك .^(١)

وقد توفي يزيد بن المهلب وله من العمر تسعا واربعين سنة . كان فيها من النجباء الكرماء الفرسان ، سيدا ممدحا كثير الغزو والفتوح . وهذا ليس غريبا على سيد المحاربة ، الذين كانوا في الدولة الاموية كالبرامكة في دولة بني العباس في الكرم . لذا كان لمقتل يزيد بن المهلب وجل آل بيته مدى في اقوال الناس كما سيكون في احوالهم ، قال

(١) عن معركة العقبر انظر المصادر التالية : الطبري : تاريخ الامم ، ٥٩٥/٦ - ٥٩٨ - ابن اعثم : الفتح ، ٢٥١/٤ - ٢٥٤ - مجهول : العيون ، ٧١/٣ - ٧٤ - ابن الاثير : الكامل ، ١٧٣/٤ - ١٧٤ - المسمودي : مروج ، ٢١٠/٣ - ٢١١ (قال : فقتل يزيد ، وصبروا اخوته انفسهم فقتلوا جميعا . وهذا خطأ ، فان من اخوته من انحدر الى واسط وكان القضاء على بقيتهم في قنابيل) - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٤٥/٩ - ٢٤٧ - الذهبي : تاريخ الاسلام ، ٨٦/٤ - الذهبي : المعبر في خبر من خبر ، ١٢٤/١ - ابو الفدا : المختصر في اخبار البشر ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ٢٠١/١ - ابن خلدون : المعبر ، ٧٨/٣ - ٧٩ - القلقشندي : مآثر الانافة ، ١٤٨/١ - ابن الوردي : حكمة المختصر في تاريخ البشر ، تحقيق احمد رفعت البدر اوى ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى ، ١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م ، ٢٧٥/١ - السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٢٤٧ - الزركلي : الاعلام ، ١٨٩/٨ - ١٩٠ (قال : العقبر بين واسط وبغداد والامح : بين واسط والكوفة) . وغيرها من المصادر القديمة والمراجع الحديثة .

(٢) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣١٧ - ابن خلكان : وفيات ، ٣٠٩/٦ - الزركلي : الاعلام ، ١٨٩/٨ (الا اننا نجده يقول في هامش (١) ، ص ١٩٠ : "وفي اعمار الاميان في يزيد وزياد ومدر ك بنو المهلب ابن ابي مفره ، ولدوا في سنة واحدة وقتلوا في سنة واحدة ، وكلهم عاش ثمانيا واربعين سنة" . اي ان عمره اعتمادا على هذا الخبر (٤٨ سنة) ، ولكن وجود نصوص تخبرنا ان مولده كان (سنة ٥٣هـ) ، انظر ذلك قبل : ص ١٢٢) يؤيد الخبر الاول .

(٣) اليافعي : مرآة ، ٢٤١/١ - ابن خلكان : نفس المصدر والجزء والمفحة - ابن العماد : شذرات ، ١٢٤/١ .

محمد بن واسع لما جاء نعى يزيد : اشتكى باكية عمالية تندب
لى قتلى آل المقلب . وقال عباد بن عباد : مكثنا نيفا
ومشرين سنة بعد قتلى آل المقلب لاحتولد فينا جارية ولايموت
منا غلام .^(١) كما نجد الندم عند ازد خراسان على عدم نصره
يزيد ، وتمنى شعور وقعته ، على لسان شاعرهم ثابت قطنة إذ
يقول :

يأليت أسرتك الذين تغيّبوا

كانوا ليومك يايزيد شعورا

وقد نقل هذا القول لمسلمة ، فقال : وأنا والله لوددت
أنهم كانوا شعورا يومئذ فسقيتهم بكاسه . فقيل : كان
مسلمة أحد من أجاب شعرا بآخر فغلبه .^(٢)

كما نجده يرثى يزيد فى قصيدة أخرى ، معللا هزيمته ،
بتخاذل جنده من اليمانية عنه وإسلامه عدوه ، حين انفضوا من
حوله ساحة الجد ، خائنين مدهم وبيعتهم له ، فيقول :

شهدتك من يمن معائب فيمت

ونأى الذين بهم يصاب الخار

ولقد بسطت لهم يمينك بالندى

مخل الغرات تمده الأتغار

حتى إذا فرق القنا وجعلتهم

نصب الأسلّة أسموك وطاروا

(١) ابن خلكان : وفيات ، ٢٠٨/٦ .

(٢) عواد الأعظمى : مسلمة ، ص ٦٢-٦٣ .

ان يقتلوك فان قتلك لم يكن

(١)

عار عليك وبعض قتل عار

الا اننا نجد العكس في موقف الشعراء من غير اليمنية ،
فما ان بشر الخليفة يزيد بن عبد الملك بمقتل ابن المهلب ،
حتى اخذ الشعراء يهجون آل المهلب ، ماعدا كثيرا ، الذي
امتنع ليمنيته ، ومن ذلك قول جرير :

يارب قوم وقوم حاسدين لكم

مافيهم بدل منكم ولاخلف

آل المهلب جز الله دابرهم

امسوا رمادا فلا اصل ولاطرف

مانالت الازد من دعوى مغلهم

(٢)

الا المعاصم والامناق تخطف

ونلاحظ في شعره ، دليلا على ادعاء ابن المهلب انه
القحطاني ، وطموحه الى الخلافة ، انظر في الابيات قوله :
"مافيهم بدل منكم ولاخلف" و "دعوى مغلهم" . بل نجد في شعره
ايضا اطلاق صفة الكفر على الحركة اذ يقول :

لقد تركت فلا نعدمك اذ كفروا

لابن المهلب عظما غير مجبور

يابن المهلب ان الناس قد علموا

(٣)

ان الخلافة للشهم المفاوير

(١) الهادي الغزي : الشعر الاموي في خراسان ، ص ١٧٢ .

(٢) المسعودي : مروج ، ٢١١/٣ .

(٣) عون الشريف قاسم : شعر البصرة في العصر الاموي ،
دراسة في السياسة والاجتماع ، طبعة دار الثقافة ،
بيروت ، لبنان ، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م ، ص ١٥٩ - المسعودي :
مروج ، ٢١١/٣ .

ولنا في بيته الأخير حجة جديدة من لسان شاعر معاصر
على نشود ابن المطلب الخلافة .

أما مسلمة بن عبد الملك فانه بعد ان أسر من اصحاب
ابن المطلب ثلاثمائة ، بعث بهم الى واليه على الكوفة محمد
ابن عمرو بن الوليد " ذى الشامة " وكتب الى الخليفة يزيد بن
عبد الملك فيهم ، فجاء امره الى محمد بن عمرو بقتلهم ،
فامر محمد صاحب شرطته العريان بن العيثم بضرب اعناقهم ،
فقتل ثلاثين رجلا من تميم طلبوا قتلهم قبل اصحابهم ، يقولون
نحن انهزمنا بالناس . وكانهم قد ندموا ، اذ ظنوا ان
سيحابون على فعلتهم ، فلما وجدوا غير ذلك ، تقدموا للقتل
فعرس العريان امرهم على أميره فامر بهم فقتلوا ، وكان قد
امر ان يقتل الاسارى عشرين عشرين ، وثلاثين ثلاثين . فما فرغ
منهم العريان حتى جاء امر مسلمة بالذهي عن قتلهم . وقيل^(١)
بل أسر مسلمة في معركة العقر الفين وثمانمائة ، فبعث بهم
الى ذى الشامة فقتلهم . واقبل مسلمة بعد انتصاره في العقر^(٢)
على ابن المطلب حتى نزل الحيرة ، وقد اتى معه بخمسين
اسيرا غير من بعث بهم الى الكوفة ، اراد قتلهم ،

(١) الطبري : تاريخ الأمم ، ٥٩٨/٦ - ٥٩٩ - ابن الاثير :
الكامل ، ١٧٤/٤ - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٤٧/٩ -
ابن خلدون : العبر ، ٧٩/٣ (أورد اسم أبي ذى الشامة
محرّفاً بسقوط الواو قال : محمد بن عمر ، ثم قال :
وبدا بثمانين ، واقلنه خطأ في النقل فالاجماع على
الثلاثين ، ثم ذكر ان امر امثائم جاء من يزيد وهذا
خلط منه) .

(٢) مجهول : العيون ، ٧٤/٣ . لكن العدد الذي اشار اليه
يعتبر نشازاً بين اجماع المصادر ، وان كان ابن اثم
قال : انهم نيف على اربعمائة . فهو قريب من الاجماع ،
كما اننا قد رأينا امر مسلمة بالذهي عن قتلهم . (انظر
الفتوح ، ٢٥٤/٤م) .

(١)

فاستوهبهم الناس منه ، فوهبهم لهم .

ويقول ابن اعثم : اسر يوم العقر ليف على اربعمائة رجل ، فاقفوا بين يديه ، فعزل منهم ثلاثين رجلا من رؤسائهم ليحملهم الى يزيد بن عبد الملك ، وضرب اعناق الباقين . وقال الثلاثون : نحن الذين انهزمنا بالناس حتى ظفرتهم بيزيد اهذا جزاؤنا ، فلم يلتفت مسلمة الى قولهم .^(٢)

ونحن نجد في هذه النصوص خلط واضطراب ، فليس يقول بقتل ثلاثين من تميم طلبوا تقديمتهم على اصحابهم لانهم انهزموا بالناس ، فيقتلهم المريان ، وهنا نجدهم وقد عزلهم مسلمة ليرسلهم الى يزيد ، فيبدون له دورهم في هزيمة ابن المطلب لعله يشي بهم ، فلا يلتفت اليهم . وليس يقول بانه وهب خمسين من الاسرى لمن استوهبهم ، والنس الاخير يقول انه قتل بقية الاسارى .

والظاهر ان من قتل اولاً كان من قبل امير الكوفة بامر الخليفة يزيد ، ثم اوقف الامر من قبل مسلمة حتى يرى رايه فيهم ، ثم اخرج ثلاثين من رؤسائهم ، ويظهر انهم غير الثلاثين الذين قتلوا وان كان قد جمع بينهم تساوى العدد وتسببهم في هزيمة ابن المطلب ، فليس الذين قتلوا اولاً كل من انهزم بالناس ، فقد يكون قتل منهم ثلاثين اولاً ، فكما ورد كان الامر ان يقتلوا عشرين عشرين ، وثلاثين ثلاثين .

(١) الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٩٩/٦ - ابن اعثم : الفتوح ، م ٢٥٥/٤ (واورد : انه امر بمن معه من الاسارى الى الشام) - ابن الاثير : الكامل ، ١٧٤/٤ (فقط ذكر نزوله الحيرة) - وكذلك ابن كثير : البداية ط ١ ، ٢٤٧/٩ .
(٢) نفس المصدر والجزء ، ص ٢٥٤ .

فلما قتل الثلاثون الاولون ، اوقف القتل ، وهكذا بقي لهم بقية هم من عزلهم مسلمة ، ولم يلتفت اليهم عندما حدشوه . اما قتله بقية الاسرى فاطن ذلك غير صحيح ، بل عفى عنهم كما وهب بعضهم ، واكتفى بمن ارسله من زعمائهم الى الخليفة يرى فيهم رايه . ثم جرى براس يزيد ورؤوس اخوته بين يدي مسلمة فقال : اتري هؤلاء القوم خرجوا علينا كانوا يظنون ان الخلافة فيهم ، لكن ظنوا ذلك فلقد ظنوا افكا وزورا . فانشد جرير :

آل المقلب جز الله دابرهم

الحوا رفاتا فلاصل ولاطرف

ان الخلافة لم تخلق ليملكها

(١)
عبد لازدية في خلقها عنف

ونجد القول هنا على لسان مسلمة ، في ظن المعالبة صيرورة الخلافة اليهم ، وقول جرير حول ذلك .

ثم امر مسلمة بمقلب يزيد بن المقلب ، فمقلب بجسر بابل على دقل سفينة منكما وعلق معه خنزير الى جنبه سمكة وزق خمر وقد علقا على قلنس من قلوب السفينة ، لذا يقول رجل من اهل الشام :

-
- (١) ابن اعثم : الفتوح ، ٢٥٥/٤ .
(٢) دقل : الدقل والدوقل : خشبة طويلة تشد في وسط السفينة يمد عليها الشراع ، وتسميه البحرية الماري ، وقيل الدقل سم السفينة . انظر : اللسان (دقل) .
(٣) الزق : الذي يسوى سقاء او وطبا او حميحا . والزق السقاء ، وجمع القلة ازقاق . وهو من الالهب ، كل وعاء اتخذ لشراب ونحوه ، وقيل : هو الذي ينقل فيه الخمر . انظر : اللسان (زقق) .
(٤) قلنس : القلنس : حبل فخم من ليف او خوص . وقيل : حبل غليظ من حبال السفن . انظر : اللسان (قلنس) .

لقد عجبت من الازدي جاء به

يقوده للمنايا حين معزور

حتى راه عباد الله في دقل

(١)

منكس الراس مقرونا بخنزير

ومع ذلك فان مسلمة كان يعرف قدر ابن المقلب ، فقد

قال منه رجل عند مسلمة بقوله : ما استرحنا من حالك كنده

حتى جاءنا هذا المزونى ! فقال مسلمة : اتقول هذا لرجل سار

اليه قريعا قريش - يعنى نفسه والعباس - ان يزيد حاول

(٢)

مظيما ومات كريما .

وبعد براس يزيد ومن قتل معه من اهل بيته مع خالد بن

الوليد بن عقبة بن ابي معيط ، الى الخليفة يزيد بن عبد

الملك . فامر الخليفة ان يطاف برؤوسهم في اجناد الشام .

(٣)

ثم اتى به بعد ذلك ، فتمب على باب روما بدمشق ، ونصبت

رؤوس اخوته عن يمينه وشماله .

وفى ذلك يقول سالم بن وابصة الاسدي :

الم تر ان الله انزل نصره

علينا واعطانا به اعظم الاجر

(١) نافع المعبود : آل المقلب ، ص ٩٠ ، (وعلق على الخبر بقوله : ان هذا الاسلوب من التشهير يراد به انه نجس كالخنزير ، مرتكب للمعاصي كشرب الخمر ، كما ان تعليقه على سفينة ومعه سمكة ، اشارة الى انه من ازد عمان الذين اشتهروا بركوب البحر) - ابن هبيب : المعبر رواية ابي سعيد الحسن بن الحسين السكري . مناية وتمحيص ايلزه ليختن شنيتر ، المكتب التجارى للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٦١هـ - ص ٤٨٢ - ابن اعثم : الفتوح ، م ٢٥٥/٤ .

(٢) الجاحظ : البيان والتبيين ، طه ، ٩٩/٢ .

(٣) مجهول : العيون ، ٧٤/٣ - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٤٧/٩ - ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، دار المسيرة ، بيروت ، ص ١١٥ .

لقد أذهل بعض أهل العراق فشايعوا
لواء يزيد بن المهلب ذي الفدر
فجئنا به لئلا يسمع الموت في الحري
ولا يشتكى شكوى أنين ولا فقر
تعرف أهل الشام بالشام رأسه
به بدت الأحداث من حادث الدهر
كما أمر الخليفة بحرب رقاب الأسرى الذين بعث بهم
مسلمة فما أبقي على أحد .^(١)
ومع هذا فإن الخليفة كان يعرف لابن المهلب قدره ،
وهذا ما اطلع من قوله لأحد جلسائه عندما نال منه حين جرى
برأسه ، إذ قال : مه أن يزيد طلب جسيما ، وركب عظيما ،
ومات كريما .^(٢)
وبعد أن أتيحنا على النصوص التاريخية المتعلقة بوقعة
العقر بين جيش الخلافة بقيادة مسلمة بن عبد الملك ويزيد بن
المهلب الخارج على الخلافة ، والتي تمثل ذروة الفتنة
ومرحلة الحسم في حركة استهدفت تقويض أركان البيت الأموي
الحاكم ، فإنه يتبين للمحس أسباب تلك العزيمة السريعة
والشنيعة التي منى بها ابن المهلب في العقر ، بعدما توفر
لحركته من عوامل النجاح ما كان من شأنه تحقيق أهدافها .
ولعل السبب الأول في نجاح جيش الخلافة ، إدراك الدولة
ممثلة في شخص الخليفة حجم الحركة وخطورة قائدها ، حيث

(١) ابن أمثم : الفتوح ، م ٢٥٥/٤ - ٢٥٦ .
(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، تحقيق مفيد محمد قميحة ،
دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ،
١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م ، ٣٣٥/٢ - الألفاظ : مرة ، ٢٤١/١ -
ابن خلكان : وفيات ، ٣٠٧/٦ .

اتخذ موقفا حازما وسريعا لاجمادها ، فقد قام بعد خطواته
 الاولى ، ^(٢) بارسال جيش قوى اختيرت له القيادة الفذة ، وهو ^(٣)
 مسلمة بن عبد الملك ، الذى كانت قيادته المحنكة للجيش ،
 ولجوؤه الى الحيلة من عوامل النصر الاولى فى المعركة
 خصوصا امره باحراق الجسر وما اثر عنه من ارباك لجيش ابن
 المهلب ، وفرار جله من ارض المعركة . كما اننا نجد الجيش
 الاموى دخل المعركة كجيشين ، فمسلمة له ميمنة وميسرة ،
 والعباس له ميمنة وميسرة ^(٤) ، والظاهر ان وراء ذلك خطة كانت
 تهدف الى الاطباق على جيش ابن المهلب من جهتين ، وجعله بين
 كماشى مسلمة والعباس . كما ان الطامة التى عرق بها الجندي
 الشامي لقيادته مكنت مسلمة من تهيئة جيشه الكبير مفا
 واحدا وكلمة واحدة ، بل انه سعى الى المزيد فاستمد الرجال
 من الكوفة ، وعزل اميرها عبد الحميد عندما استقل من بعثهم
 اليه ، بل لعله رمى الى ابعاد من ذلك وهو تامين ظهره
 وايجاد رجل موال له ، وحسن يلجا اليه ، اذا ماسارت
 المعركة على غير ما يريد ، فعين على الكوفة محمد بن عمرو ،
 والعكس نجده عند الفريق الآخر ، فان القيادة المحنكة
 التى توفرت فى يزيد بن المهلب ، وجيشه الكبير ، لم يكتب
 لها النجاح ، لاختلاف الامواء ، وتفرق الكلمة ، مما اضعف
 قوته وقلل من شأنه . فابن المهلب الذى اراد ان يسبق مسلمة
 بالحيلة ، ويضيع عليه فرصة التمكن ، عندما اراد تبليته

(١) نافع العبود : آل المهلب ، ص ٩٣-٩٦ .

(٢) انظر قبل : ص ١٣٧-١٣٩ ، ١٢٤-١٢٥ .

(٣) انظر قبل : ص ١٧٣-١٧٥ .

(٤) انظر قبل : ص ١٩٣ .

بعد نزوله العقير ، ومفاجئته بهجوم ليلي ، خالفه اصحابه من القراء واصحاب الفرق . وبعد ان احتدم القتال سرعان ما فتر حماس اصحابه ، ووجد ابن المهلب نفسه في قلة امام جيش الشام ، حينما انفض من حوله جنده ، وبالاخص قبيلة ربيعة التي كانت تنزل حوله . وذلك عندما اشعل الوضاح بامر مسلمة النار في الجسر ، فلاد جل جند ابن المهلب بالفرار . ومما سبب الهزيمة قلة الخبرة في جيش ابن المهلب ، وعدم الصدق في القتال والولاء . وهذا ما اتضح في اقواله واقوال الحسن البصري ، بينما هم امام جيش دولة يغرب بين المشارق والمغارب ، فتحا ودفاعا ، اكتسب من جراء ذلك فنون الحرب ، وحسن التدريب والخبرة .

واننا نلمس بين ثنايا الاخبار خيانة حدثت من قبيلة حميم في معركة العقير ، اذ انهزموا بالناس ، يريدون المثوبة من الدولة ، فما كان جزاؤهم الا الاسر والقتل . ويظهر لنا عامل آخر ذلك هو مرض القائد يزيد بن المهلب نفسه ، مما اعجزه عن مباشرة القتال في اول المعركة ، وساعد على تيسير قتله للقحط بن عياش . كل هذه العوامل كانت وراء هزيمة ابن المهلب في العقير ، ولعل مما عجل بالنهاية السريعة لحركته ، رفضه الهزيمة وامتناعه عن ترك ارض المعركة ، استحقاقا منه ، مع علمه ان النصر قد اصبح في

-
- (١) انظر قبل : ص ١٨٧ .
 (٢) نافع العبود : آل المهلب ، ص ٩٤ .
 (٣) انظر قبل : ص ١٩٤-١٩٥ .
 (٤) انظر قبل : ص ١٨٦ .
 (٥) انظر قبل : ص ٢٠٢، ٢٠١ .
 (٦) انظر قبل : ص ١٩٣ .

يد مسلمة ، حيث فشل الموت بكرامة على عار الفرار والعزيمة وهذا ماعقد العزم عليه قبل المعركة ، وإبانه في خطبه (١) وأقواله . وقد كان من الممكن أن يطول أمد الفتنه ، في حالة التجائه الى مكان آخر والتحصن فيه ، حتى ياتي المدد ويعد نفسه للحرب من جديد . الا أن نفسه الالهية أبت الفرار والعزيمة ، لتنفذ المشيئة الالهية بانتهاء الفتنه ، واجتماع الكلمة .

تتبع آل المهلب بعد المعر وتصفيتهم :

كان يزيد بن المهلب قد استخلف ابنه معاوية على واسط وترك عنده الاموال والاسرى الذين أخذهم في حربه مع عدى بن ارضاة في البصرة ، ونساء آل المهلب وذرائعهم فيما يبدو . (٢) فلما جاء الخبر الى معاوية بهزيمة ابيه ومقتله في المعر (٣) اخرج اثنين وثلاثين أسيرا كانوا في يده على رأسهم عدى بن ارضاة وابنه وابنا مسمع وغيرهم ، فقتلهم ، الا ربيع بن زياد بن الربيع ، فانه عفا عنه ، لانه من أشرف قومه . بل (٤)

- (١) عن خطبه وأقواله ، انظر / الطبري : تاريخ الأمم ، ٥٩٢-٥٩٦ - ابن أعثم : الفتح ، م ٢٥١/٤ .
 (٢) انظر قبل : ص ١٨٢ .
 (٣) مجهول : العميون ، ٧٤/٣ .
 (٤) أورد ابن أعثم عددهم "ثلاثة وثمانون" . انظر : نفس المصدر والجزء ، ص ٢٥٤ - الا أن ابن كثير قال : نحو من ثلاثين ، وابن خلدون قال : في ثلاثين . (انظر : البداية ، ط ١ ، ٢٤٧/٩ - المعبر ، ٧٩/٣) . وهذا يسند العدد الذي أوردناه في المتن ويقويه .
 (٥) الطبري : نفس المصدر والجزء ، ص ٥٩٩-٦٠٠ - اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٣١١/٢ - ابن الأثير : الكامل ، ١٧٤/٤ - ابن كثير : نفس المصدر والجزء والمقدمة . والثلاثة الآخرون لم يذكروا استثناء ربيع بن زياد - وكذلك ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٢٢٦-٢٥ - الياقبي : مرآة ٢٤٢/١ - الذهبي : دول الاسلام ، ٥٣-٥٢/١ (أخبر أنه قتلهم بالبصرة ، والصحيح بالاجماع ، في واسط) .

انه اراد قتل نساء آل المهلب خشية ان يقعن في الاسر ،
 فغلن عليهن الابواب . واحتمل معاوية بن يزيد الخزائن وسار^(١)
 بمن معه الى البصرة ، وقد اجتمع اليه عمه المفضل ومن
 انهزم معه من المقر من اخوته وبنى اخوته ، ومن بقى معهم^(٢)
 من الجند . وكانوا يتخوفون العاقبة ، فاعدوا السفن
 وتجهزوا ، معدين انفسهم للحرب ، فجاءهم النذير بامر^(٣)
 الخليفة فيهم ، وهو انه كتب الى مسلمة بطلب آل المهلب^(٤)
 وقتلهم اينما كانوا .

خروج المعالبة الى قنابيل :

فركبوا سفنهم ، ومعهم الاموال والنساء والذرية ،
 محتملين الدواب والسلاح ، قاصدين قنابيل ، وكان يزيد ابن

- (١) مجهول : الميرون ، ٧٤/٣ (وقد اورد ان من جاء بالخبر
 الى معاوية هو : خالد بن يزيد بن المهلب . الا ان في
 الخبر غرابة ، حيث ان خالد بن يزيد ، ذكر ان عبد
 الحميد بن عبد الرحمن ، أمير الكوفة ، قبض عليه ،
 حين هروب أبيه من السجن ، وأمر الخليفة لأمير الكوفة
 والبصرة باستقباله ، والقبض على آل . فأرسله
 عبد الحميد الى الخليفة يزيد في الشام ، فسجن هناك
 حتى هلك . (انظر ذلك في / الطبري : تاريخ الأمم ،
 ٥٨٥/٦ - ابن الأثير : الكامل ، ١٦٩/٤ .
 ولعله اراد ابنا آخر ليزيد ، نجا من معركة المقر ،
 فذكر اسم خالد بدلا منه خطأ .
- (٢) الطبري : نفس المصدر والجزء ، ص ٦٠٠ - ابن اعثم :
 الفتوح ، م ٢٥٤/٤ - مجهول : نفس المصدر والجزء
 والصفحة (لم يذكر احتماله الاموال ، واجتماعه
 بالمفضل) - ابن الأثير : نفس المصدر والجزء ، ص ١٧٥ -
 ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٤٧/٩ - ابن خلدون :
 العبر ، ٧٩/٣ .
- (٣) الطبري : نفس المصدر والجزء والصفحة - ابن الأثير :
 نفس المصدر والجزء والصفحة - ابن كثير : نفس المصدر
 والطبعة والجزء والصفحة .
- (٤) ابن اعثم : نفس المصدر والمجلد ، ص ٢٥٦-٢٥٧ .

المغلب قد بعث عليها وداع بن حميد الأزدي أميراً من قبله ،
على أن يكون ملجأ لاهله أن هُزم ، يتحصنون عنده حتى يأخذوا
لأنفسهم الأمان ، وأخذ عليه الأيمان بالنصح لهم .^(١)

فركبوا البحر حتى مروا بهرم بن القرار العبدي ، وكان
يزيد قد استعمله على البحرين ، فأشار عليهم بعدم النزول
من السفن لئلا يخطفهم الناس يتقربون بهم إلى بني مروان ،
فمضوا حتى حاذوا جبال كرمان ، فخرجوا من سفنهم واحتملوا
أهلهم وأموالهم وعثادهم على الدواب . وقد أراد معاوية بن
يزيد أن يتامر عليهم ، إلا أنهم اجتمعوا على المغفل ، فهو^(٢)
أكبرهم وسيدهم . واجتمعت اليهم بكرمان فلول كثيرة .^(٣)

-
- (١) الطبري : تاريخ الأمم ، ٦٠٠/٦ - ابن الأثير : الكامل ،
١٧٥/٤ - ابن أعثم : الفتح ، ٢٥٤/٤ (لكنه لم يقل
بالاتفاق الذي تم بين يزيد بن المغلب وداع الأزدي ،
على الجاء أهله عنده ونصرتهم) .
- (٢) المغفل بن المغلب بن أبي مرة ، الأزدي ، أبو غسان .
وال من أبطال العرب ووجوههم في عصره ، كانت إقامته في
البصرة ، ولاء الحجاج خراسان ، وولاه سليمان جند
فلسطين ، شارك مع أخيه حرب بن أمية ، سار بعد
هزيمة أخيه في العفر بمن معه إلى واسط ثم البصرة
ومنها إلى قنذابيل ، فادركه ابن أهوز ، فقتل على
أبوابها سنة ١٠٢هـ . (الزركلي : الأعلام ، ٢٨٠/٧) .
- (٣) الطبري : نفس المصدر ، ٦٠٠/٦ - ٦٠٢ - ابن الأثير : نفس
المصدر والجزء والمقدمة - اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ،
٣١١/٢ (قال : وركب أي معاوية إلى قنذابيل) وهذا يعني
أن تميم المغفل كان بعد نزولهم كرمان ، وقد كان الأمر
قبل ذلك لمعاوية بن يزيد - ابن أعثم : نفس المصدر ،
٢٥٧-٢٥٦/٤ (لم يذكر مرورهم على العبدي ، وقال :
وافوا أرض فارس ، فخرجوا منها إلى كرمان ، ومن كرمان
إلى قنذابيل) . والظاهر أن كلامه صحيح ، إذ أننا سنرى
أن مدرك الكلبي سيلحق بهم في عقبة وهي من أرض فارس ،
ثم سيكون القضاء عليهم في قنذابيل - ابن كثير :
البداية ، ط ١ ، ٢٤٧/٩ (ولم يذكر مرورهم بالعبدي) -
ابن خلدون : العبر ، ٧٩/٣ .

معركة عقبة :

وكان مسلمة قد بلغه خبر القوم ، فوجه في طلبهم ، وفي آخر الغل ، مدرك بن شب الكلبي ، فادركهم بفارس ، فتبعهم حتى لقيهم في عقبة ، فقاتلوه واشتدوا عليه ، وقد قتل ممن مع المغفل النعمان بن ابراهيم بن الاشتر ، ومحمد بن اسحق ابن محمد بن الاشعث ، وغيرهم ، واسر وفر آخرون ، ورجع الناس من اصحاب ابن المهلب وطلبوا الامان ، فؤمنوا ، منهم مالك ابن ابراهيم بن الاشتر ، والورد بن عبد الله بن حبيب السعدي ، وهو ممن شهد مع ابن الاشعث مواعنه واياه ، وسار آل المهلب ومن معهم من الغل حتى وصلوا قنذابيل .^(٢)

مقتلة المهالبة في قنذابيل :

^(٣) بمك مسلمة الى مدرك بن شب فردة ، وسرح هلال بن احوز

- (١) عقبة : موقع بفارس . (ياقوت : معجم ، ١٣٤/٤) .
 (٢) عواد الاعظمي : مسلمة ، ص ٣٠٤ (نقلا عن الطبري : تاريخ الامم ، ١٥٨/٨ - ابن خلكان : وفيات ، ٣٠٧/٦) . لكنه قال بقتل المغفل وبعض خواصه في وقعة عقبة . وحيث ان الصحيح انه قتل في قنذابيل . رجعنا الى مصدرى الاعظمي فوجدناه اعتمد على ابن خلكان ، الذي ذكر ذلك ، وقد يكون خطأ منه في فهم النص ، اذ يرجعنا الى مصدره الثاني . الطبري : نفس المصدر ، الطبعة الثالثة ، ٨٧هـ / ٦٧م ، ٦٠٢-٦٠٠/٦ . وجدناه قد ذكر القتال في عقبة ثم لحاق المهالبة بقنذابيل ، وقتل المغفل في قنذابيل . وليس في عقبة كما قال الاعظمي - ابن الاثير : الكامل ، ١٧٥/٤ - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٤٧/٩ (التبصير عليه امر القيادتين فقال : وجه مسلمة هلال بن احوز فامروا عليهم مدرك بن شب . كما انه اشار الى قتالهم آل المهلب في جبال كرمان ، ولم يشر الى معركتي عقبة وقنذابيل) .
 (٣) هلال بن احوز بن اربد المازني المالكي الحميمي ، قائد من الشجعان القساء ، عرفه ابن حزم : بقاتل آل المهلب في قنذابيل ، توفي سنة ١٠٢هـ . الزركلي : الاعلام ، ٩٠/٨ .

(١) التميمي للحاق بهم ، فلحقهم بقنذابيل . وكان آل المهلب قد ارادوا الدخول الى قنذابيل ، الا ان اميرها وداع بن حميد أغلق ابوابها في وجوههم ، ومنعهم من دخولها . فكاتبه هلال ابن احوز ، الا انه لم يظهر مباينته لآل المهلب ، الا حين امطفوا للقتال ، فقد كان وداع على ميمنة آل المهلب وعبد الملك بن هلال على ميمنتهم وكلاهما أزدى ، فلما وقفوا للقتال رفع ابن احوز راية الامان ، فمال اليه وداع وعبد الملك وانفض الناس من حول آل المهلب . فلما رأوا ذلك اراد مروان بن المهلب قتل نساءهم لئلا يحلوا اليهن ، فمعه المفضل ، وقاتلوا القوم . قتال من يخس ، فقتلوا من اهل الشام مقتلة عظيمة ، حتى قتلوا من آخرهم الا ابا عيينة بن المهلب وعثمان بن المفضل ، فالتحما نجوا ولحقا بخاقان (٢) ورتبيل ، بعد ان لاذا بالحرب . وكان ممن قتل بقنذابيل مدرك

(١) اورد البلاذري والمسمودي ان من سرح هلال بن احوز هو الخليفة يزيد ، ولعل في ذلك تفسيراً لبعض قيادتين لقتال المعالبة من قبل مسلمة كما اشارت الى ذلك بعض المصادر . اذ يبدو ان مسلمة بعث في آخر آل المهلب مدرك بن فب الكلبي ، وكان الخليفة قد وجه من قبل هلال ابن احوز . فلما فشل مدرك الكلبي من القضاء عليهم في وقعة عقبه امر مسلمة برده ، ووجه اليهم القائد الذي بعثه الخليفة وهو هلال بن احوز . انظر : فتوح البلدان ، ص ٤٢٩ - مروج ، ٢/٢١١-٢١٢ .

(٢) يظهر من النص ان وداع اعتل بمذلماً لآل المهلب في عدم ادخالهم قنذابيل ، وتظاهر بنصرهم ، حتى صفوا للقتال هلال ، فمال اليه .

(٣) اصاب ابن الاثير وابن خلدون الى الناجين "ممر بن يزيد ابن المهلب" . انظر : الكامل ، ١٧٥/٤ - المعبر ، ٣/٧٩

(٤) الطبري : تاريخ الامم ، ٦٠٢/٦ - اليعقوبي : تاريخ ، ٣١١/٢ - ابن الاثير : نفس المصدر والجزء والمفحة - ابن اثم : الفتوح ، ٢٥٦/٤م - ٢٥٧ (اورد عدد الجند الشامي المطارد "مشرة آلاف" . الا انه لم يميز بين الجيشين الذين بعثا لآل المهلب ، كما لم يشر الى وقعة عقبه واورد قتلها لمن من قتل في قنذابيل مما يدل على =

(١)
ابن المطلب والمفضل وعبد الملك وزياد ومروان ومعاوية بنى
المطلب ، كما قتل معاوية بن يزيد وآخرين .
(٢)

وبعد نصر هلال بن أحوز على بنى المطلب فى قنءابيل
وقبائله عليهم ، بحث بالانقال والاموال والنساء والذرية ،
ورؤوس من قُتل منهم ، الى مسلمة بن عبد الملك ، بالحيرة .
(٣) (٤)

وكان هلال بن أحوز قد قتل اناسا من آل المطلب ، فقد
ذكر ان الخليفة امره ان يقتل من بلغ الحلم منهم ، فغرب
عنق غلامين ادركا . الا انه عامل النساء معاملة حسنة ، فلم
يفتشن ولم يعرضن لهن ، وكان عدد من أسر منهن فى قنءابيل
خمسين امرأة ، وتسعة من الفتية الاحداث .
(٥) (٦)

-
- = جهله بها) - ابن خلدون : العبر ، ٧٩/٣ .
(لكنه قال : بان آل المطلب بعد اقتراق الناس عنهم ،
استامنوا ، فؤمنوا ، ثم قتلوا جميعا ، وهذا خبر شاذ
لم أجده عند غيره . من المؤرخين الذين اطلعت على
مؤلفاتهم ، مما يدعون الى ابطال الخبر) .
(١) هذا خطأ ، فمدرك بن المطلب قتل فى معركة العفر .
انظر ذلك قبل : ص ١٩٦-١٩٧ .
(٢) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٤٢٩ - الزركلى : الاعلام ،
٩٠/٨ .
(٣) عند ابن خياط والمؤرخ المجهول ، ثم بعثها الى
الخليفة يزيد . (انظر : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٦ -
المعيون ، ٧٤/٣ . والظاهر الى مسلمة ومنه الى يزيد .
وقد يكونا قد عنيا بالنهاية ايجازا .
(٤) الطبرى : نفس المصدر والجزء والمفحة - ابن اعثم :
الفتوح ، م ٢٥٧/٤ - ابن الاثير : الكامل ، ١٧٥/٤ ،
ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٤٧/٩ .
(٥) ابن خياط : نفس المصدر والمفحة ، ص ٣٢٦ - المسعودى
مروج ، ٢١٢-٢١١/٣ - مجهول : نفس المصدر والجزء
والمفحة - الذهبى : تاريخ الاسلام ، ٨٦/٤ .
(٦) مواد الاعظمى : مسلمة ، ص ٢٠٥-٢٠٦ - ابن خياط : نفس
المصدر والمفحة - الذهبى : نفس المصدر والجزء
والمفحة .

موقف مسلمة والخليفة من اسرى قنذابيل :

اما الرؤوس فقد بعثها مسلمة الى يزيد بن عبد الملك ،
والاخير بعثها الى العباس في حلب ، حيث نصب رؤوسهم هناك ،^(١)
وحلف مسلمة ان يبيع نساءهم وذرايرهم ، فقام الجراح الحكمي
واشتراهم بمائة الف درهم ، ليبر يمين مسلمة ، وليطلقهم
فباعه ، ثم استحمى مسلمة ان يبيع قوما احرارا ، فطلب من
الجراح ان يقيه من بيعته ، فاقاله ، فخلى سبيلهم مسلمة ،
والحقهم بقومهم بالبصرة ، وقيل لم يطلب الاقالة من الجراح ،^(٢)
لكنه لم ياخذ منه شيئا ، وخلى سبيلهم الا تسعة فتية منهم
احداث ، بعث بهم الى الخليفة .^(٣)

اما الخليفة يزيد بن عبد الملك فقد ظهر ان اصرار ابن
المعطب على استمرار الفتنة ، وعدم قبوله الامان ودعوة
السلام ، قد دعاه الى القسوة على آل المعطب خاصة بعد
انحصار جيشه في العقفر ، فقد امر بقتل اسرى العقفر ، وامر

(١) الطبري : تاريخ الامم ، ٦٠٢/٦ - ابن الاثير : الكامل ،
١٧٥/٤ - ابن خلكان : وفيات ، ٣٠٧/٦ (خالف غيره بقوله
انه بعثها الى يزيد وكان على حلب . والصحيح ما قدمناه
يسنده الاخبار التي سترد عن موقف يزيد من الاسرى ،
وقتلهم في دمشق . اذ يتضح ان العباس ترك العراق بعد
انحصارهم على ابن المعطب في العقفر ، واستقر في حلب ،
بينما بقي مسلمة في الحيرة اميرا على العراق من قبل
الخليفة ، وتولى امر تتبع آل المعطب ، والقضاء
عليهم) - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٤٧/٩ (قال :
نصبت الرؤوس في دمشق ، ثم ارسلها الخليفة يزيد الى
حلب فنصبت هناك) وهذا يعزز ما ذهبنا اليه قبل .

(٢) ابن اعثم : الفتح ، م ٢٥٧/٤ .

(٣) الطبري : نفس المصدر والجزء ، ص ٦٠٢-٦٠٣ - ابن الاثير
نفس المصدر والجزء والمفحة (الا انه قال : ان عدد
الفتية ثلاثة عشر) - ابن كثير : نفس المصدر والطبعة
والجزء والمفحة (اورد ان مسلمة بعث الفتية مع الرؤوس
وكوننا عرفنا عن طريقه انها نصبت في دمشق ثم حلب ،
فهذا يدل على ان يزيد كان في دمشق لا حلب) - ابن خلدون
العبر ، ٧٩/٣ .

مسلمة بختبج من انهزم من آل المهلب ومن معهم ، وتمفيتهم .
 لذا فان أسرى قنذابيل لما قدموا عليه من عند مسلمة ، امر
 بقتلهم ، ولم تفلح قصيدة كثير عزة المتوسلة في العفو عنهم
 فقتلوا وكانوا ثلاثة عشر من ولد يزيد والمفضل وقبيصة بنى
 المهلب .^(١) وقيل بل كانوا نحواً من ثمانين ، دفعهم يزيد الى
 من كان له قبل آل المهلب دم ، فقتلوا جميعاً . وذكر^(٢)
 اليعقوبى منفرداً ان النساء حملن الى الخليفة فحبسن في
 دمشق . والارجح ما قدمناه . من تخلية سبيلهن من قبل مسلمة
 وعودتهن الى البصرة بين قومن . اما ابو عيينة بن المهلب
 وعثمان بن المفضل وعمر بن يزيد بن المهلب ، الذين نجوا من
 معركة قنذابيل ، فان هند بنت المهلب ، قد استأمنت لابی
 عيينة من الخليفة ، فامنه وظل عثمان وعمر حتى ولى اسد
 ابن عبد الله القسرى خراسان ، فكتب اليه بامانها ،^(٣)
 فامنها ، وقدمها خراسان .^(٤)

وقد ذكر اليعقوبى ان ابن هبيرة في طريقه الى العراق
 عندما وليها من قبل الخليفة يزيد بن عبد الملك ، لقي

-
- (١) ابن الاثير : الكامل ، ١٧٥/٤ - ١٧٦ (وقد اورد اسماء اهد
 عشر شخصاً ، بينما ذكر انه قتل ثلاثة عشر) - اليعقوبى
 تاريخ اليعقوبى ، ٣١١/٢ (ذكر ان عثمان بن المفضل ممن
 قتلهم يزيد من أسرى قنذابيل في دمشق . وهذا خطأ ، اذ
 انه كان قد نجا من معركة قنذابيل ، والحجاء برتبيل
 حتى استأمن ، فؤمن) انظر قبل : ص ٢١٢ - ابن خلدون :
 العبر ، ٧٩/٣ (ولم يذكر موقف كثير) .
 (٢) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٧ - الذهبي : تاريخ
 الاسلام ، ٨٦/٤ .
 (٣) نفس المصدر والمجلد ، ص ٣١٢ .
 (٤) كانت ولايته عليها (سنة ١٠٦هـ) . انظر : الطبرى :
 تاريخ الأمم ، ٣٧/٧ - ابن الاثير : نفس المصدر والجزء
 ص ١٩٥ .
 (٥) ابن الاثير : نفس المصدر والجزء ، ص ١٧٥ - ١٧٦ - ابن
 خلدون : نفس المصدر والجزء والصفحة .

جماعة من آل المطلب في الحديد ، قد وجه بهم مسلمة ، فردهم وكتب الى يزيد في العفو عنهم ، فالبس يزيد ، فعاود الكتابة اليه بان ذلك ممانعة لقومهم وتالفا لعشائهم ، فوافقه الخليفة ^(١) . الا ان هذا الخبر فيه غرابة ، اذ ان امارا ابن هبيرة على العراق جاءت بعد وقت طويل من مواقع مسلمة مع المعالبة ، فلا يصح ان يكونوا من اسرى العقر وقنابيل ، فخير هؤلاء تقدم . فان صح الخبر ، فانه يعني ان مسلمة قام بعملية تصفية لالراد الاسرة المطلبية وان لم يكونوا ممن شاركوا يزيد في حركته . الا ان هذا الخبر مشكوك فيه ، فابن هبيرة كان قد لقي في طريقه مسلمة نفسه وهو متوجه الى الخليفة في الشام ^(٢) .

مصادرة اموال المعالبة :

ويبدو ان يزيد بن عبد الملك قد أدرك اثر الخراء المالي في المكانة التي وصلها اعداؤه المعالبة ، وانه من العوامل التي مكنتهم من جمع الناس حولهم ، ووقوفهم في وجه الدولة . فسمى بعد احراق منازلهم في البصرة عقب خروجهم الى قنابيل ^(٣) . في محاولة منه لاجتذاب جذورهم منها وهي موطنهم الرئيسي بين قومهم ازد عمان ، ومبالغة منه في التذكيل بهم ، سعى الى سلبهم عنصر القوة لديهم وهو المال فعمد الى مصادرة اموالهم واملاكهم ، اذ اصاب لهم اربعة آلاف

(١) تاريخ اليعقوبي ، ٣١٢/٢ (وفي ذلك اشارة الى رغبة الخليفة في تالفا العشائر اليمانية) .

(٢) الطبري : تاريخ الامم ، ٦١٥/٦ - ٦١٦ .

(٣) مجهول : العيون ، ٧٤/٣ .

(١)
جاموسة نقلها مع جماعة من الزط الى المميمة ، وصادر
اقطاعات يزيد ابن المقلب التي منحه اياها الخليفة سليمان
ابن عبد الملك في البطيحة ، واقطاعات خيرة بنت حمرة
القشيرية (زوج المقلب) التي اقطعها اياها الحجاج . فقد (٢)
كان لابن المقلب اقطاعات في بطائح العراق . اذ اقطعه (٣)
سليمان ما اعتمل من البطيحة ، فاعتمل الشرقى ، والجبان ،
والخست ، والريحيه ، ومغيرتان ، وغيرها ، فصارت حوزا . (٤) (٥)
وفيما يبدو ان هذه المصادرة تمت على يد ابن هبيرة أمير
العراق من قبل يزيد بن عبد الملك ، الذي كتب اليه : ان
يستولى على اموال يزيد بن المقلب ، واخوته وولده . وهذا (٦)
العمل ليس بدعا من الخليفة يزيد ، بل سبقه اليه غيره من
الخلفاء والامراء ، فقد عرف نظام المصادرة في تاريخ صدر

-
- (١) المميمة : مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام ،
بين انطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس . والمميمة أيضا
قرية من قرى دمشق قرب بيت لها . (ياقوت : معجم ،
١٤٤/٥-١٤٥) .
- (٢) نافع العبود : آل المقلب ، ص ٩٢ - البلاذري : فتوح
البلدان ، ص ٣٦٢ (قال : اقطعها الحجاج عباسان) .
- (٣) البطيحة : أرض واسعة بين واسط والبصرة ، وكانت قديما
قرى متملة ، وأرلها عامرة ، فغاض دجلة والفرات ،
فتبطح الماء فيها ، وطرد أهلها ، فلما نقص أصبحت
صالحة للممارة . (ياقوت : معجم ، ٤٥٠/١) .
- (٤) الحوز : من الأرض أن يتخذها الرجل ويبين حدودها
فيستحقها ، ولا يكون لأحد فيها حق معه . والحوز : الجمع
وكل من هم شيئا الى نفسه من مال وغيره . انظر /
اللسان (حوز) . والحوز : قرية من شرقى مدينة واسط
قبالتها متملة بالخرامين . (ياقوت : معجم ، ٣١٨/٢) .
- (٥) فرج الهونى : النظم الادارية والمالية ، ص ٢٥٩ - عواد
الاعظمى : مسلمة ، ص ٤٣ - البلاذري : فتوح البلدان ،
ص ٣٦٢ .
- (٦) فرج الهونى : نفس المرجع والمفحة .

(١)
الاسلام قبله .

اسباب فشل الحركة :

شاء الله لحركة ابن المفلح التي عاشت مايقارب الخمسة اشهر ، ان تنتهى بالفشل ، والاسباب التي ساعدت على النحر الاموى فى العقى على ابن المفلح ، يبرز فى مقدمتها كون هذه الحركة لم تقوم على مبادئ سامية ، ولافكرة او مذهب ، بل جمع انصارها ، دوافع شخصية وقبلية ، وشاراات قديمة . وعداء اقليمى تخالطه نزعة استقلالية ، وكره للبيت الاموى الحاكم كما افتردت هذه الحركة مقومات التنظيم ، حيث لم يتوفر لماحبها الوقت الكافى للاعداد الجيد ، وقد كان نفسه يقول : "لااخرج حتى احج واحفظ القرآن ، وحموت امى" . يضاف الى ذلك ثبات القبائل اليمانية الشامية على ولائها لبنى امية ،

- (١) لقد شرعت فى اعداد بحث عن المقاسمة والتفريم والمصادرة منذ قيام الدولة الاسلامية حتى نهاية العصر الاموى . وانظر بعض ذلك عند / الطبرى : تاريخ الامم ، ٦٤/٦ - ابن الاثير : الكامل ، ١٦٠٠٩٩/٤ - يحيى بن الحسين : نهاية الامانى فى اخبار القطر اليمانى ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، مراجعة محمد مصطفى زيادة ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م ، ٩٧/١ - نافع العبود : آل المفلح ، ص ٦٦-٦٩ - محمد امين صالح : العرب والاسلام ، ص ٢٦٦ وغيرها .
- (٢) انظر قبل : ص ٢٠٥-٢٠٨ .
- (٣) عن اسباب فشل ثورة ابن المفلح . انظر : نافع العبود : آل المفلح ، ص ٩٤ .
- (٤) اد شارك فيها بعض سلاسل مالك الاشر و ابن الاشمع وغيرهم انظر قبل : ص ٨٥ - وفتح عثمان : الحدود ، ص ١٠٩-١١٠ .
- (٥) حابت الراوى : العراق ، ص ٢١٨ .
- (٦) ابراهيم بيلون : ملامح التيارات السياسية ، ص ٣٣٢-٣٣٣ . الا اننا لانوافقها بانها حركة الخطارية ، خصوصا بعد علمنا ان الخليفة اعطاه الامان بعد هربه الى البصرة ، وفى العقى من مسلمة مرة اخرى . انظر قبل : ص ١٨٩، ١٤٤ .
- (٧) نافع العبود : نفس المرجع ، ص ٩٣ .

وعدم انحيازها الى ابن المهلب بدافع الحموية وأمرة
(١)
النسب .

كما ان غياب جزء كبير من قبيلته الازد في خراسان ،
وهؤلاء لم يتمكنوا من الانضمام للحركة ، ونصرة صاحبها ،
اشاراً للمأقية ، وخشية من فشل الحركة ، ولوقوف تميم في
وجههم ، وهي التي أخذت موقفاً مشابهاً في البصرة ، ذلك
عندما اجتمعت مع قيس على قتال ابن المهلب . اذ كانوا يرون
ان نجاح الحركة يعنى التحال الخلافة وهي عنوان سلطان مضر ،
الى اليمانية وحلفائها من ربيعة . وكان خروجه من البصرة
وواسط الى الكوفة خطأ عسكرياً ، اذ كان اهل الشام قد سبقوه
اليها ، مما اضطره الى ان يعسكر في العقر بدون تحصينات .
(٢)
كما ان حسد الحاسدين من قومه وحرصهم على المراكز
التي تهبوها ، قد انعكس موقفه ، وهذا ما تمثل في موقف امير
خراسان عبد الرحمن بن نعيم ، الذي اغرى تميم بالوقوف في
وجه مدرك بن المهلب عندما بعثه يزيد الى خراسان .
(٣)
ان هذه الاسباب مجتمعة ، كانت وراء فشل الحركة
المهلبية ، وعجلت بنهايتها .

(١) نافع العبود : آل المهلب ، ص ٩٥ .
(٢) نافع العبود : نفس المرجع ، ص ٩٤-٩٦ (الا اننا
لنوافق على ان معسكره في العقر كان اضطرارياً ، فقد
خرج من واسط ، بعد ان اختار العقر ميداناً للمعركة ،
وقد كان تقدمه الى العقر ، ليقترب من الكوفة ، آملاً
في انضمام اهله اليه . وان كان قد حاول جمعاً اليه
بعد نزوله العقر ، من طريق حملات بعثها من هناك ، لكن
محاولاته باءت بالفشل) . انظر ذلك قبل : ص ١٨١-١٧٨ .
(٣) ناجي حسن : القبائل ، ص ١٥٨ .

تفاعل فئات المجتمع مع الحركة ومواقفها منها :

استجاب معظم العراقيين والمناطق المجاورة ، لحركة يزيد بن المهلب ، بدافع من التناقص الاقليمي الذي يعيجه نزعة استقلالية وكره للبيت الاموي الحاكم وحسد لاهل الشام^(١) على ماجلوه من مكتسبات الحكم تمكنا وشروة، بحكم ولائهم للحكم الاموي وقيامه بينهم . حتى ان البصرة التي غلبت عليها الصفه التجارية ، وقاومت كل حركة رمت الى مرقلة نشاطها الاقتصادي ، فدت مسرحا لحركة ابن المهلب ، واعتمد ابن المهلب في حركته على اهلهما ، اما الاقاليم المجاورة للمراق ، فانضمت اليها بحكم ارتباطها بالمراق اداريا او قبليا او بدافع الجوار والمصلحة . كما كادت الحركة ان تكسب اقاليم كبيرة كخراسان ، التي ابدى اهلهما من الازد وحلفاؤها ، تعاطفهم مع ابن المهلب ، لولا وقوف مضر في وجهها .

(١) ظل شعور العداء لبني أمية عند العراقيين يتنامى منذ زمن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ، حتى شمل ولائهم واهل الشام ، وهو شعور لم يقتصر على فئة بعينها من اهل المراق بل الكل منهم حتى العلماء والزهاد . فقد قيل للحسن البصري وهو يخذل الناس من ابن المهلب : (كفانك والله يا ابا سعيد راض من اهل الشام ؟ قال : انا راض منهم قبحهم الله ...) . لذا سبروا عنه بمحاولة التخلص من الحكم الاموي في كل مناسبة . انظر هذا الراي عند / شابت الراوى : العراق ص ١٦٠-١٦١ .

(٢) شابت الراوى : العراق ، ص ١٣٧ . لكنه اشار الى ان ثورة ابن المهلب ، كانت الثورة الوحيدة التي اشترك فيها اهل البصرة . وهذا قول غير دقيق ، فقد شاركت بايجابية في ثورة ابن الاشعث ، وبايعه جميع اهلهما من قرانها وكحولها . انظر ذلك في / الطبري : تاريخ الامم ، ٣٤١/٦ ومابعدها .

ومن العلامات المميزة لهذه الحركة تاييد بعض الفرق لها ، والانضمام اليها . وعلى رأسها فرقة الخوارج ، وقد تمثل ذلك في انضمام السميذع الخارجي واصحابه الى ابن المطلب ، بل اننا نجد موسى خليفات يقدم اخبارا تفيد (١) بمشاركة بعض افراد فرقة الاباضية الخارجية ، في حركة ابن المطلب ، فيقول : ان جابر بن زيد الازدي امام الاباضية ، بحكم انتمائه الى قبيلة الازد ، استطاع ادخال عدد كبير من قبيلته الازد في فرقته ، وكان على رأس هؤلاء بعض افراد الاسرة المطلبية ، اللذين أصبح بعضهم من دعاة الفرقة وحماة البارزين ، كما تكتة بنت المطلب ، وعبد الملك بن (٢) المطلب الذي كان على اتصال دائم مع جابر من خراسان فقد اشارت المصادر الى مراسلات متبادلة بين الرجلين حول امر (٣) الدعوة . وقد ساعده على انخراط الازد في الحركة الاباضية ، كراهية الازد للحجاج بسبب سوء المعاملة التي وجدوها من

-
- (١) انظر ذلك قبل : ص ١٤٩، ١٥٢، ١٥٣ .
 (٢) الاباضية : أحد فرق الخوارج ، وهم اصحاب عبد الله بن ابي ، الذي خرج في أيام مروان بن محمد ، ولهم آراء ومعتقدات منها ، ان في مخالفتهم من أهل القبلة كفار غير مشركين ، ومناكرتهم جائزة ، وموارثتهم حلال ، وغنيمة السلاح والكرواع عند الحرب حلال ، وحرام قتلهم وسلبهم فيلة ، الا بعد نصب القتال واقامة الحجّة ، واجمعوا ان مرتكب الكبيرة كفر كفر النعمة لا كفر الملة ، وغيرها . وهم جماعة متفرقون في مذاهبهم . (الشعرستاني : الملل والنحل ، ص ١٣٤-١٣٥) .
 (٣) نشأة الحركة الاباضية ، طبعة عمان ، ١٩٧٨م ، ص ٩٧-٩٨ (وقد اشار في هامش ٣٤ ، ص ١١١ ، الى عدم تطرق المصادر لغير الاباضية للعلاقة بين المعالبة والازد وبين الحركة الاباضية ، معلا ذلك بجعل هذه المصادر بطبيعة العلاقة بين الطرفين ، وبالحركة الاباضية في تلك الفترة السرية من مراحل تطورها) .
 (٤) موسى خليفات : نفس المرجع ، ص ١٠١-١٠٤ .
 (٥) موسى خليفات : نفس المرجع ، ص ٩٨ .

عامله جماعة المزنى فى اعقاب قلبائه على حركة ازد عمان بقيادة ابنى الجلندى ، وموقفه من يزيد بن المهلب واخوته ، ومالهم على يديه من سجن وتعذيب وهوان . ومع ان الاباضية عاشت فى سلام ابان عهد سليمان فى ظل حماية آل المهلب الذين كانوا على علاقة وثيقة بالخليفة^(١) ، الا ان التطورات السياسية بعده ، وما اسفرت عنه من قيام ابن المهلب بحركته ، ولارتباط بين الاسرة المملوكية وفرقة الاباضية لانتماء بعض افرادها اليها ، وكون جزء من اتباع الاباضية من الازد ، قبيلة يزيد بن المهلب ، فان من المؤكد اشتراك افرادها فى الحركة ، بل ان عددا ممن لقي مصرعه على يدى الامويين من اتباع ابن المهلب ، كانوا من الاباضية ومن بينهم عبد الملك ابن المهلب . كما ادت المعاملة السيئة لبنى المهلب قادة الازد وزعمائهم وتمفيتهم الى سخط الازد على الحكم الاموى ، ونقمة الاباضية عليه ، مما جعل بعض مشايخهم يدعون الى الانتقام وعلان الحركة ، ومن بين هؤلاء : الشيخ الاباضى ابو نوح صالح الدهان ، لكن الامام ابا عبيدة كان يرى ان الوقت لم يحن لعلان الحركة المسلحة ، واستطاع مقاومة آراء اتباعه المنادين بالمصيان . وبقي الاباضية طيلة حكم الخليفة يزيد ابن عبد الملك محافظين على سرية حركتهم . وهذا يعنى ان اشتراك الاباضية فى الحركة كان سريا ، لان الحركة فى ذلك الوقت كانت تعيش مرحلتها السرية . كما ان انضمامهم اليها

(١) موسى خليفات : نشأة الحركة الاباضية ، ص ١٠١ .
 (٢) موسى خليفات : نفس المرجع ، ص ١٠٤ .
 (٣) قتل عبد الملك بن عبد الملك بن المهلب على ابواب قنابيل عندما ادركهم هلال بن احوز . (انظر قبل : ص ٢٣٣) .
 (٤) موسى خليفات : نفس المرجع ، ص ١١١ .

لكون بعض أفرادها من المهالبة ، واستجابة لنزعة الكراهة والنسب .

والجدير بالذكر أيضا انضمام فرقة المرجئة الى حركة
(١)
ابن المطلب ، بعد ما كان الامويون يتخذونهم سلاحا ضد أعدائهم
(٢)
فقد نامضوا بهم الخوارج ، حيث كانوا يرجئون الامويين الى
يوم القيامة ، ويرون شرعية حكومتهم ، اذ انهم يرون ان
الايمان هو المعرفة بالله ورسله واداء الفرائض والكف عن
الكبائر ، فمن آمن بالله ورسله وترك الفرائض ، وارتكب
شيئا من الكبائر ، كان مؤمنا عند المرجئة ، كافرا في نظر
(٣)
الخوارج .

لقد ترك المرجئة تأييدهم لبنى أمية ، وخرجوا مع ابن
(٤)
المطلب لقتال الامويين واهل الشام ، حيث يبدو ان جناحا
منهم غير موقفه ، اذ لم يعد يحتمل كل ما جرى على يد
الامويين ، ولعل عدم رضاهم عن يزيد بن عبد الملك دفعهم الى
مناصرة الداعي الى الكتاب والسنة ، بل لعل موقفهم حتى تلك
الفترة ، الذي كان موضع اتهام بالنسبة للمواقف الايجابية
للفرق الاسلامية الاخرى ، قد جعلهم يجدون في الحركة فرقة
سائقة للدفاع عن مبادئهم ، فعمدوا الى القوة لتقويض ملك
(٥)
بنى أمية .

-
- (١) انظر ذلك قبل : ص ١٤٩ .
(٢) على حملى الخربوطلى : الدولة العربية الاسلامية ، دار
احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م ،
ص ٢٨٨ .
(٣) على الخربوطلى : نفس المرجع ، ص ٢٦٥ .
(٤) سبق ان خرجت المرجئة على بنى أمية قبل ابن المطلب ،
بمخرجها مع ابن الاضعة . (انظر / على الخربوطلى : نفس
المرجع ، ص ٢٨٨) .
(٥) نافع العبود : آل المطلب ، ص ٨٨ .

(١) كما دعم الفرس حركة يزيد بن المهلب ، وان كنا نرى ذلك أمرا طبيعيا ، خصوصا انه استطاع هم فارس وكرمان وغيرها مما حولها الى حوزته (٢) ، مع وجود كثير من الموالي بين العرب في العراق ، اعتادوا الخروج الى الحرب معهم .

الا اننا لانجد ذكرا في المصادر لاشتراك اهل الذمة في هذه الحركة ، او الحركات التي قامت في العراق بشكل عام (٣) .

بل اننا نجد المردة قد ساهموا في اخضاع هذه الفترة زمن الخليفة يزيد بن عبد الملك . كما كانت فرقة الوضاحية جزءا (٤) من الجيش الشامي الذي حقق النصر الاموي على ابن المهلب في المعر . (٥)

نحاج وآثار حركة ابن المهلب :

توفر لحركة ابن المهلب من اسباب القوة ما اكسبها هالة وخطرا ، الا انها قامت على اساس لم تكن معها مؤهلة للنجاح ، ومع ذلك فقد كان لها خطير النتائج ، فلئن كان المعالجة قبل الحركة على خصام مع الحجاج ومن ناصره ، فعم بعدها ومن

-
- (١) توفيق سلطان اليوزبكي : تاريخ اهل الذمة في العراق ، ص ٣١٠ (نقلا عن المسعودي : مروج ، ١٣٤/٣ . الا اننا بالعودة اليه ، طبعة دار الفكر ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ٢١٠/٣-٢١٢ لم نجده قد نص على ما نقله اليوزبكي . لذا عللنا قوله في المتن ، ونبهنا على ما نقل) .
- (٢) انظر قبل : ص ١٥٩ .
- (٣) ثابت الراوي : العراق ، ص ١٣١-١٣٢ .
- (٤) فيليب حتي : تاريخ سورية ، ٥٤/١ . اد اشار الى انضمام جزء منهم الى الجيش السوري ، بعد ان تمكن مسلمة بن عبد الملك في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك من القضاء على خطر المردة نهائيا ، بتدمير معابهم الجرجومة ، فهلك بعضهم ، وهاجر البعض الى اناطوليا ، بينما انضم من بقى الى جيش الاسلام .
- (٥) انظر دور الوضاحية قبل : ص ١٩٤ .

تبعهم من ازد عمان على حرب مع بنى أمية عامة ، وكان لابد لليمانية أن تنكف الى جانبهم . وهكذا فان بنى أمية خلفوا هدمهم منذ حركة ابن المهلب عدوا يتربص بهم . ^(١) الا انه ليس من الدقة اطلاق هذا القول بلا حدود ، وتعميمه على القبائل اليمانية . كما انه ليس من الصحة بمكان القول أن حرب الامويين للمهالبة بمثابة حرب على قبائل اليمن .

وقد حاول فتحى عثمان تمحيص هذا القول ، وتحديد ^(٢)ه ، بقوله : الا اننا نستطيع أن نقصر ذلك على العراق ، إذ انقلبت الحكومة الاموية فيه الى حزب يحكم باسم قيس ، اما فى الشام فان يزيد بن عبد الملك لم يحاب قيسا على قناعة ، التى كانت نواة الجيش الذى انحصر فى العفر ، فقد كان الذى قتل ابن المهلب رجلا من كلب ، كما كان الكلبيون هم الذين تعقبوا المهالبة العاربة واستاصلوا شافعهم . وفى قوله شئ من الصحة ، والامح أن الحكومة لم تنقلب الى حزب يحكم باسم قيس فى العراق ، ولكنها اعتمدت على القيسية بشكل اكبر .

وهكذا فقدت القبائل اليمانية سيطرتها على العراق ، باستئمال وتنحية من يمت الى المهالبة بملة القرى او الولاء من ادارة الدولة ، بل تعداهم الى بنى تميم ، الذين كانوا يتوقعون الاعتراف لهم بالجميل اثر انضمامهم وتيسير ^(٣)الزمر لاهل الشام . لكن خيانتهم لابن المهلب لم تشفع لهم

(١) يوسف العثى : الدولة الاموية ، ص ٢٨١ .

(٢) الحدود ، ص ١٠٩-١١٠ .

(٣) ناجى حسن : القبائل ، ص ١٥٩ .

عند بنى أمية ، بعد انضمام الكثير منهم الى الحركة اول الامر .

ولقد اورثت مقتل بنى المقلب على يد بنى أمية وماحروب عليه بالنسبة لليمنية ، عصبية ابن المقلب وقومه من الاثار ، وخصوصا ابعادهم عن ادارة المشرق في زمن يزيد ، ومالقيوه من عمال يزيد ، اورثت حقدا وفغيطة في نفوس بعض اليمنيين لم تمحه الايام ، حتى وجدوا الفرصة المناسبة لتفجيره ، والانتقام من اعدائهم بنى أمية ، بمساندة خصومهم من آل البيت وتقويض سلطان البيت المرواني . فقد كان التمرد الذي قام به الكرمانى على نصر بن سيار امير خراسان لغاية في نفسه عبر عنها بقوله : "كانت غايى في طاعة بنى مروان ان يقلد ولدى السيوف فاطلب بخار بنى المقلب" (٢) .

وكان آل البيت حريين بان يستفيدوا من هذا العدو ، فاستغل ابو مسلم الخراسانى ذلك النزاع ومال الى ابن الكرمانى حين ارسل اليه يستنصره على نصر بن سيار . لذا نجد يوسف العشى يقول : "فعلينا ان نؤرخ بداية الدعوة

(١) الكرمانى : هو جديع بن على الازدى المملى ، شيخ خراسان وفارسها في عصره ، واحد الدهاة الرؤساء . ولد بكرمان ، واليهما نسبتا ، اقام في خراسان الى ان وليها نصر بن سيار ، فخاف الكرمانى ، فسجنه ، فغضب له الازد ، وفر الكرمانى واجتمعوا عليه ، ثم خرج من جرجان وتغلب على مرو ، فمقت له ، وظهر ابو مسلم الخراسانى ، فاتفق معه على قتال نصر ، فكتب نصر الى جديع يدعوه للملح ، فرضى به ، وخرج في مئة فارس ليكتبا بينهما كتابا ، فوجه اليه نصر ثلاث مئة فارس قتلوه في الرحبة . (الزركلى : الاعلام ، ١١٤/٢) .

(٢) ثريا حافظ عرفة : الخراسانيون ، ص ٢٧-٢٨ .

(٣) عن الخلاف بين الكرمانى ونصر (اليمانية والنزارية) في خراسان ، (انظر / الطبرى : تاريخ الامم ، ٢٨٥/٧ ومابعدها) .

(٤) ثريا حافظ عرفة : نفس المرجع والمفحة .

(٥) الدولة الاموية ، ص ٢٨١ .

العباسية من هذه الحركة - يعنى حركة ابن المطلب - التى امدت اهل البيت بعصبية يمانية كبيرة لحد البيت الاموى . وان كنا لانوافق فى هذه المبالغة ، فالدعوة العباسية قامت على تنظيم تميز بالدقة والسرية وامتد طويل لفرس الفكرة وتهيئة البيئة لاقامة الدولة ، صحيح انه بالامكان ان نؤرخ للدعوة بالخورة لان ابتداء الدعوة كان فى نفس الفترة تقريبا نهاية الاول ومطلع الثانى^(١) . لكن الدعوة لم تقم على جهد اليمانية ، واليمانية لم تصاند الدعوة الا فى مرحلتها الاخيرة ، بعد ظهور ابي مسلم الخراسانى الذى تم على يديه اعلانها . بل ان اليمانية عاشت بعد حركة ابن المطلب اياما سعيدة ، وعلاقات وطيدة مع الحكم الاموى فى بعض فترات ، كمعهد الخليفة هشام وبالذات اiban ولاية خالد القسرى على العراق (١٠٦ - ١٢٠هـ) . وان مما نستنتجه امتدادا لذلك ان الانتماء الاقليمى والمصالح القبلية اصبحت تطفئ على التعصب القبلى والتحالفات القبلية القديمة . وهذا مالمسناه من تقديم يمن الشام ولاءهم لبنى امية رمز الحقوق الاقليمى الشامى والتميز مكانة ومالا ، على امرة النصب التى تربطهم بابن المطلب الازدى اليمنى ، وهذا ماينطبق على يمن خراسان ، الذين وان ابدوا تاييدهم للحركة ، الا انهم آثروا العافية وتقديم المصلحة وامن الاقليم . بل ان ربيعة العراق ، لم يكن الحلف دافعها الوحيد الى نصرة الحركة بل المصلحة ونزعة الاقليمية،

(١) قيل بعث محمد بن على العباسى دعائه عام ١٠٠هـ . (اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ٢/٢٠٨) . وقيل سنة ١٠١هـ (انظر / ابو حنيفة الديلمورى : الاخبار الطوال ، دار السعادة ، مصر ، الطبعة الاولى ، ١٢٣٠هـ ، ١/٢١٨-٢١٩) .
(٢) انظر ظهور الدعوة العباسية على يد ابي مسلم فى : (الطبرى : تاريخ الامم ، ٢٥٣/٧ وما بعدها) .

ولذلك وجدناها لم تصدق القتال وسرعان ما انقضت من حول
(١)
يزيد .

كما ان هذه الفترة قد كلفت الدولة الكثير من الجهد
والمال ، وعرضت الجبهة الداخلية للانقسام ، اذ انها اخطرت
حدث داخلي في زمن الخليفة يزيد بن عبد الملك ، الذي شغلته
هذه الفترة عن توجيه امكانيات الدولة الى ميادينها
الحقيقية في جبهات القتال ، امام الاعداء المتربصين ، في
الشرق والشمال والغرب ، وان كان قد نجح في القضاء عليها
في وقت وجيز ، استطاع بعدها ان يعيد للجبهة الداخلية
وحدتها وتماسكها .

ولحسن الانسداد ان انشغال الدولة بهذه الفترة ،
وانشغال العرب في خراسان باحداثها بعد ان احييت فيهم روح
العممية القبلية ونعراتها ، قد زاد من اشتعال الحركات في
ماوراء النهر ، وتمادي العصاة في التمرد على سلطان
المسلمين ، حتى تمكن اخيرا سعيد الحرشي من اعادة النفوذ
الاسلامي على تلك المناطق . بل نمزو اليها ايضا الهجوم الذي
شنته الشعوب التركمية والقوقازية على الحدود الارمينية ،
والتي منى فيها الجيش الاسلامي بهزائم متكررة ، خصوصا بعد
(٢)
عزل الخليفة يزيد بن عبد الملك لعمر بن هبيرة عن ولاية

-
- (١) انظر قبل : ص ٢٠٧ .
(٢) عماد الدين خليل : دراسة مقارنة (بحث) ، ص ٣٠٠ .
(٣) عن فتوح سعيد الحرشي وحروبه في ماوراء النهر ، (انظر
الفصل الرابع ، ص ٣٢٧ وما بعدها) .
(٤) سهيل زكار : تاريخ العرب والاسلام ، منذ ما قبل المبعث
وحتى سقوط بغداد ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة
الثالثة ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، ص ٢١٨-٢١٩ .

(١)
الجزيرة وتأميره على العراق ، في أعقاب عزل مسلمة عنها ،
وقد تمكن الخليفة يزيد من إعادة الهيبة الإسلامية هناك
عندما بعث اليها الجراح الحكمي الذي أوقف تقدمهم وحقق
النصر على جيوشهم .

لقد كانت حركة يزيد بن المهلب التي تمكن الخليفة
يزيد بن عبد الملك من القضاء عليها (سنة ١٠٢هـ) على يد
أخيه مسلمة بن عبد الملك ، فتنة لامة محمد ، أهلك فيها ابن
المهلب نفسه وأهله ، وسفك الدماء ، وفرق الجماعة ، ونكث
البيعة . وهي في الحقيقة حلقة في سلسلة من الحركات التي
حدثت زمن يزيد بن عبد الملك ، والتي تمكن من إخمادها ،
وحافظ طوال حكمه على سلامة البناء الداخلي للدولة ، وأبقى
على وحدة الامة .

(١) كانت ولايته على العراق أواخر سنة ١٠٢هـ أو أوائل سنة ١٠٣هـ . (انظر بعد / الفصل الخامس ، ص ١٧٥-١٧٦) .

المبحث الثاني

حركات الخوارج

- (١) حركة شاذب
- (٢) حركة مسعود العبدي
- (٣) حركة مصعب الوالبي
- (٤) حركة سعيد بن بحدل
- (٥) حركة علفان

المبحث الثاني

حركات الخوارج

(١) حركة شوذب والقضاء عليها :

ما أن تولى يزيد بن عبد الملك الخلافة حتى تجددت حركة شوذب الخارجى ، الذى كان قد خرج (سنة ١٠٠هـ) فى خلافة عمر ابن عبد العزيز ، ومخرجه بجوخى من ارض العراق ، وامير الكوفة يومئذ عبد الحميد بن عبد الرحمن . وقد بلغ اصحابه ثمانين فارسا ، اكثرهم من ربيعة ، وقيل : مائتين . وقيل

(١) اسمه بسطام بن مرة من بنى يشكر ، شاعر جبار ، خرج فى ايام عمر بن عبد العزيز بمكان قريب من الكوفة اسمه "جوخا" وكان اصحابه ثمانين ، تريت عمر فى قتالهم الى ان مات ، فلما ولى يزيد بن عبد الملك قاتلهم ، وقد تم القضاء عليه عندما جهز مسلمة جيشا من عشرة آلاف بقيادة سعيد الحرشى ، فحاصطوا بشوذب وقتلوه (سنة ١٠١هـ) .

الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٥٥/٦ - ابن الاثير : الكامل ، ١٥٥/٤ - مجهول : المعيون ، ٤١/٣ - الزركلى : الاعلام ، ٥١/٢ .

(٢) جوخا : اسم نهر عليه كورة واسمة فى سواد بغداد ، وهو بين خائقين وخوزستان . (ياقوت : معجم ، ١٧٩/٢) . وجوخى : هى الاراضى التى تحف بجانبى نهر المزار - وهو القسم الاسفل من مجرى دجلة الشرقى - وهى تمتد الى الشمال الغربى حتى كسكر ، كورة واسط . (كى لسترلج : بلدان ، ص ٦٣) . وانظر معنا هامش (١) اعلاه .

(٣) ابن قتيبة : الامامة ، ١٠٠-٩٩/٢ - المسعودى : مروج ، ٢٠٢-٢٠٠/٣ (قال الدينورى : كان خروجه بالحيرة ، وقال المسعودى : بالجزيرة) . ويبدو ان هذا اللبس حدث ، لان كثيرا من المؤرخين قالوا بخروج شوذب وحده على عمر ، بينما خرجت الحرورية على عمر فى اكثر من مكان ، ولعل هذه المواطن اماكن للشورات الاخرى . وسنلتعرض لذلك لاحقا عند الرد على من ظن ان عمر سالم الخوارج ولم يحاربهم . حيث ان عمر سالم من كفته الكلمة واقنعتته الحجة كشوذب ، وحارب من اعرض عن الحق ومات فسادا .

(٤) الطبرى : نفس المصدر والجزء والصفحة - ابن الاثير : نفس المصدر والجزء والصفحة - مجهول : نفس المصدر والجزء والصفحة - الاربلى : خلاصة ، ص ٢٥ (ولم يحدد مكان قيامها) .

(٥) ابن خلدون : المعبر ، ١٦٢/٣ (كما لم يقل من ربيعة ، وحرف جوخى بـ "خوخى") .

(١)

غير ذلك .

فكتب عمر الى عبد الحميد الا يحاربهم الا ان يفسدوا في الارض ، وان يبعث بازائهم رجلا صلبا في قوة ، على ان ياتهم بما كتب اليه . فوجه اليهم عبد الحميد محمد بن جرير البجلي في الف رجل . كما بعث عمر من قبله هلال بن احوز في الف مقاتل ، ووقف مع ابن جرير بازاء الخوارج لا يقاتلونهم .^(٢) وسارت الرسل بين عمر والمحكمة ، فبعثوا اليه من يناظره ، فاخذوا عليه : انه تولى بدون مشورة ، ودعوه الى التبرؤ من اهله ولعنهم ورد احكامهم ، واحتجوا على جعل الامر ليزيد من بعده ، فحاجهم في اقوالهم ، وقال في صيرورة الامر من بعده ليزيد ، بان الذي ولاه غيره ، والمسلمون اولى بمن كان فيهم بعده . فرفضوا قوله ، ورجع واحد منهما عن رأى الخوارج ، وعاد الآخر بقول عمر الى جماعته . وقيل : بل استنظرهما في مسألة ترك الامر ليزيد بعده ثلاثة ايام ، فخاف بنو مروان ان يخلع يزيد ، فدسوا من سقاء سما ، فما لبث بعد خروجهما من عنده ثلاثة ايام حتى مات .^(٣)

-
- (١) مجهول : العيون ، ٤٧/٣ (قال : كان بسطام في ثلاثمائة ويقال في ستمائة) .
 (٢) مجهول : نفس المرجع والجزء والصفحة .
 (٣) مجهول : نفس المصدر والجزء ، ص ٤٣-٤٦ - ابن قتيبة : الامامة ، ١٠٠-٩٩/٢ - المسمودي : مروج ، ٢٠٢-٢٠٠/٢ (والاخيرين لما يخيرون الى امثالهم على يزيد) .
 (٤) الطبري : تاريخ الامم ، ٥٥٦-٥٥٥/٦ - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢١٠-٢٠٩/٩ (لكنه فيما يظهر قد خلط بين ثورة شاذب وغيرها ، اذ اشار الى الثورة في العراق ولم يحدد من قام بها ، ثم محاربة عبد الحميد لهم وهزيمة جيشه ، وقيام عمر بارسال جيش بقيادة مسلمة قفى عليهم ، ثم ذكر طلب عمر من بسطام مفاوضته . والذي يبدو لنا ان هذه حركة سبقت ثورة بسطام وقضى عليها عسكريا ، بعد ان دعوا فلم يجيبوا . يؤيد ماذهبنا اليه ورود النص بذلك عند : الطبري ، نفس المصدر والجزء ، ص ٥٥٥ - ابن سعد الطبقات ، ٣٥٨-٣٥٧/٥ .

وعطفا على الرواية الاولى ، فان الرجل الذى ناظر عمرا
 اخبرهم بما جرى بينه وبين الخليفة ، فلما بلغهم حسن سيرته
 ورده المضالم ، اجتمعوا على عدم مقاتلته ، وقالوا : كفوا
 عنه ما ترككم . فقال رسول عمر : وهو يكف عنكم ما لم تفسدوا
 فنزل بسطام واصحابه حزة من الموصل ، كما كتب عمر الى عبد
 الحميد ، بنتيجة المفاوضات ، وامره بالكف عنهم الا ان
 يقاتلوه . فظل محمد بن جرير البجلي وابن اخوز بازانهم لم
 يقاتلوه حتى مات عمر . ولما ان نستبعد القول بتفكير عمر
 فى عزل يزيد ، وسم بنى امية له . فما كان عمر لينكث بيعة
 شملت يزيد معه بعهد سليمان ، بل نجده يوصى الى ولى عهده
 فى مرفه ، بالنصح للامة وتقوى الله ، وهذا يبطل من ادعى
 سمه . لكن الغالب انه قد نجح فى اقناع مناظريه من الخوارج
 وكانت سيرته وعدالته شفيعا له عند جماعتهم ، فى عدم قيام
 حجتهم عليه وبالتالي الخوف من حربه ، فحمى الامة والدولة
 من شر فتنة مستطيرة ، ووفر كثيرا من الجهد والمال لجند
 الدولة وبيت مالها .

تجدد الحركة فى عهد يزيد بن عبد الملك :

نقف حائرين امام الخلاف حول ما انتهت اليه المناظرة
 بين رسولى شاذب والخليفة عمر بن عبد العزيز ، حيث ان

-
- (١) حزة : بليدة قرب اربل من ارض الموصل ، وقد كانت قعبة
 كسورة اربل قبل . وقد بناها اردشير بن بابك ، وقالوا
 حزة من ارض الموصل . (ياقوت : معجم ، ٢/٢٥٦) .
 (٢) ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٦٧ - مجهول
 الميون ، ٤٦/٣ - ٤٧ - الاربلى : خلاصة ، ص ٢٠ .
 (٣) مجهول : نفس المصدر والجزء ، ص ٤٧ .

الخلافاً سيستمر بين الطبرى والمؤرخ المجهول فى سبب تجديد الحركة زمن الخليفة يزيد وكيفيته ^(١) . فالطبرى كمؤرخ له ميزة الاقدمية اتبعه آخرون كابن الاثير وابن خلدون ويظهر انهما نقلوا عنه . لنا على روايته

بعض المآخذ ، كقوله ان عمر طلب من مناظريه ان يمهله ثلاثة ايام ، ليبت فى سيرورة الامر من بعده ليزيد . وقد استبعدنا عزم عمر على تحويلها عن يزيد ^(٢) . كما اشار الى سم بنى امية لعمر ، وهذا ما لا نقره فهناك روايات اثبتت مرفه ، كما ان بنى امية لم يكن ليمجزم ذلك قبل اذا ما عزموا عليه . وسنرى الطبرى كما سيتبين بعد يقول بمسارعة عبد الحميد بن عبد الرحمن الى قتال شاذب تقرباً الى يزيد ، وهذا القول بعيد عن شخصية عبد الحميد التى عرفناها من مواقفه تجاه حركة ابن الملقب . والتى ظهر من خلالها تجنبه الفتنة وكرهه للقتال . وقد دعانا كل هذا الى العودة الى ترجمة معمر بن المثنى ابو عبيدة التيمى راوى هذا الخبر عند الطبرى ، فوجدناه مع سعة علمه خاصة فى الادب والنسب والاخبار ، قد رمى برأى الخوارج . وهذا يفسر جنوح الرواية الى جانب الخوارج ، بتوقف عمر عند رايهم فى يزيد ، ومباداة عبد الحميد لهم فى القتال بعد وفاة عمر .

ومن هنا فاننا نقدم رواية المؤرخ المجهول ، وان تاخر زمنيا عن الطبرى ، لقربها من المنطق وتناسبها مع الاحداث .

(١) انظر الخلاف بين الطبرى والمؤرخ المجهول حول ذلك فى الصفحة السابقة .

(٢) انظر الصفحة قبل السابقة .

(٣) انظر ترجمته عند : ابن حجر : تهذيب ، ١٠/٢٢١-٢٢٢ - ابن حجر : تقريب التهذيب ، ص ٥٤١ .

فقد روى انه "لما مات عمر بن عبد العزيز وولى يزيد ابن عبد الملك عادت الخوارج الذين كانوا مع بسطام فتجمعوا وطلبوا الفتنة ، وكان يزيد بن عبد الملك قد أقر عبد الحميد على الكوفة فوجه عبد الحميد تميم بن الحباب في الفين الى بسطام" ^(١) . وفيما يبدو انه قد تعرض لهم قبل ذلك محمد بن جرير وهلال بن أحوز ، فهزما ، مما دعى الخليفة يزيد بن عبد الملك الى التدخل بنفسه في الامر ، فأقر عبد الحميد على الكوفة وبعث من قبله تميم بن الحباب في الفين للقضاء على شوذب ، فحاربهم ، فكان نصيبه القتل وهزم جيشه فلجا بعضهم الى الكوفة ورجع الآخرون الى يزيد ، فوجه جيشا آخر بقيادة نجدة بن الحكم الأزدي فقتلوه ، وهزم أصحابه . ثم بعث اليهم الشجاع بن وداع في الفين ، فلم يكن حظه أوفر ممن سبقه ، حيث كان نصيبه القتل ، وان كان قد قتل من أصحاب شوذب في حربه بعض كبار أصحابه . وفي هذا القول ^(٢) ما يوضح ما وصلت اليه قوة شوذب ، يملحها صدق قتال الخوارج وان قل عددهم .

- (١) العميون ، ٦٤/٣ ، لكن الطبري : تاريخ الأمم ، ٥٧٥/٦-٥٧٦ ، فيما ذهب اليه ، أشار الى مباداة ابن جرير لهم بالقتال ، بأمر عبد الحميد ، فاقتتلوا ، وكان النصر للخوارج على جند ابن جرير الذي عاد الى الكوفة منهزما ، وقد أصيب هو نفسه ، كما قتل الكثير من جنده وكان شوذب وأصحابه قد طاردوهم حتى الكوفة ، ثم عاد الى موطنه . وانظر ذلك أيضا عند / ابن الأثير : الكامل ، ١٦٦/٤ - ابن خلدون : المعبر ، ١٦٣/٣ . لكنه لم يذكر سبب حرب عبد الحميد لهم .
- (٢) ذكر المؤرخ المجهول أن الجيوش قد وجهت من قبل عبد الحميد ، كما أنه لم يذكر حملة نجدة الأزدي . انظر : العميون ، ٦٤/٣-٦٥ .
- (٣) الطبري : نفس المصدر والجزء والمفحات - ابن الأثير : نفس المصدر والجزء ، ص ١٦٦-١٦٧ - ابن خلدون : نفس المصدر والجزء والمفحة .

القضاء على شوذب :

ثم القضاء على شوذب وأصحابه على يد مسلمة بن عبد الملك أثناء مسيره للقضاء على حركة ابن المهلب . فانه لما دخل الكوفة شكوا اليه أهلها مالمقيوه من شوذب ، وخوفهم منه فجهر جيشا من عشرة آلاف جعل قيادته سعيد بن عمرو الحرشي ، (١) ووجهه اليهم ، فدارت سنة ١٠١هـ الواقعة بين بسطام وجند الخلافة ، استبسل فيها الخوارج وكشفوا جند الشام ، فغشى الحرشي الفخيمة ، واستحث جيشه ، وحمل بهم على شوذب وأصحابه ، فالحق العزيمة بهم ، حيث قتل شوذب ، وكل أصحابه . (٢)

- (١) لم نجد مسلمة قد دخل الكوفة أثناء مسيره الى ابن المهلب ، وانما عسكر في النخيلة من أربها . (انظر ذلك قبل في مسيره أثناء عرشنا لأحداث ثورة ابن المهلب) .
- (٢) سعيد بن عمرو الحرشي ، يهود نسبة الى الحريش بن كعب ابن ربيعة ، قائد من الولاة الشجعان ، كان ثقيا بطلا ، وصفه ابن هبيرة بفارس قيس . من أهل الشام ، هو الذي قتل شوذب الخارجي ، وقتل بمن معه سنة ١٠١هـ ، وولاه ابن هبيرة خراسان سنة ١٠٣هـ ، ثم عزله وسجنه ، لعلمه بمكاتبته للخليفة وانه لايمتثل بأمارته ، ثم عاد الى الشام بعد أن أخرجه خالد القسري ، فولاه هشام سنة ١١٢هـ غزو الخزر ، ثم أمره بالعودة من أرمينية ، وله ولد بها . (الزركلي : الأعلام ، ٩٩/٣) .
- (٣) أورد يحيى بن الحسين خاطفا أن القضاء على شوذب كان سنة ١٠٤هـ . (انظر : غاية الأمان ، ص ١١٩) .
- (٤) ابن الأثير : الكامل ، ١٦٧/٤ - مجهول : العيون ، ٦٥/٣ قال : (أن يزيد أرسل مسلمة واليا على العراق ، فوجه سعيدا الى الخوارج) - ابن كثير : الهداية ، ط ١ ، ٢٤٤/٩ - ابن خلدون : العبر ، ١٦٣/٣ (وقد عرف نسبة من الحرشي الى "الحريشي") - شابت الراوي : العراق ، ص ٢٣٩ (الا انه قال : أن القضاء عليها كان بعد قتل يزيد بن المهلب ، كما أنه ذكر اسم قائد الجيش محرفا "عمرو بن حريث" ولم يذكر مصدره) .

وبهذا النمر أراح مسلمة الدولة من شائر كلغها الكثير
من الجسد والمال والرجال ، وأمن أهل الكوفة ، وتخلص من
عدو متربص ، يخشى خطره ، فلم يكن بوسع مسلمة أن يتجه إلى
ابن الملقب ويترك الخوارج وراء ظهره ، حتى لا يجد نفسه أمام
جبهتين قتاليتين في آن واحد . فقد يشغله هؤلاء من معتمه
الرئيسية ، ويستولي خطرهم على اهتمام جنده الكوفيين .^(١)

(١) عواد الأعظمي : مسلمة ، ص ١٧٢-١٧٣ .

(٢) حركة مسعود العبدي في البحرين واليمامة :

لم تكن حركة شوب هي الحركة الوحيدة للخوارج في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك ، فقد حفل عهده بعدد من الحركات ، من أهمها حركة مسعود بن أبي زينب العبدي في البحرين واليمامة .

أد خرج مسعود بالبحرين على الأشعث بن عبد الله بن الجارود ، فترك الأشعث البحرين وغبطها مسعود ، ثم سار إلى اليمامة ، وكان أميرها سفيان بن عمرو العقيلي ، ولاء أياها عمر بن هبيرة . فخرج إليه سفيان في بنى خليفة بالخمرة ، حيث دارت بينهما معركة شديدة ، انتهت بقتل مسعود بن أبي زينب . فتولى أمر الخوارج بعده هلال بن مداح فقاتل سفيان بقية يومه ، فقتل أناس من الخوارج منهم زينب أخت مسعود العبدي . وفي الليل تفرق عن هلال أصحابه وبقي في عدد قليل فتحصن بأحد القصور ، فلصبوا عليه السلاط وصعدوا إليه فقتلوه ، واستأمن أصحابه ، فؤمنوا ، وقيل أن مسعود غلب على البحرين واليمامة تسع عشرة سنة حتى قتله سفيان بن عمرو العقيلي . (٢)

(١) مسعود بن أبي زينب العبدي ، من بنى عبد القيس ، شاعر حروري ، من الأمراء الشجعان ، وثب في البحرين على الأشعث بن عبد الله بن الجارود ، فخرج الأشعث منها ، وسار مسعود إلى اليمامة فامتلكها ، ثم قتله سفيان العقيلي ، وقيل غلب عليهما تسع عشرة سنة . (الزركلي : الأعلام ، ٢١٧/٧) .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ١٩٠/٤ - ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٣٦ - عبد الرحمن عبيد الكريم النجم : البحرين في صدر الإسلام وأثرها في حركة الخوارج ، رسالة ماجستير ، غير مطبوعة ، مقدمة لكلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٧١م ، ص ١٧٨ (نقلا عن / ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٤٤ - أنساب الأشراف ، ج ٧ ، ورقة ١٢٥ - الكامل ، ١١٨/٥ - ١١٩ - ياقوت : معجم ، ٥٧٠/١ - ٥٧١ - ديوان الفرزدق ، ١١٩/١ - ٢٢٦ قال : وفي الديوان قيل : مولى لعبد القيس "يعلى مسعود" - عماد الدين خليل : دراسة مقارنة (بحث) ، ص ٢٩٧-٢٩٨ .

وعلى قول من خبر ان القضاء عليها قد تم سنة ١٠٥هـ ،
فهذا يعنى نشؤها (سنة ٨٦هـ) . وقد كان امير البحرين آنذاك
قطن بن زياد بن الربيع الحارثي ، وليس الاشعث .^(١)
ويبدو ان مقتلة الخوارج كانت في مكان يعرف "ببرقان"^(٢)
نستدل على ذلك من قول الفرزدق في هذا اليوم مادها بنى
حنيفة :

أرين الحروريين يوم لقائهم

ببرقان يوما يجل الموت اشقرا^(٣)

لكن مع اتفاق هذه المصادر على نهاية هذه الحركة على
يد سفيان بن عمرو العقيلي ، امير اليمامة ، المولى من قبل
ابن هبيرة كما زعم ، الا اننا نجد اختلافا على بداية الحركة
فابن خياط الذي نجده يقول بخروجه في ولاية ابن هبيرة^(٤)
- كانت ولايته على العراق من قبل يزيد سنة ١٠٢هـ حتى سنة
١٠٦هـ عندما عزل بخالد القسري من قبل هشام - نجده في مكان
آخر من نفس المصدر ، يقول بخروج مسعود في البحرين على^(٥)
الاشعث بن عبد الله بن الجارود سنة ٩٦هـ عندما ولاه اياها
يزيد بن المهلب امير العراق من قبل سليمان . وحيث ان
مصدرنا الرئيسي في تفصيلات القتال هو ابن الاثير ، الذي لم
يحدد زمن خروجه ، ولكنه قال على الاشعث ، وقد عرفنا تاريخ ولاية

(١) من اجل ذلك : انظر / ابن خياط : تاريخ ابن خياط ،
ص ٣١٠ .

(٢) برقان اليوم في جنوب الكويت ، وهو من حقول الزيت
المهمة . (انظر / عبد الرحمن النجم : البحرين ، هامش
ص ١٧٨) . وقال ياقوت : برقان موقع بالبحرين قتل فيه
مسعود بن ابي زينب . (معجم ، ٢٨٧/١) .

(٣) ابن الاثير : الكامل ، ١٩٠/٤ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٣٣٦ .

(٥) ص ٣١٣ .

الاشعث وهى سنة ٩٦هـ . وهو لم يكن بعد ذلك اميرا للبحرين
 فى خلافة يزيد بن عبد الملك . فاننا نستبعد على ضوء هذا
 القول استمرار حركته تسع عشرة سنة اعتمادا على انها بدأت
 سنة ٨٦هـ ، لاجماع المصدين الرئيسيين على حدوثها فى اماره
 الاشعث سنة ٩٦هـ ، وهى على هذا الاساس يكون عمرها مايقارب
 عشر سنوات فقط اذا ماصح القول بالقضاء عليها اواخر عهد
 يزيد . غير اننا لانتوقع سكوت بنى أمية على حركة خارجية
 هذه المدة الطويلة من الزمن ، وهى فترة كان مدرها زمن
 سليمان ثم عمر ، وقد امتازت بقوة الدولة وتمكنها من اخماد
 حركة كهذه بيسر . وعليه فاننا نجد فى رواية المؤرخ
 المجهول مخرجا من هذا الاضطراب . اذ قال : أن الذى خرج
 بالبحرين هو أخو مسعود بعد قتل أخيه . ويبدو من قوله أن
 مسعود هو الذى خرج على الاشعث سنة ٩٦هـ ، بل اننا وجدنا
 أن سليمان قد ولى اليمامة سفيان العقيلى ، ويظهر أنه تولى
 مهمة القضاء على حركة مسعود عندما تقدم نحو اليمامة ، وأن
 هذا قد تم زمن سليمان بن عبد الملك لايزيد ، وهو الاولى .
 حيث اننا وجدنا أن يزيد بن عبد الملك قد رد على
 ولاية البحرين واليمامة ابراهيم بن العربى ، أى بعد القضاء
 على حركة ابن المهلب التى شملت سيادتها هذه المناطق وكان
 ابن المهلب قد ولى البحرين ابان حركته هزم بن القرار

-
- (١) انظر ولاية البحرين فى خلافة يزيد بن عبد الملك ، بعد :
 الفصل الخامس ، المبحث الاول ، ص ٤٩٤-٤٩٥ .
 (٢) العيون ، ٧٥/٣ .
 (٣) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣١٩ .
 (٤) ابن خياط : نفس المصدر ، ص ٣٣٣ . كان اميرها منذ خلافة
 عبد الملك ، فلما مات اقره عليها الوليد . (انظر :
 ابن خياط : نفس المصدر ، ص ٢٩٨-٣١١) .

(١) العبدى . وهذا يعنى أن الاثعت بن عبد الله الذى قامت عليه الحركة ، وسفيان العقيلى الذى قفى عليها ، كانا اميرى البحرين واليمامة زمن سليمان ، مما يؤكد قيامها والقضاء عليها فى عهده ، لازمن يزيد بن عبد الملك . الذى فيما يظهر ان الحركة التى قامت زمنه كانت بقيادة اخ مسعود ، فخلط بينهما المؤرخون ، ووسموا الاخيرة بسمات الاولى واحداثها . الا أن المصدر الوحيد الذى وجدناه قد اشار الى حركة اخى مسعود لم يقدم لنا معلومات عن احداثها وكيف تم القضاء عليها .
(٢)

(١) الطبرى : تاريخ الامم ، ٦٠٠/٦ .
(٢) المصدر الوحيد الذى وجدناه أشار اليها هو : العيون والحدائق ، للمؤرخ المجعول ، ٧٥/٣ .

(٣) حركة مصعب الوالبي :

نجد عند ابن الاثير والمؤرخ المجهول ذكرا لحركة (١)
 حرورية جديدة ، تزعمها رجل من رؤساء الخوارج ، هو : مصعب
 ابن محمد الوالبي ، في العراق ، على عمر بن هبيرة امير (٢)
 العراق من قبل يزيد بن عبد الملك ، والذي تسبب في قيامها
 كما يبدو لنا ، ان مصعبا كان من رؤساء الخوارج فطلبه ابن
 هبيرة وطلب معه مالك بن الصعب ، وجابر بن سعد ، فخرجوا
 واجتمعوا بالخورنق ، وامروا عليهم مصعب ومعه اخته آمنه ، (٤)
 فساروا عن ابن هبيرة ، فلما استعمل خالد القسري على
 العراق من قبل هشام بعد ابن هبيرة ، بعث اليهم جيشا ،
 كانت قيادته لسيف بن هاني ، وكانوا قد صاروا بحزة من
 اعمال الموصل فالتقوا ، واقتتلوا ، فهزم الخوارج وقتل
 زعيمهم مصعب الوالبي ، وقيل : كان قتلهم آخر ايام يزيد بن
 عبد الملك ، لكننا لم نجد لهم خبرا في ولاية القسري ، مما
 يرجح القضاء عليهم زمن يزيد ، اذ كيف يتركهم ابن هبيرة
 وقد خرجوا على الامام ، وكان قد طلبهم قبل الخروج وعلان
 الحركة .

-
- (١) الكامل ، ١٩٠/٤ .
 (٢) العيون ، ٧٥/٣ .
 (٣) مصعب بن محمد الوالبي ، امير شاعر ، كان له شان في
 العصر المرواني ، خرج على ابن هبيرة فطلبه ، وسار
 بمن معه الى حزة بالموصل ، حتى بعث خالد القسري ،
 جيشا ، تمكن من القضاء على حركته وقتله . (الزركلي :
 الاعلام ، ٢٤٧/٧-٢٤٨) .
 (٤) الخورنق : موضع بالكوفة ، وقيل هو نهر ، والذي عليه
 اهل الاخبار والاثر انه قصر كان بظاهر الحيرة . (ياقوت
 معجم ، ٤٠١/٢) .

(٥) حركة عقفان :

(١)

خرج عقفان الحروري على يزيد بن عبد الملك ، بناحية دمشق ، وكان عدد أصحابه ثمانين رجلا من الخوارج .
ولقد كانت حركته تجربة ونهجا جديدا اتبعه الخليفة يزيد في مواجهة الخوارج والتعامل مع حركاتهم . حيث سلك الطريق السلمي في اخماد هذه الحركة .

فعندما اراد يزيد القضاء عليه عسكريا ، اشير عليه أن يبعث الى كل رجل من أصحاب عقفان رجلا من قومه يرده عن رأى الخوارج ، على أن يؤمنهم الخليفة . فقد قالوا للخليفة : ان قتل بهذه البلاد اتخذها الخوارج دار هجرة . فوافقهم الخليفة على رأيهم . وسار اليهم أهلهم ، وقالوا لهم انا نخاف أن نؤخذ بكم ، وامنهم ، فرجموا عن رأيهم وانفضوا من حول زعيمهم عقفان ، فبقى وحده ، فارسل اليه يزيد اخاه فاستعطفه وامنه ، فردده وقد ترك رأى الخوارج ، بل أنه خدم الدولة فتولى زمن هشام امر العمارة ، ثم استعمل على الصدقة

- (١) عقفان الحروري : لم اعثر له على ترجمة .
(٢) مجهول : العيون ، ٧٥/٣ - ابن الأثير : الكامل ، ١٩٠-١٨٩/٤ - عماد الدين خليل : دراسة مقارنة (بحث) ، ص ٥٩٨ .
(٣) لم تكن الشام مسرحا لثورات الخوارج ، حيث كان العراق مركزها ، لذا خشى الشاميون أن يسقى الدم البذرة الخارجية في أرض الشام فتنبؤوا بها ، وتورث الاحقاد مراعا حروريا سنيا لا ينتهي هناك . فان الخوارج اذا ما قامت لهم ثورة في مكان ما ، اعتبروه دار هجرة وجب على من على رأيهم الهجرة اليه ، بل أن الازارقة ، كفروا القعدة ولو كانوا على دينهم . (انظر : الشهرستاني : الملل ، هامش ص ١١٨-١١٩، ١٢١ - على الغرابي : تاريخ الفرق الاسلامية ، ص ٢٢٧) .

(١)

حتى توفي هشام .

ولقد نجح هذا النهج ، واخذت هذه الفتنة ، دون عناء
 ويعلق عماد الدين خليل على نجاح سياسة يزيد السلمية ازاء
 عقفان بقوله : ان بمقدور يزيد ان يتخلى بسياسة سلفه ازاء
 هذه الكتلة بدل العنف واراقة الدماء ومايجره ذلك على
 الدولة من خسائر فى الارواح والاموال ، وتفتت الوحدة وتفغلل
 الحق فى النفوس . خصوصا بعد نجاح تجربته مع عقفان ، مما
 يعنى انه ليست اساليب عمر وحدها التى نجحت فى هذا المجال .
 وهو هنا يرمز الى اسلوب عمر السلمى فى معالجة حركة شاذب
 الخارجى . لكننا وان وافقناه على نجاح عمر سلميا فى تعطيل
 حركة شاذب ، ويزيد فى انهاء حركة عقفان ، وان الحل السلمى
 خير على الدولة والامة . الا اننا نخالفه فيما يرمى اليه من
 وراء قوله ، وهو انه كان على يزيد ان يعالج الحركات
 الخارجية التى ظهرت فى عهده سلميا كما فعل عمر ونجح هو مع
 عقفان . فعمر لم ينجح فى التعامل مع كل الحركات الخارجية
 التى قامت فى عهده سلميا ، بل انظر الى اخماد بعثها
 عسكريا عندما لم تستجب الحورية الى توجيهاته . وماكان
 (٢)

(١) ابن الاثير : الكامل ، ١٨٩/٤ - ١٩٠ - مجهول : العيون ،

٧٥/٣ - عماد الدين خليل : دراسة مقارنة (بحث) ص ٢٩٨ ،

(٢) نفس المرجع والصفحة .

(٣) انظر قبل : ص ٢٣٢-٢٣٣ .

(٤) خرجت الحورية على عبد الحميد بن عبد الرحمن امير
 الكوفة ، زمن عمر ، فلما دماهم بامر عمر ، ولم
 يستجيبوا امره عمر بقتالهم ، فحاربهم وهزم جيشه ،
 فبعث عمر اليهم جيشا من قبله بقيادة مسلمة بن عبد
 الملك فهزمهم . ويبدو ان هذه الخارجة سبقت شاذب فى
 القيام على عبد الحميد فى العراق . (انظر عن ذلك /
 ابن سعد : الطبقات ، ٣٥٧/٥ - ٣٥٨ - الطبرى : تاريخ
 الامم ، ٥٥٥/٦) . كما خرجت خارجة اخرى فى الموصل على=

يزيد ليسعى الى الحرب مع امكانية دك الفتنة سلميا ، خصوصا
وقد رايناه قد عمل بذلك مع عققان ، ودعى ابن المهلب من
قبل الى السلم ، وساظن جنده قد قاتلوا خارجيا قبل أن
يدعوه الى الجماعة وترك الفرقة والخلاف . وهل ردت الدعوات
السلمية من على رضى الله عنه قبل فرقة المحكمية عن غيرها .
اننا نرى يزيد بن عبد الملك قد تمكن من تتبع الخوارج
واخماد حركاتهم المتعددة ، فى شىء من السرعة واليقظة
والقوة . ولقد أدت هزائهم المتلاحقة فى عهده ، الى ضعف
(١)
امر الخوارج لسنوات لاحقة .

= يحيى الفسائى عامل عمر بن عبد العزيز على الموصل ،
فدعوا ولم يجيبوا ، اذ لم تغلح معهم الطرق السلمية ،
ولم تقنعهم الحجة ، وأبوا الا القتال (انظر حركتهم
عند ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ،
ص ٩٤-٩٦) .

(١) نايف محمد معروف : الخوارج فى العصر الاموى ، ص ١٧٥ .
(*) هذا وقد اورد المؤرخ المجهول صاحب العيون والحداثق ،
٧٥/٣ ، أنه فى عهد يزيد بن عبد الملك حدثت حركة أخرى
من حركات الخوارج ، ينسبها الى سعيد بن بحدل . ولكن
برجونا الى المصادر السابقة والموشوق بها ، اتضح
لنا أن هذه الحركة انما حدثت فى عهد يزيد بن الوليد
ابن عبد الملك (الناقص) سنة ١٢٦هـ . عن ذلك انظر /
ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٧١ وما بعدها -
الطبرى : تاريخ الامم ، ٣١٦/٧ وما بعدها - ابن الاثير :
الكامل ، ٢٨٩/٤ - ٢٩٠ ، ٢٩٥-٢٩٦ . وقد ورد اسم هذا
الخارج فى المصدرين الاخيرين (سعيد بن بحدل) ، ولعل
ذلك تحريف لاسمه .

المبحث الثالث

حركة شيريم اليهودي

نعم أهل الذمة برعاية الدولة الإسلامية والأمن في حماها وحسن المعاملة من المسلمين في ظل ساحة مبادئ الإسلام وإنسانية تعاليمه ، كما تمتعوا بحريتهم الدينية التي تبيحها شريعة الإسلام لرعايا دولته . وهكذا تم التعايش السلمى بين الديانات تحت مظلة الدولة الإسلامية وشريعتها السمحة ، إلا أن بقاء بعض الأفكار والمعتقدات عند غير المسلمين والتفكير في أحيائها ، ولو كان ذلك مخالفا لشرائع الإسلام أو سيادة دولته ، أدى إلى قيام بعض الحركات التمردية ، والمدام بين تلك الفئات غير المسلمة مع سلطان الدولة الإسلامية .

(١)

فإن الكنيس اليهودي لم يحل في قلوب اليهود محل

(١) الكنيس اليهودي : مكان يجتمع فيه اليهود للعبادة منذ أيام موسى عليه السلام ، واستعملت الكلمة للدلالة على جماعة من اليهود يتلاقون لغرض ديني ، وبعد هدم الهيكل لأول مرة ، ازدادت أهمية الكنيس ، وأصبح في القرون الوسطى المركز الاجتماعي والثقافي للحياة اليهودية ، وكانت إقامة الطقوس والعبادات فيه بسيطة لا تحتاج إلى كاهن معين (رسمي) ، أما الآن فيعين لكل كنيس كاهن يقوم بالشعائر الدينية فيه . (الموسوعة العربية الميسرة : تأليف مجموعة من الأساتذة المتخصصين برئاسة الأستاذ/محمد شفيق غريبال ، دار نهضة لبنان للطبع والنشر ، بيروت ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، ١٤٨٦/٢-١٤٨٧) . وهو غير (الكنيسة) ، وهي كلمة عبرية تعني حرفيا (مكان الاجتماع) ، ويسمى المعبد اليهودي "بيت هاكنيست" أي المكان الذي يجتمع فيه اليهود ، وتستخدم هذه الكلمة الآن في إسرائيل للإشارة لمجلس البرلمان الإسرائيلي ، وقد تم تكوينه لأول مرة في فبراير ١٩٤٩م ، ويتكون من (١٢٠) عضوا . (انظر / عبد الوهاب المسيري : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٧٤م ، ص ٣١٤) .

- (١) الهيكل بكل معاني الحلول ، فقد ظل أمل اليهودى أن يقدم
(٢) القربان ليهوه ، فى يوم من الايام أمام قدس الاقداس على تل
(٣) صهيون ، مما عرضه لخداغ من ادعى أنه "المسيح المنتظر" فى
(٤)

- (١) الهيكل : هو أهم مبنى للعبادة اليهودية فى فلسطين شيده سليمان عليه السلام ، وهدمه البابليون عام ٥٨٦ ق.م ، ثم أعيد بناؤه عام ٢١٥ ق.م ، وأدخل المكابيون والحشمونيون بعض التعديلات والتجديدات عليه ، ثم قام هيرود بتوسيعه ، وبلى حوله سورا عالية ولكن الرومان حطموا الهيكل عام ٧٠م على أثر ثورة قام بها اليهود . (عبد الوهاب المسيرى : موسوعة المفاهيم ، ص ٤٢٥) . وانظر بثوسع : حسن ظاظا : أبحاث فى الفكر اليهودى ، الطبعة الاولى ، مطبوعات دار القلم ، دمشق ، ١٤٠٧هـ . ص ٥٣٠، ٥٢٠، ٤٥٠ .
- (٢) يهوه : اسم لله ورد فى سفر الخروج ، وهو لفظ عبرى ، معناه الموجود أو الكائن ، أو الذى كان ، وقد أطلقت التوراة اسم يهوه على الله فى المواضع التى اعتبرته فيها إله اليهود وحدهم ، وهو الذى أعلن نفسه بهذا الاسم لموسى النبى - عليه السلام - وكلفه أن يبلغه لليهود كى يعرفوه بهذا الاسم ، إذ جاء فى سفر الخروج "فقال موسى لله هاأنا آتى الى بنى اسرائيل وأقول لهم إله آبائكم أرسلنى اليكم ، فإذا قالوا لى مااسمه ، فماذا أقول لهم ؟ فقال الله لموسى ... هكذا تقول لبنى اسرائيل ، يهوه إله آبائكم ، إله ابراهيم وإله اسحق وإله يعقوب أرسلنى اليكم ، هذا اسمى الى الابد (الخروج ٣/١٣-١٥) . انظر / زكى شنودة : اليهود نشأتهم وعقيدتهم ومجتمعهم ، من واقع نصوص التوراة كتابهم المقدس ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، ١٩٧٠م ، ص ٢٩٢-٢٩٣ . وأشار الى ذلك (محمد خليفة التونسى) (مترجم) : الخطر اليهودى (بروتوكولات حكماء صهيون) ، الطبعة الرابعة ، ص ٦١، ٢٦) صهيون : قيل هى : الروم ، وقيل : البيت المقدس ، قلت موضع معروف بالبيت المقدس ، محلة فيها كنيسة صهيون . (ياقوت : معجم ٣/٤٣٦) . وقالت أبقار السقاف : هو آخر حمون كنعان ، وقد امتلكه داود . انظر كتابها : اسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة ، عالم الكتب ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، ١٩٦٧م ، ص ٣٦٦ .
- (٤) المسيح المنتظر : ينتظر اليهود مسيحا يخلصهم من الخبوع للأمةيين على شرط ألا يكون فى صورة قديس ، كما ظهر عيسى بن مريم - عليه السلام - كى يخلصهم من الخطايا الخلقية ، لذلك أنكروه ، لكنهم يشترطون أن يكون فى صورة ملك من نسل داود يعيد الملك الى اسرائيل ، ويخضع الممالك كلها لليهود ، وذلك بالقضاء =

(١)

كل الاوقات .

وهذا ما استغله بعض الدجالين اليهود ، فقامت على ايديهم بعض الحركات اليهودية ، من ذلك ما حدث عام (١٠١ - ١٠٢هـ / ٧٢٠م) حين أعلن شيريم (Sereme) وهو يهودى سورى انه المسيح المنتظر ، والمنقذ لليهود ، وسير حملة لانتزاع فلسطين من المسلمين . فغادر يهود بابل واسبانيا مواطنهم ليشتركوا فى هذه المغامرة . بل قيل : انه لما سمع بخبره عرب الاندلس ، وكان بعضهم من اهل الشام ، صدقوا مقالته ، فعادوا الى سوريا وقد تركوا الفنائم التى غنموها ، والساكن التى ارتضوها ، فلبط عنبة بن سحيم الكلبى (امير الاندلس ١٠٣ - ١٠٧هـ) ، الاملاك التى تركوها ، وحولها لبيت

= على السلطة فى كل الاقطار الاممية ، اذ يعتبرون السلطة على شعوب العالم من اختصاص اليهود ، حسب وعد الله وتقديره . (محمد التونسى : نفس المرجع ، ص ٥٨) . وأضافت ابيكار السقاف : ان هذه الفكرة باستعادة الدولة الزائلة فى الارض الموعودة ، على اعتبار ان فلسطين منحة من الرب يهود لبنى اسرائيل منذ عهد ابراهيم ، تولدت عند اليهود فى غضون الاسر البابلى ، فتحولت الى عقيدة . (انظر : نفس المرجع ، ص ٢٦٨-٢٧٤) .

(١) ديورانت : قمة الحفارة ، ٧٦/١٤ .

(٢) اورده شكيب ارسلان اسم هذا الدعى "زوناريا" . حيث قال "خرج فى سورية نبي كذاب اسمه زوناريا" . انظر : غزوات العرب ، ص ١١٢-١١٣ .

(٣) ديورانت : قمة الحفارة ، ٧٧-٧٦/١٤ - توفيق اليوزبكى : تاريخ اهل الذمة فى العراق ، ص ٣٠٩ (نقلا عن : ديورانت : قمة الحفارة ، ٧٨-٧٧/١٤) الا انه حرف النص فقال : ان شيريم أعلن انه سيسير باليهود ويحملهم على انتزاع فلسطين من المسلمين . ولم يقل سِير حملة كما انه أشار الى ان يهود فارس تبعوه ويهود العراق والاندلس . واخيرا ، قال : بان القائم بها قبض عليه ، ولم يقل أسر ، كما نص على ذلك ديورانت . وهذا يعنى انه أراد ان يقول ان شيريم أعلن عن عزمه ، لكنه قبض عليه قبل تسيير الحملة . وهذا يخالف مانص عليه ديورانت ، الذى أخبر بتسيير الحملة ، واسر صاحبها . وهذا ما جعلنا نقف عند قول اليوزبكى اذ ان مصدره الوحيد ديورانت ، فلم نجد مبررا لتحريفه ، وانما افته .

(١)

المال .

الا ان القائم بها أسر ، وعرضه الخليفة يزيد بن عبد الملك على الناس على أنه مهرج دجال ، ثم امر به فقتل .^(٢)
ويغلب على الظن ان هذه الحركة ، لم تصل الى مرحلة التنفيذ ، فيبدو انه قد تم اكتشاف امر شيريم وهو لا يزال يدعو الى حركته ، ويعد نفسه للقيام بحملته . واليهود أجدر الناس بأبرام المؤامرات وتدبير الدسائس في سرية تامة وتنظيم دقيق . نقول هذا مع ان ديورانت قد نص على تسييره الحملة لانتزاع فلسطين ، ووقوع القائم بها في الأسر . وهذا يعنى مواجهة الدولة في عهد الخليفة يزيد لهذه الحركة ، واخمادها . لكن افعال المصادر الاسلامية لهذه الحركة اليهودية ، دعانا الى القول باحتمال انكشاف امر القائم عليها ، وان حركته لازالت في مرحلتها السرية ، وان قيامها - ان صح ذلك - كان نتيجة لعقائد يهودية باطلة ، رعى اصحابها ان تتحقق ، فكانوا فحية الادعياء منهم .

-
- (١) شكيب ارسلان : غزوات العرب ، ص ١١٢-١١٣ .
(٢) هو في الحقيقة دجال ، لانه ادعى مالمين حقا ، ففكرة المسيح المنتظر ، دعوى يهودية باطلة . (انظر / قبل : هامش ٤ ص ٢٤٩-٢٥٠) .
(٣) ديورانت : قصة الحضارة ، ٧٧-٧٦/١٤ .
(٤) نفس المرجع والجزء والمفحة .

المبحث الرابع

حركة بلای

لم يعد المشرق الاسلامی وحده موطنًا للحركات التمردية ، فان توسع رقعة الدولة الاسلامية ، وما انضوى تحت لوائها من اجناس وقوى ، لم تدخل فی دين الاسلام ، ولم يجد الولاء لحكومته طريقا الى نفوس بعض اهلها، جعلها حربا على الاسلام ودولته . ومن تلك القوى ، بقايا القوط فی الاندلس ، الذين التفوا حول رجل منهم يدعى بلای ، خرج بهم على سلطان المسلمين فی الاندلس ، وقاد حركة المقاومة النمرانية هناك .

منشأ الحركة :

تختلف المصادر العربية وغير العربية على منشأ حركة بلای من حيث التاريخ والكيفية ، بل وتقدم لنا روايات متضاربة عن احداث هذه الحركة ، نموها وموقف المسلمين منها، حتى تعذر على المؤرخ الوصول الى الحقيقة التي لاشك فيها ، بل وقلما يتفق مؤرخان على شيء منها ، وان حدث فالاختلاف وارد على غيره .

فتختلف المراجع على بلای وكيفية قيامه بالامر ، فمنها ما يذهب الى انه كان حامل سيف لذريق (آخر حكام القوط الذي تم الفتح فی زمنه، بعد ان قضى عليه المسلمون سنة ٨٩٢هـ) وانه هرب مع الغل الى جليقية ، فجمع الناس حوله ، وحارب بهم المسلمين . ومنها ما يشير الى انه كان منغيا من طليطلة

بسبب خلاف حدث بينه وبين غيشطة وقيل مع لذريق ، ففر الى كنتبرية واشترى فلما لجأ الغل الى هذه النواحي دعاهم الى حرب الفاتحين ، قولوه أمرهم .

وبعض المصادر ، كالمقرئ يشير الى أن بلای من اهل اشتوريش من جليقية ، كان رهينة عن طاعة أهل بلده ، فهرب من قرطبة ايام الحر بن عبد الرحمن (سنة ٩٨هـ) ، وشار النصارى معه ، على نائب الحر ، فطردوه ، وملكوا البلاد .

وبلای كما يذكر حسين مؤنس ابنا لغافيلادوق كنتبرية ،

وان غافيلاد كان قد استقر في تودة عاصمة كنتبرية في ذلك الحين ، بعيدا عن البلاط القوطي في طليطلة ، على اثر نزاع قام بينه وبين الملك "أجبكا" ، وقد تجدد النزاع بعده مع خلفه الملك غيشطة ، لطمع غيشطة في زوجه "ام بلای" أو لسبب

آخر ، ففر مرة أخرى الى كنتبرية ، حيث مات هناك مخلفا ابنه بلای ، الذي انضم الى لذريق وأمانه عندما وُثب على

غيشطة ، فلما أدرك العرش ، كافأ بلای بأن جعله "حامل سيفه" واستمر على هذا حتى فتح المسلمين لشبه الجزيرة الايبيرية .

(١) فتح الطيب في غنم الاندلس الرطيب ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، نشر دار الكتاب العربي ، بيروت ، والمجلد الاول ، تحقيق احسان عباس ، دار صادر بيروت ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م ، ٣٥٠/٤ .

(٢) جمع هذه الروايات المتناقضة حسين مؤنس في كتابه : فجر الاندلس ، ص ٣١٤-٣١٨ ، ٣٢٠ . وقد حاول الحوفيقي بينها والوصول الى تسلسل منطقي للأحداث . انظر : نفس المرجع ، ص ٣٣٣-٣٣٥ . ورايه اجتهدا منه خالفه فيه او في بعضه ، بعض المؤرخين كخليل السامرائي . (انظر كتابه : الثغر الاعلى ، ص ١٠٨) .

(٣) نفس المرجع ، ص ٣٣٣-٣٣٤ - و خليل السامرائي : نفس المرجع ، ص ١٠٢-١٠٣ .

(٤) هناك رواية تذكر أنه كان على خلاف مع لذريق فنجاه عن طليطلة ، فأقام نفسه أميرا على اشتريش . انظر ذلك عند / حسين مؤنس : فجر الاندلس ، ص ٣١٨ .

وايا كان بلاى وقصته حتى تزعم المقاومة ضد المسلمين ،
فانه ظهر كمنافىء للسيادة الاسلامية على اسبانيا فى ولاية
الحر بن عبد الرحمن على الاندلس ، اذ يخبرنا المقرئ : أن
اول من جمع قل النصارى بالاندلس بعد غلبة العرب لهم شخص
يدعى بلاى من اهل اشتوريش من جليقية ، كان رهينة عن طاعة
اهل بلده ، فعرب من قرطبة ايام الحر بن عبد الرحمن ، سنة
٩٨هـ ، وخرج معه النصارى على نائب الحر فطردوه ، وملكوا
البلاد . كما نجد شكيب ارسلان يشير الى قيامه على الحكم
الاسلامى زمن الحر وانه اول ملك لاسبان بعد دخول العرب
لاندلس . لكن الامر على ما يبدو لم يصل الى اخراج حاكم
الاقليم المسلم من خيخون مركز الناحية . وانما كان اعلنا
للمتدرد ، ادى فى الغالب الى مفاوضات بين نائب الحر
والمتمردين ، الا ان عزل الحر وتولية السمع الاندلس ، لم
يمكن السلف من مباشرة الامر بنفسه ، وتولى السمع هذه
المهمة ، فبعد ان اطمأن على استقرار الامور داخليا ، وأعد

- (١) الحر بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان الثقفى ،
أمير الاندلس لسليمان بن عبد الملك ، وليها بعد مقتل
عبد العزيز بن موسى بن نصير ، وكانت الاندلس فى ايامه
تابعة لوالى افريقية . (الزركلى : الاعلام ، ١٧٢/٢) .
لكنه أخطأ عندما قال باستمراره الى سنة ١٠٦هـ وعزل
بعنيسة بن سحيم . اذ الصحيح انه عزل من قبل عمر بن
عبد العزيز بالسمع بن مالك سنة ١٠٠هـ . (انظر /ابن
مذارى : البيان المغرب فى أخبار الاندلس والمغرب ،
تحقيق ج.م. كولان ، اليفى بروكسفال ، ج ١ دار الثقافة
ببيروت ، ج ٢ ليدن هولندا ، مطبوعات ا.ج. بريل ١٩٥١ م ،
٢٦/٢ - محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام فى الاندلس ،
من الفتح الى بداية عهد الناصر - العصر الاول - القسم
الاول ، الطبعة الرابعة ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ،
١٣٨٩هـ ، ص ٧٤ .
(٢) نفخ الطيب ، ٣٥٠/٤ - خليل السامرائى : الشجر الاعلى ،
ص ١٠٣ .
(٣) غزوات العرب ، ص ٦٧ .

جيشه لخوض غمار الحروب ، توجه الى المناطق الشمالية من
الاندلس ، فحارب عصاة المسيحيين ، وهزمهم ، واجبرهم على
اللاجوء الى المعازل الجبلية في الاسترياس . غير أن هزيمة^(١)
المسلمين واستشهاد قائدهم السمع بن مالك في معركة طولوشة
في بلاد الغال ، قد أوجد الفرصة للمتمردين بقيادة بلاى من^(٢)
معاودة نشاطهم ضد المسلمين . لكن عبد الرحمن الغافقى -
الذى ارتد بالجند بعد الانكسار في معركة طولوشة الى الاندلس
فولاه أهلها أمرهم حتى قدوم الوالى الجديد - تمكن من اخماد^(٣)
بوادى الخروج التى ظهرت في الولايات الجبلية الشمالية .

قيام بلاى ابان ولاية عنبة الكلبى :

أخذت حركة بلاى في ولاية عنبة بن سحيم (١٠٣ - ١٠٧هـ)
بعدا اكبر ، إذ تشير مجموعة من المصادر والمراجع الى أن
بلاى قام بجليقية في ولاية عنبة - أمير الاندلس زمن يزيد بن
عبد الملك - فحرض أهل البلاد ، ودعاهم الى حرب المسلمين ،

(١) محمد زيتون : المسلمون في المغرب والاندلس ، دار
الوفاء للطباعة ، القاهرة ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ص ١٩٧ .
(٢) عبد الرحمن بن عبد الله بن بشر بن الصارم الغافقى ،
أمير الاندلس ، من كبار القادة الفزاة الشجعان ، أصله
من غافقى من قبيلة عك باليمن ، رحل الى افريقية ،
كثرت جموعه بعد مقتل السمع سنة ١٠٢هـ ، فانتقل الى
أربونة ، فانتخب أميرا من المسلمين ، وأقره والى
افريقية ، فنشأ خلاف بينه وبين عنبة بن سحيم (أحد
القادة) فعزل عبد الرحمن وولى عنبة مكانه ، ثم ولاه
هشام إمارة الاندلس سنة ١١٢هـ ، فخرج لفتح بلاد الغال
وتوغل فيها ، إلا أنه استشهد في معركة بلاط الشهداء
سنة ١١٤هـ . وذكر في حاشيته أن من المؤرخين من أرخ
لوفاته سنة ١١٥هـ و ١٢٢هـ والاصح ما قدمناه . (الزركلى :
الاعلام ، ٣١٢/٣ - ٣١٣) . وترجم له في ايجاز ابن حجر .
(انظر : تهذيب ، ١٩٧/٦) .

(٣) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام ، ص ٨١ - ٨٢ .

(١) ودافع عن أرضه ، فأخذ نصارى الأندلس في مدافعة المسلمين عما بقى بأيديهم من أرضهم ، وكانوا لا يطمعون في ذلك . ويغهم من هذا القول أن بلای يعتبر منشاء حركة المقاومة النصرانية ، ومجدد دولة النصرانية في الأندلس ، وأن نهوضه بها كان الحجر الأول في بنائها الجديد . وأن زمن عنبسة كان بدايتها (٢) عندما استجاب أهل جليقية لبلای وعملوا على حرب المسلمين ومدافعهم عن أرضهم ، وأن كان نجاحهم قد تحقق بعد ذلك . وبطبيعة الحال تصدت لهذه الحركة القوة الإسلامية المتواجدة في المنطقة الشمالية ، فقد سكن المسلمون تلك المناطق ، وتركوا بعد الفتح حامية في خيخون ، ونائب يحكم المنطقة تحت إمرة الوالى ، إلا أنه ليس لدينا تلميحات عن القوات التى تولت اخماد الحركة . غير أن القول بمدافعته عن أرضه ومدافعة النصارى المسلمين عما بأيديهم ، يعنى مقاومة الجيش الإسلامى الذى حاول القضاء على الحركة . ويشير (٤) منطق الأحداث الى فشل الحامية الإسلامية وحاكم الاقليم فى التصدى للمتمردين ، واخماد حركتهم ، فمارت الامور فى صالح بلای ، الذى بادر الى اخراج المسلمين . اذ نجد حسين مؤنس يشير الى قيام بلای على الحاكم المسلم ، الذى يملك اطراف جهته ، فنفاهم عنها . أى أخرج المسلمين عنها . ونحن نعلم

-
- (١) فى هذا القول اشارة الى أن بلای كان مستقلا بناحيته ، وله أرضه التى فيما يبدو أنها الصخرة وماحولها .
 (٢) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٢٢٤-٢٢٥، ٢٢٧ - المقرئ :
 نفح الطيب ، ١٧/٣ ، ١٦-١٥/٤ ، ٢٥٠-٢٥١ - خليل
 السامرائى : الشجر الأعلى ، ص ١٠٥ .
 (٣) حسين مؤنس : نفس المرجع ، ص ٢٢٤ .
 (٤) خليل السامرائى : نفس المرجع ، ص ١٠٥ .
 (٥) نفس المرجع ، ص ٢٢٧ .

ان حاكم الاقليم كان مركزه خيخون ، وهذا يعنى اخراج بلای للمسلمين من خيخون واستيلائه عليها . يعزز مذهبنا اليه ، رواية تقول ان العرب استولوا على خيخون مدة قصيرة من (سنة ٩٥هـ/٧١٥م - ١٠٣هـ/٧٢٢م) لان الامير بلای اول امير اسباني مستقل بعد مجيء العرب ، استرجعها وصارت مركزا لملوك اشتوريث^(١) . وهذه السنة التى استعاد فيها بلای خيخون كما تشير الرواية ، هي اول حكم عنبسة فى الاندلس (سنة ١٠٣هـ) . مما يعنى انه استولى عليها فعلا عندما قام على نائب عنبسة وهذا مادفع عنبسة الكلبي أن يقوم بنفسه الى بلای لاختناد حركته واعادة السيادة الاسلامية على تلك الانحاء ، اذ يُذكر ان عنبسة توجه على رأس قوة عسكرية الى منطقة جليقية ، فقام بتوطيد سلطة الدولة وقضى على مظاهر المقاومة فيها ، عدا بلای ومن التف حوله ، فقد لجأوا الى الجبال وأبوا ان يلقوا السلاح ، فتركهم المسلمون . وهذا يعنى دحر بلای ومن معه الى المناطق الجبلية ، واستعادة خيخون وفرض السيطرة الاسلامية على جليقية من جديد، مع بقاء المقاومة تتربص بالمسلمين ، منتظرة الوقت المناسب للانقضاض عليهم .

(١) شبيب أرسلان : الحلل السندسية فى الاختيار والاشار الاندلسية ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٣٥٥هـ ، ٥٨/٢ .
(٢) خالد الصوفى : تاريخ العرب فى الاندلس ، الفتح وعمر الولاة (٩٢-١٣٨هـ/٧١١-٧٥٦م) ، منشورات الجامعة الليبية ، كلية الآداب ، بنغازى ، ١٣٩١هـ/١٩٧١م ، دار النجاح ، بيروت ، ص ٢٢٠-٢٢١ .

الحركة بعد عهد يزيد بن عبد الملك :

ظل بلاى فيما يبدو يرقب الأوضاع ، فعندما رأى اضطراب المسلمين بعد انكسارهم فى بلاط الشهداء سنة ١١٤هـ ، قوى أمره مرة أخرى ، لكن عقبة بن الحجاج السلولى والى الأندلس (١١٦ - ١٢٣هـ) تمكن من رد بلاى الى الصخرة ، وعمت فتوحاته جليقية كلها .^(١) إلا أنه فى أعقاب فترة هذا الوالى ، واضطراب أمر الأندلس ، بفتنة أبى الخطار وشوابه ، وحركات البربر فى شمال إفريقيا ، استفاد بلاى من هذه الظروف ، فأخرج المسلمين من اشترين ، ويبدو أن أهل استورقه من المسلمين حاربوه ، لكنه هزمهم ، إذ تشير المصادر الى معركة تسمى "كوفيا دونجا" لقى فيها المسلمون الهزيمة ، واستطاع بلاى^(٢) على أثرها اخراج المسلمين من جليقية كلها ، وتوحد كل مذهب فى دينه . ويرجع حسين مؤنس أن هذه المعركة حدثت سنة ١٣٣هـ أو مابعدا . وأن وفاة بلاى كانت بعد ذلك بقليل من

-
- (١) خليل السامرائى : الخضر الأعلى ، ص ١٠٨ .
 - (٢) انظر أخبار هذه الفترة التى قامت على أساس العممية بين المفرية واليمانية ، عند / أحمد مختار العبادى : تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية ، ص ٩٤-٩٥ .
 - (٣) عن شورات البربر العامة سنة ١٢٢هـ ، بزعامة ميسرة المطفرى ، ومن خلفه . (انظر / أحمد العبادى : نفس المرجع ، ص ٩٠-٩٣) .
 - (٤) انظر أخبارها عند / حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٣٢١-٣٢٢ - خليل السامرائى : نفس المرجع ، ص ١٠٥-١٠٦ .
 - (٥) حسين مؤنس : نفس المرجع ، ص ٣٢٦ - خليل السامرائى : نفس المرجع ، ص ١٠٩ .

(١) نفس السنة . لقد كانت هذه الواقعة حاسمة ، فقد مهدت لدولة
 اشتريس ، فثبتت قواعدها ، على نحو لم يستطع المسلمون
 ازالها بعد ذلك ، وبذلك كانت حركة بلاى حادشا فاصلا فى
 التاريخ الاسبانى ان انها كانت البداية الحقيقية لحركة
 المقاومة النصرانية ضد المسلمين فى الاندلس .
 (٢)

-
- (١) فجر الاندلس ، ص ٣٣٠-٣٣١ - وقد وافقه خليل السامرائى
 الثغر الاعلى ، ص ١٠٩ . حيث ان بعض المؤرخين ذهبوا
 الى ان هذه المعركة حدثت فى ايام غنبة الكلبي .
 (انظر هذا القول عند / حسين مؤنس : نفس المرجع ،
 ص ٣٢٩) . لكننا نذهب الى ما وصل اليه حسين مؤنس فى
 التاريخ لهذه المعركة ، وان بلاى وان قام على غنبة ،
 الا ان معركة كوفادونجا لم تحدث فى زمنه ، لانها كانت
 تعنى نجاح حركة المقاومة ، وتأسيس دولتها النصرانية
 وهذا لم يحدث الا بعد عهد غنبة الكلبي .
 (٢) حسين مؤنس : نفس المرجع ، ص ٣٣٦-٣٣٧ - السيد عبد
 العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ،
 ص ١٦٩ .

المبحث الخامس

حركة أخيلا

خروجه على السمع بن مالك في الأندلس والقضاء على حركته :

لم يكن بلاى الرجل الوحيد الذى سعى الى اعادة الحكم القوطى فى اسبانيا ، بل أن هناك من شاركه هذا الأمر ، وهو أخيلا بن غيطة ، الذى تعاون مع المسلمين الفاتحين ظنا منه أنهم سيكتفون بالفنائم ، ويتركون له البلاد ، فلما تبين له هدفهم ، وأن الفتح للفتح والدعوة للإسلام ، مما يعنى البقاء والاستقرار ، تمرد عليهم ، وخرج على سلطانهم .
(١)
وقد كان أخيلا يقيم فى مدينة طركونة الأندلسية ، عندما

(١) كان غيطة ملكا على اسبانيا من سنة (٨١-٨٩٠هـ/٧٠٠-٧٠٩م) وقد قام ببعض الأعمال التى أشارت عليه نعمة أهل البلاد ، حيث عمل على تولية ابنه الطفل "أخيلا" حاكما على ولايتى أربونة وطركونة ، تحت وصاية عمه رخشدش ، فلما توفي غيطة ، تولت زوجته تدبير ملكه فى طليطلة فتغلب عليها لذريق ، فلجا آل غيطة الى جليقية ، وحاولوا استرداد عرشهم ، لكنهم هزموا أمام لذريق ، ويبدو أن أخيلا هرب الى أفريقية وأقام عند يوليان حاكم سبته ، ودعا المسلمين الى فتح اسبانيا . وكان أبناء غيطة يأملون من وراء تعاونهم مع المسلمين أن يعود اليهم ملك أبيهم ، وأن المسلمين سيكتفون بالفنائم ويتركون البلاد لهم . وقد كان لأخوي أخيلا وهما بالمندو وأرطياس دور فى هزيمة لذريق أمام المسلمين فى معركة وادى بكة (سنة ٨٩٢هـ) ، إذ كانا معه فخذلاه وتعاونوا مع المسلمين . (خليل الصامرائى : الثغر الأعلى ، ص ٣٨٢-٣٨٥) .

(٢) طركونة : بلدة بالأندلس ، متصلة بأعمال طرطوشة ، وهى مدينة قديمة على شاطئ البحر ، وهى بين طرطوشة وبرشلونة ، بينها وبين كل واحدة منهما سبعة عشر فرسخا . (ياقوت : معجم ، ٣٢/٤) .

(١) استولى عليها المسلمون على يد الحر بن عبد الرحمن الثقفي ، ضمن النواحي التي استكمل المسلمون فتحها بعد حركة الفتح الاولى للاندلس . وقد ظن اخيلا ان المسلمين سيتركون ناحية طركونة له ، كما ظن غيره من آل غيطشة ان المسلمين يتركون البلاد لهم ، فلما وجد اخيلا المسلمين مقيمين في البلاد وانه لن يعمل الى العرش على أيديهم ، خرج عليهم في طركونة ، فسار اليه السمع بن مالك الخولاني (١٠٠ - ١٠٢هـ) ، واخضع البلد واخمد التمرد . ومن المحتمل ان السمع قضى على هذه الحركة وهو في طريقه الى بلاد الغال (فرنسا) غازيا (سنة ١٠١هـ) ومواصل فتوحات المسلمين فيها .

- (١) كانت ولاية الحر بن عبد الرحمن على الاندلس بين عامي (٩٧-١٠٠هـ) . (انظر / احمد العبادي : تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٨٦) .
- (٢) عن فتح الاندلس . (انظر / احمد العبادي : نفس المرجع ، ص ٧٨-٥١) .
- (٣) السمع بن مالك الخولاني ، امير من بني خولان من قبيلة، استعمله عمر بن عبد العزيز على الاندلس ، وأمره ان يميز أرضها ، ويخرج ما كان فتحه عنوة فيأخذ منه الخمس ، وأن يكتب اليه بمكة الاندلس ، فقدمها سنة ١٠٠هـ ، وفعل ما أمره به عمر ، واستشهد غازيا بأرض الفرنجة ، وكانت قرطبة عاصمته ، وهو الذي بنى قنطرته (ت ١٠٢هـ) . (الزركلي : الاعلام ، ١٣٩/٣) .
- (٤) حسين مؤنس : فجر الاندلس ، ص ٥٠٦-٥٠٧ (نقلا عن ابن القوطية : تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٥ - سيمونيت ، ص ١٧٠-١٧١) . لكنه أشار الى ائزال السمع شيئا من التخريب بطركونة ، كما سنجدده بعد ذلك يقول بنهب عنيسة لها عند حديثه عن قبائله على نفس الحركة بعد تجددتها في ولايته . وهذا القول ، لا يتناسب مع شخصية السمع التي عرفت بحسن السيرة والتدين ، بل أنه يظهر ان المؤلف استقاها من المراجع الأجنبية والتي ما انفكت تسعى الى تشويه التاريخ الاسلامي ، واعمال قاداته وفتوحاتهم المجيدة ، وهم براء من ذلك ، فقد اتهمت بعض المراجع الغربية السمع بالقسوة وتهديم الاديرة والكنائس في الغال كذلك ، وهذا ما سنناقشه لاحقا أثناء الحديث عن فتوحاته - خليل السامرائي : الشفر الاعلى ، ص ٣٨٥-٥٨٦ . ولم يشر الى ما يسمى لطبيعة الفتح من تخريب ونهب .
- (٥) خليل السامرائي : نفس المرجع والمفحة .

وهذا يدفعنا الى التاريخ لعمل السمع هذا باواخر عهد
عمر بن عبد العزيز ، او مطلع زمن الخليفة يزيد بن عبد
الملك ، وهذا مانقدمه ، لارتباط هذا العمل بخروج السمع الى
بلاد الغال . والذي فيما يبدو انه حدث مطلع زمن الخليفة
يزيد بن عبد الملك ^(١) .

وبالنظر فى هذه الاقوال يتضح ان هذه الحركة لم تقم
لاخراج المسلمين من الاندلس ، فقد تبين لابناء غيطشة ، عزم
المسلمين على الاستقرار ، وانهم لم يأتوا ليعيدوا اليهم
ملك ابيهم ، وقد اتضح هذا بجلاء فى اعقاب الفتح الاول ،
عندما اسرع طارق بن زياد الى طليطلة ، ليمنع محاولة اخيلا
نفسه الذى ما ان تحقق النصر للمسلمين على لذريق فى معركة
وادي البرباط (سنة ٩٢هـ) ، حتى عجل الى طليطلة لاسترجاع
ملك ابيه ، فوصلها طارق قبل ان يوافق مجمع طليطلة الدينى
على قرار تعيينه ملكا على اسبانية ، ليحاكد اخيلا واخوته ،
ان هدف المسلمين هو البقاء ، والعمل على نشر الاسلام فى
اسبانية وماوراءها ، فرفضوا على مغض بالغياع التى كانت
لابيهم وحملوا على عهد بذلك من المسلمين . لكن اخيلا فيما ^(٢)
يبدو كان يطمح ان يترك له المسلمون له ناحيته وهى طركونة
فلما وجدهم جاءوا لفتحها واستولوا عليها ، تمرد عليهم ،
ساعده على ذلك مكائته بين اهله منذ عهد ابيه ، بل وربما ^(٣)
يكون لوجود كنيسة جامعة على راسها مطران ، فى هذه المدينة ^(٤)

(١) سنبين ذلك اثناء حديثنا عن حملة السمع على بلاد الغال
محاولين الوصول الى التاريخ الصحيح لخروج الحملة .
(٢) خليل السامرائى : الشجر الاعلى ، ص ٢٨٢-٢٨٥ .
(٣) انظر قبل : ص ٢٦٠ ، هامش (١) .
(٤) حسين مؤنس : فجر الاندلس ، ص ٥٠٦-٥٠٧ .

اثر فى دفع اهلها الى هذه الحركة وتحريضهم على المسلمين .
ويبدو أن القضاء على هذه الحركة لم يكلف السمع كبير عناء
اذ كان يقود حملة أعدت لما هو أعظم من هذا التمرد ، فلم
يسزد على اخمادها ، بل ظهر تسامحه مع الخارجين ، اذ عفا
عن أخيل ، وتركه على حاله فيها ، وهذا ماسيؤدى الى تجدد
حركته بعد ذلك .

تجدد الحركة فى ولاية عنبة بن سحيم وقضائه عليها :

يبدو أن أخيل بن غيطشة حاول استغلال هزيمة المسلمين
فى بلاد الغال فى معركة طولوشة سنة ١٠٢هـ ، واضطراب امر
الولاية بعد استشهاد أميرها السمع بن مالك فى هذه المعركة
فاعلم التمرد من جديد ، وانتفض اهالى طركونة على عنبة بن
سحيم الكلبي ، لكن الأمير الجديد لم يكن اقل همة من سلفه
فقد سارع الى اخماد حركتهم ، حيث زحف اليهم ، فدك حصونهم
واقترض من زعمائهم ، وقد استسلم أخيل ، وانتقل الى طليطلة

-
- (١) انظر عن هذه المعركة : أحمد مختار العبادى : تاريخ
المغرب والاندلس ، ص ٨٧ . وسنعرض لهذه الواقعة
بالتفصيل فى الفصل الرابع من هذا البحث ، فى ثنايا
الحديث عن فتوحات المسلمين فى بلاد الغال .
- (٢) حسين مؤنس : فجر الاندلس ، ص ٥٠٦-٥٠٧ - خليل
السامرائى : الشجر الاعلى ، ص ٣٨٥-٣٨٦ .
- (٣) عنبة بن سحيم الكلبي ، فاتح من الغزاة الشجعان ،
كان عامل على الاندلس ، وليها سنة ١٠٣هـ ، وأوغل فى
غزو الفرنج ، يرى ايزيدور اسقف باجه فى ذلك العصر ،
أن فتوحات عنبة كانت فتوحات حذق ومهارة أكثر منها
فتوحات بطش وقوة ، وتضاعف خراج بلاد الغال فى أيامه ،
وقد افترس قرقشونة صلحا ، وأوغل فى بلاد فرنسا فعبر
نهر الرون الى الشرق ، أصيب فى بعض الوقائع فمات
شعبدا سنة ١٠٧هـ . (الزركلى : الاعلام ، ٩١/٥) .
لكنه قال : كان عاملا على الاندلس من قبل هشام ، والاسم
تولاها من قبل يزيد ، ثم أقر زمن هشام حتى استشهد .
(انظر / أحمد العبادى : نفس المرجع والمفحة) .

(١) فاقام فيها ، ولم يحاول الخروج على المسلمين بعد ذلك .
ويظهر ان عنبسة اخرجته من طركونة لالتفاف اهله حوله ،
فازال رأس الفتنة لئلا تظهر من جديد ، كما فرض على اهل
طركونة غرامة مضاعفة .^(٢) واطنه يقصد الجزية أو ماصولحوا
عليه ، فاستقرت بذلك البلاد داخليا واستتب الأمن فيها ،
وساد النظام والعدل ربوعها .^(٣)

اما أخيرا ، فقد استعرب ابنائهم من بعده ، اذ نجد في
أحد النصوص اسم أحد أحفاده وهو حفص بن البرق قاضي العجم .^(٤)
ان تجاوز المسلمين جبال البركات الى بلاد الغال ، وقد
خلفوا وراءهم بعض الخصوم ، أوجد مجالا لهؤلاء المترجمين ،
في تنظيم حركاتهم ، والخروج على سلطان الفاتحين ، فان
المسلمين وان تمكنوا من القضاء على حركات بعض هؤلاء ،
كتمرد اهل طركونة بقيادة أخيرا ، الا ان غيرها تمكن من
الثبات في ظل غياب قوة المسلمين ، واحتقار شان المتمردين
وقد تمثل هذا في حركة بلای ، التي استغلت كثيرا من العوامل
لتصبح نواة المقاومة المسيحية للوجود الاسلامي في الاندلس .

(١) حسين مؤنس : فجر الاندلس ، ص ٥٠٦-٥٠٧ - خليل
السامرائي : الشجر الأعلى ، ص ٣٨٥-٣٨٦ - شبيب أرسلان :
غزوات العرب ، ص ٨٥ - محمد محمد زيتون : المسلمون في
المغرب والاندلس ، دار الوفاء للطباعة ، القاهرة ،
١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، ص ٢٠٠ .

(٢) شبيب أرسلان : نفس المرجع والمصحة .

(٣) محمد زيتون : نفس المرجع والمصحة .

(٤) حسين مؤنس : نفس المرجع والمصحة .

الفصل الثالث

مرسوم الخليفة يزيد بن عبد الملك
بتكسير الأصنام وإتلاف الصلبان وإزالة الصور وهدم
الكنائس المستحدثة

الفصل الثالث

مرسوم الخليفة يزيد بن عبد الملك

بتكسير الاصنام والتماثيل والملبان
وازالة الصور وهدم الكنائس المستحدثة

كان للخليفة يزيد بن عبد الملك سياسته الادارية والمالية تجاه اهل الذمة ، والتي اتسمت بشيء من التشدد^(١) والعسف في النواحي المالية . وان كانت تلك السمة لم تقتصر على اهل الذمة بل شملت جميع رعايا دولته .

ومن اهم تلك الاجراءات التي اتخذها الخليفة يزيد حيال النصارى ، المرسوم او القرار الذي أصدره بخصوص النصارى ومعابدهم وبعض مظاهر عبادتهم . والذي يؤسف له انه لم يصل اليانا نصه ، لافى المصادر العربية ولاغير العربية من يونانية ، ولاتينية ، وسريانية ، وارمينية .

لكننا عرفنا بهذا المرسوم مما ذكر عنه في عدد من المصادر العربية الخاصة بمصر الاسلامية ، اربعة منها مصادر اسلامية ، ومصدر واحد قبطى كتب باللغة العربية ، وهى :

ابن عبد الحكم (ت ٢٥٧هـ) : فتوح مصر ، والكندى (ت ٣٥٠هـ) : كتاب الولاة وكتاب القضاة ، والمقريزى (ت ٨٤٥هـ) : الخطط المقريزية ، وابن تفرى بردى (ت ٨٧٤هـ) النجوم الزاهرة ، والمصدر القبطى ل : ساويرس بن المقفع^(٢) (عاش في القرن الرابع الهجرى) : سير الالباء البطارقة .

(١) أوردنا سياسته الادارية والمالية ، نحو اهل الذمة في ثنايا حديثنا عن مجمل سياسته الادارية والمالية ، (انظر : الفصل الخامس) .

(٢) تجدر الاشارة الى اقتمار ذكر هذا المرسوم في المصادر العربية اسلامية ومسيحية على المصادر الخمسة المشار اليها اعلاه ، وخاصة بمصر الاسلامية . الى جانب ما ذكر =

ونستعرض الآن ما أورده كل مؤرخ من هؤلاء المؤرخين الخمسة حول هذا المرسوم ، لنصل الى صيغة ذلك القرار وما تضمنه ، ولنناقشه في ضوء ما ذكر عنه في المصادر والمراجع الأجنبية القديمة والحديثة .

اولا : نص ابن عبد الحكم ، قال خلال حديثه عن حمام زبان : " وكان فيه صنم من رخام على خلقة المرأة عجب من العجب حتى كسر في السنة التي أمر يزيد بن عبد الملك فيها بكسر الاصنام ، وكان أمر بكسرها في سنة اثنين ومائة " (١)
ثانيا : نص الكندي ، قال : " وكتب يزيد بن عبد الملك في سنة اربع ومائة يأمر بكسر الاصنام فكسرت كلها ، ومحيت التماثيل ، وكسر فيها صنم حمام زبان بن عبد العزيز الذي يقال له حمام ابي مرة وله يقول كريب بن مخلد الجيشاني :
من كان في نفسه للبيض منزلة

فليات ابيض في حمام زبان

(٤) عبل لطيف هفيم الكشح معطل (٥)

(٦) على تراثبه في الصدر ثديان "

- = عنه في المصادر الأجنبية التي تبين صداه وأهميته فيها أكثر من المصادر العربية . والحق أننا لم نعثر له على ذكر في مصادر التاريخ الاسلامي العام أو غيرها من المصادر العربية ، ولانعلم لذلك سببا .
- (١) فتوح مصر ، طبعة ليدن ، ١٩٢٠م ، ص ١١٣-١١٤ .
 - (٢) ما أورده ابن عبد الحكم عن هذا المرسوم جاء عرقيا ، عند ذكره لحمام زبان ، فلم يقدم معلومات وافية عنه .
 - (٣) كتاب الولاة وكتاب القضاة ، تهذيب وتصحيح رفن كست ، مطبعة الالباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٠٨م ، ص ٧١-٧٢ .
 - (٤) عبل : هفيم ، وامرأة عيلة ، أي تامة الخلق ، والاعبل حجارة بيض . انظر : اللسان (عبل) .
 - (٥) الكشح : مابين الخاصرة الى الضلع الخلفي ، وهو من لدن السرة الى البطن ، وقيل جانبا البطن ، وقيل الخصر . وهفيم الكشح أي دقيق الخصرين . انظر : اللسان (كشح) .
 - (٦) التراثب : موضع القلادة من الصدر ، وقيل مابين الترقوة الى التندوة ، وقيل عظام الصدر ، وقيل ماولى الترقوتين منه ، وقيل مابين الثديين والترقوتين . انظر : اللسان (ترب) .

(١)

ثالثا : نص المقرئى بقوله : "ثم هدمت الكنائس وكسرت

الملبان ومحيت التماثيل وكسرت الاصنام باجمعها وكانت كثيرة

فى سنة اربع ومائة والخليفة يومئذ يزيد بن عبد الملك" .

(٢)

رابعا : نص ابن تفرى بردى الذى قال : وخرج - يعنى

حنظلة بن صفوان عامل يزيد بن عبد الملك على مصر (١٠٢) -

١٠٥هـ-) سنة ثلاث ومئة الى الاسكندرية واستخلف على مصر عقبة

ابن مسلم التجيبى ، "ثم ورد عليه كتاب الخليفة يزيد بن

عبد الملك بن مروان بكسر الاصنام والتماثيل ، فكسرت كلها

ومحيت التماثيل من ديار مصر وغيرها فى ايامه" .

(٣)

خامسا : المصدر القبطى للمؤرخ ساويرس بن المقفع فنده

"ثم تولى بعده - يعنى بعد عمر بن عبد العزيز - يزيد

ومانحسن بشرح ما جرى فى ايامه ولانذكره من سوء والبلاء لانه

سلك طريق الشيطان وحاد عن طريق الله ، واول ما اخذ المملكة

اعاد الخراج الذى كان عمر قد رفعه عن البيع والاساقفة سنة

واحدة وحمل على الناس ثقلا عظيما حتى شاق كل من فى بلاده ،

ولسم يكتف بهذا فقط حتى امر بكسر الملبان فى كل مكان وكشط

المصور الذى فى البيع لانه كان قد امر بذلك ، لكن السيد

المسيح اهلكه لاجل ذلك واخذ نفسه بعد ان ناله قبل موته

بلايا كثيرة وكان مدة مقامه فى الملك سنتين واربعة شهور" .

(١) كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، المعروف
بالخطط المقرئية ، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر
والتوزيع ، القاهرة ، ٤٩٣/٢ .

(٢) النجوم ، ٢٥٠/١ .

(٣) كتاب سير الالباء البطارقة ، باريس ، ١٩٠٣م ، ١٥٣/١ .
(وتجدر الاشارة الى خطأ مدة خلافة يزيد التى ذكرها،
والمحيح انها اربع سنوات وشهر) .

ومن هذه النصوص نستخلص أن المرسوم تناول المسائل
الآتية الخاصة بالنصارى وعبادتهم :

أولا : الأمر بتكسير الأصنام ، ذكر ذلك ابن عبد الحكم
والكندي والمقرئزي وابن تغري بردي . ولم يذكره ساويرس ابن
المقفع . ويتضح من هذا أن البلاد المفتوحة كان بها بقايا
من آثار الوثنية القديمة ، ممثلة في بقاء نماذج من الأصنام
كمنم حمام زبان الذي ورد في نص ابن عبد الحكم والكندي، وهو
عبارة عن تمثال لجسد امرأة حسناء ^(١) . ويتبين أن الخليفة
يزيد أراد بذلك تطهير الدولة الإسلامية من بقايا الوثنية
ومظاهرها ، وصبغ مظاهر الحياة في دولته بالسمعة الإسلامية .
ثانيا : وتضمن المرسوم محو التماثيل ، أورد ذلك
الكندي والمقرئزي وابن تغري بردي .

^(٣)
ويرجع أن المقصود بمحو التماثيل ، هو محو الصور

-
- (١) انظر وصف هذا التمثال شعرا في نص الكندي ، قبل :
ص ٢٦٧ .
- (٢) محا : محا الشيء يمحوه ويمحاه محوا ومحيا، أذهب أثره،
والمحو لكل شيء يذهب أثره . ومحى لوحه يمحوه محوا ،
فحو محو ، والمحاحى من أسماء الرسول صلى الله عليه
وسلم محا الله به الكفر وأثاره . انظر : اللسان
(محا) .
- (٣) ورد لفظ التماثيل بمعنى الصور في عدد من الأحاديث
النبوية المحرمة للتموير ، منها : ما روى عن عائشة
رضي الله عنها قالت : دخل على النبي صلى الله عليه
وسلم وقد سترت سهوة لى بقرام فيه تماثيل ، فلما
رآه هتكه وتلون وجهه وقال : "يا عائشة أشد الناس
عذابا يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله" قالت
عائشة فقطعنا منه وسادة أو وسادتين . رواه
مسلم . (انظر هذا الحديث وأحاديث أخرى أوردت لفظ
التماثيل بمعنى الصور عند / الشيخ عبد العزيز بن باز،
الجواب المفيد في حكم التموير ، الرئاسة العامة
لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ،
إدارة الطباعة والنشر ، المطابع الأهلية للأوقاف ،
الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٠٦هـ ، ص ٥
ومابعداها) .

وازالة التماثيل الدينية ، وبخاصة ماوجد منها داخل الكنائس . وليس المقصود من ذلك فيما يبدو تكسير الاصنام ، لان النصوص فصلت في ذلك وقالت بكسر الاصنام ومحو التماثيل ، كما ان ساويرس بن المقفع افصح عن المقصود بذلك ، فلم يقل بمحو التماثيل ، وقال : "وكشط الصور" ^(١) .

والصور المستهدفة بهذا المرسوم هي عموم الصور لكل ذي روح ، يتضح ذلك من عمومية اللفظ في النصوص الواردة حول المرسوم ، وماوردته المصادر من ان تنفيذ المرسوم شمل فيه التخطيط عموم الصور بناء على امر الخليفة ^(٢) . وقد جاء هذا التعميم لان الاسلام يحرم التصوير وصور وتماثيل كل ذي روح ، وان كان بعض المؤرخين الاجانب اشاروا الى اسباب اخرى وراء اصدار المرسوم بمحو الصور والتماثيل ^(٣) .

وقد جاء تحريم الصور والتماثيل في ديننا الحنيف لحكمة بالغة ، هي البعد عن مظاهر الوثنية وحماية العقيدة من الشرك وعبادة الاصنام ، فنهى القرآن عن عبادة الاصنام وشنع على من كان يعكف عليها وندد بمن يتخذ الاصنام والاولهان آلهة ، من ذلك قوله تعالى : {قال اتعبدون ما تلتحون . والله خلقكم وما تعملون} ^(٤) . وقال : {ياايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون} . وايضا قوله تعالى : {وقالوا

(١) انظر كامل النص في الصفحة قبل السابقة .
 (٢) انظر ماسنكتبه عن تنفيذ مرسوم يزيد ، وماتم على اثر تنفيذه ، بعد : ص ٢٨٥ ، ٢٨٧ ، ٢٩١ ، ٢٩٣ .
 (٣) سنشير الى المصادر الاجنبية التي اشارت الى هذا المرسوم وماوردته من اسباب اصداره ، انظر بعد : ص ٢٨٦ ومابعدها .
 (٤) المافات : ٩٦ ، ٩٥ .
 (٥) المائدة : ٩٠ .

لاتذرن المعتكم ولاتذرن ودا ولاسواما ولايفوث ويعوق ونسرا . وقد
 افسوا كثيرا ولاتزد الظالمين الا ضللا^(١) . وقوله : { انما
 تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا ... }^(٢) .

كما نهت السنة النبوية المظهرة عن اتخاذ الصور
 والتنغير منها^(٣) . ومعلوم ان عبادة غير الله شرك ، وعبادة
 الاصنام والتماثيل والصور شرك ، وقد بين عز وجل حكم من
 اشرك به فقال : { ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
 ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضللا بعيدا }^(٤) .

اما فيما يخص حكم التصوير والصور وماهى فيه ، فيقول
 الشيخ عبد العزيز بن باز : " جاءت الاحاديث الكثيرة عن
 النبى صلى الله عليه وسلم فى الصحاح والمسانيد والسنن
 دالة على تحريم تصوير كل ذى روح آدميا كان او غيره ، وهتك
 المستور التى فيها الصور ، والامر بطمس الصور ولعن المصورين
 وبيان انهم اشد الناس عذابا يوم القيامة " . ثم ذكر جملة
 من الاحاديث الصحيحة الواردة فى هذا الباب ، سنورها نحن
 بالفاظ النصوص التى خرجناها ، ومنها : ما رواه البخارى
 بسنده عن الاعمش عن مسلم قال : " كنا مع مسروق فى دار يسار
 ابن لمير ، فرأى فى صُفَّة تماثيل فقال : سمعت عبد الله قال
 سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : ان اشد الناس عذابا
 عند الله يوم القيامة المصورون^(٥) " .

-
- (١) نوح : ٢٣-٢٤
 (٢) العنكبوت : ١٧
 (٣) حسنين ربيع : دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ،
 دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، دار
 وهذان للطباعة والنشر ، ص ١١٠-١١١ وهامش (١٦) منها .
 (٤) النساء : ١١٦
 (٥) الجواب المفيد فى حكم التصوير ، ص ٣ .
 (٦) البخارى مع فتح البارى ، ١٠/ ٤٠٠٠٣٩٦ - صحيح مسلم ،
 ٣/ ١٦٧٠ - مسند الامام احمد ، ١/ ٤٢٦٠٣٧٥ ، ٢/ ٥٥٠٢٦ .

ومارواه البخارى بسنده عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم انها اشترت نمرقة فيها تصاوير ، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قام على الباب فلم يدخل ، فعرفت فى وجهه الكراهة ، فقالت يارسول الله اتوب الى الله والى رسوله ، ماذا اذنبت ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما بال هذه النمرقة ؟ قالت فقلت اشتريتها لك لتضع عليها وتوسدها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ان اصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة ، ويقال لهم احيوا ما خلقتم ، وقال : ان البيت الذى فيه الصور لا تدخله الملائكة " ^(١) .

ومارواه مسلم عن سعيد بن ابى الحسن قال : جاء رجل الى ابن عباس فقال : انى رجل امور هذه الصور ، فافتنى فيها ، فقال له : ادن منى ، فدنا منه ، ثم قال ادن منى فدنا حتى وضع يده على راسه . فقال : انبئك بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " كل ممور فى النار ويجعل له بكل صورة صورها نفسا فتعذبه فى جهنم " ^(٢) .

ومارواه ابو داود بسنده عن جابر رضى الله عنه : " ان النبى صلى الله عليه وسلم امر عمر بن الخطاب زمن الفتح وهو بالبطحاء ان يأتى الكعبة فيمحو كل صورة فيها ، فلم يدخلها النبى صلى الله عليه وسلم حتى محيت كل صورة فيها " ^(٣) .

(١) البخارى مع فتح البارى ، ٣٥٩/٦ ، ١٥٧/٩ ، ٤٠٢،٣٩٦/١٠ ، ٤٠٦ - صحيح مسلم ، ١٦٦٩/٣ .
(٢) صحيح مسلم ، ١٦٧٠/٣ - مسند الامام احمد ، ٣٠٨/١ .
(٣) سنن ابى داود بشرح عون المعبود ، ٢١٢/١١ - مسند الامام احمد ، ٣٩٦،٣٨٣،٣٣٦،٣٣٥/٣ .

ومارواه مسلم بسنده الى ابي الهياج الاسدي قال : "قال
لى على بن ابي طالب : الا ابعثك على ما بعثنى عليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، ان لاتدع تمثالا الا طمسته ،
ولا قبرا مشرفا الا سويته " . وروى عن ابي بكر بالاسناد
المتقدم بلفظ "ولاصورة الا طمستها" ^(١) .

ومن ذلك ايضا ، مارواه البخارى بسنده عن ابن عباس
رضى الله عنه يقول : سمعت ابا طلحة سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول : "لاتدخل الملائكة بيتا فيه كلب
ولا صورة تماثيل" ^(٢) . وغيرها من الاحاديث الكثيرة فى هذا
الباب ^(٣) .

(١) صحيح مسلم ، ٦٦٦/٢ - النسائي ، ٨٨/٤ - مسند الامام
احمد ، ١٣٨٠٨٧/١ - سنن البيهقى ، ٣/٤ بدون لفظ
"ولاصورة الا طمستها" - جامع الترمذى ، ١٥٠/٤ وقال حديث
على حديث حسن والعمل على هذا عند بعض اهل العلم .
وقال الالبانى فى هذا الاسناد علة وهى عنعنات حبيب فقد
كان مدلسا ولم يصرح بالتحديث فى شيء من هذه الطرق
اليه ، لكن الحديث صحيح فان له طرقا اخرى يتقوى بها
(ارواء الغليل ، ٢٠٩/٣) .

(٢) البخارى مع فتح البارى ، ٤٤٦٠٤١٤٠٣٥٩/٦ ، ٣٦٧/٧ ،
١٥٧/٩ - صحيح مسلم ، ١٦٦٥-١٦٦٦/٣ - سنن ابي داود
بشرح عون المعبود ، ٢١٠٠٢٠٧/١١ - جامع الترمذى بشرح
تحفة الاحوذى ، ٨٨/٨ - ١٠٧٠٨٩-١٣٩٠١٤٦٠١٤٨٠١٥٠٠٢٧٧ ،
٩٠/٣ ، ٣٠٠٢٩٠٢٨/٤ ، ٣٣٠٠٢٤٦٠١٤٣/٦ .

(٣) لمزيد من هذه الاحاديث فى هذا الباب ، انظر كتب
الحديث باب المور والتموير ، وكذلك : عبد العزيز بن
باز : الجواب المفيد فى حكم التموير ، ص ٤-١٠ -
وكذلك كتابه الفتاوى ، كتاب الدعوة ، سلسلة نصف
سنوية تصدر عن مؤسسة الدعوة الاسلامية الصحفية ،
المملكة العربية السعودية ، الرياض ، الطبعة الثالثة ،
١٤٠٩ هـ - ١٩/١ - ٢٠ . وهناك احاديث اخرى عنده ، وانظر
ايضا / احمد تيمور : التموير عند العرب ، اخرجه وزاد
عليه الدراسات الفنية والتعليقات ، زكى محمد حسن ،
القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،
١٩٤٢ م ، ص ١١٩ .

وعلى أساس هذه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة الخاطئة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نجد أن الإسلام حرم التموير والمور والتماثيل ، وتبين أن التحريم للتمويز جاء على العموم لكل ذى روح ، وأن ذلك من كبائر الذنوب المتوعد عليها بالنار، وهي حرمة عامة لأنواع التموير ، سواء كان للمورة ظل أم لا ، سواء أكان التموير فى حائط أو ستر أو قميص أو قرطاس أو مرآة أو غير ذلك ، واستعمال ما هو فيه ودخول البيت الذى هو فيه ، إلا إذا كانت فيما يمتحن أو قطع رأس المصور ، ولا يجوز تعليقها أو نصبها فى أى مكان ، لأن ذلك وسيلة للشرك بالله ولأن فى ذلك مفاهة لخلق الله وتشبها بأعداء الله .^(١)

ونقل الشيخ عبد العزيز بن باز قول النووي فى شرح مسلم فى باب تحريم التموير قوله : قال أصحابنا وغيرهم من العلماء : تصوير صورة الحيوان حرام شديد التحريم ، وهو من الكبائر لأنه متوعد عليه بهذا الوعيد الشديد المذكور فى الأحاديث ، وسواء صنعه بما يمتحن أو بغيره ، فمنعته حرام بكل حال ، لأن فيه مفاهة لخلق الله تعالى فى أى شيء كان ، وأما تموير ما ليس فيه روح كالشجر فليس بحرام . هذا حكم التموير ، أما اتخاذ المصور فيه صورة حيوان فإنه إن كان معلقا على حائط أو ثوبا ملبوسا أو عمامة أو نحو ذلك ، مما

(١) عما كتبناه أعلاه وتفصيل أوفى وأشم : انظر : الشيخ عبد العزيز بن باز : الجواب المفيد فى حكم التموير ، ص ١٠-١٣ - وله أيضا : الفتاوى ، ١/ ١٨-٢٠ - أحمد تيمور : التموير عند العرب ، ص ١٢٠ - زكى محمد حسن : فنون الإسلام ، ص ١٦٣-١٦٤ .

(٢) الجواب المفيد فى حكم التموير ، ص ١٣-١٤ ، ولمزيد من الفائدة حول هذا الموضوع انظر كامل الكتيب .

لا يعد ممتنعا ، فهو حرام ، وان كان فى بساط يداس ومخدة ونحوهما مما يمتن فليس بحرام ، ولا فرق فى هذا بين ماله ظل ومالا ظل له . وقال : ان هذا تلخيص مذهبنا وبمعناه قال جمهور العلماء من المحابة والتابعين ومن بعدهم ، وهو مذهب الثورى ومالك وابى حنيفة وغيرهم .^(١)

وليس شبهة شك فى ان تحريم الاسلام للصور والتماثيل - بناء على ماورد بشأنه فى القرآن والسنة - كان هو الدافع وراء قرار الخليفة يزيد بن عبد الملك بتكسير الاصنام ومحو الصور والتماثيل .^(٢)

خالفا : وتضمن المرسوم ايضا الامر بهدم الكنائس . وقد انفرد بذكر ذلك من المصادر العربية المقرريزى . والبين ان المقصود بقوله هدم الكنائس أى الكنائس المستحدثة ، التى

(١) تجدر الإشارة الى ان من الدارسين المحدثين من يرى انه لايراد تعميم تحريم التصوير فى كل زمان ومكان ، خصوصا اذا أمن جانب العبادة والتعظيم ، وذلك لما فى التصوير من فوائد ، ويرى بعضهم ان حكم التصوير الكراهة فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم لا التحريم ومن المستشرقين من قال : ان القرآن لم ينه عن عمل الصور والتماثيل ، وان النبى صلى الله عليه وسلم لم ينه عن ذلك ، وان هذه الكراهة نشأت بين الفقهاء فى القرن الثانى الهجرى ، وان الاحاديث المنسوبة للرسول صلى الله عليه وسلم حول ذلك موضوعة . ونحن نشير الى هذه الآراء ، للعلم والاحاطة لا تمديقا لها أو تسليما بها ، بل لدفعها وتدعيمها ، لثبوت تحريم التصوير والتماثيل ، بما ورد من آيات قرآنية واحاديث نبوية صحيحة ثابتة ، ذكرنا بعضها منها فى الصفحات السابقة .

من أجل هذه الآراء الآتفة الذكر ، (انظر / أحمد تيمور : التصوير عند العرب ، ص ١١٩، ١٢١-١٢٢، ١٢٨-١٢٩ - زكى محمد حسن : فنون الاسلام ، ص ١٦٣-١٦٤، ١٦٧-١٧١ . وانظر ايضا فى هذا الصدد بحث كريزول :

Creswell, K.A.C : The Law Fulness of Painting in Early Islam, in Ars Islamica, XI-XII, 1946).

(٢) حسنين ربيع : دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ،

ص ١١١ .
(٣) انظر النص الذى اورده قبل : ص ٢٦٨ .

بناها المسيحيون بعد الفتح الاسلامى . حيث أن الملح جرى بين المسلمين وأهل الذمة على أن لاتهدم بيعة ولاكنائسهم ، والا يحدثوا بناء بيعة ولاكنيسة ، فان فعلوا شيئا من ذلك عوقبوا (١) واخذ منهم .

ونستعرض الآن مقتطفات من عقود الملح التى أبرمها المسلمون مع أهالى البلاد المفتوحة فيما يخص اعطاءهم الامان على ما يديهم من الكنائس وعدم استحداث غيرها .

فقد ذكر أبو يوسف أن خالد بن الوليد صالح أهل الحيرة على أن لا يهدم لهم بيعة ولاكنيسة ، وبقراءة الكتاب الذى كتب بينهم - وكان قد أورده - وجدناه لم ينص على ذلك ، كما صالح أهل عانات وقرقيساء وغيرها على ذلك . ومن نصوص الملح التى حفظتها لنا المصادر ، كتاب الامان الذى اعطاه عمر بن الخطاب رضى الله عنه أهل الد وسائر كورها وقد جاء فيه : "بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما اعطى عبد الله أمير المؤمنين أهل لد ومن دخل معهم من أهل فلسطين أجمعين ، اعطاهم امانا لانفسهم واموالهم ولكنائسهم وصلبهم وسقيمهم وبريئهم وسائر ملتهم ، انه لاتسكن كنائسهم ولا تهدم ، ولا ينتقص منها ولا من خيرها ، ولا مللها ، ولا من صلبيهم ، ولا ... " (٢)

وورد فى ملح أهل مدينة دمشق : "بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما اعطى خالد بن الوليد أهل دمشق اذا دخلها ،

(١) أبو يوسف : الخراج ، تحقيق محمد ابراهيم البنا ، دار الاصلاح للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ص ٢٨١ -

٢٨٢ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٨٩-٢٩٣-٢٩٤ .

(٣) الطبرى : تاريخ الأمم ، ٦٠٩/٣ .

امانا على انفسهم واموالهم ، وكناثسهم وسور مدينتهم لايهدم
(١)
ولايسكن شيء من دورهم ، " .

كما ورد في كتاب الامان الذي اعطى لخماري اهل الشام
مانمه : "بسم الله الرحمن الرحيم ،، وعلى الا تمنع احدا
من المسلمين ان ينزل كناثسنا في الليل والنهار ، ونهيفهم
فيها ثلاثا ، ونطعمهم من الطعام ، ونوسع لهم ابوابها ،
ولانغرب فيها بالنواقيس الا ضربا خفيا ، ولانرفع اصواتنا
بالقراءة ، ولانؤوي فيها ولافي شيء من منازلنا جاسوسا
لعدوكم ، ولانحدث كنيسة ، ولاصومعة ، ولاقلاية ، ولانجدد ماخرب
منها ، ولانقصد الاجتماع فيما كان منها من خطط المسلمين
وبين ظفرانيهم ، ولانظفر شركا ، ولاندعو اليه ، ولانظفر
مليبا على كناثسنا ، ولافي شيء من طرق المسلمين واسواقهم ،
ولا ، شرطنا ذلك على انفسنا واهل ملتنا ، فان
خالفناه ، فلأمة لنا ولاعهد ، وقد حل لكم منا مايحل لكم من
(٢)
اهل الشقاق والمعاندة " .

وقد ورد في كتاب صلح اهل ايلياء الذي يعتبر الاساس في
كتب الصلح والامان لاهل الشام مانمه : "بسم الله الرحمن
الرحيم ، هذا ما اعطى عبد الله امير المؤمنين اهل ايلياء
من الامان ، اعطاهم امانا لانفسهم واموالهم ، ولكناثسهم
وملبانهم ، وسقيمتها وبريختها وسائر ملتها ، انه لايسكن

(١) حريبا حافظ عرفة : الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في
العصر الاموي ، رسالة دكتوراه ، مقدمة لقسم الدراسات
العليا التاريخية والحضارية ، بكلية الشريعة ، جامعة
أم القري ، بمكة ، المملكة العربية السعودية ،
١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ، غير مطبوعة ، ص ٥٥ .
(٢) حريبا عرفة : نفس المرجع ، ص ٥٦-٥٧ .

كنائسهم ولا تهمهم ، ولا ينتقص منها ، ولا من حيزها ، ولا من صليبهم ، ... " .^(١)

أما صلح أهل مصر فقد ورد فيه : "بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم ، وبرهم وبحرهم ، لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينتقص ، ... " .^(٢)

ويتبين أن من أهم بنود عقود الصلح التي أبرمها المسلمون مع أهل الذمة ، أن يحترموا الشعائر الدينية للمسلمين ، ولا يظهروا من طقوسهم ما يؤذي مشاعر المسلمين ، وأن يؤمنوا أهل الذمة على كنائسهم التي جرى عليها الصلح ،^(٣) ولا يحدثوا أي كنائس أو دور عبادة غيرها .

وعلى هذا الأساس تركت البيعة والكنائس القديمة ، فلم تهمهم ، ولذلك قال أبو يوسف : "ولست أرى أن يهدم شيء مما جرى عليه الصلح ، ولا يحول ، ويمضي الأمر على ما أمناه أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضي الله عنهم ، فإنهم لم يهدموا شيئاً مما كان الصلح جرى عليه ، فأما ما أحدث من بناء بيعة أو كنيسة فإن ذلك يهدم" .^(٤)

-
- (١) الطبري : تاريخ الأمم ، ٦٠٩/٣ .
 (٢) الطبري : نفس المصدر ، ١٠٩/٤ .
 (٣) شربا عرفة : الحياة الاقتصادية في بلاد الشام ، ص ٥٩ .
 (٤) الخراج ، ص ٢٩٤-٢٩٥ .
 (٥) جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خلفائه ذمتهم لنصارى نجران على بيعهم . (انظر : توفيق اليوزبكي : تاريخ أهل الذمة في العراق ، ص ١٠٠) .
 (٦) وانظر أيضاً عن إعطاء المسلمين العهد لأهل الذمة بالبقاء على بيعهم وكنائسهم ، على ألا يستحدثوا غيرها ومما قيل حول ذلك / الماوردي : الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الفكر ، مصر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م ، ص ١٢٧ - المقرئ : خطط ، ٤٩٢/٢ - توفيق اليوزبكي : نفس المرجع ، ص ١٠٠-١٠٣ - ترتون : أهل الذمة في الإسلام ، ص ٤١٠٣٩٠٩ .

(١)

ونقل أبو يوسف أن ابن عباس سئل عن العجم ألهم أن يحدثوا بيعة أو كنيسة في أمار المسلمين ؟ فقال : "أما مصر ممرته العرب فليس لهم أن يحدثوا فيه بيعة أو كنيسة ، ولا يفرّبوا ناقوسا ، ولا يتخذوا فيه خنزيرا ، وكل مصر كانت العجم ممرته ففتح الله على العرب ، فنزلوا على حكمهم ، فللعجم ما في عهدهم ، وعلى العرب أن يغوا لهم بذلك " .

ألا أن بعض الأمراء الأمويين تسامحوا مع أهل الذمة ، فتركوا لهم الفرصة في استحداثها ، والسماح بتجديد بعض ماخرب منها ، والإعانة على ذلك أحيانا وإقراره ، من ذلك أمر معاوية رضي الله عنه بتجديد بيعة الرها الكبرى عقب زلزال هدم بعض أجزائها . وموافقة عبد العزيز بن مروان حين بنى مدينة حلوان بمصر ، على استحداث كنيسة لخادمين ملكانيين عرفت بكنيسة الفراشين . ولكاتبه اثناسيوس ، ببناء كنيسة في قصر الشمع ، فلم يكتب اثناسيوس بواحدة ، بل شيد اثنتين هما كنيسة مار جرجس ، وكنيسة أبي قير داخل قصر الشمع ، وأقام ثالثا بالرّها . وما ذكر من قيام خالد

(١) الخراج ، ص ٢٩٦-٢٩٧ .

(٢) عن تسامح بني أمية مع أهل الذمة في تجديد الكنائس واستحداثها . (انظر / صالح الحمارنة : المسيحية في أرض الشام في أوائل الحكم الإسلامي ، بحث ضمن مجموعة أعمال المؤتمر الدولي الأول لتاريخ بلاد الشام (من القرن ٦-١٧م) ، المنعقد في الجامعة الأردنية ، نشر الدار المتحدة للنشر ، بيروت ، ١٩٧٤م ، ص ٥٥٦ - سيدة كاشف : مصر في فجر الإسلام من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٠م ، ص ١٩٠-١٩١ - تروتون : أهل الذمة في الإسلام ، ص ٤٤-٤٥ ، ٥٣-٥٤ - توماس أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة وتعليق حسن إبراهيم حسن ، وعبد المجيد عابدين ، واسماعيل النجراوي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٠م ، ص ٨٤-٨٥) .

القسرى أمير العراق فى عهد هشام ببناء كنيسة لأمه - وكانت
نمرانية - فى ظهر المسجد الجامع بالكوفة ، وأنه سمح
لنصارى بوجه عام ببناء كنائس أخرى .^(١)

ويبدو أن المسيحيين ، بالغوا فى استغلال هذا التسامح
وتمادوا فى استحداث كثير من الكنائس والبيع . لذلك نجد
سلف يزيد وهو الخليفة عمر بن عبد العزيز يأمر بهدم
الكنائس المستحدثة ، كما أكد على ألا يحدث كنيسة ولا بيت نار
بينما أمر بالاهدم دور العبادة من بيع وكنائس وبيوت نار
التي كان قد صولح عليها أهلها .^(٢)

ومن هنا فيما يبدو جاء مرسوم الخليفة يزيد بن عبد
الملك محتمنا الأمر بهدم الكنائس المستحدثة . بل يتضح أنه
أخذ سياسة متشددة نحو أهل الذمة فى هذا الشأن ، فلقد ذكر
أنه أمر بإعادة بعض الكنائس التى أقطعها بعض أسلافه من
الخلفاء الأمويين لأشراف من العرب ، إلى من أقطعت لهم بعد
أن ردها عمر بن عبد العزيز إلى النصارى .^(٣)

(١) ثريا عرفة : الحياة الاقتصادية فى بلاد الشام ،
ص ٦٧-٦٨ .

(٢) من أجل سياسة عمر بن عبد العزيز تجاه هذا التجاوز
وتطبيق ما تضمنته مواثيق الملح ، (انظر / أبو يوسف :
الخراج ، ص ٢٦٢ - نجدة خماش : الشام فى صدر الإسلام ،
ص ٩٩ - نادية مقرر : سياسة عمر بن عبد العزيز تجاه
أهل الذمة ، ص ٧١-٧٢ - ثريا عرفة : نفس المرجع ،
ص ٦٧ - فيليب حتى : تاريخ العرب (مطول) ، تحقيق
أدورد جرجى وجبرائيل جبور ، دار الكشاف للنشر
والطباعة والتوزيع ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦١م ،
٣٠٢/١-٣٠٣ .

(٣) عن تلك الكنائس التى أعادها يزيد إلى من أقطعت لهم .
(انظر ما ذكرناه عنها بعد : الفصل الخامس ، المبحث
الثانى ، ص ٦٠٨) .

رابعاً : الأمر بكسر الملبان ، نص على ذلك المقرئ
وساويرس بن المقفع .

وكان المسلمون قد منعوا أهل الذمة واشتروا عليهم في
الملح معهم من اخراج ملبانهم إلا في يوم عيدهم الأكبر ،^(١)
خارج المدينة بلارايات ولابنود ، وألا يظهروا ملبانهم داخل
بيوت المسلمين ومساجدهم . يقول أبو يوسف : "حدثني بعض أهل^(٢)
العلم عن مكحول الشامي : أن أبا عبيدة بن الجراح صالحهم
بالشام واشترط عليهم حين دخلها على أن يتحرك كنائسهم
وبيعهم ، على أن لا يحدثوا بناء بيعة ولاكنيسة ،....
ولايرفعوا في نادي أهل الاسلام صليباً ،.... ولايخرجوا الرايات
في يوم عيد ،.... فان فعلوا شيئاً من ذلك عوقبوا واخذ
منهم " .

وقال في موضع آخر ينقل أمر عمر بن الخطاب إلى أبي
عبيدة رضي الله عنهما ورأيه فيما أعطاء أهل الذمة من
العهد : "وأما اخراج الملبان في يوم عيدهم فلا تمنعهم من
ذلك خارج المدينة بلارايات ولابنود على ما طلبوا منك يوماً في
السنة ، فأما داخل بيوت المسلمين ومساجدهم فلا تظهر
الملبان" . فاذن لهم أبو عبيدة في يوم من السنة ، هو يوم

(١) عيدهم الأكبر : عيد الفصح ، وهو يوم الفطر من موسم
الأكبر وفيه - كما يزعمون - قام المسيح بنفسه بعد
الملبوت بثلاثة أيام ، وخلص آدم من الجحيم وأقام في
الأرض أربعين يوماً آخرها يوم الخميس ثم بعد إلى
السماء ، وفي الفصح يوقدون المشاعل ، ويدعون أيضاً
الفصح بالقيامة ، لتذكّار قيامة المسيح من الموت يوم
الفصح . (توفيق اليوزبكي : تاريخ أهل الذمة في العراق
ص ٢٩٠-٢٩١) .

(٢) من أجل ذلك انظر / أبو يوسف : الخراج ، ص ٢٨١-٢٨٢ ،
٢٨٥-٢٨٦ ، ٢٨٩ ، ٢٩٤ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٢٨١-٢٨٢ .

عيدهم الذى فيه صومهم ، واما غير ذلك فلم يكونوا يخرجون
(١)
ملبانهم .

وقد نص على عدم اظهارهم للملبان امان المسلمين
لنصارى الشام حيث ورد فيه مانعه : "....، ولانظر مليبا
على كناننا ، ولافى شيء من طرق المسلمين واسواقهم ،...." (٢)
وهناك مايدل على تجاوز المسيحيين لشروط الملح
واظهارهم لملبانهم ، فيذكر ترتون : أن عبد العزيز بن
مروان امير مصر (٦٥ - ٨٦هـ) ، أمر بتحطيم جميع الملبان
الموجودة بمصر . كما ذكر ابو يوسف أن الخليفة عمر بن عبد
العزيز كتب الى احد عماله يامره بقوله : "اما بعد ،
فلاتدعن مليبا ظاهرا الا كسر ومحق ...". مما يشير الى وجود
تجاوز ادى الى فعل عبد العزيز وامر ابنه عمر .
ولعل هذا مادعى الخليفة يزيد بن عبد الملك الى أن
يفمن مرسومه الامر بكسر تلك الملبان . (٣)

-
- (١) ابو يوسف : الخراج ، ص ٢٨٥-٢٨٦ .
(٢) شريا عرفة : الحياة الاقتصادية فى بلاد الشام ، ص ٥٧ .
(٣) اهل الذمة فى الاسلام ، ص ١٠٩ .
(٤) الخراج ، ص ٢٦٢ .
(٥) مما تجدر الاشارة اليه ، وقوع الاختلاف بين عهد الامان
الذى اعطيت لاهل الذمة فى الاقطار المختلفة ، اجمالا
وتفصيلا ، فنجد من الشروط فى عهد بلد ما لانجده فى عهد
آخر . وانى لارى أن ذلك راجع لشخص القائد وظروف الفتح
والتفاوض . مع التسليم بأن هناك أشياء تعتبر من
التقارب والمسلمات ، لايعنى عدم ذكرها فى شروط الملح
عدم تطبيقها على اهلها ، خصوصا فيما يتعلق باحترام اهل
الذمة للمسلمين وشعائرهم الدينية ، وحدود الحرية
الدينية لاهل الذمة . فعلى سبيل المثال ، اذا لم يذكر
فى شروط ملح ما النص على عدم استحداث الكنائس أو رفع
الملبان ، فان ذلك لايعنى الاباحة لهم ، باعتبار ذلك
منهج اسلامى يطبق على الكل وان لم يذكر . اما مايسلم
به من الاختلاف والالتزام بحرفيته فقد يكون ذلك فى
النواحى المالية التى راعى فيها الفاتحون اختلاف ظروف
البلاد واهلها .

خامسا : عموم امر الخليفة وسريان تنفيذه على سائر الاقطار الاسلامية ، مصر وغيرها ، اشار الى ذلك بوضوح ابن تفرى بردى فى نصه حيث قال : ".... فكسرت كلها - اى الامنام - ومحيت التماثيل من ديار مصر وغيرها فى ايامه " (١) . وكذلك ساويريس بن المقفع الذى اورد فى نصه : "...." (٢) ولم يكتف بهذا فقط حتى امر بكسر الصلبان فى كل مكان "...." . كما اشارت الى عمومية مرسوم الخليفة وتنفيذه فى جميع الولايات الاسلامية ، عدد من المصادر والمراجع المسيحية القديمة والحديثة . (٣)

سادسا : ان تأريخ صدور هذا المرسوم كما ورد فى المصادر العربية ، مختلف فيه ، فابن عبد الحكم يؤرخ له ب (سنة ١٠٢هـ / ١٢ يولييه ٧٢٠م - ٢ يونيه ٧٢١م) . بينما يؤرخ له كل من الكندى والمقرئ ب (سنة ١٠٤هـ / ٢١ يونيه ٧٢٢م - ١٢ مايو ٧٢٣م) . اما ابن تفرى بردى فقد قال : ان كتاب الخليفة يزيد وصل الى عامله على مصر بعد خروجه الى الاسكندرية (سنة ١٠٣هـ / ١ يولييه ٧٢١م - ٢٢ مايو ٧٢٢م) . الا ان ساويرس بن المقفع ارخ له باوائل خلافة يزيد التى بدأت فى (رجب سنة ١٠١هـ / ١٧ يناير ٧٢٠م) . لكنه لم يحدد . ويفهم من قوله ان صدور هذا المرسوم تم فى اواخر سنة ١٠١هـ او سنة ١٠٢هـ / ١ يولييه ٧٢١م . فيكون بذلك تأريخ ابن عبد الحكم

(١) انظر كامل النص قبل : ص ٢٦٨ .

(٢) انظر كامل النص قبل : ص ٢٦٨ .

(٣) سنستعرض ماورد فى تلك المصادر والمراجع حول هذا المرسوم فى الصفحات التالية ، وسيكون لنا تعليق على عمومية أمره ، واتفاحه وتبين أثره فى بعض البلدان الاسلامية دون الاخرى .

وساويرس بن المقفع للمرسوم متقارباً ان لم يكن متوافقاً ،
 اذا كان ساويرس على باول خلافته ، صدر خلافته ، لا اول شهر
 منها او نحوه على وجه الدقة ، واللفظ يحتمل ان يكون اولها
 فى حدود العام من البداية ، خصوصاً اذا كنا نعلم ان يزيد
 شغل منذ تولى الخلافة بحركة ابن المطلب والتي لم تنته الا
 فى صفر سنة ١٠٢هـ ، فيكون المرجح انه اصدر امره بعد فراغه
 من تلك الحركة ، يسند ذلك ان هناك روايات اشارت الى اشراف^(١)
 اخيه مسلمة بن عبد الملك على تنفيذ مرسومه فى العراق ،
 ومسلمة هو الذى تولى اخفاء حركة ابن المطلب ، مما يعنى ان
 صدور المرسوم كان بعد القضاء على ابن المطلب ، اى فيما
 بعد (صفر سنة ١٠٢هـ) . كما ارى ان تاريخ ابن تغرى بردى
 للمرسوم لا يخالف تاريخ ابن عبد الحكم وساويرس ، بل اراه
 موافقهما ، اذ انه اخبر ان امر يزيد ورد على عامله بمصر
 (سنة ١٠٣هـ) ، ولم يقل اصدر امره (سنة ١٠٣هـ) ، فلا خلاف
 صريح بينهما ، فلعل يزيد اصدر امره اواخر سنة ١٠٢هـ كما
 اخبر ابن عبد الحكم ، وورد امره على عامل مصر اوائل (سنة
 ١٠٣هـ) .

وحيث اننا سنستعرض روايات اجنبية ارخت لهذا المرسوم ،
 فاننا نترك امر الوصول الى التاريخ المرجح الى ما بعد
 ذكرها^(٢) .

هكذا كان مرسوم الخليفة يزيد فى مصادر مصر الاسلامية
 والقبطية ، وقد قام على تنفيذ مرسومه فى مصر عامل الخراج

(١) انظر هذه الروايات بعد : ص ٢٨٥ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ .
 (٢) انظر ماكتب عن هذا المرسوم فى المصادر الاجنبية ، بعد
 ص ٢٨٦ وما بعدها .

عليها في زمنه أسامة بن زيد الذي قام بمهاجمة الدير ،
 وهدم الكنائس ، وكسر الأصنام والمباني والتماشيل ومحو
 الصور ، ولم تنج خلال هذه الحركة بعض الآثار الفرعونية
 القديمة من الهدم والتخريب .^(١)

كما قام مسلمة بن عبد الملك أمير العراق (سنة ١٠٢هـ)
 من قبل الخليفة يزيد ، بتنفيذ مرسومه فأمر بمحو الصور
 جميعها سواء ما كان منها في الكنائس ، أو على الجدران أو
 في البيوت والكتب ، كما قام بتحطيم جميع الأصنام والتماشيل
 سواء أكانت من الحجر أم العاج .^(٢)

ومن الواضح أن المنية أدركت الخليفة يزيد بن عبد
 الملك ، والذي لم تطل مدة خلافته قبل أن يتم تنفيذ أمره .^(٣)

(١) سيدة كاشف : ممر في فجر الاسلام ، ص ١٨٠-١٨١ - ترتون :
 أهل الذمة في الاسلام ، ص ٤٥-٤٦ ، ١١١ .

(٢) ترتون : نفس المرجع ، ص ١١١ (نقلا عن : Anonymous :
 Syrenc chronicle, lp 308) .

لكن الجدير بالإشارة أن إصدار مرسوم الخليفة يزيد قد
 جاء بعد عزل مسلمة عن إمارة العراق (آخر سنة ١٠٢هـ أو
 أوائل سنة ١٠٣هـ) ، إذا كان اعتمادنا على تاريخ صدور
 المرسوم عند المؤرخين المسلمين الذين أرخوا له بسنة
 ١٠٤هـ . أما مارجحه المؤرخ فازيليف من التواريخ
 المختلفة لصدور هذا القرار ، وهو (شهر يوليو سنة
 ٧٢١م أي الموافق المحرم من سنة ١٠٣هـ) فيمكن أن يكون
 موافقا لآخر ولاية مسلمة على العراق ، فأشرف على
 تنفيذ المرسوم هناك في الشهور الأخيرة من ولايته ، هذا
 إذا كان عزله تم في سنة ١٠٣هـ ، وذلك لوجود الاختلاف
 في سنة عزله ، ولعدم تحديد الشهر الذي عزل فيه . (عن
 تاريخ عزل مسلمة انظر بعد : الفصل الخامس ، المبحث
 الأول ، ص ٤٧٤-٤٧٥) .

وفي قول ترتون أن صح قرينة على صحة أو مقاربة الصحة
 في التاريخ الذي توصل اليه فازيليف لهذا المرسوم .
 (انظر ما توصل اليه بعد : ص ٢٩٤) . وسنناقش هذا
 التاريخ نحن ، وسيكون لنا فيه رأيا . (انظره بعد :
 ص ٢٩٥) .

(٣) انظر : ترتون : نفس المرجع ، ص ٤٥-٤٦ .

(١)

ويخص المؤرخ (فازيليف A. A. Vasiliev) مرسوم الخليفة يزيد ببحث جمع فيه ماوردته المصادر المصرية الاسلامية والقبطية والاجنبية حول هذا المرسوم ، اسبابا ، وتاريخا ، ومضمونا ، ونتائج ، وسنعرض الآن لاهم ماورد فيه :
لقد ذكر اولا أربعة من المصادر العربية التي تحدثت عن المرسوم وهي الكندي ، المقرئى ، ابن تغرى بردى ، ساويرس ابن المقفع ، اى ثلاثة اسلامية ، وواحد قبطى ، والتي ناقشنا نومها فى الصفحات السابقة ، بينما لم يشر الى ماورده (٢)
ابن عبد الحكم عن هذا المرسوم .

ثم ذكر ان اول اشارة الى هذا المرسوم وردت فى المصادر الاغريقية ، وجاء ذلك فى الخطاب الذى القاه بطريك القدس حنا ، والذي كان من قبل بطريكاً لانتطاكية ، وكان يمثل بطارقة الروم ، فى مجمع نيقية المسكونى المنعقد (٣)
(١٧٠هـ - رجب ١٧١هـ / ٧٨٧م) وذلك بقصد ايفاح حاشر الامبراطور البيزنطى ليو الايسورى فى سياسته الخاصة بتحريم الصور بما

(1) The Iconoclastic Edict of the Caliph Yazid II, A.D. 721 .

(٢) اوردنا ما ذكره ابن عبد الحكم عن هذا المرسوم وناقشناه مع ماورد فى المصادر العربية الاخرى . (انظر قبل : ص ٢٦٧ وما بعدها) .

(٣) عقد مجمع نيقية المسكونى ، سنة (١٧٠-١٧١هـ / ٧٨٧م) بامر الامبراطورة ايرينى ، وامر اعضاءه القرار بتقديس صور المسيح والقديسين وتعليقها فى كل مكان ، لالعبادتها . وقد جاء هذا المجمع ردا على المجمع الذى انعقد (١٣٦-١٣٧هـ / ٧٥٤م) بامر الامبراطور قسطنطين الخامس وقرر تحريم اتخاذ الصور والتماثيل فى العبادة (انظر / محمد أبو زهرة : محاضرات فى النمرانية ، تبحث فى الادوار التى مرت عليها عقائد النصارى وفى كتبهم وفى مجامعهم المقدسة وفرقهم ، طبع ونشر الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٤هـ ، ص ١٧٦-١٧٧) .

حدث في الدولة الإسلامية في عهد الخليفة يزيد بن عبد
(١)
الملك .

وفي هذا الخطاب أشار حنا الى أن يزيد بن عبد الملك
(٢)
كان مدفوعا في سياسته تلك بساخر يهودى كان يعيش في طبرية
اسمه (Tessarakontapechys) ، كان من الد أعداء المسيحية ،
(٣)
وكان الخليفة يزيد قد قرب به اليه بعد أن طلبا له ، بأنه ان
استمع الى نصيحته سيحكم ثلاثين سنة ، ونصيحته ان اراد
الخليفة أن يحكم هذه المدة الطويلة أن يصدر مرسوما ينفذ
في جميع بلاد الدولة الإسلامية ويقضى بتدمير وازالة كل
التماوير سواء اكانت على المواثد او من الفسيفساء على
الجدران ، او على الاواني المعدنية ، او مطرزة على الاطية
التي تغطي الهيكل المقدس ، وعلى كل مثل هذه الاشياء التي
توجد عادة في الكنائس المسيحية . وقد استمع الخليفة الى
نصيحته وارسل مبعوثين من قبله الى كافة الولايات الإسلامية
قاموا بتحطيم الصور التي كانت في الكنائس واحرقوها .

-
- (١) أورد وسام عبد العزيز فرج نص الوثيقة التي قدمت الى
مجمع نيقية المسكونى المنعقد سنة (١٧٠-١٧١هـ/٧٨٧م)
حول مرسوم الخليفة يزيد ، لكنه لم ينص على أنها خطاب
حنا بطريرك القدس ، أو غيره ، وقد وافقت هذه الوثيقة
تقريبا ما جاء في خطاب حنا الذي ذكر مضمونه هازيليف ،
لذا يظن أن تكون هذه الوثيقة هي نص خطابه في هذا
الشان . (انظر نص الوثيقة في كتابه : دراسات في
تاريخ وحياة الامبراطورية البيزنطية ، (١)
الامبراطورية البيزنطية من (٣٢٤-١٠٢٥م) ، مطبعة معن
اسكندرية الكراس ، ١٩٨٢م ، ص ١٨٠-١٨١) .
- (٢) طبرية : بليدة مطلية على البحيرة المعروفة ببحيرة
طبرية ، يطل عليها جبل الطور ، تقع في طرف الفور ،
بينها وبين دمشق ثلاثة أيام . (ياقوت : معجم ، ١٧/٤) .
- (٣) قال وسام فرج أنه أحد زعماء اليهود السحرة ، وأنه
كان يسمى ذو الأربعين ذراعا (طولا) . (نفس المرجع ،
ص ١٧٩) .

واضاف : ولم يعمر الخليفة يزيد بعد أن أمر بذلك إلا سنتين ونصف . كما ذكر أن ابن الخليفة يزيد وهو الخليفة الوليد ابن يزيد بن عبد الملك ، أمر بقتل هذا الساحر اليهودي الذي سيطر على أبيه ودفعه الى هذه السياسة ، ولم تتحقق تنبؤاته .^(١)

وأشار الى هذا المرسوم أيضا بطريرك القسطنطينية نقفور (١٨٩ - ٢٠١هـ / ٨٠٥ - ٨١٦م) ذاكرا تأثير ذلك اليهودي على يزيد بن عبد الملك ، وأنه استطاع التأثير عليه ، لأن الخليفة كان يعاني من المرض ، فأعطاه الأمل بأنه أن نفذ وصيته سيشفى من مرضه وينعم بحياته ويعيش سعيدا ، وردد كلام بطريرك القدس هنا - الذي أشرنا اليه في المبحثين السابقين - لكنه اضاف ، انتقال عدوى هذه السياسة الخاصة بتحريم الصور الى الامبراطورية البيزنطية ، وتاثر الامبراطور ليو بهذه السياسة . وقد ذكر نقفور أن الخليفة يزيد توفي بعد سنتين وخمسة أشهر من اصدار هذا المرسوم .^(٢)

كما أشار الى هذا المرسوم في المصادر الاغريقية أيضا المؤرخ (جيورجىوس مرناخوس Georgius Mrnachus) ، وردد كامل التفاصيل .^(٣)

(١) A. A. Vasiliev : op. cit, p 28-30 . ويضيف وسام فرج : دراسات في تاريخ وحفارة الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٨٠-١٨١ أن الولاة والامراء أذاعوا ونشروا مرسوم الخليفة يزيد ، فقام العرب واليهود باحراق الايقونات المقدسة ، وطلاء حيطان بعض الكنائس بينما كشطوا حيطان البعض الآخر ، كما أشار الى مشاركة بعض المسيحيين في تنفيذ أمر الخليفة عندما سمعوا به كاسقف ناكوليا Nacolea واتباعه ، ويبدو أنهم ممن يحرم عبادة الصور وتقديسها .

(2) A. A. Vasiliev : op. cit, p 31-33 .

(3) A. A. Vasiliev : op. cit, p 31 .

ووردت الإشارة كذلك الى هذا المرسوم فى الخطاب الذى
القاء فى نفس الانعقاد السابق لمجمع نيقية (سنة ١٧٠ -
١٧١هـ / ٧٨٧م) أسقف مدينة ميسيتا والذى قال فيه : كنت طفلا
فى الشام عندما أمر خليفة المسلمين بتحطيم الصور .^(١)
وممن اشار الى مرسوم الخليفة يزيد بن عبد الملك
المؤرخ ثيوفانوس الذى كتب تاريخه فى بداية القرن التاسع
الميلادى/الثالث الهجرى ، لكنه ذكر أن ذلك الساحر من
(اللاذقية/لاوديكية Laodicea) ، وأنه أمل الخليفة يزيد
بالحكم أربعين سنة .

كما ذكر أن الخليفة يزيد بن عبد الملك صمم أن يفعل
مانعاه به الساحر اليهودى من تحطيم للصور المقدسة ، لكنه
توفى فى نفس العام . وقد عرفت الناس بعزمه ، كما عرف بذلك
الامبراطور البيزنطى ليو الاسورى عن طريق أحد المسيحيين
ويدعى (باسر Baseor) ، والذى كان يعيش فى ذلك الوقت فى
سورية ، وكان - على حد زعمه - قد أرغم على اعتناق الاسلام ،
الا انه نجح فى الفرار الى القسطنطينية ، وفى القسطنطينية
نجح باسر الذى عاد الى المسيحية أن يكسب ود الامبراطور ليو

(١) A. A. Vasiliev : op. cit, p 30 .

(٢) اللاذقية : ميناء مشهور على ساحل بلاد الشام . (ياقوت
معجم ، ٥/٥) .

(٣) أجمعت المصادر والمراجع على أن يزيد أصدر مرسومه
ونفذ ذلك المرسوم ، وأشارت بعض المصادر والمراجع الى
ما أزيل وحطم بمقتضاه وبقاء آثاره الى عهد قريب .
يتبين ذلك من مجمل الروايات العربية والاجنبية التى
ذكرناها ، مما يثبت تنفيذه لالعزم عليه كما يقول
المؤرخ ثيوفانوس أعلاه .

(٤) لم يعرف التاريخ ارغام المسلمين للناس على الاسلام ،
اعتمادا على قوله تعالى : {لاكره فى الدين} .
البقرة : ٢٥٦ .

الايصوري ، فنقل اليه ماشاع في سورية من تحريم عبادة المور وعيل فازيليف الى أن باسر هذا هو اليهودي الذي ورد اسمه في خطاب البطريك حنا .^(١)

كما تكررت الإشارة الى مرسوم الخليفة يزيد بن عبد الملك في المصادر الاغريقية ، في الخطاب الذي وجهه البطارقة الثلاثة الملكانيين الى الامبراطور ثيوفيل (٢٢١ - ٢٢٢هـ / ٨٣٦م) ، والخاص بعبادة المور ، والذي نشر أولا في القرن السابع عشر الميلادي ثم أعيد نشره فيما بعد سنة ١٩١٢ - ١٩١٣م ، ورددوا نفس الأقوال الخاصة بهذا اليهودي وتأثيره على الخليفة يزيد ، وأن يزيد مات بعد سنة من اصدار هذا المرسوم .^(٢)

كما اشارت المصادر السريانية الى مرسوم الخليفة يزيد ابن عبد الملك ، وذكرت أن الخليفة عهد الى أخيه مسلمة بتنفيذ مرسومه الخاص بإزالة المور من الكنائس وغيرها . كما أشارت الى أن الامبراطور ليو الايصوري في حملته ضد عبادة المور كان متأثرا في ذلك بسياسة يزيد بن عبد الملك في هذا المدد .

وتفصّل الرواية السريانية المعروفة باسم (بسيودو ديونيوس Pseudo Dionys) أنه في سنة ١٠٣٥ من العصر السلوقي / الموافق ١٠٤ - ١٠٥هـ - أي ٧٢٣ - ٧٢٤م) أمر الخليفة يزيد بإزالة جميع المور أينما وجدت سواء في

(1) A. A. Vasiliev : op. cit, p 30-31 .

(2) A. A. Vasiliev : op. cit, p 34-35 .

(١)

الكنائس ، او المعابد ، او فى المنازل .

كما ذكر ذلك المرسوم فى القرن الثانى عشر الميلادى/
السادس الهجرى ميخائيل السريانى ، وأوضح انه نص فيه على
ازالة صور الكائنات الحية ، من المعابد والكنائس والمباني
والجدران والحجارة ، بل وازالة الصور الموجودة فى الكتب
كما ربط بين سياسة يزيد والامبراطور ليو الثالث الايسورى
فى ذلك .^(٢)

كما ذكره فى القرن الثالث عشر الميلادى/السابع الهجرى
المؤرخ السورى اليعقوبى جريجورى ابو الفرج ، وابان تاشر
الامبراطور ليو الثالث بيزيد فى هذا الصدد .^(٣)

كما كتب مؤرخ مجهول كان يعيش فى النصف الاول من القرن
الثالث عشر الميلادى/السابع الهجرى ، والذي كتب تاريخ
الخليقة والمسيحية حتى (سنة ١٢٣٤م) ، انه فى (سنة ١٠٢هـ/
٧٢٠ - ٧٢١م) قام مسلمة بن عبد الملك بتكليف من اخيه يزيد
بازالة الصور حيثما وجدت سواء فى المعابد او على الجدران ،
او فى المنازل ، وكذلك الصور التى فى الكتب ، كما قام
بتكسير التماثيل ، سواء اكانت على الخشب او العاج ، او
الابنوس .^(٤)

هذه الروايات السريانية والمسيحية لم تحدد اى البلاد
كلف مسلمة بن عبد الملك من قبل اخيه الخليفة بتنفيذ
المرسوم فيها ، وكنا قد اوردنا خبرا عن حرتون ، يذكر فيه^(٥)

(1) A. A. Vasiliev : op. cit, p 37 .

(2) A. A. Vasiliev : op. cit, p 38 .

(3) A. A. Vasiliev : op. cit, p 38 .

(4) A. A. Vasiliev : op. cit, p 38-39 .

(٥) انظر قوله قبل : ص ٢٨٥ .

ان مسلمة اشرف على تنفيذها في العراق والمشرق ، فلعل هذه الروايات السريانية والمسيحية تقدم اشرافه على تنفيذ هذا المرسوم في العراق .

اما المصادر اللاتينية ، فانها تنقل مذكرته المصادر الاغريقية من مرسوم الخليفة يزيد بن عبد الملك ، مثال ذلك ان (انستاسيوس بيلوثيكاريوس Anastasius Binliothecarius) والذي كان يعيش في القرن التاسع الميلادي/الثالث الهجري ينقل مذكره المؤرخ الاغريقي ثيوفانوس .

كما نقل عن ثيوفانوس في هذا المدد ايضا ، المؤرخ الروماني (لاندولفوس ساكس Landulfus Sagax) الذي كان معاصرا للامبراطور البيزنطي باسيل الثاني (٣٦٥ - ٤١٥هـ/ ٩٧٦ - ١٠٢٥م) والامبراطور البيزنطي قنسطنطين الثامن (٤١٥ - ٤١٨هـ/ ١٠٢٥ - ١٠٢٨م) وقد ورد ذلك في تاريخه المعروف باسم (١) تاريخ ميسلا Historid Miscella .

كما كان اعتماد المجمع الديني الذي عقد في باريس في نوفمبر (٢٠٩ - ٢١٠هـ/ ٨٢٥م) لبحث قضية تقديس الصور في مناقشته هذه القضية منذ اثارها الامبراطور البيزنطي ليو الايسوري ، على التقرير الذي قدمه بطريرك القدس هنا الى مجمع نيقية المسكوني الذي انعقد (١٧٠ - ١٧١هـ/ ٧٨٧م) ، والذي اشار فيه الى مرسوم الخليفة يزيد . (٢)

كما اشارت المصادر الارمنية لمرسوم الخليفة يزيد ، اشار الى ذلك المؤرخ الارمني (جيفوند Ghevond) في كتابه

(1) A. A. Vasiliev : op. cit, p 35 .

(2) A. A. Vasiliev : op. cit, p 36-37 .

"تاريخ حروب وفتوح العرب في أرمينية" . وقد عاش في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي ، واولئ القرن التاسع الميلادي/الثالث الهجري ، فروى ما امر به يزيد (١) في هذا الشأن ، ذاكرا أن يزيد حكم ست سنوات ، وأنه كان ميلا لسفك الدماء . (٢)

أما بخصوص ماورد عن هذا المرسوم في المراجع الحديثة فإن فازيليف ينقل عن المستشرقين (فلهوزن Wellhausen) في كتابه الدولة العربية أنه يشك في وجود مرسوم ليزيد بن عبد الملك في هذا الصدد . (٣)

لكن فازيليف ينقل لنا عن مؤرخين محدثين مايدحض قول فلهوزن فينقل عن المؤرخ (كروفت I. Crowfoot) الذي كتب في (سنة ١٩٣٨م) في كتابه عن (الكنائس المسيحية في جرش) . 1938 . The Christian Churches at Gerasa, ed . أن آثار مرسوم يزيد شوهدت في أماكن كثيرة ، في فلسطين ، وشرق الأردن ، ومصر . وأن هذا المرسوم طبق في جرش (شرق الأردن) في قسوة شديدة . فالنقوش ، والزخارف ، والمور التي كانت توجد في الكنائس والمنازل نزعمت ، بل أن كل مايتعلق بصور الكائنات الحية قد حطمت وأزيلت وأن آثار ذلك التخطيم كانت لاتزال معالمها واضحة حتى مدور كتابه هذا منها في (٤)

الكنائس المسيحية في جرش .

(١) الصحيح أن مدته خلافته أربع سنوات وشهر واحد .
 (2) A. A. Vasiliev : op. cit, p 43-44 .
 (3) A. A. Vasiliev : op. cit, p 45 .
 (4) A. A. Vasiliev : op. cit, p 45 .

كما ينقل فازيليف عن الاثرى (كريزويل J. E. Quibell) الذى قام بحفائر (سنة ١٩٠٨ - ١٩١٠م) فى دير الانبا جريمياس Jeremias فى سقارة فى مصر ، مشاهده فى هذا الدير من تشويه ماكان به من صور ، وماذكره من انه يعزو ذلك الى مرسوم الخليفة يزيد بن عبد الملك .^(١)

واخيرا استعرض فازيليف التاريخ الذى اوردته المؤرخون لهذا المرسوم ، فرأى ان اصحها (محرم ١٠٣هـ/يوليو ٧٢١م) . اعتمادا على ماذكره بطريرك القدس حنا عن مرسوم يزيد وتاريخه فى التقرير الذى قدمه لمجمع نيقية (١٧٠ - ١٧١هـ/٧٨٧م) ، اى بعد صدور المرسوم ب (٦٦ عاما) . وقد قال حنا : ان الخليفة لم يعمر بعد امره بذلك الا سنتين ونصف . الى جانب بعض الروايات المدعمة له ، خصوصا رواية نقفور بطريرك القسطنطينية (١٨٩ - ٢٠١هـ/٨٠٥ - ٨١٦م) الذى قال : ان يزيد توفى بعد سنتين وخمسة اشهر من اصدار هذا المرسوم . لان هاتين الروايتين اليونانيتين هما اقدم ماذكر فى هذا الشأن واعتمادا فى ذلك ايضا على ماوردته المؤرخ القبطى ساويرس ابن المقفع ، وقد ارخ له باواىل خلافة يزيد ، والمؤرخ السريانى المجهول الذى ارخ له ب (١٠٢هـ/٧٢٠ - ٧٢١م) . وهو بذلك يستبعد تاريخ كل من الكندى والمقرىزى اللذين ارخا له ب (سنة ١٠٤هـ/٧٢٢ - ٧٢٣م) .

فنرى ان المؤرخ فازيليف قد قارب المواعيد ان لم يكن اصابه . فقد ارخ له ب (يوليه ٧٢١م/الموافق محرم ١٠٣هـ) .

(1) A. A. Vasiliev : op. cit, p 45 .

(2) A. A. Vasiliev : op. cit, p 46 .

ونحن ، اعتمادا على تاريخ ابن عبد الحكم وهو اقدم مؤرخ مسلم تحدث عن هذا المرسوم (ت ٢٥٧هـ/٨٧٠ - ٨٧١م) ، وساويرس ابن المقفع ، وابن تفرى بردى ، وكذلك رواية المؤرخ المريانى المجهول الذى ارخ لهذا المرسوم ب (١٠٢هـ/٧٢٠ - ٧٢١م) ، نرجح ان يكون الخليفة يزيد قد اصدر امره فيما بعد (شهر صفر سنة ١٠٢هـ) ، والذى تنتهى بذى الحجة ، الموافق ٢ يونيه ٧٢١م ، اى الشهر الذى يسبق الشهر الذى حدده فازيليف لمدور هذا المرسوم وهو يوليه ٧٢١م/محرم ١٠٣هـ .

وكان فازيليف قد التزم بحرفية رواية بطريك القدس هنا الذى قال : ان يزيد قد توفى بعد اصدار المرسوم بسنتين ونصف .

وحيث اننا لاحظنا ان فازيليف لم يشر الى تاريخ ابن عبد الحكم لهذا المرسوم ، الذى خفى عليه فيما يبدو ، وهو اقدم المؤرخين المسلمين ، فلمله كان يغير ماتومل اليه فى حالة اطلاعه على خبره .

وبناء على ماتقدم يكون الخليفة يزيد بن عبد الملك قد اصدر مرسومه هذا فى (اواخر سنة ١٠٢هـ/٧٢١م) ، على اساس ماتوملنا اليه ، او (المحرم سنة ١٠٣هـ/٧٢١م) على مارجحه فازيليف ، والفرق بينهما كما هو واضح قد يكون اياما ، وعلى الاكثر شهورا لاتتعدى اصابع اليد الواحدة ، وعلى كل حال ، فانه ليس لدينا مايتوقف الحكم عليه بتحديد التاريخ لمرسوم الخليفة يزيد ، ولكن في هذه المناقشة شيء من جدية البحث ، وعدم التسليم بما عند الغير ، ورغبة فى الوصول الى الحقيقة ، ولعل قادم الايام يخرج من الاحداث مايترتب

على هذا التاريخ .

ونخلص من هذه الروايات التي أوردها فازيليف في بحثه أن الخليفة يزيد بن عبد الملك كما ذكرت المصادر الاغريقية واللاتينية كان مدفوعا في هذا القرار من قبل ساحر يهودي ، زين له ازالة الصور والتماثيل عموما بشتى أنواعها وايضا وجدت ، وعلى أى شيء صورت ، إلا أن بعض الروايات قالت أن الأمر اختص بازالة صور الكائنات الحية . وقد شمل هذا القرار كافة اقاليم الدولة الاسلامية ، ولم يقتصر على مصر ، الذي اقتصر ذكر المرسوم على مصادرها ، ودل على ذلك عمومية الأمر كما اشارت اليه بعض المصادر الاسلامية والقبطية ، وكذلك الاجنبية ، حيث ورد ذلك على لسان بطريرك القدس هنا في خطابه الذي القاه في مجمع نيقية السابق ، فقد اخبر أن الخليفة يزيد ، أصدر أمره ، وأرسل مبعوثين من قبله الى كافة الولايات الاسلامية ، قاموا بتحطيم الصور في الكنائس واحرقوها . وكذلك ماوردته المصادر السريانية حول اشراف مسلمة بن عبد الملك على تنفيذ مرسوم أخيه الخليفة في العراق والمشرق ، وما اثبتته الدراسات الاثرية والحفائر ، من وجود آثار هذا المرسوم بوضوح في فلسطين وشرق الاردن ومصر ، وبخاصة في جرش بالاردن ، وسقارة بمصر .

(١) لم يرد القول بهذا السبب في الروايات الاسلامية والقبطية والسريانية والآرمنية ، (انظر ذلك في الصفحات السابقة) .

(٢) انظر : A. A. Vasiliev : op. cit, p 38

(٣) انظر ماكتبناه عن ذلك ، قبل : ص ٢٨٣ .

(٤) انظر روايته قبل : ص ٢٨٧ .

(٥) انظر ماوردته حول ذلك ، قبل : ص ٢٨٥ .

(٦) انظر نتائج تلك الدراسات ، قبل : ص ٢٩٣-٢٩٤ .

واتضح من خلال هذه الروايات أن الصور والتماثيل التي بالكنائس قد تعرضت للإزالة والتعطيم ، محو أو كسح أو احراق أو طلاء ، ومن هنا جاء قول بعضهم ، أن المقصود من هذا المرسوم هو إزالة الصور والتماثيل المقدسة التي في الكنائس ، وأن تعميم المرسوم على كافة أنواع الصور ماجاء إلا بنصيحة من الساحر اليهودي ، مكيدة خبيثة منه لئلا يشك الخليفة في نواياه الحقيقية كعدو للمسيحيين .^(١)

والحق أن في الروايات الواردة في هذا العدد ما يشكك فيها ، فهي تختلف على اسم الساحر اليهودي ، كما أنها تختلف على المدينة التي كان يسكن بها ، كما اختلفت في المدة التي منى الساحر اليهودي الخليفة يزيد أن يحكمها ، إذا فعل مانحه به ، من امدار هذا القرار ، وبعد ذلك فإن الخليفة لم يحكم تلك المدة وتوفي بعد صدور قراره بمدة وجيزة .^(٢)

أما القول ، بأن المرسوم خص به صور الكائنات الحية ، فلعل ذلك أن المسلمين في تنفيذه عنوا بإزالة صور الكائنات الحية أكثر من غيرها ، لأن الصور المحرمة في الإسلام ، هي صور ذات الأرواح دون غيرها .^(٣)

أما القول بأن المرسوم استهدف الصور المقدسة عند

(١) وسام فرج : دراسات في تاريخ وحضارة الدولة البيزنطية ص ١٧٩-١٨١ .

(٢) انظر ذلك في ثنايا الروايات التي عرضناها في الصفحات السابقة ، وكذلك : وسام فرج : نفس المرجع ، ص ١٨١-١٨٢ .

(٣) انظر عن ذلك : قبل : ص ٢٧٠ . وكذلك : أحمد تيمور : التماثيل عند العرب ، ص ١٠٠-١٠١ . وقد أورد حديثاً عن ابن عباس ينهى ويحذر من تصوير ذوات الأرواح ، لكنه يبيح تصوير ما ليس فيه روح .

النمارى ، فان التعرض لها لم يكن الا لان المرسوم كان يتضمن ازالة الصور كلها واينما وجدت ، كما أن الصور المقدسة عند النمارى كانت هى الصور الشائعة عندهم سواء فى كنائسهم واديرتهم وبيعهم وبيوتهم .

وشمة سبب آخر ، وهو الاله ، وهو أن الصور المقدسة عند المسيحيين لم تكن مجرد صور تقام أو تعلق للزينة أو الذكرى وإنما أصبحت تعبد وتقديس ، وهو ما عرف عندهم بعبادة الايقونات ، أى عبادة الصور . وذلك مظهر من مظاهر الوثنية (١)

(١) لم تكن عبادة الايقونات جديدة على النمارى ، فترجع بدايتها الى القرن الرابع الميلادى عندما تم الاعتراف بالمسيحية وبدأ المسيحيون يزينون الكنائس بصور المسيح والعذراء والقديسين والتماثيل الدينية ، مما يدل على ذلك أن المجلس الذى عقد فى مدينة القيرا باسبانيا فى بداية القرن الرابع الميلادى حرم اقامة الصور فى الكنائس ، وأنها بدعة . والاصل أن المسيحية تنهى عن الصور والتماثيل ، لكن انتمار المسيحية فى عهد قسطنطين وماكان للبيئة والتقاليد اليونانية من أثر أدى الى دخول بعض المظاهر الوثنية القديمة على الكنيسة ، فزينوا كنائسهم بالصور والتماثيل ، وقد اعتبر بعضهم ذلك مظهرا من مظاهر الوثنية ، فنقده بعض المؤرخين وبعض القديسين ، كما قامت حركة فى انطاكية فى القرن السادس الميلادى ضد عبادة الصور ، الى جانب بعض حوادث الهجوم على الصور وتحطيمها فى القرن السابع الميلادى ، ومع ذلك فقد اعترف بشرعية الاستخدام الصحيح للايقونات فى مجمع عقد فى القرن السابع الميلادى ، ثم حرمت فى مجمع عقد فى العقد الاخير من ذلك القرن كما حرم اتخاذ الصور والتماثيل فى العبادة فى مجمع عقد بامر قسطنطين الخامس (سنة ٧٥٤م) ، لكن الملكة ايريني أمرت بعقد مجمع نيقية (سنة ٧٨٧م) الذى قرر تقديس صور المسيح والقديسين لآبائهم . ومع ذلك انتشرت الصور المقدسة فى كل مكان ، وتحول الامر ، من تعليقها للزينة والذكرى ، الى عبادة تلك الصور والسجود لها والتماس البركة وتحقيق المعجزات منها . حتى اتكل عليها فى دفع الاخطار ، وغدت الصورة الجليل الالى يفهم منها ما لا يقرأه من الكتاب المقدس . =

ليس له أصل في المسيحية . ولعل هذا ما حدا بالخليفة يزيد ابن عبد الملك الى اصدار مرسومه لأن الاسلام يحرم التصوير ، وصور ذات الارواح ، كما يحرم أى مظهر من مظاهر الوثنية والشرك .

وعبادة الصور والتماثيل شرك بالله ، وقد نصت بعض عقود الملح بعدم اظهار اهل الذمة للشرك والدعوة اليه ، والا برئت منهم الذمة ، وحل عليهم مايحل على اهل الشقاق والمعاندة . من ذلك مانص عليه ملح نصارى اهل الشام ^(١) .

ويتضح من خلال الروايات الأجنبية التى عرفت لهذا المرسوم انه تم على اثره محو الصور من الكنائس ، والمنازل وكل مكان ، ماكان منها على جدار او قماش او الواح او آنية او كتب ، فى جميع اقطار الدولة الاسلامية ، وفى هذا دلالة واضحة على تفشى التدمير وانتشار الصور وخاصة المقدسة . وحيث أن النصارى يعيشون رعايا اهل ذمة بين المسلمين وفى ديارهم فقد خشى الخليفة يزيد بن عبد الملك اقتتان المسلمين بذلك ومحاكاة النصارى فى عمل الصور واتخاذها

= وفى القرنين الثامن والتاسع الميلاديين أدرك المسيحيون حاجة الكنيسة الى الإصلاح والتطهير ، فعملوا على تحريم عبادة الايقونات . عن ذلك انظر : حسنين ربيع : دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١٠٩ - هسى : العالم البيزنطى ، ترجمة وتعليق رافت عبد الحميد ، مكتبة سعيد رافت ، مؤسسة الوفاء للطباعة ، القاهرة ، ص ١٢٣-١٢٤ ، وهامش (١) ص ١٢٣ - محمد ابو زهرة : محاضرات فى النصرانية ، ص ١٧٦-١٧٧ - وانظر عن الايقونات ايضا : اسد رستم : كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى ، منشورات المكتبة البولسية ، لبنان ، بيروت ، طبعة ١٩٨٨م ، ٧٩/٢-٩٧ . وقد تحدث خلال حديثه عن الايقونات ، عن مرسوم الخليفة يزيد تجاهها ، وأن ليو الثالث ماثلة فى ذلك ، ولم يصف جديدا .

(١) انظر نص ذلك الملح قبل : ص ٢٧٧، ٢٨١ .

وتقديسها خصوصا انهم كانوا قريبى عهد بالجاهلية ومظاهر
وثنيتهما ، فلعله رأى من الحكمة احتمال ذلك الداء قبل
استفحاله .

كما نخلص من دراسة هذه الروايات الى امر غاية فى
الاهمية ، وهو القول بان الامبراطور ليو الثالث الايسورى
تأثر بسياسة الخليفة يزيد بن عبد الملك فى ازالة الصور
المحرمة .^(١)

فقد اصدر الامبراطور ليو الثالث الايسورى سنة (١٠٧ -
١٠٨هـ / ٧٢٦م) ، وبموافقة الاساقفة ، واعضاء مجلس الشيوخ ،
مرسوما يقضى بازالة جميع الصور والتماثيل الدينية من
الكنائس ، وامر ان يغطى بالجص ماعلى جدران الكنائس من صور
وذلك فى كافة ولايات الدولة البيزنطية .

وقد اتخذ ليو الثالث الايسوى سياسته هذه بشئ من
الحذر والتمس لها الاسباب ، وسمى لتنفيذها بشكل تدريجى ،
لكن ثورة الجماهير والرهبان فى وجه سياسته ، ومنع جنوده من
تنفيذها ، بل وقتلهم القائد المكلف بتنفيذها وبعض معاونيه،
كان مما دعا الامبراطور الى الاستعانة بالقوة العسكرية فى
تنفيذ امره ، والقيام بسلسلة من اعمال القتل والنفى ضد
المعارضين لسياسته . ويقال ان اوامره فى هذا الصدد لم

(١) قال بهذا التأثير ايضا / سيدة كاشف : مصر فى فجر
الاسلام ، ص ١٨٠-١٨١ - حسنين ربيع : دراسات فى تاريخ
الدولة البيزنطية ، ص ١١٠ - هسى : العالم البيزنطى ،
ص ١٣٥ - احمد تيمور : التصوير عند العرب ، ص ١٣٠ -
ابراهيم العدوى : الامويون والبيزنطيون ، ص ٢٩٣-٢٩٤ -
السيد الباز العرينى : الدولة البيزنطية ، دار
النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٢م ، ص ٢٠١ .
(٢) اى بعد مرسوم الخليفة يزيد بن عبد الملك بنحو خمس
سنوات .

تقتصر على ازالة الايقونات المعلقة فى الكنائس بل شملت كافة انواع الصور سواء المرسومة على جدران الكنائس ، او تلك المطرزة على النسيج الذى يغطى العياكل المقدسة ، كما احترقت آثار القديسين ، وازيلت جميع التماثيل والصور (١) المقامة خارج الكنائس .

(٢) ولعل هذا ماادى الى تساؤل وسام فرج ، لماذا تبنى الامبراطور البيزنطى الحركة اللايقونية (اي تحريم عبادة الصور) فى القرن الثامن الميلادى بالذات ، بينما كان الخيار المعادى لعبادة الايقونات موجودا منذ عدة قرون ؟

وجوابه على ذلك هو تاجر الامبراطور ليو الثالث الايسورى والامبراطورية البيزنطية بقرار الخليفة يزيد بن عبد الملك ، وبمؤثرات اخرى .

وهنا يظهر سؤال جديد ، كيف تاجر الامبراطور ، وماهى المؤثرات الاخرى ؟

يقال ان اصل ليو الثالث من اسباب تاجره بسياسة الخليفة يزيد تجاه الصور ، فيذكر فى هذا المدد ان ليو من

(١) عن امر ليو الثالث بتحريم الصور وازالتها . (انظر / عمر كمال شوقيق : تاريخ الدولة البيزنطية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، فرع الاسكندرية ، ١٩٧٧م ، ص ١١٢-١١٤ - أوسان : الامبراطورية البيزنطية ، تعريب مصطفى طه بدر ، الناشر دار الفكر العربى ، ١٩٥٣م ، ص ١٥٢ (كنه أرخ لامر ليو هذا بسنة ٧٢٥م / ١٠٦-١٠٧هـ) - وسام فرج : دراسات فى تاريخ وحضارة الدولة البيزنطية ، ص ١٨٤-١٨٥ - همى : العالم البيزنطى ، ص ١٢٥ ، وهامش (١) منها - محمود سعيد عمران : معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٠م ، ص ١٠١-١٠٢ .

(٢) نفس المرجع ، ص ١٧٦ .

(١) مواليد مرعش ، وان أصله في الواقع من أيسوريا ، في اقليم قليقية ، ولد من أبوين أرمنيين ، ثم انتقل مع أبيه الى تراقية ، ثم انخرط في سلك العسكرية حتى أصبح قائد فيلق الاناضول . وقيل ان أصله سوري وكان مولى للخليفة - ولم يحدد المرجع اي خليفة - يجيد التحدث بالعربية واليونانية . بل قيل ان الخليفة يزيد ادخله الاسلام سرا . وقيل أيضا ان سياسته اللايقونية لم تكن الا تزلفا للمسلمين ومجاملة لهم وان كان ذلك لا يعقل ومواقفه العسكرية وحروبه ضد المسلمين تدل على عكس ذلك . (٧)

والحق ان من اهم المؤثرات التي أدت الى احتكاك ليو بالمسلمين والتاثر بفكرهم ، ما ثبت من مرافقته لهم واختلاطه بهم ابان حملتهم الشهيرة على القسطنطينية (سنة ٩٨٨هـ) في خلافة سليمان بن عبد الملك . فقد ورد في عدد من المصادر والمراجع ، ان ليو الايسوري ، الذي كان قائدا لفيلق الاناضول ، سار مع الجيش الاسلامي بقيادة مسلمة بن عبد الملك ليكون دليلا يهديهم الطريق الى القسطنطينية ، حتى وصلوا

-
- (١) مرعش : مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم . (ياقوت : معجم ، ١٠٧/٥) .
 - (٢) ايسوريا : او (ايزورية) ، امارة في داخل آسيا الصغرى على حدود منطقة الثغور اليونانية القديمة . (كي لسترنج : بلدان ، ص ١٧٦) .
 - (٣) تراقية او تراقيا : ولاية بيزنطية تطل على بحر مرمرة من جهة أوروبا .
 - (٤) محمود سعيد عمران : معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص ٩٣ - عمر كمال توفيق : تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١٠٤ .
 - (٥) عمر كمال توفيق : نفس المرجع والصفحة - فيليب حتى : تاريخ سورية ، ٥٠/٢ .
 - (٦) أومان : الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٥٢ .
 - (٧) عمر كمال توفيق : نفس المرجع ، ص ١١١-١١٢ - فيليب حتى : نفس المرجع والجزء ، ص ١١٧ .

اليها . مشيرة الى قيامه بالتفاوض مع مسلمة على اساس تسهيل دخول المسلمين اليها وتسليمها صلحا ، وانه نجح في مخادعة مسلمة واستغل الثورة التي قامت في القسطنطينية وقت حصار المسلمين لها ، وتمكن من ان يسيطر على الموقف ، ثم بعد ان نصبه البيزنطيون امبراطورا عليهم ، تمضى للمسلمين وصمد امام حصارهم ، حتى تكالبت عليهم الظروف ، وامر عمر ابن عبد العزيز خليفة سليمان بفك الحصار وانسحاب المسلمين سنة ٩٩ هـ . وبلا شك فان اختلاط ليو بالمسلمين خلال مسيرهم الى القسطنطينية ، كان فرصة لاطلاعه على الفكر الاسلامي ، ومبادئ الدين الحنيف ، وبخاصة صفاء العقيدة ، ومحاربة الشوكيات . ولعل ذلك من اهم اسباب تاثيره بمرسوم الخليفة يزيد . ومن هنا جاء القول بان ليو الايسوري كان ذا عقلية اسلامية .^(١)

ويذكر وسام فرج في هذا الصدد ايضا ان الامبراطور ليو^(٢) تاثر بجماعة من رجال الدين في الاقاليم الشرقية ، منهم قسطنطين اسقف ناكوليا في فيرجيا بآسيا الصغرى ، وهذا الاسقف تاثر بفكر المسلمين ، واليهود ، ثم نقل ذلك الى

-
- (١) عن قيام ليو الايسوري بدور الدليل لهذه الحملة وتفاوضه مع المسلمين ، ووصوله الى كرسى الامبراطورية وتمديه لمسلمة وجيشه ، (انظر / نبيه عاقل : تاريخ خلافة بنى امية ، ص ٢٤٧-٢٥٠ - يوسف العش : الدولة الاموية ، ص ٢٥٦-٢٥٧ - محمود سعيد عمران : معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص ٩٤-٩٨) .
- (٢) حسنين ربيع : دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١١٢ .
- (٣) دراسات في تاريخ وحضارة الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٧١-١٧٢، ١٧٧، ١٨١ ، وهوامشها .
- (٤) نقل وسام فرج عن وثيقة رسمية قدمت للمجمع المسكوني المنعقد (سنة ٧٨٧ م) : ان اسقف ناكوليا عندما سمع بمرسوم الخليفة يزيد ، قام هو واتباعه ، بازالة الصور والتماثيل من الكنائس ، شانهن شان المسلمين واليهود الذين شاركوا ايضا في هذه المهمة بالدولة الاسلامية . (انظر : نفس المرجع ، ص ١٨١) .

الامبراطورية البيزنطية ، وقام بدور الدموه الى تحريم
المور داخلها ، وكذلك توماس اسقف كلاوديوبولس ، وكانا قد
اقاما لبعض الوقت فى العاصمة البيزنطية (١٠٧ - ١٠٨هـ/
٧٢٦م) ، وان كان هناك من يرى ان ليو هو العقل والمفكر
الرئيسى وراء سياسته .

ولعل قيام الامبراطور ليو بذلك كان هدفا اصلاح الكنيسة
وفى نفس الوقت لايمكننا ان نغفل الاسباب السياسية التى دعت
الى ذلك ، فليس لنا ان نتجاهل مراعاة مصلحة الامبراطورية
من وراء هذا القرار ، فقد ادى انتشار الاديرة الى نقصان
موارد الدولة ، لاعفائها من الضرائب ، وجذبها لاعداد كبيرة
من الناس كان من الممكن ان يقوموا بدور كبير فى خدمة
الدولة ، الى جانب تزايد نفوذ الرهبان حتى اصبحوا مصدر
خطر على السلطة ، فقد كان ذلك بلا شك من الاسباب التى كانت
وراء الحركة اللايقونية ^(١) .

ويبدو ان التاثير بسياسة الخليفة يزيد لم يقتصر على
الامبراطور ليو الثالث ، فقد ادى اتصال اهالى الولايات
الاسيوية فى الامبراطورية البيزنطية بالاسلام واهله ، لعدد
من المقيود قبل تلك الحركة ، الى معرفة موقف الاسلام من تحريم
المور والتماشيل . اذ لم يحمل المسلمون معهم الى
آسيا الصغرى اثناء فتوحهم ابان تلك الفترة فكرة الجهاد فقط ،
بل نقلوا عقائدهم وثقافتهم وحياراتهم ، ومنها تحريم المور
والتماشيل وبالاخص ماقدس منها . فلم يكن التحدى الاسلامى

(١) عمر كمال توفيق : تاريخ الدولة البيزنطية ، ص
١١١-١١٢ .

البيزنطى عسكريا فحسب ، وانما فكريا وحضاريا ، اثر فى العقيدة نفسها ، واثار ازمة حول الصور المقدسة عند المسيحيين .^(١)

وفى هذا الصدد يشير أومان ، الى أن المثقفين العلمانيين البيزنطيين كانوا يذكرون عبادة الصور وازدادت كراهيتهم لذلك بتأثير الدين الاسلامى على عقولهم ، فحدث رد فعل قوى على تلك العقائد الفاسدة بين هذه الفئة ، كما جاء التأثير بالعقيدة الاسلامية والحضارة الاسلامية فى آسيا الصغرى بحكم قربها من بلاد الاسلام ، اكثر منه فى أوروبا ، فازدادت الحركة ضد عبادة الصور هناك . وفى آسيا الصغرى نشأ البيزنطيون اللايقونيون ، فكان ليو من آسيا الصغرى ، وكان معظم جنده من هذه المنطقة التى تآثرت بعقيدة الاسلام وبحضارته ، لذلك ناصر هذا الجيش سياسة ليو اللايقونية ، بينما تمثلت قوة المعارضة لهذه السياسة فى الاساقفة ورجال الخدمة المدنية فى أوروبا .^(٢)

وقد عزا بعض المؤرخين سياسة ليو اللايقونية الى مؤثرات يهودية الى جانب المؤثرات الاسلامية ، فقالوا : انهم شروا موافقته على تحطيم التماثيل بالمال ، وانه حاول

(١) أومان : الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٥١ - حسنين ربيع : دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١١١-١١٢ .
(٢) نفس المرجع ، ص ١٥٢-١٥١ .
(٣) عن التأثير بالاسلام وتأثير ذلك على الحركة اللايقونية فى الدولة البيزنطية ، (انظر / مجهول : الامبراطورية البيزنطية ، تعريب حسين مؤنس ومحمود يوسف زايد ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ص ١١٤ - عمر كمال توفيق : تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١١١ - السيد الباز العريضى : الدولة البيزنطية ، ص ٢٠١ - أحمد تيمور : التصوير عند العرب ، ص ١٣٠) .

ارضاءهم ، ولعل هذا القول قد جاء لأن اليهودية تحرم عبادة
(١)
المور .

ونحن لانستبعد أن يكون لليهودية دور فى ذلك ، بل
أن المسيحية نفسها تحرم المور ، لكن الواقع يقول أن عبادة
المور قد عاشت مع وجود هذه المؤثرات ، وهذا مايدفعنا
لإعادة القول ، لماذا قامت حركة تحريم عبادة المور على يد
الامبراطور فى القرن الثامن بالذات ؟ انه بلا شك المؤثر
المباشر الذى حدث فى هذا القرن ، الا وهو مرسوم الخليفة
يزيد .

ان الاهمية الكبرى لاتكمن فى اصدار الامبراطور ليو
قراره بتحريم عبادة المور تاسيا بالخليفة يزيد بن عبد
الملك ، بل فيما نتج عن هذا التاثر ، فقد عاشت الدولة
البيزنطية حروبا داخلية خطيرة بسبب الحركة اللايقونية بين
المؤيدين والمعارضين مدة تزيد على قرن من الزمان ، فعمت
بلاد اليونان وايطاليا عدد من الثورات التى تعدت لسياسة
الامبراطور ، ووضع البابوات انفسهم على رأس المعارضة ، لذلك
حالفوا الممبارد ، وطلبوا العمون من الحكام الفرنجة ،

(١) عن القول بتاثير اليهودية ايضا على الحركة
اللايقونية ، (انظر / عمر كمال توفيق : تاريخ الدولة
البيزنطية ، ص ١١١-١١٢ - أومان : الامبراطورية
البيزنطية ، ص ١٥٢ - حسنين ربيع : دراسات فى تاريخ
الدولة البيزنطية ، ص ١١٠ - هسى : العالم البيزنطى ،
ص ١٢٥) .

(٢) السيد الباز العريضى : الدولة البيزنطية ، ص ١٩٩-
٢٠٠ ، ومما يستحب الاشارة اليه هنا أن الحركة
اللايقونية قد أوقفت تماما ، وأعيدت عبادة المور فى
المجمع المسكونى الذى عقد سنة ٨٤٣م بدعوة مسن
الامبراطورة تيودورا التى تولت بعد زوجها تيوفيلوس
(توفيل) ، الذى أصدر قراراته بإعادة قوانين مجمع
نيقية (سنة ٧٨٧م) ، القاضى بتقديم المور . (عن هذا ،
انظر / هسى : نفس المرجع ، ص ١٣٦ وهامش (٢) منها - =

فانتقم ليو بفصل مناطق جنوب ايطاليا عن السيادة البابوية ، وقد ساعد ذلك حكام الفرنجة على التدخل ، وجعل شارل العظيم نفسه حاميا للارثوذكسية ، فبدات دولة الفرنجة فى الظهور كإمبراطورية منافسة لبيزنطة ، فترتب على هذه الاحداث ، انسحاب روما من الشرق ، وخروج بيزنطة من الغرب اللاتينى ، فانهارت بذلك فكرة الوحدة التى تمسكت بها كل من الامبراطورية البيزنطية والبابوية .^(١)

تلك كانت الحركة المعادية لعبادة الصور فى بيزنطة بتأثير مرسوم الخليفة يزيد بن عبد الملك الا انه بالرغم من ان اول قرار ضد عبادة الصور لم يصدر فى القسطنطينية بل فى دمشق عاصمة الخلافة فى خلافة يزيد بن عبد الملك ، فان المسلمين فى تنفيذهم لمرسوم الخليفة يزيد ، اقتصرُوا على ازالة الصور والتمائيل وتحطيمها او محوها، بينما الامبراطور ليو وابنه قسطنطين ورجاله تعدوا ذلك الى اضطهاد الرهبان وقتلهم وتعذيبهم .^(٢)

ومن علامات سياسة المسلمين الحكيمة فى هذا الصدد اعطاؤهم حرية الرأى للرعايا المسيحيين فى التعبير عن رأيهم فى هذه الحركة ، تمثل ذلك فى افساح المجال للقديس يوحنا الدمشقى فى الدفاع عن استخدام الصور كوسيلة للعبادة،

= - أومان : الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٦٥ - فازيليك : العرب والروم ، ترجمة محمد عبد الهادى شعيرة ، مراجعة فؤاد حسن على ، دار الفكر العربى ، ص ٣٦٥-٣٦٨ .

(١) عن هذه النتائج الخطيرة للحركة اللايقونية فى الدولة البيزنطية ، (انظر / أومان : نفس المرجع ، ص ١٥٢-١٥٣ - هسى : العالم البيزنطى ، ص ١٣٥-١٣٦-١٣٨ - السيد الباز العربى : الدولة البيزنطية ، ص ٢٠٨ .

(٢) نجدة خماش : الشام فى صدر الاسلام ، ص ٩٥ .

حيث قدم عددا من الرسائل الشهيرة صاغ منها الادلة اللاهوتية لاستخدام الصور ، فغدت سلاحا مافيا بيد مؤيدي عبادتها ، كما قام بجولة واسعة فى سورية داعيا الى مقاومة مبطلى الايقونات ، فاعتبر الزعيم الاساسى المدافع عن الايقونات . كل ذلك فعله وهو داخل الدولة الاسلامية ، التى لاتقر عبادة الصور وأمرت بازالتها من اراضيها .^(١)

وقد ذكر فيليب حتى ، ان يوحنا هذا ، قد خلف ابيه سرجون فى استلام الادارة المالية فى الدولة الاسلامية ، ولم يزل مشرفا عليها حتى اوائل خلافة هشام ، حينما اعتزل الادارة وانصرف الى حياة الزهد والتعبد واقام فى دير القديس سابا بالقرب من بيت المقدس حيث قضى نحبه . ولعل تركه العمل فى ادارة الدولة الاسلامية ، وانصرافه للتعبد والزهد ، ان صحت هذه الرواية ، بسبب مرسوم الخليفة يزيد ، لما علمنا من الدور الذى قام به فى الدفاع عن عبادة الصور والتمسك بالحركة اللايقونية التى تزعمها الامبراطور ليو .

الا ان من الواجب الاشارة هنا ، اننا لم نجد ليوحنا بن سرجون بن منصور الرومى دورا فى الادارة المالية فى الفترة السابقة لهشام ، منذ ان عربت الدواوين فى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان . كما ان عبد الملك عزل سرجون والد منصور ولم يول ابنه يوحنا بن سرجون ، بل ولاها سليمان بن سعد

(١) من يوحنا الدمشقى ، وتمديده لسياسة ليو الثالث اللايقونية ، ودفاعه عن الايقونات من داخل الدولة الاسلامية ، (انظر / اسد رستم : كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى ، ص ٦٣-٧٨ - ابراهيم العدوى : الامويون والبيزنطيون ، ص ٢٩٣-٢٩٤ - فيليب حتى : تاريخ سورية ، ١١٧/٢ - هسى : العالم البيزنطى ، ص ١٣٧) (٢) تاريخ العرب (م) ، ٣١٤/١ - وتاريخ سورية ، ١١٦/٢ .

الخشنى ، وقيل بل ظل سرجون على الدواوين حتى عزله عمر بن عبد العزيز عندما وجد عليه شيئا .^(١)

ويتبين أن سياسة تحريم عبادة الصور والأمر بإزالتها يخالف معتقد مسيحي الشام ، وتجلى هذا فى موقف يوحنا الدمشقى الذى أشرنا إليه ، وكذلك فى موقف مسيحي مصر ، حيث قام بطريك اليعاقبة فى مصر المدعو قسيما بمناظرة الامبراطور تيوفيل (٢١٤هـ / ٨٢٩م - ٢٢٨هـ / ٨٤٢م) فى سياسته المعادية لعبادة الصور .^(٢)

ومعنى هذا أن مرسوم الخليفة يزيد وما حثب عليه ، قد ساء المسيحيين ، من رعايا الدولة الإسلامية ، لكنهم فيما يبدو لم يستطيعوا عمل شيء يذكر للتمدى لسياسة الخليفة يزيد داخل الدولة الإسلامية فى عهده .

(١) عن تولية سرجون بن مزمور ، وعزله على أثر تعريب الدواوين . (انظر / فرج الهونى : النظم الادارية ، ص ٢٠٩، ٢١٥، ٢١٩ - ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٢٩٩، ٢٢٨ ، والمصنفات التى أورد فيها ذكر عمال الخلفاء بعده .

ويؤيد أسد رستم خبر عزل يوحنا الدمشقى عن العمل فى ادارة الدولة الإسلامية ، من قبل عمر بن عبد العزيز بعد أن كشف خيائنه ، وقد ذكر أن ذلك كان بفعل حيلة لجأ اليها الامبراطور البيزنطى ليو الثالث ، أظهر فيها للخليفة عمر خيانة يوحنا للمسلمين وأنه كتب اليه يشكو ما يلاقيه الضمارى من ذل فى دولة الاسلام ، ويبين لامبراطور مواطن الضعف فى الدولة الاموية . مشيرا أن هدفه من هذه الحيلة اغصاب الخليفة عليه ، للتخلص منه بعد أن تمضى لسياسته اللايقونية فى الدولة البيزنطية (كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى، ص ٧٠-٧١) . وهذا الخبر من أساسه يكون باطلا ، لأن ليو الثالث لم يتخذ سياسته اللايقونية الا سنة (٧٢٦م / ١٠٧-١٠٨هـ) ، وعلى أثر مرسوم الخليفة يزيد ، أى أن ذلك تم بعد عهد عمر بل وبعد عهد خليفته يزيد . فكيف يكيد الامبراطور ليو الثالث عند عمر ليوحنا لكونه تمضى لسياسته اللايقونية ، وهو لم يشرع فى هذه السياسة بعد .

(٢) سيده كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، ص ١٨٠-١٨١ - المقرئى : خطط ، ٤٩٤/٢ .

ومع ذلك فمن المرجح أن مرسوم يزيد إلى جانب سياساته المالية المتشددة مع أهل الذمة ، وخاصة بمصر ، كان من الأسباب التي أدت إلى ثورة أقباط مصر على الحكم الإسلامي (سنة ١٠٧هـ) في أوائل خلافة أخيه هشام بن عبد الملك ،

(١) لم يكن يزيد متشددا مع أهل الذمة في كل شيء ، فيذكر أن يزيد بن عبد الملك أذن في أول سنة من حكمه ، للبطريرك الملكاني مارالياهو ، بدخول أنطاكية ، في موكب حافل من الرهبان والاتباع ، بعد مضي مائتين وثلاث سنوات ، من خروج ساويرس رأس المسيحيين الملكانيين الأرثوذكس في أنطاكية ، والتي لم يسمح لهم فيها بتلميب بطريرك منهم . وصارت البطريركية في هذه المدة لليعاقبة (البلديين) ، فنالوا الحظوة عند حكام المسلمين .

(انظر : نجدة خماش : الشام في صدر الاسلام ، ص ٩٦-٩٧) . ومثل هذا أذن الخليفة هشام سنة ١٠٧هـ ، بإقامة بطرك ملكاني على الاسكندرية ، بعث من قبل ملك الروم ، وذلك بعد أن نزع البطريركية من الملكانيين في مصر وصارت لليعاقبة منذ زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فبقيت في أيديهم سبعا وسبعين عاما . (انظر / المقرئزي : خطط ٤٩٣/٢) .

ولعل هذا حدث بعد أن أمن الخلفاء الأمويون ، تحزب الملكانيين للبيزنطيين ، خصوصا بعد الحركة اللايقونية وانقسامهم على أنفسهم . (نجدة خماش : نفس المرجع ، ص ٩٥) .

ويبدو لي أن هناك سببا آخر دعا هشام بن عبد الملك إلى ذلك ، وهو غضبه على أقباط مصر ، إذ قاموا (١٠٧هـ-٧٢٦م) بثورات ضد الحكم الإسلامي . فكان نزاع بطريركية الاسكندرية منهم ، واعطاؤها للملكانيين ، عقابا على موقفهم . ولعله كذلك نوعا من التقارب مع الحكومة البيزنطية ، التي اتخذ امبراطورها في السنة نفسها السياسة اللايقونية ، كما تم في عهد الخليفة يزيد بالدولة الإسلامية قبل ذلك . لكننا لانعرف سببا محددا لسماح الخليفة يزيد بدخول البطريرك الملكاني انطاكية في أول سنة من حكمه وربما يكون قد فعل ذلك عقابا لليعاقبة بعد أن لمس منهم منذ أن تولى الخلافة ما يدعو للغضب عليهم ، فأذن للبطريرك الملكاني بدخول انطاكية ثم أصدر مرسومه ، ولعل ما تضمنه المرسوم ، كان ظواهر استشرت بين المسيحيين اليعاقبة ، فاستشارت غضب الخليفة ، ودعته لهذه السياسة ، إذ رأهم خرجوا عن حدود ما كان لهم في عهد ملحم .

والتي تعددت واستمرت حتى اخمدت نهائيا (سنة ٢١٦هـ) في
(١)
خلافة المأمون العباسي .

(١) من شورات القبط في مصر ، (انظر / المقرئ : خطه
٤٩٤-٤٩٣/٢ - الكندي : الوله والقناة ص ٧٣-٧٤ ، ١٩٠-١٩٢-
ساويرس بن المقفع : سير الابهاء البطارقة ، ١٥٤/١-١٥٥) .

الفصل الرابع

الفتوحات الإسلامية في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك

- المبحث الأول : الفتوح في بلاد ما وراء النهر .
- المبحث الثاني : الفتوح في أرمينية .
- المبحث الثالث : الفتوح في أرض الروم .
- المبحث الرابع : الفتوح في بلاد الغال .

الفصل الرابع

الفتوحات الإسلامية في عهد
ال خليفة يزيد بن عبد الملك

نشطت الفتوحات الإسلامية في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك ، بعد حالة الفتور التي عاشتها أيام سلفه الخليفة عمر بن عبد العزيز ، والذي لجأ لذلك في شيء من التوازن من أجل التفرغ لحركة الإصلاح الكبرى التي شهدتها عهده .

وقد عاود الجيش الإسلامي نشاطه العسكري في زمن الخليفة يزيد ، مدفوعا بثلاثة عوامل : أما لاختفاء بعض الحركات التمردية في أقاليم الأطراف ، وإعادة نفوذ الدولة على تلك الأقاليم ، ويتمثل ذلك في الجهود العسكرية التي وجهت لاختفاء تمرد المغد في بلاد ماوراء النهر .

وأما لمد العدوان الخارجي على الممالك الإسلامية ، كالتمدد لعموم الخزر على أرمينية ، أو لبقاء على زمام المبادرة العسكرية بأيدي المسلمين ، خصوصا مع عدوهم اللدود ، وخصمهم العنيد ، الدولة البيزنطية ، وذلك بالاستمرار في غزو أراضيها برا وبحرا .

أو استمرارا في حركة الفتوحات ، ومواصلة الجهاد ، ونشر الدعوة في البلاد التي لم تطأها أقدام الفاتحين من قبل ، كحملاتهم في بلاد الفال .

وسنعرض في هذا الفصل للجهود العسكرية زمن يزيد في الجبهات الأربع التي أشرنا إليها ، وما أسفرت عنه تلك الجهود .

المبحث الاولالفتوح فى بلاد ماوراء النهر

(١)

توقفت الفتوحات الاسلامية الكبرى فى بلاد ماوراء النهر

بمقتل قتيبة بن مسلم الباهلى (سنة ٩٦هـ) ، على يد جنده من

القبائل العربية ، عندما اراد مخالفة الخليفة سليمان بن

عبد الملك . ذلك القائد الذى يعود له الفضل فى اتمام

الفتح الاسلامى لذلك الاقليم ، وفرض السيادة الاسلامية عليه ،

(٢)

وضمه الى دولة الاسلام .

(٣)

لكن شكرى فيصل يقول : ان مقتله لم يكن مجرد توقف

للفتوح الاسلامية فى آسيا الوسطى حتى ولاية نصر بن سيار

- مابين ١٢٠ و ١٣١هـ - بل كان بداية انحصار وتراجع النفوذ

(١) ماوراء النهر : اسم اطلقه العرب على المنطقة

المتحضرة الواقعة فى حوض نهري اموديا (جيحون)

وسيردرىا (سيحون) . (بارتولد : تركستان من الفتح

العربى الى الفزو المغولى ، نقله عن الروسية صلاح

الدين عثمان هاشم ، اشرف على طبعه قسم التراث العربى

بالمجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ،

١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، ص ١٤٥) . ويعتبر نهر جيحون الحد

الفاصل بين الاقوام المتحدثة بالفارسية والمتحدثة

بالتركية ، كما انه الحد الفاصل بين مناطق ايران

وتوران ، والعرب اول من سمي المناطق الواقعة وراءه

"بما وراء النهر" او بلاد الهياطلة . (ناجى حسن :

القبائل ، ص ٢٠٧ - وانظر ايضا : كى لسترنج : بلدان ،

ص ٤٧٦) .

(٢) من مقتله ، انظر / نبيه عاقل : تاريخ خلافة بنى امية،

ص ٢٤٠ - راضى عبد الله عبد الحليم : تاريخ خراسان ،

ص ٤٣-٤٤ .

(٣) انظر قبل : الحميد ، ص ٣٧ .

(٤) حركة الفتح ، ص ٢١٨ (وسيكون لنصر بن سيار دور مميز ،

انظر اشارتنا له بعد : ص ٣٤٦) .

(١)
الاسلامى هناك .

اذ يبدو ان الولاة الذين جاءوا بعده ، لم يكونوا على استعداد للاضطلاع بمهمة الفتح وماأخذ به نفسه ، فقدوا سيطرتهم على ولايات حوض سيحون فى العام التالى لمصرعه ، وتحولوا من دور الهجوم الى دور الدفاع .^(٢)

واذا ماتجاوزنا عهد سليمان بن عبد الملك ، لفرقب^(٣) الموقف الحربى فى ماوراء النهر زمن عمر بن عبد العزيز ، سلف الخليفة يزيد ، لتبين ان سياسة عمر بن عبد العزيز^(٤) الحربية ، وبخاصة فيما وراء النهر ، حينما امر بايقاف الغزو والاكتفاء بما فتح ، بل ومحاولته اجلاء المسلمين من تلك البلاد الى خراسان ، كما نص على ذلك الطبرى ، بقوله :
"وكتب عمر الى عبد الرحمن بن نعيم - عامله على خراسان - يامره باقفال . من وراء النهر من المسلمين بذرايرهم . قال : فابوا وقالوا : لايسعنا مرو . فكتب الى عمر بذلك ، فكتب اليه عمر : اللهم انى قضيت الذى على ، فلا تغز بالمسلمين ، فحسبهم الذى فتح الله عليهم " .

-
- (١) سنعرف من خلال هذا البحث فى الصفحات التالية ، دورا بارزا لسعيد الحرشى عامل الخليفة يزيد بن عبد الملك على خراسان ، فى اعادة الفتح والسيادة الاسلامية على بلاد ماوراء النهر .
(٢) بارتولد : تركستان ، ص ٣٠٤ - الهادى الغزى : الشعر الاموى فى خراسان ، ص ٣٣ .
(٣) تجاوزناه لان عامله على خراسان يزيد بن المهلب ، كان قد وجه فتوحاته الى جرجان وطبرستان ودهستان . (انظر رافى عبد الله عبد الحليم : تاريخ خراسان ، ص ٤٥-٤٩)
(٤) انظر حديثنا عن مجمل سياسته الحربية قبل : التمهيد ، ص ٦٤-٦٧ .
(٥) تاريخ الامم ، ٥٦٨/٦ .
(٦) مرو : وهى مرو الشاهجان ، او مرو العظمى ، اشهر مدن خراسان وعاصمتها . (ياقوت : معجم ، ١١٢/٥ - ١١٦) .

وان كان مبعث هذه السياسة هو الخشية على المسلمين ،
 من راع يرى مسئوليته عن رعيته ، الى جانب تغليب طريق نشر
 الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ، على الجهاد الحربى ،
 وذلك عن طريق دعوة ملوك ماوراء النهر الى الاسلام ، والمبرر^(١)
 على اهل الفتن ، ومعالجة الامور بالعدل ، ثقة فى ظاهر
 اسلامهم ، وتالفا لهم ، وهذا مادفعه الى عزل الجراح الحكيم
 عامله على خراسان ، الذى اراد استخدام أسلوب العنف والشدّة
 للحرب على يد اهل الفتن ، واختبار صحة اسلام من اظهر
 اعتناقه الاسلام ، وتولية عبد الرحمن بن نعيم ، لما عرف^(٢)
 عنه من لين وايثار للعافية . ومع مالهذه السياسة من
 ايجابيات ، كاسلام بعض ملوك واهالى هذه المناطق ، لتبين
 انها اطمعت آخرين فى المسلمين ، وحفزتهم الى التمرد وشق
 عصا الطاعة .^(٣)

(٤)

فقد تمرد الصفد على سلطان المسلمين ، وهاجم الترك

-
- (١) انظر حديثنا عن ذلك قبل : التمهيد ، ص ٦٥-٦٦ .
 (٢) انظر ذلك فى / الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٥٨-٥٦٢ -
 ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٠ - البلاذرى : فتوح
 البلدان ، ص ٤١٥ - ابن الاثير : الكامل ، ١٥٧/٤ - ١٥٩ .
 (٣) شكرى فيمل : حركة الفتح الاسلامى ، ص ٢١٨ .
 (٤) الصفد : كورة قمبتها سمرقند ، وهما صفدان ، صفد
 سمرقند وصفد بخارى . ذكر أن مساحته ستة وثلاثين فرسخا
 فى ستة واربعين ، ومنبرها الاجل سمرقند ثم كش ثم نفس
 ثم كشانية ، وقيل قمبته اشتيخن ، والبعض يجعل بخارى
 من الصفد . (ياقوت : معجم ، ٤١٠-٤١٩/٣) .
 ويذكر كى لسترنج : أن الصفد (صفديانا القديمة) كان
 يشمل الاراضى الواقعة بين سيحون وجيحون ، والتي
 يسقيها نهري زرفشان ، وعليه تقوم بخارى وسمرقند ،
 والنهر حيال مدينتى كش ونسف . الا أنه قال : من الاوجه
 أن يعد الصفد اسما للرساتيق المحيطة بسمرقند . فان
 بخارى وكش ونسف ، كانت كل واحدة منها تعد كورة
 بذاتها . (انظر/بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٥٠٣) .
 والصفد اهل هذه البلاد .

تلك البلاد وماونوا الصفد في حربهم المسلمين ، خلال ولاية
عبد الرحمن بن نعيم الغامدي (١٠٠ - ١٠٢هـ) وظلت مستعرة
الاوار حتى ولاية سعيد بن عبد العزيز (١٠٢ - ١٠٣هـ) ، الذي
تولى خراسان بعده من قبل الخليفة يزيد بن عبد الملك ،
الذي كان عليه اخماد ذلك التمرد .

سعيد بن عبد العزيز وسياسة المسالمة تجاه الصفد :

استمرت ولاية عبد الرحمن بن نعيم على خراسان منذ سنة
١٠٠هـ في خلافة عمر بن عبد العزيز ، حتى سنة ١٠٢هـ زمن
يزيد بن عبد الملك ، حيث دامت نحو ستة عشر شهرا . واستمرت
مع ولايته الاضطرابات التي عمت مناطق الصفد منذ ايام عمر ،
ولم يكن مقدم امير خراسان الجديد زمن يزيد بن عبد الملك ،
وهو سعيد بن عبد العزيز (١٠٢ - ١٠٣هـ) ، نهاية لتلك
الاضطرابات ، بل ظل الصفد بالتعاون مع الترك على تمردهم
ومخالفة المسلمين ، رغم ما بذله الوالي الجديد من جهد في
استمالة دهاقنتها وتسكين اهلها ، واتباع سياسة المسالمة
تجاههم ، لدرجة وسم معها بالصفد وثقل على الناس .

- (١) لم أشر على ترجمة له .
- (٢) سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن ابي العاص
الاموي ، ختن مسلمة بن عبد الملك . (الطبري : تاريخ
الامم ، ٦٠٥/٦) . ولم أشر على ترجمة له .
- (٣) بارتولد : تركستان ، ص ٣٠٨ - وانظر ماسنكتبه عن تمرد
الصفد منذ زمن عمر ، والقضاء على ذلك زمن يزيد في
المفحات التالية .
- (٤) الطبري : نفس المصدر ، ٥٦٢/٥ .
- (٥) الطبري : نفس المصدر والجزء ، ص ٦١٢-٦١٤ - بارتولد :
نفس المصدر ، ص ٣١٨ (وقد أشار الى ضعف سعيد بن عبد
العزيز ، وقال من أجل ذلك لقبوا سعيد ب "خذينة" .
والصحيح انما لقب بذلك كما يقول الطبري : أنه كان
رجلا ليذا سهلا منعمًا ، دخل عليه ملك ابغر عندما قدم =

لقد تمسك أهل المدن الكبرى في ماوراء النهر بموقفهم وهو عدم دفع الضرائب ، والامتناع عن تنفيذ أوامر الحكومة الإسلامية ، ومقاومة جيوشها . ويبدو أن من هذه الضرائب ، الجزية التي أعاد الخليفة يزيد فرضها على من أسلم بعد أن أسقطها عنهم عمر بن عبد العزيز . وعمل عماله على جبايتها بالعنف والقوة ، فآدى ذلك إلى نقض أغلب ممالك ماوراء النهر كالمغد وفرغانة وكش ونسف عهدها مع المسلمين ، بل وارتد كثير من الأهالي عن الإسلام .

ولعل مما ساعد على استفحال الفتنة ، انشغال المسلمين بحركة ابن المهلب ، وماورثته من نزاع قبلي ، واضطراب داخلي . إلى جانب اضطراب سياسة بنى أمية وترددها بين

= خراسان ، فوجده في ثياب ممبغة ، وحوله مرافق ممبغة ، فلما خرج ، سألوه عن الأمير ؟ فقال : خذينية لمتة سكينية ، فلقب خذينة . وتعنى عندهم الدهقانة ، ربة البيت . (انظر : تاريخ الأمم ، ٦/٦٠٥) ، ويشير البلاذري أن سعيد بن عبد العزيز دافع عن نفسه ، وبين أسباب هذا اللقب ، بقوله : سميت خذينة لأنى لم أطاوع على قتل اليمانية ، فمغفونى . (انظر : أنساب الأشراف ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٩٣٦م ، ٥/١٦١-١٦٢) . وفي قوله هذا إشارة إلى سياسة الدولة نحو القبائل اليمانية ، وعدم ملاحقتهم بعد القضاء على حركة ابن المهلب اليمنى ، وتلك رغبة القبائل المضربة هناك ، كما يبدو ، وأن مع هذا الخبر ، فإن الذى أطلق عليه اللقب هم العرب لملك أفر .

(١) عبد الله مهدي الخطيب : الحكم الأموي في خراسان ، رسالة جامعية مطبوعة ، منشورات مؤسسة الأملسى ، بيروت دار التربية ، بغداد ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م ص ١٢٤ . لكنه أشار إلى انضمام المزارعين العرب إلى أهل البلاد في مقاومة الحكومة ، وهذا ماتخطئه دلائل الأحداث ، إذ نجد الترك وأهل الصفد قد حصروا العرب في قصر الباهلى (انظر / الطبرى : نفس المصدر ، ٦/٦٠٨) وهذا يعنى حربهم للمسلمين الذين لديهم ، لمقاومة جيوش الخلافة فحسب مما ينفى هذا التحالف .

(٢) عماد الدين خليل : دراسة مقارنة (بحث) ، ص ٢٠٠-٢١١ (نقلا عن : فلهاوزن : الدولة العربية ، ص ٣١٢ - ماجدة : التاريخ السياسى ، ٢/٢٧٨ - الطبرى : تاريخ ، ٦/٦٠٥-٦٠٧ - ابن الأثير : الكامل ، ٥/٩٢) ، وسناقش القول بإعادة يزيد فرض الجزية على من أسلم . انظر ذلك بعد : الفصل الخامس ، المبحث الثانى ، ص ٥٥٢ .

(١)
اللين والقوة .

(٢)
لكن فيما يبدو أن بارتولد الحبس عليه الامر ، حين قال
باستمرار التمرد في ماوراء النهر منذ قيامه خلال ولاية عبد
الرحمن بن نعيم ، حتى ولاية خلفه سعيد بن عبد العزيز أمير
خراسان ، من قبل الخليفة يزيد بن عبد الملك ، إذ تشير بعض
المصادر إلى أن أهل الصفد عادوا إلى الملح في ولاية عبد
الرحمن الفامدي بعد انتقامهم عليه . والظاهر ، أنهم
انتقموا مرة أخرى في ولاية سعيد بن عبد العزيز ، وتحالفوا
مع الترك على حرب المسلمين ، إذ يشير الطبري أن دهاقين^(٤)
الصفد بايعوا الترك على حرب المسلمين ماعدا ملك قى .

ونجد أن علاقة كذينة مع الصفد كانت في بدايتها في
منتهى الوفاق ، فقد ولى شعبة بن ظهير عاملاً عليهم بمشورة
الدهاقين ، لكون أبيه أحد أصدقاء الصفد القدامى ، فاستطاع
معالجة الموقف هناك . غير أن أمير الصفد شعبة ، شكى ضمن
مجموعة من الأمراء ، لاتهمهم بممالاة أهل البلاد ، فعزل عنها
وولى عثمان بن عبد الله بن مطرف بن الشخير مكانه .^(٦)
ويتبادر إلى الذهن أن الوالى الجديد سعى إلى تنفيذ سياسات
الخليفة يزيد بن عبد الملك وخامة المالية منها . وكان
الناس قد ضعفوا سعيد بن عبد العزيز ، فطمع فيه الترك ،

-
- (١) عماد الدين خليل : نفس المرجع ، ص ٣٣ - الهادي الغزي :
الشعر الأموي في خراسان ، ص ٣٣ .
(٢) انظر قوله في الصفحة قبل السابقة .
(٣) الطبري : تاريخ الأمم ، ٦٠٥/٦ - ٦٠٦ - ابن الأثير :
الكامل ، ١٧٧/٤ - ابن خلدون : العبر ، ٨٠/٣ .
(٤) نفس المصدر والجزء ، ص ٦٠٨ .
(٥) محمد شعبان : الثورة ، ص ١٧١-١٧٠ .
(٦) الطبري : نفس المصدر والجزء ، ص ٦٠٧ .

وجمع خاقانهم جيشا ، وجهه الى الممالك الاسلامية فيما وراء
النهر بقيادة كورصول ، فانضم اليهم الصفد وبايعوهم على
حرب المسلمين ، فسار بهم حتى نزل على قصر الباهلى وحاصر
المسلمين فيه .^(١)

موقعة قصر الباهلى (سنة ١٠٢هـ) :

كنا قد ذكرنا بان الترك والصفد قد حاصروا المسلمين
فى قصر الباهلى ، وقد اشارت بعض المصادر الى سبب آخر غير^(٢)
استغلال الترك للضعف امير خراسان وعزل عامله على الصفد شعبة
ابن ظهير . وهو ان احد الدهاقين اراد ان يتزوج امرأة من
باهلى ، كانت فى قصر الباهلى ، فابت ، فاستجاش الترك ،
راجيا ان يسبوا من فى القصر ، فيأخذ المرأة وان كنا
لنستطيع ان نعلم الى هذا السبب ، فليس من المنطق ان يبعث
خاقان الترك جيشا لحرب المسلمين من اجل ان ينال دهقان من
الصفد امرأة مسلمة ، وان صح هذا السبب فيكون على الاكثر
عاملا مساعدا دفع الى تحالف هذا الدهقان وقومه مع الترك .
اما بقية اهل الصفد وتمردهم فان وراءه من الاسباب السياسية^(٣)
والمالية ما كنا قد اشرنا اليه .

وكان فى قصر الباهلى مائة اهل بيت من المسلمين
بذرائعهم ، وامير سمرقند آنذاك عثمان بن عبد الله ، ويظهر

(١) الطبرى : تاريخ الامم ، ٦/٦٠٧-٦٠٨ - ابن الاثير :
الكامل ، ٤/١٧٨ - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٩/٢٤٨ -
ابن خلدون : العبر ، ٣/٨٠ .
(٢) الطبرى : نفس المصدر والجزء ، ٦٠٧-٦١٠ - ابن الاثير :
نفس المصدر والجزء ، ص ١٧٨-١٧٩ .
(٣) انظر ذلك فى المفتحين السابقين .

ان المسافة بين القصر وسمرقند كانت بعيدة ، فخشى المحصورون أن يبطئ عليهم المدد ، فصالحوا الترك على أربعين ألف ، واعطوهم سبعة عشر رجلا رهينة حتى ياخذوا صلحهم ، فبعث اليهم أمير سمرقند المسيب بن بشر الرياحي ، في أربعة آلاف لمساعدة من بقصر الباهلي من المسلمين وانقاذهم ، فانصرف عنه أثناء الطريق جل الجند حتى لم يبق منهم معه وقد أصبح على بعد قرسخين من قصر الباهلي ، الا سبعمائة ، اذ كان يخطبهم كلما نزل منزلا ، ينوه فيهم بشأن العدو قوة وكثرة ، وكأنه لا يريد أن يسير معه الا من عزم على الغزو وصدق النية والمبر . وقد لقيه في الطريق ترك خاقان ملك قى في ثلاثمائة من قومه ، فاخبره بانتقاض كافة المفد ماعداه ومبايعتهم الترك ، وان الترك المحاصرين قد قتلوا الرهائن عندما علموا بمقدمه من قبل أمير سمرقند . فبعث المسيب رجلا يستظلمان خبر القوم ، فوجد الترك قد اجروا المياه حول القصر لئلا يمنع الوصول اليه ، وتمكنا من محادثة أحد المسلمين المحصورين ، فوجداهم قد اعتزموا الخروج من الغد ، وتقديم النساء للموت قبلهم حتى لا يبقى منهم أحد ، فاخبراهم بمقدم النجدة ، وحث القوم على المبر حتى ومولها .

أما المسيب فقد اعتزم المسير وبإيعه من معه على الموت ، وكانت خطته أن يبيت القوم ، فحث رجاله على الصدق والمصبر ، وجعل على ميمنته كثير بن الدبوسي ، وعلى ميسرته ثابت قنطة ، وهاجم القوم ، فمبر لهم الترك ، وانهزم المسلمون الى المسيب ، فترجل اناس من المسلمين وثبتوا ،

فانهزم المشركين ولاذوا بالفرار ، فامر المسيب رجاله بقصد القمر ، وحمل المال ، ومن لا يقدر على المشى من الشيوخ والنساء والمبنيان ، اما حصة أو باجر ، واحتمال أهل العهد ، فاحتملوهم ، وانزلوهم قصر ترك خاقان ملك قى الذى بقى على ولائه للمسلمين . وعاد البعث الى سمرقند ، فرجع الترك من الفد ، فلم يجدوا فى القمر أحدا ، ولم يعثروا على أثر للمسلمين .^(١)

وينجلى لنا من هذا الخبر عن وقعة قصر الباهلى تعرض الديار الاسلامية للغزو الخارجى من قبل الترك وتمرد أهل الصفد فى الداخل ، وتحالفهم مع العدو ضد المسلمين . ومع تحقيق المسلمين للنصر فى الميدان العسكرى فى هذه الوقعة ، الا انها مع ذلك قد اسفرت عن جلاء المسلمين عن قصر الباهلى ، اذ ان القوة الاسلامية كانت نجدة انقذت المسلمين كافرين ، ثم ارتدت الى مركزها سمرقند . بل ان عودة الترك فى اليوم الثانى يعنى بقاء القوة المعادية فى الديار الاسلامية والاستيلاء على بعضها مما أوجب على المسلمين وأمير خراسان خاصة ، طرد الأعداء وحماية الثغور ، واعادة السيادة

-
- (١) قال ابن الاثير : "حمل الماء" والاصح ما قدمناه ، فليس أكثر من مياه الصفد وانهارها . انظر : الكامل ، ١٧٨/٤ - ١٧٩ .
- (٢) حدد الاجر : أربعون ألف درهم . انظر : الطبرى : تاريخ الأمم ، ٦١٠/٦ - ابن الاثير : نفس المصدر والجزء والصفحات .
- (٣) هنا إشارة الى وقعة المسلمين بعهدهم لأهلهم ، ووجوب منعهم لقاء الجزية ، والمساواة فى أحلك الظروف .
- (٤) عن وقعة قصر الباهلى : (انظر / الطبرى : نفس المصدر والجزء ، ص ٦٠٧-٦١٠ - ابن الاثير : نفس المصدر والجزء والصفحة - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٤٨/٩ (فى شئ من الاختصار) - ابن خلدون : العبر ، ٨٠/٣ .
- (٥) الهادى الغزى : الشعر الاموى فى خراسان ، ص ٢٨ .

الإسلامية على الصفد والقضاء على تمرد أهله .

غزو سعيد بن عبد العزيز الصفد وحربه الترك :

عبر سعيد بن عبد العزيز (سنة ١٠٢هـ) ، نهر جيحون غازيا الصفد ، ومعاربا الترك ، فقد غزا الترك بلاد الصفد وفرغانة ، وتكررت هجماتهم ، وقد أعانهم الصفد في حربهم للمسلمين ، ويذكر أن سعيد بن عبد العزيز عبر النهر مرتين،^(١) كانت الثانية منها سنة ١٠٣هـ ، لكنه في كليهما لم يتعد مدينة سمرقند . واكتفى بالنهر الذي حققه على الترك في معاركه ، ولم يتكلف تتبعهم وإخراجهم من البلاد ، وإعادة سلطان المسلمين عليها .

والمصادر لتمييز بوضوح بين غزواته ، وإن كانت قد اتفقت على آخر نقطة وصل إليها (وهي سمرقند) ونتائج غزوه ، فيصف لنا الطبري وغيره إحدى غزواته فيقول : إن الناس استحثت سعيد بن عبد العزيز على الغزو بعد أن رأوا غزو الترك لبلادهم فيما وراء النهر وأعانة أهل الصفد لهم ، فقطع النهر إلى الصفد ، وهناك التحق مع الترك وطائفة من أهل الصفد ، فهزمهم المسلمون ، إلا أن سعيداً منع المسلمين من تتبعهم ، محتجاً بأن الصفد بستان أمير المؤمنين ، وأنه لا يريد بوارهم ، فلما رأت الترك مسير المسلمين عنهم ، كروا عليهم

(١) الطبري : تاريخ الأمم ، ٦١٢/٦-٦١٤ .

(٢) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٧ .

(٣) الهادي الغزي : الشعر الأموي في خراسان ، ص ٢٨ (لكن قوله ليس من الدقة بمكان فكما سقري أنه سيميل إلى اشتيخن شمال سمرقند ، ويبعث سرية إلى ورغسر شرق سمرقند أيها . انظر الصفحات التالية) .

وقد جعلوا لهم كميناً ، فقاتلوهم ، وانحازوا حتى جازوا
الكمين فخرج على المسلمين ، فانهزموا ، وتبعهم الترك ،
فثبت المسلمون ، حتى انكشف عنهم العدو ، فلم يتبعوهم ايضاً
وقد انهزموا ، ومن الغد خرجت مسلحة للمسلمين عليها شعبة^(١)
ابن ظهير ، فخرج عليهم الترك فجأة ، فهزم المسلمون وقتل
منهم نحو خمسين على رأسهم شعبة بن ظهير ، فخرجت لاغاثة
المسلحة جماعة من تميم بقيادة الخليل بن أوس العبشمي ،
فكفوا الترك عن الناس ، حتى جاء الأمير ، فانهزم العدو .^(٢)

والخبر السابق ينقصه مكان القتال وعلى ماذا تقاتل
الغريقان وهذا مانجده عند البلاذري الذي وان خالف لفظ^(٣)
الطبري ، فانه اتم هذا النقص ، ووافقه في سمة الحادثة
العامية . اذ يخبرنا : ان سعيد لما عزم على الغزو قدم سورة
ابن الحر الحنظلي ، فتوجه الى ما وراء النهر ، فنزل اشتيخن^(٤)
^(٥)

-
- (١) مسلحة : مسلحة الجند خطاطيف لهم بين ايديهم ، ينفخون
لهم الطريق ويتجسسون خبر العدو ، ويعلمون لهم علمهم ،
لئلا يهجم عليهم ، ولا يدعون احداً من العدو يدخل بلاد
المسلمين ، وينذرون المسلمين بتقدم الجيوش نحوهم .
(ياقوت : معجم ، ١٢٨/٥ - ١٢٩) .
- (٢) تاريخ الامم ، ٦١٢/٦ - ٦١٣ - ابن الاثير : الكامل ،
١٨٠ - ١٧٩/٤ - ابن خلدون : العبر ، ٨١/٣ .
- (٣) فتوح البلدان ، ص ٤١٦ - انساب الاشراف ، ص ١٦١ - ١٦٢ .
- (٤) اورد البلاذري اسمه في فتوح البلدان : سورة بن الحر ،
وفي الانساب : سورة بن ابجر . ووجدناه عند الزركلي :
كما جاء في فتوح البلدان ، وقد قال منه ايضاً : أمير
سمرقند واحد رؤساء تميم ، انتدبه الجنيد لنجدته وهو
يقاتل الترك ، فجاءه من سمرقند باثني عشر ألف ،
فاعترضها الترك ، فقاتلهم حتى كشفهم وكانوا قد اوقدوا
نارا خلفهم ، فلما اغار سوره واصحابه سقطوا في
اللهيب ، فقتل مع اكثرهم . (انظر : الاعلام ، ١٤٥/٣) .
- (٥) اشتيخن : مدينة تقع على بعد سبعة فراسخ شمال سمرقند
نعتها الاصطخرى بقلب السفد لخميتها . (كي لمسترنج :
بلدان ، ص ٥٠٩) .

وقد صارت الترك اليها فحاربهم ، وهزمهم ، ومنع الناس من طلبهم ، خشية أن تكون منهم كره ثم لقي الترك بعد ذلك ، فهزموه ، واكثروا القتل في اصحابه ، واطلعه قعد بذلك الهزيمة التي لحقت بالمسلحة التي أشار اليها الطبري قبل .
 اما الغزوة الثانية ، فان المصادر لتمييزها ، لكننا نجد عند الطبري إشارة اليها ، اذ يخبر أن سعيدا نزل بازاء^(١) العدو ، فقبل له : ناجز أهل الصفد فأبى ، فرأى دخانا سال عنه ، فاخبر أنهم متمردي الصفد ومعهم بعض الترك ، فقاتلهم حتى النمر ، الا أنه منع طلبهم وتتبعمهم .

وفي العام التالي لغزوة سعيد الأولى ، بعث سرية من بنى تميم الى ورغسر ، وكانوا يأملون لقاء العدو ، ليطاردوه ، اذ كان سعيد بن عبد العزيز يمنعهم من تتبعه ، واذا ما وجد السرية قد أصابت وغنمت وسبت ، رد ذراري السبي وعاقب السرية .^(٢)

ومن مرثنا لجهود سعيد بن عبد العزيز العسكرية في بلاد الصفد ، تبين أنه عمل على طرد الترك مما وراء النهر ، واتباعه سياسة اللين والتخود مع الصفد ، آملا عودتهم للطاعة دون تعريضهم للبوار والابادة ، كما حرص على تجنب بلادهم الحرب ، لئلا تكون ميدان قتال ، فيلحق بها الخراب والتدمير . اذ يشير عبد الله الخطيب الى وجود منشآت^(٣)

(١) تاريخ الأمم ، ٦١٣/٦-٦١٤ .
 (٢) ورغسر : قرية كبيرة ، خصبة تسقيها أنهار تأخذ من نهر السفد ، وتقع بين مدينتي سمرقند وبنجيكت الواقعة على بعد تسعة فراسخ شرق سمرقند . (كي لمسترنج : بلدان ص ٥٠٨-٥٠٩) .
 (٣) الطبري : نفس المصدر والجزء ، ص ٦١٤ - ابن الاثير : الكامل ، ١٨٠/٤ - ابن خلدون : العبر ، ٨١/٣ .
 (٤) الحكم الأموي في خراسان ، ص ١٢٢-١٢٣ .

ارواحية ، تتمثل في قنوات مائية يروى منها الفلاحون المزارعون
مزارعهم وتعود ملكيتها للحكومة أو الاقطاعي الكبير أو الى
المشاعة ، وقد كان الفلاحون يعملون مجاناً في أوقات معينة
من السنة لميانة هذه المنشآت ، وأن الأمير سعيد كان الى
جانب خوفه على الأراضي الزراعية العائدة للخليفة أو لأمراء
العرب وأشرافهم ، يسعى الى تجنب توتر العلاقات مع الخانات
الهاكمين .

ونخلص أن سياسة اللين التي اتبعها سعيد بن عبد
العزیز مع الصفد وغزواته التي كانت تهدف الى محاولة كسبهم
وارجاعهم الى حظيرة الاسلام ، لم تفلح في إعادة الصفد الى
الطاعة ، حيث ظلوا على حلقهم مع الترك ، واستمر عصيانهم
على المسلمين ، كما ازداد الوجود التركي في الاقليم ،
ولماعت هيبة المسلمين ، بانتصار العدو أحياناً ، واحجام
المسلمين عن طرده ، فقد أجلاوا المسلمين عن قصر الباهلي ،
وتقدموا نحو اشتيخن ، في محاولة منهم لاجراج المسلمين
وتقليص النفوذ الاسلامي وراء النهر ، ويظهر أن تمرد الصفد
والوجود التركي كان واضحاً شرق وشمال شرق ماوراء النهر ،

(١) لم تشر المصادر الى وجود ملكيات خاصة للخلفاء فيما
وراء النهر ، ويبدو أنه يقصد الأراضي العائدة للحكومة
وهي أرض الخراج والصوافي .

(٢) نجح بعض الاثرياء في شراء بعض الأراضي الخراجية في
العمر الأموي ، وتحولت الى عشيرية ، حتى منع ذلك
الخليفة عمر بن عبد العزيز ، وسار على نهج خليفته
يزيد ثم هشام ، وأن كان الأمر لم يتوقف نهائياً ، ففرض
الخراج على الأرض الخراجية وأن ابتاعها المسلم . (انظر/
عبد العزيز الدوري : العرب والأرض في بلاد الشام في
صدر الاسلام ، بحث مقدم للمؤتمر الدولي الأول لتاريخ
بلاد الشام ، من القرن السادس الى القرن السابع عشر ،
المنعقد في الجامعة الأردنية ، الدار المتحدة للنشر ،
بيروت ، ١٩٧٤م ، ص ٢٩) .

لذا أجل أمر التخليص منه . أما المحصورين في الحصن ، فقد طلبوا الملح بعد مسير الديواشني عنهم ، عارضين على ابن أبي السرى تسليم المدينة بما فيها ، شريطة أن لا يعرض المسلمون للاهالي ، فوافقهم على الملح ، وبعث الى الحرشي بذلك ليرسل من يقوم بقبض مافي الحصن ، فقبض مافيه ، وبيع مزايده ، فاخرج منه الخمس ، وقسم الباقي بين الجند ، هكذا تم الاستيلاء على حصن ابغر صلحا ، وقضى على فتنة من لجأ اليه ، أما زعيمهم الديواشني ، فقد اورد الطبري ، ان سعيدا الحرشي بعد ان صالح كس ، وخرج الى ربنجن ، أمر بقتله ، وطلبه ، وبعث برأسه الى العراق . ولعل ذلك كان بعد تسليم قومه الذين بحصن ابغر ، ومما احتجم لسليمان بن أبي السرى .

مصالحة كس :

توجه الحرشي بجيشه الى كس ، بعد المراسلات التي دارت بينه وبين قائده ابن أبي السرى المحاصر لابغر ، والتي عرف من خلالها تمكن المسلمين هناك من عدوهم . ويبدو أن الضربة

(١) ربنجن : مدينة كبيرة بين سمرقند وبخارى ، تقع على مرحلة بريد من شرق الدبوسية . (كي لسترنج : بلدان ، ص ٥١١-٥١٢) . وانظر قول الطبري عن مقتل الديوانشي في كتابه : تاريخ الامم ، ١١/٧ ، الا ان ابن الاثير خالفه في ذلك وقال : قتله في زرنج . انظر : الكامل ، ١٨٦/٤ وبالرجوع الى كتاب بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٣٧٣ ، لكي لسترنج ، وجدنا ان زرنج ، قاعدة اقليم سجستان . وحيث ان ميدان الاعمال العسكرية التي قام بها الحرشي هو اقليم ماوراء النهر لاسجستان ، فان كون مدينة ربنجن هي مكان مقتل الديواشني ، هو الاصح . فهي في ميدان غزوه والاقترب الى مدينة كس التي خرج منها الحرشي ، والواقعة أيضا فيما وراء النهر . (انظر : الهامش السابق) .

(٢) انظر عن اخضاع ابغر ، والقضاء على الديواشني : الطبري : نفس المصدر والجزء والصفحة - ابن الاثير : نفس المصدر والجزء والصفحة - ابن خلدون : العبر ، ٨٣/٣ .

القائمة للمنفذ فيجندة قد أورشث الجزع في قلوب أهل الاقليم حتى أن دهقان كس خرج إلى الحرشي يدعوه للملح ، على أن يعطوه عشرة آلاف رأس ، وقيل : ستة آلاف رأس ، يقدمونها خلال أربعين يوما . فقبل منهم ذلك ، وولى نصر بن سيار قبض صلحهم . ثم سار من هناك نحو ربنجن .^(٢)

غزو طخارستان :

ويغلب على الظن أن الحرشي سير قائده سليمان بن أبي السرى بعد انتهائه من أبفر إلى طخارستان ، إذ يشير الطبرى أن الحرشي عندما قتل الديواشنى في ربنجن بعث بيده اليسرى إلى سليمان بن أبي السرى في طخارستان . وكذا قد تركناه محاصرا لحصن أبفر ، وليس هناك مكان للقول ، بأن وجوده هناك كان كوال . إذ يشير الطبرى نفسه إلى استعمال الحرشي لابن أبي السرى على كس ونسف . وقد تم هذا غالبا بعد غزو طخارستان ، الذى لاتسعدنا المصادر بأكثر من ذلك عنه .

-
- (١) لأعلم من أى شيء ، فقد يكون من الناس ، ليكونوا في خدمة الجيش الإسلامى ، أو من البعائم ، أن كانوا رعاة .
 (٢) انظر معالحته لأهل كس في / الطبرى : تاريخ الأمم ، ١١/٧ - ابن الأثير : الكامل ، ١٨٦/٤ . إلا أنه قال : وسار منها إلى زرنج ، والاصح ما ذكره الطبرى ، إذ أن زرنج في سجمستان ، وهو في ما وراء النهر . انظر هامش (١) الصفحة السابقة .
 (٣) طخارستان : ناحية عظيمة في شرق بلخ ، تمتد بحذاء الضفة الجنوبية لنهر جيحون حتى حدود بدخشان ، تحتوى على عدد من المدن . (كي لسترنج : بلدان ، ص ٤٦٩) .
 (٤) نفس المصدر ، والجزء والصفحة .
 (٥) نفس المصدر ، والجزء والصفحة .

مصالحة خزار :

(١) كانت خزار من المنعة بمكان ، وهذا مادفع الحرشي الى قبول نصيحة من اشار عليه بان يوجه اليها المسربل بن الخريت بن راشد الناجي ، لما كان بينه وبين ملكها سبغرى من المداقة ، عسى ان يلجج في فتحها صلحا وبلاكبير عناء . فسار الى فتحها ، وفاوض الملك سبغرى ، ذاكر له فعل الحرشي باهل خجندة ، وخوفه عاقبة العميان ، فصالح المسلمين ، واعطى امانا له ولبلاده .

ويتضح ان الحرشي سعى الى ضمان الولاء ، وعدم رجوع المفد الى العميان ، فسير عظماءهم في جيوشه ، واصطحب بعضهم . لذلك نجده قد اخذ سبغرى معه ، فلما نزل اسنان ، قتل سبغرى واصله ومعه امانه ، ويقال : كان هذا دهقان ابن ماجر قدم على ابن هبيرة ، فاخذ امانا لاهل المفد ، فحبسه الحرشي في قنطرة مرو ، فلما قدم مرو ، دعا به ، وقتله واصله في الميدان .

-
- (١) خزار : موضع بغرب دخن من نواحي بلخ ، وقيل : خزار موضع بقرب نيسابور وراء النهر . ياقوت : معجم ، ٣٦٤/٢ . والقول الاخير الاقرب ، لقربه من المكان الذي ومله الحرشي في طريق غزوه ، اذ كان خارجا من كس (القريبة من نيسابور) الى ربنجن .
- (٢) الطبري : تاريخ الامم ، ١١/٧ - ١٢ - ابن الاثير : الكامل ، ١٨٦/٤ - ابن خلدون : العبر ، ٨٣/٣ (وقد اشار الى ذلك بدون تفصيل) .
- (٣) اسنان : من قرى هراة . (ياقوت : معجم ، ١٨٩/١) .
- (٤) الطبري : نفس المصدر والجزء ، ص ١٢ - ابن الاثير : نفس المصدر والجزء ، والمفحة (اشار الى مقتله ، ولم يحدد مكان ذلك) - ابن خلدون : نفس المصدر والجزء والمفحة (اورد اسمه قشغرى ، وقال قتله في مرو ، ولم يشر الى ابن ماجر) .

(١)
وقد استغل هذا الخبر عبد الله الخطيب فقال : "كان
الحرشى سىء السمعة فى اقليم خراسان ، وكان لا يلتزم بشروط
المعاهدات ولا يحترم الالتزامات التى كان يعقدها مع دهاقين
الترك خلافا للاخلاق الاسلامية وقوانين الحرب التى كان العرب
الاوائل يتبعونها فى فتوحاتهم الاولى فى الشرق او فى الغرب
كان الحرشى يقتل من يعقد معه معاهدة او امان او بعد ان
يعطى الامان الشخصى لهم كما فعل - بملك خزار - وكان اسمه
سبقرى ، صلبه ومعه امانه " . فكان لزاما علينا تجاه هذا
القول ان نعيد النظر فى موقف الحرشى من الصفد ، للتحقق من
صحة القول ، او اجافه . فالحرشى عندما امر بقتل الصفد فى
خجندة بعد عقد الملح والامان ، لم يكن فدرا منه ، كما قال
بارتولد ، الذى اتبعه الخطيب فى النيل من قادة المسلمين (٢)
وسمو تعاملهم . فالصفد هم الذين نقضوا الملح ولم يلتزموا
بشروطه ، عندما قتلوا امرأة عربية غيلة ، ودفنوها تحت احد
الحيطان ، فاكتفى الحرشى بقتل القاتل ، وكان قد جاز له
حرب الصفد جميعا بعد نقضهم ماصولحوا عليه ، ثم غدر الصفد
بالمسلمين وهاجموا عسكرهم ، وقتلوا من بأيديهم من الاسرى ،
تماديا فى الباطل ونقضا للمعاهد . فحاربهم دفاعا عن النفس ،
وردعا للناسكخين ، ومع ذلك نجد من يعتبر قتاله للفادريين
غذرا . اما قتله الديواشنى وهذا كان حربا على المسلمين ،
فنزل على حكم الحرشى ، وكان حكمه فيه القتل ، وليس فى ذلك

(١) الحكم الاموى فى خراسان ، ص ١٢٦ (نقلا عن / الشيبانى :
شرح كتاب السير الكبير ، ٣٥٨/١ - الطبرى : تاريخ
الامم ، ١٢/٧ - ابن الاثير : الكامل ، ١١٠/٥) .
(٢) تركستان ، ص ٢٠٨ (نقلا عن / الطبرى : القسم الثانى ،
ص ١٤٣٩-١٤٤٩ - البلاذرى : فتوح ، ص ٢٢٧) .

مخالفة . أما المثل الذي ضرب الخليل بن علي الحارثي ، وهو
مقتل سبقرى ، فقد وجدنا الطبري وهو الممدر الاقدم قد اشار
الى ذلك بخبر يكتنفه الشك اذ قال مانع : "ورجع الحارثي
الى مرو ومعه سبقرى ، فلما نزل اسنان وقدم مهاجر بن يزيد
الحارثي ، وامره ان يوافيه ببرذون بن كشايانشاه قتل سبقرى
وملبيه ومعه امانه ، ويقال : كان هذا دهقان ابن ماجر قدم
على ابن هبيرة فاخذ امانا لاهل الصفد ، فحبسه الحارثي في
قنطرة مرو ، فلما قدم مرو دعا به ، وقتله وملبه في
الميدان" .

فليس من المؤكد اذا قتل سبقرى . وعطفا على ما ذكرناه
من سلامة سيرة الحارثي ، فان الاظهر ان يكون المقتول ابن
ماجر وليس سبقرى ، واذا ما قال قائل : والاخير ايضا كان
لديه امان من ابن هبيرة ، نقول : الامير في خراسان هو
الحارثي ، والاعلم بما يستحقه اهل خراسان ، فقد يكون ابن
هبيرة اعطى ابن ماجر الامان قبل ارتحال الصفد عن بلادهم
عميانا . فلما وصل خراسان ، كان الصفد قد خرجوا الى خجندة
وابغر ، بعد ان رفضوا دعوة الحارثي لهم بالبقاء ، والعودة
الى الطاعة ، فرأى وجوب حربهم .^(١)

ولنا ان نحصل منذ من كان الحارثي سيء السمعة ، وقد
قال من معه فيه : "كان يذكر بشجاعة وديانة ، فلما صار

(١) تاريخ الامم ، ١٢/٧ .
(٢) انظر من محاولة ابن هبيرة ، ثنى الصفد عن الخروج ،
قبل : ص ٣٢٨ .
(٣) انظر قبل : ص ٣٢٨ .

(١) (٢) بالعراق ماق" . وماقالوا ذلك عنه الا لانه لم يكن مسارعا
لحرب الصفد ، فجبنوه .

وقبل ان نصل الى عودة الحرشي الى مرو ، نجد خبرا
ينفرد به فامبرى ، اذ يشير الى ان فرغانة نكضت عنها حكم
العرب ، ابان الاضطرابات التى اعقبت مقتل قتيبة بن مسلم
(سنة ٩٦هـ) وعزل يزيد بن المهلب (سنة ٩٩هـ) ، فلما كانت
ولاية الحرشي سير الجند لحرب اميرها خلج ، وظلت الحرب سجالا
بعض الوقت حتى قبضوا عليه اخيرا ، ثم عادوا الى بخارى
بغنائم وفيرة . ونحن لانعلم من اين استقى فامبرى معلوماته
هذه اذ ان المصادر الاسلامية التى اعتمدنا عليها فى فتوحات
سعيد الحرشي فى ماوراء النهر ، اظهرت تعاون ملك فرغانة مع
المسلمين ، وامتناعه عن مساعدة الصفد عندما لجأوا اليه ،
بل ظهر وانما ان خجندة كانت آخر نقطة وصل اليها الحرشي ثم
عاد الى مناطق الصفد وراءه لاختفائها من جديد . وهذه قرائن
كافية لاثبات ولاء اهل فرغانة وبقائهم على الطاعة . وان كنا
نجد ابن اعثم يذهب الى محاربة الحرشي لملك فرغانة فى
خجندة ، لكن ذلك من باب اللبس فهو يشير الى حادثة ايقاع
الحرشي بالصفد ، ولكنه جعلها مع ملك فرغانة خطأ .

(٥) ورجع الحرشي الى مرو ، وقد افتتح عامة حصون الصفد ،
واعادهم الى الطاعة ملحا او عنوة . بعد سلسلة من المعارك

-
- (١) فى الطبرى "بخراسان" . (انظر : تاريخ الامم ، ٨/٧) .
(٢) ابن الاثير : الكامل ، ١٨٥/٤ (قال : وماق . اى تاخر) .
(٣) تاريخ بخارى ، ص ٧٥ .
(٤) الفتوح ، ٢٥٨/٤٢ - ٢٥٩ .
(٥) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٤١٦ - قدامة بن جعفر :
الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٤١٠ .

التي خاضها ايان حملته على ماوراء النهر مابين عامي (١٠٣-١٠٤هـ) وبذلك اعاد المسلمون سيطرتهم التامة على تلك المنطقة من جديد . وقضى الحرشي على أعنف انتفاضة قامت بها شعوب ماوراء النهر ، مكنه من ذلك سياسة الخليفة يزيد بن عبد الملك الممندة من ملاك الأرض الكبار والعسكريين العرب ، والدهاقين . فقد شارك الموالي في جيش الحرشي بقيادة سليمان بن أبي السري ، كما نجد ذكرا للمجنديين من أهل بخارى وخوارزم وشومان الى جانب تأييد غورك أمير سمرقند بصورة ظاهرة .^(١)
^(٢)
^(٣)
^(٤)

ونحن ان كان لنا من كلمة اخيرة عن حملة الحرشي فاننا نؤكد ان النصر الذي حققه المسلمون ، كان بفضل من الله ثم توفر القيادة الجادة والقديرة ممثلة في شخص سعيد الحرشي ، وجنده من المسلمين الذين استشعروا خطر هذه الانتفاضة ، والمعهم فياع مكاسبات الفاتحين السابقين ، ليعيد الحرشي حكم العرب على ماوراء النهر ، ويبسط السيادة الاسلامية على تلك المنطقة ، مخلصا اسمه بين مشاهير الفاتحين في هذا الميدان .

التحول من دور الهجوم الى الدفاع :

لم يدم للمسلمين ما حققه سعيد الحرشي من تمكن وسيادة

-
- (١) محمد شعبان : الثورة ، ص ١٧٣ - بارتولد : تركستان ، ص ٣٠٨ .
(٢) عبد الله الخطيب : الحكم الاموي في خراسان ، ص ١٢٥ .
(٣) محمد شعبان : نفس المرجع والمفحة .
(٤) محمد شعبان : نفس المرجع ، ص ١٧٠-١٧١ . (اظنه يعنى أميرهم الوطني ، لا أمير سمرقند من قبل المسلمين) .

فى ماوراء النهر ، فقد تحول المسلمون من دور الهجوم الى الدفاع فى ولاية خلفه على اماره خراسان مسلم بن سعيد الكلابى (١٠٤ - ١٠٦هـ) . فقد غزا الاخير الترك فيما وراء النهر (سنة ١٠٥هـ) ، فلم يفتح شيئا ، وعاد ادراجه ، بل ان الترك تعقبوه ، فلحقوا به وهو يعبر نهر جيحون بجنده ، فاتم ذلك فى حماية الساقة ^(١) .

وقد كانت هذه الحملة آخر الغزو فى عهد الخليفة يزيد ابن عبد الملك ، وهى فى ظاهرها حملة ناجحة ، وان لم تحقق مكسبات جديدة ، الا ان لحاق الترك بمسلم وتعقبه ، كان فيه دلالة على طمع الترك به ، وبداية لضعف سيطرة المسلمين على ماوراء النهر ، وعودة الاضطراب اليها . الا انه قام فى آخر العام نفسه ، صدر خلافة هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥هـ) بغزوة ناجحة على افشين ، لكن الامر تطور بسرعة نحو الاسوا ، عندما فشلت حملة قام بها مسلم بن سعيد (سنة ١٠٦هـ) على ماوراء النهر ، عرفت بيوم العطش ، حيث بلغ فرغانة ، وفى طريق عودته نال منه الترك ، فانصرف متقهقرا الى سمرقند ^(٢) .

-
- (١) عماد الدين خليل : دراسة مقارنة (بحث) ، ص ٣٠١ - ابن الاثير : الكامل ، ١٩٣/٤ .
 (٢) افشين : ثانى اكبر مدينتين فى غرجستان قريبا من الضفة الشرقية لاعلى نهر مرغاب ، وعلى اربع مراحل فوق مرو الروذ . (كى لسترنج : بلدان ، ص ٤٥٨) .
 (٣) الطبرى : تاريخ الامم ، ٢١/٧ - ابن الاثير : نفس المصدر والجزء والصفحة - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٥٩/٩ .
 (٤) محمد شعبان : الثورة ، ص ١٧٩ - بارتولد : تركستان ، ص ٣٠٨ - اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ٣١٢/٢ .

وقد كانت هذه المعركة آخر معركة توسعية فيما وراء
النهر^(١) خلال الخمسة عشر عاما التالية ، وتحول المسلمون الى
دور الدفاع ، وظلوا يتراجعون فيما وراء النهر ، ويخسرون
مكتسبات فتوحاتهم المجيدة . فلم يبق في أيديهم سنة ١١١هـ /
٧٢٩م من بلاد ماوراء النهر ، سوى سمرقند وبخارى وماحولها^(٢)
وظل الوضع على هذا الحال حتى تولى نصر بن سيار خراسان
(١٢٠ - ١٣١هـ) ، وبذل جهدا كبيرا في إعادة النفوذ الاسلامي
الى هذه البلاد .^(٣)

-
- (١) محمد شعبان : الثورة ، ص ١٧٩ .
(٢) بارتولد : تركستان ، ص ٣٠٩-٣١٠ .
(٣) عن جهود نصر بن سيار في إعادة النفوذ الاسلامي في بلاد
ماوراء النهر وأهم أعماله هناك ، انظر : الطبري :
تاريخ الأمم ، ١٥٤/٧ ومابعدها - ابن الاثير : الكامل ،
٣٨/٤ ومابعدها - راغب عبد الله عبد الخليم : دراسات
في تاريخ خراسان ، ص ٧٨-٩٣ .

المبحث الثانى

الفتوح فى أرمينية

كُنَّا قَدْ أَشْرْنَا إِلَى سِمَةِ الْفَتْحِ الْإِسْلَامِي فِي أَرْمِينِيَّةٍ ،^(١)
وَالَّتِي ظَلَّتْ طَوَالَ الْعَصْرِ الْأُمَوِيِّ مَيْدَانِ قِتَالٍ مِنْ جَرَاءِ ثَوَرَاتِ
الْأَرْمَنِ وَتَمَرْدِهِمِ الْمُسْتَمِرِّ عَلَى الْحُكْمِ الْإِسْلَامِيِّ ، وَكَذَلِكَ تَدَخَّلَ
الْبِيزَنْطِيِّينَ وَالْخَزَرَ فِي شُؤْنِ ذَلِكَ الْإِقْلِيمِ ، أَمَّا بَغْزُوهُ ، أَوْ
بِاتِّحَافِهِ مَعَ أَهْلِهِ ضِدَّ الْمُسْلِمِينَ ، أَوْ بِتَحَالُفِ الْبِيزَنْطِيِّينَ
وَالْخَزَرَ ضِدَّ الْمُسْلِمِينَ أَوْ الْأَرْمَنِ . وَكَانَ آخِرُ امْتِلَاحٍ ذَلِكَ الْمِرَاعِ^(٢)

- (١) انظر قبل : التمهيد ، ص ٣٧-٣٨ .
(٢) يقدم بإقليم أرمينية ، المنطقة الجبلية الوسطى
العالية فى غرب آسيا ، ويحد هذه المنطقة من الغرب
آسيا الصغرى وهضبة أذربيجان والشاطئ الجنوبى لبحر
قزوين من الشرق والجنوب الشرقى ، وساحل البحر الأسود
والقوقاز من الشمال والشمال الشرقى ، ومن الجنوب
الركن الشمالى الغربى من أرض الجزيرة . (إبراهيم
العدوى : الأمويون والبيزنطيون ، ص ١٢١-١٢٢) .
ويقول كى لسترنج : كانت أرمينية الكبرى تنقسم إلى
أرمينية الداخلة وأرمينية الخارجة ، وكانت قسبة
أرمينية الإسلامية فى الأزمنة الأولى "دبيل" وتسمى أيضا
دوين أو توين . (انظر : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢١٦)
ويذكر صابر دياب : أن أول حملات المسلمين على أرمينية
كانت بقيادة عياض بن غنم سنة ١٩هـ ، وأن أشهر الحملات
الإسلامية التى فتح على آخرها أهم مدن ومناطق ذلك
الإقليم ، هى حملة سليمان بن ربيعة الباهلى وحبيب بن
مسلمة الفهري (٢٤-٢٥هـ) . مشيرا إلى اختلاف المصادر
الإسلامية والأرمنية على سير الفتح وحملاته وزمنه . (انظر:
أرمينية من الفتح الإسلامى إلى مستهل القرن الخامس
الهجرى ، ص ١٩-٣٦) .
(٣) الخزر : من أصل جرمانى (هونى) . فيليب حتى : تاريخ
سورية ، ٦٩/٢ . ويضيف هاشم اسماعيل الجاسم : أنهم
قوم استقروا فى منطقة القوقاز تقريبا ، لكن نفوذهم
يتسع وينكمش حسب التطورات السياسية ، وقد عرفوا
بتحالفهم مع البيزنطيين ، فاستخدمتهم الدولة
البيزنطية أثناء حروبها مع الأمويين . (انظر : دراسة
تاريخية عسكرية عن الثغور البيزنطية العربية ، هامش
(١) ، ص ٩٦ - وانظر أيضا : كى لسترنج : نفس المرجع ،
ص ٢١٥) .
(٤) عن أرمينية فى العصر الأموى ، انظر : صابر دياب : نفس
المرجع ، ص ٤٠-٦٠ .

(١)
تعرض أرمينية واذربيجان (٩٩هـ) ، لغزو الخزر ، الذين
هاجموا المسلمين على غزة ، وأصابوا جماعة منهم ، لكن أمير
أرمينية عبد العزيز بن حاتم الباهلي ، تصدى لذلك الغزو
والحق بالخزر هزيمة منكرة ، حتى لم ينج منهم الا القليل
وقدم على الخليفة عمر بن عبد العزيز بخمسين أسيرا منهم .
ويظهر أن الضربة التي تلقاها الخزر على يد عبد
العزيز بن حاتم ، كفتهم عن العودة الى مهاجمة هذه المناطق
طوال عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز ، والشطر الاول من
خلافة يزيد بن عبد الملك .

(١) اذربيجان : عرف قديما باسم "اثروباتين" ، ويحده من
أعلى نهر أرس ، ومن أسفله النهر الأبيض ، وكلاهما يصب
في بحر قزوين ، وأبرز العوارض الطبيعية في هذا
الأقليم بحيرة أرمية الملحة ، وبقرنها تبريز ومراغة
قاعدتا الإقليم ، وإلى شرقها أردبيل ، وهي من كبار
مدنه وأقربها إلى بحر قزوين . قيل : أن به سبعين
لسانا ، يتكلم بها أهله ، وليس بين مدنه مدينة عظيمة
الكبر . (كي لسترنج : نفس المرجع ، ص ١٩٣، ١٩٤-١٩٤ .
وقال ياقوت : أن قصبتها أردبيل ثم تبريز . معجم ،
١٢٨/١-١٢٩) .

(٢) عبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهلي ، قائد من
الأمراء ، كان عامل عمر بن عبد العزيز على الجزيرة ،
(ت ١٠٣هـ) ، (الزركلي : الأعلام ، ١٦/٤) . وكان على
أرمينية زمن الوليد بن عبد الملك ، وهو الذي بنى
مدينة بردعة بأرمينية ، أو أبيه ، زمن عبد الملك بن
مروان . (انظر : صابر دياب : أرمينية من الفتح الاسلامي
الى مستهل القرن الخامس الهجري ، ص ٤٩، ٤٢) .

(٣) عن هجوم الخزر هذا ، وتصدى عبد العزيز بن حاتم له .
انظر / ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٠ -
اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٣٠٢/٢ - الطبري :
تاريخ الأمم ، ٥٥٣/٦ - الذهبي : تاريخ الاسلام ،
٣٢٣/٣ .

نظام الموانئ والشواطئ في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك :

- (١)
استؤنفت الحملات العسكرية المنظمة الى الثغور ، وهو
(٢)
معارف بنظام الموانئ والشواطئ ، بعد وفاة الخليفة عمر بن
(٣)
عبد العزيز ، فقد ظل نظاما معمولاً به طوال العصر الأموي .
الا أن تغييرا في ذلك التنظيم قد حدث ، إذ نجد ظهور نوعين
من الموانئ ، هما : المائفة اليمنى ، والمائفة اليسرى ،
(٤)
واستقلال كل واحدة منهما في الغزو والقتال .
فقد كانت هذه الحملات توجه من ثغور الشام ومن ثغور

- (١) الثغر : كل مكان قريب من أرض العدو من ناحية البر أو البحر ، سواء كان مدينة أو حصنا ، واتخذ كقاعدة عسكرية ، وضيقتها التحصن لهجمات العدو ، والدفاع عن المدن الداخلية ، وانطلاق الهجمات الإسلامية منها الى ديار الأعداء ، برا كان ذلك أو بحرا . (هاشم الجاسم : دراسات تاريخية عسكرية، ص ٧٤-٧٥ .
(٢) الموانئ والشواطئ : اسم للجيش الإسلامي الذي يجمع مرة في الصيف ومرة في الشتاء ، ويجهز ، ويخرج للإغارة على مواقع العدو ، ومقاتلته في أرضه . وتخرج الحملة الربيعية لعشر أيام تخلو من أيار "مايو" بعد أن يكون الناس قد ربعوا دوابهم ، وحسنت أحوال خيلهم ، فيقيمون ثلاثين يوما ، ثم يقفلون ، فيقيمون خمسة وعشرين ، حتى يقوى ويسمن الظهر ، ويجمع الناس لغزو المائفة ، ثم يفزون لعشر من تموز "يولية" فيقيمون لوقت قفولهم ستين يوما ، ولا يقدم عليها الا وقت الضرورة . (انظر : هاشم الجاسم : نفس المرجع ، ص ١٠٢ .
عمر سليمان العقيلي : خلافة معاوية بن أبي سفيان ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ص ٩٧-٩٨ .
(٣) وفريق الدقدوقى : الجندي في عهد الدولة الأموية ، ص ٢٠٩ .
(٤) عواد الأعظمى : مسلمة ، ص ٢٣١ (وقد أورد في هامش (٣) ، من نفس الصفحة ، تفسيراً للمائفة اليمنى واليسرى فقال : أصبحت المائفة اليمنى تعنى الغزو من نحو الثغور الجزيرية باتجاه نواحي أرمينية وأذربيجان والخزر . واليسرى : تعنى الغزو من نحو الثغور الشامية ، باتجاه أرض الروم) .

الجزيرة ، وأصبح لكل جبهة نشاطها المستقل ، فتركز نشاط الثغور الجزرية حول البند الأرمني ، لمراقبة الحدود الغربية الأرمينية ، وجرى على هذا التنظيم الخليفة يزيد بن عبد الملك وخليفته هشام بن عبد الملك . لقد شغلت أرمينية الأمويين المتأخرين ، لمحاولة الروم الاستفادة من غارات الخزر ، والمناقشات الداخلية بين الأسر الأرمينية ، فقد كان منها مايوالى المسلمين مثل (Bamikonian) ، وهؤلاء خموم يحقدون عليهم ويحتمضون لأخطاهم ، مثل : (Mamikonian) .^(١) لذا حاول ليو الأيسورى (امبراطور الروم) أن يفيد من هذه الأوضاع ، مستغلا حسن علاقته بجيرانه من الخزر ، فسمى الى تعزيزها ، بتزويج ابنه قسطنطين الخامس من ابنة خان الخزر فكان لزاما على الخليفة يزيد بن عبد الملك أن يحول دون استغلال بيزنطة لمتاعب المسلمين الداخلية فى أرمينية ، فكان هدفه ازعاج البند الأرمنى ومراقبته بتيقظ . بل أن تغيير نظام اخراج الحملات الثغرية الموسمية (الموائف والشواتى) . كان فيما يبدو لاشغال كل من الروم والخزر ، وتفويت فرصة التحالف بينهما والتعاون فى حرب المسلمين ، وسنرى من العرض التاريخى للجهود العسكرية فى عهد الخليفة يزيد ، تمكنه من صد الخزر ، واستمرارية الغزو والبقاء فى آسيا الصغرى .

(١) فتحى عثمان : الحدود ، ص ٩٨ .
 (٢) فتحى عثمان : نفس المرجع ، ص ٩٩ .
 (٣) هسى : العالم البيزنطى ، ص ١٣٠ .
 (٤) فتحى عثمان : نفس المرجع والمقحة .

غزو معلق بن صفار الخزر سنة ١٠٣هـ :

- (١) يشير الطبري وغيره الى اغارة قام بها الترك (سنة ١٠٣هـ) ، على اللان ، ومنها يتبين عودة الخزر الى التحرش بالمسلمين ومهاجمة ممالكهم في ارمينية . وهذا مادفع امير ارمينية آنذاك معلق بن صفار البهراني الى القيام بحملة على الخزر ، فلقبهم بمرج الحجارة ، في شهر رمضان من نفس العام ، وقد كلب الشتاء . فدارت المعركة ، وهزم المسلمون وقتل جماعة منهم ، واستولى الخزر على عسكرهم وغنموا ما فيه لكن ابن اعثم ، يورد اسم القائد شبيت النهراني ، من اهل حمص ، ويوافقه على هذا الاسم ابن الاثير ، الذي ارخ للمعركة ب (سنة ١٠٤هـ) وأشار الى تحالف حدث بين الخزر والقفجاق ،

- (١) تاريخ الامم ، ٦١٩/٦ - اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٣١٥/٢ - ابن الاثير : الكامل ، ١٨٤/٤ .
 (٢) يبدو انه يعني الخزر (انظر التعريف بهم قبل : ص ٣٤٧ .
 (٣) اللان : بلاد واسعة في طرف ارمينية قرب باب الابواب مجاورة للخزر . (ياقوت : معجم ، ٨/٥) . ويقول عنها كي لسترنج : انها احد الولاياتين اللتين تكونا بلاد الخزر ، اذ تتألف بلاد الخزر من ابخاز واللان . (انظر : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢١٣) .
 (٤) معلق بن صفار بن فلمس بن جنب الجمار بن موقد النار البهراني ، من اهل حمص ، ولاء يزيد بن عبد الملك ارمينية سنة ١٠٣هـ ثم عزله سنة ١٠٤هـ . (ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٣٣) .
 (٥) ابن خياط : نفس المصدر ، ص ٣٢٨ .
 (٦) الفتوح ، ٢٥٨٠٢٦٠/٤م (وقد ذكر ان عدد الخزر في هذه المعركة ثلاثين الفا ، ولم يشر الى تحالفهم مع الترك) شبيت النهراني : لم اعثر على ترجمة له . كما لم يرد ذكره بين عمال يزيد بن عبد الملك على ارمينية واذربيجان والجزيرة (انظر بعد : الفصل الخامس ، المبحث الاول ، ص ٤٩٦ وما بعدها) ، حيث وجدنا ان عامل يزيد (سنة ١٠٣هـ) هو معلق بن صفار البهراني الحمصي ، وهذا مايقوى اعتقادنا بوروده عند ابن اعثم وابن الاثير محرفا ، والمصحح ماقدناه .
 (٨) نفس المصدر والجزء ، ص ١٨٦ .
 (٩) القفجاق : هم سكان قوقاسية . (انظر / سيد امير على : مختصر تاريخ العرب ، ترجمة عفيف البعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨١م ، ص ١٣٣-١٣٤) . في المنطقة التي تقع بين شمال بحر قزوين والبحر الاسود ، وهم من الترك .

وغيرهم من انواع الترك ، ضد المسلمين . ويتضح ان ابن الاثير ذكر هذا الاسم نقلا عن ابن اعثم المتقدم عليه ، حيث يتفقان في تقديم معلومات عما آل اليه امر المسلمين بعد انكسارهم امام الخزر وحلفائهم ، فيذكران ان المنهزمين لاذوا بالشام ، وعلى راسهم قائدهم ، فلما مثلوا بين يدي الخليفة لامهم ووبخهم على انهم اظهروا ، فكان عذر قائدهم ، يا امير المؤمنين ماجئت ولا تكبت عن لقاء العدو، ولقد المقت الخيل بالخيول والرجل بالرجل، ولقد طاعتت حتى انقمف رمحي ، وضربت حتى انقطع سيفي، غير ان الله تبارك وتعالى يفعل ما يريد .

اذا فما اسباب هذه الهزيمة ، وقد علمنا صدق المسلمين في القتال ؟

ان المتخصص لكبر هذه الغزوة قد يجد في ثناياه بعض العوامل التي لم تكن في صالح المسلمين ، وعلى راسها ياتي تحالف الخزر مع القفجاق وغيرهم من الاقوام التركية ، الى جانب حدوث المعركة في فصل الشتاء ، وبرده القارس الذي يصعب على العرب تحمله والقتال فيه ، كما ان حدوثها في شهر رمضان ، ودخول بعض الجند او الكل المعركة وهم صيام ، قد اثر على قدرتهم القتالية ، لذلك كنا نجد الكثير من القادة ينمحون جنودهم بالافطار ابان الحرب .

اما الاختلاف على قائد هذه الحملة ، فامر اورش اختلافا المصادر على ولاية ارمينية ، وهو اختلاف انحصر في قائد^(١)

(١) سنعرض لهذا الاختلاف حول ولاية ارمينية ابان خلافة يزيد ابن عبد الملك ، عند دراستنا لسياسة الخليفة يزيد بن عبد الملك الادارية في الفصل الخامس .

الحملة وسنة حدوثها ، أما الغزوة واحداها فقد اتفقت عليها تلك المصادر ، فيما عدا بعض التفاصيل . وقد أخذنا بقول أقدمها .

غزوة الحارث بن عمرو الطائي :

ينفرد البلاذري بالإشارة إلى غزوة قام بها الحارث بن عمرو الطائي ، وإلى أرمينية بعد معلق بن صفار على حد قوله فيذكر : أنه غزا أهل الكز ففتح رستاق حسمدان .^(١)
^(٢)
ويتجلى لنا محدودية هذه الحملة ، وأثر قيادتها ، ولعل ذلك مادفع الخليفة يزيد بن عبد الملك إلى عزله واستناد ولاية أرمينية وأمر الخزر إلى رجل ذي قدرة وتجربة . لكن ولاية الحارث أرمينية من قبل يزيد بن عبد الملك ، وقيامه بهذه الجهود الحربية ، موضع شك للاختلاف على ولايته أرمينية زمن يزيد ، ولقول ابن خياط ، أن ذلك قد حدث زمن هشام بن عبد الملك ، فإن صح ذلك ، كان قوله أرجح ، لتقدمه^(٣)

-
- (١) فتوح البلدان ، ص ٢٠٨ .
(٢) الحارث بن عمرو الطائي ، وال من القادة ، ولي إمرة البلقاء لعمر بن عبد العزيز ، وأرمينية سنة ١٠٧هـ ، وأذربيجان سنة ١٠٨هـ ، ومد الترك سنة ١١١هـ وهزمهم واستباح عسكرهم ، وقد كان حيا سنة ١١٢هـ . (الزركلي : الاعلام ، ١٥٦/٢) . وهو في هذه الترجمة لم يشر إلى ولايته أرمينية زمن يزيد بن عبد الملك ، وعند النظر في هامشه وجدناه لم يعتمد على المصدر الذي اعتمدنا عليه في هذا الخبر ، وقد أشرنا إلى تفردنا بذلك من خلال ما اطلعنا عليه من مصادر .
(٣) لكز : بليدة خلف الدربند تتاخم خزران ، سميت باسم بانيها ، وقيل : لكز والكز والخزر ومقلب وبلنجر بنو يافث بن نوح عليه السلام ، عمر كل واحد منهم مكانا عرف باسمه . (ياقوت : معجم ، ٢٢/٥) .
(٤) رستاق حسمدان : لم أجد له تعريفا .
(٥) انظر ما كتبناه عن هذا الاختلاف ، وما أورده ابن خياط ، بعد : الفصل الخامس ، المبحث الأول ، ص ٤٩٦ .

على البلاذرى .

فتوحات الجراح الحكيم فى أرمينية :

اطمعت الهزيمة التى تلقاها المسلمون سنة ١٠٣هـ على يد الخزر فى أرمينية ، الاقوام القوقازية والتركىة فى المسلمين ، فاندفعوا نحو الحدود الأرمينية ، وشنوا غاراتهم وتوغلوا فى البلاد . مما دعى الخليفة يزيد بن عبد الملك الى استعمال الجراح بن عبد الله الحكيم ، على أرمينية وأذربيجان (سنة ١٠٤هـ) ، وأسند اليه مهمة مد الخزر وأمر حربهم ، وأمدّه بجيش كبير ، وأمره بحرب الأعداء ، وقصد بلادهم . وفى ذلك دلالة على جدية الخليفة فى مواجهة الموقف بالجبهة الأرمينية ، فقد اختار القيادة القديرة ، وزودها بسالجيش الكافى لتحقيق الأهداف ، ولم يكن همه تطهير البلاد

- (١) ابن الأثير : الكامل ، ١٨٦/٤ - ١٨٧ - سهيل زكار : تاريخ العرب والإسلام ، ص ٢١٨-٢١٩ .
- (٢) الجراح بن عبد الله الحكيم ، دمشق الأصل ، من الإشراف الشجعان ، ولى البصرة للحجاج ، ثم خراسان وسجستان لعمر بن عبد العزيز ، ثم ولاء يزيد بن عبد الملك أرمينية وأذربيجان ، غزا الخزر وافتتح بعض حصونهم ، أقره هشام ، ثم عزله (سنة ١٠٨هـ) ، وأعادّه (سنة ١١١هـ) ، فاستشهد فاتحاً فى حروبه مع الخزر (سنة ١١٢هـ) قال الواقدي : كان البلاء بمقتل الجراح على المسلمين عظيماً فبكوا عليه فى كل جند . (الزركلى : الأعلام ، ١١٥/٢) .
- (٣) جعل المؤرخ المجهول ، غزو الجراح (سنة ١٠٢هـ) ، وأشار الى فتوحه باجمال موجز فحسب . (انظر : العميون ، ص ٧٥) . الا أن هذا التاريخ لا يتناسب مع منطق الأحداث التى قدمنا ذكرها ، ويخالف إجماع المصادر الإسلامية على كون (سنة ١٠٤هـ) ، هى عام ولاية الجراح ، وغزوة الخزر .
- (٤) ابن الأثير : نفس المصدر والجزء والمطبعة - ابن اعثم : الفتوح ، م ٢٦٠/٤ - ابن خلدون : العبر ، ٨٣/٢ - صابر دياب : أرمينية من الفتح الإسلامى حتى مستهل القرن الخامس الهجرى ، ص ٥٠ .

الاسلامية من وجود الغزاة ، بل مهاجمتهم في بلادهم ، ردعا لهم ، واحياء لهيبة المسلمين في نفوسهم ، حتى لا يعودوا لحربهم مرة أخرى . فسار الجراح بجيشه حتى وصل ارمينية ، فنزل برذعة ^(١) ، ليعطى جنده قليلا من الراحة ، بعد عناء السفر من دمشق الشامية حتى برذعة في الديار الارمينية ، وليعد نفسه وينظم صفوفه ، لمواجهة الخزر . الذين ما ان سمعوا بمقدم الجراح في جيشه ذاك ، حتى ارتدوا عن البلاد الاسلامية التي كانوا قد استولوا عليها ، وانسحبوا عائدين حتى نزلوا مدينة الباب والابواب . ^{(٣)(٤)}

وبعد ان اخذ الجراح وجنده قسما من الراحة ، توجه نحو الخزر في عامه ذاك (١٠٤هـ) ، فعبر نهر الكر ، واجتاز ^(٥)

-
- (١) برذعة :قصبه (مركز) اقليم الران ، الواقع بين نهرى الكر والرس عند التقائهما ، وتقع على بعد ثلاثة فراسخ من نهر الكر ، قائمة على احد روافده ، وكان بيت المال زمن بنى امية في هذه المدينة . (كي لسترنج : بلدان ، ص ٢١١-٢١٢) ، وقد كانت برذعة دار الامارة والجند في ولايتي ارمينية واذربيجان . (اديب السيد : ارمينية في التاريخ العربى ، المطبعة الحديثة ، حلب الطبعة الاولى ، ١٩٧٢م ، ص ٩٥) .
- (٢) لم تشر المصادر الى عدد الجيش الذى سيره الخليفة يزيد بقيادة الجراح ، لكن ابن اعثم ، يورد ان عدد جند الجراح في معركة الران مع الخزر كان (٢٥) الفا . وهذا يعنى ان من سار بهم من دمشق كان اقل من هذا العدد ، باعتبار انه قد انضم اليه من كان قبله في ارمينية . (انظر : الفتوح ، م ٢٦٠/٤) .
- (٣) باب الابواب : مدينة في أقصى الشمال لبلاد شروان ، وهي اجل موانئ بحر قزوين ، يقول كي لسترنج : ان هذه التسمية من العرب لمدينة دربند ، مدينة كبيرة حمينة من شغور الاسلام . (انظر : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢١٤-٢١٥) .
- (٤) ابن الاثير : الكامل ، ١٨٦/٤ - ١٨٧ - ابن اعثم : نفس المصدر والمجلد ، ص ٢٦٠-٢٦٢ - ابن خلدون : العبر ، ٨٣/٣ - كما اشار ابن قدامة الى نزوله برذعة . (انظر : الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٣٣٠) .
- (٥) نهر الكر : مخرجه من الجبال غرب تفليس ببلاد جورجيا ، اى بلاد الخزر ، يمر بتفليس وشمكور ، ثم يلتقى بنهر الرس اسفل من برذعة بقليل ، بعدها يصب في بحر قزوين بولاية كشتاسفى . (كي لسترنج : نفس المرجع ، ص ٢١٣) .

(١) اقليم شروان ، حتى قطع نهر السمور متجها صوب مدينة باب
(٢)
(٣) الابواب .

ويبدو ان الجراح الحكمي لم يجد مقاومة تذكر من اهالى
اقليمى الران وشروان ، بعد انسحاب الخزر وارتدادهم الى
باب الابواب على بحر قزوين ، ومع ذلك فان الجراح عمل على
تسيير بعض اهل الجبال فى جيشه ، لتثبيت من ولائهم ،
وتأميننا لنفسه من ان يقطعوا الطريق عليه ، تعاونوا مع
الخزر او من تلقاء انفسهم . حيث ان غالبية اهل تلك
المناطق بقيوا على نصرانيتهم ، بعد الفتح الاسلامى ، وفى ظل
سيادة الدولة الاسلامية ، الى اعقاب الفتح المغولى واستقرار
الترك هناك ، فصار الدين السائد هو الاسلام . وهذا فى
الغالب ماسهل للخزر امر التوغل فى البلاد ابان غياب القوة
الاسلامية . وابن الاثير يخبرنا بان واحدا من اهل الجبال ،
(٤)
الذين ساروا فى ركاب الجراح قد كاتب ملك الخزر بمسير
الجراح اليه ، مما اضطر القائد الى التوقف بعد عبوره نهر
الكر ، اذ انه كان يامل ان يلقى العدو على غره ، فخدع ذلك
الرجل وكاتب الخزر بتوقف الجراح واقامته ، فما لبث الجراح

-
- (١) شروان : اقليم يلى نهر الكر على بحر قزوين ، فيه
تنتهى جبال القفقاس ، قممته الشماخية (شماخى) . (كى
لسترنج : بلدان ، ص ٢١٤) .
(٢) نهر السمور : نهر يصب فى بحر قزوين على شء يسير
جنوب دربند ، ويسمى أيضا (نهر الملك) . (كى لسترنج :
نفس المرجع ، ص ٢١٥) .
(٣) ابن قدامة : الخراج ومناعمة الكتابية ، ص ٢٣٠ -
البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢٠٨ - ابن اعثم : الفتح
م ٢٦٠/٤ - ابن الاثير : الكامل ، ١٨٧/٤ .
(٤) نفس المصدر والجزء ، ص ١٨٦-١٨٧ - ابن اعثم : نفس
المصدر والجزء ، م ٢٦١/٤ (اخبر ان الذى كتب هو ملك
بلاد الكر ويسمى اربيس بن بسماس) .

ان عاود المسير من ليله ذاك ، وسار مجدا الى باب الابواب .
 فوجدها خالية ، بعد ان تركها الخزر ، الذين علموا بمقدمه
 فيما يبدو . فلحقوا ببلادهم . وخرج الجراح من مدينة باب
 الابواب وعسكر عند عين باب الجهاد ، على بعد نصف فرسخ منها
 فبث الجراح سراياه على مايجاوره من البلاد ، فنصروا وغلنموا
 ويحدد ابن اعثم وجهة احد هذه السرايا ، وهي ارض حيداق حيث
 يذكر ان الجراح وجه احد قادته على رأس ثلاثة آلاف فارس
 اليها ، فكان غنمها كبيرا .

معركة الران :

وكان الجراح قد ارتحل في عشرين الفا من جنده ، بعد
 ان بعث سراياه ، فنزل على نهر الران على ستة فراسخ من
 مدينة باب الابواب ، واجتمع اليه جند السرايا بعد ان ادوا
 الهدف الذي وجهوا من اجله . فاصبح في خمسة وعشرين الفا من
 المسلمين (٧)

-
- (١) ابن اعثم : الفتح ، م ٢٦٠/٤ - ٢٦١ - ابن الاثير :
 الكامل ، ١٨٧/٤ - لكن ماهر دياب الذي اشار الى غزو
 الجراح في ايجاز ، قال : "ودخل على الخزر ليلا - يعنى
 في مدينة باب الابواب - وهزمهم ، وقتل منهم الكثير
 بسيوف المسلمين" وذكر ان عبيد المسلمين نحو بضع
 وثلاثين الفا . (انظر : ارمينية من الفتح الاسلامى حتى
 مستهل القرن الخامس الهجرى ، ص ٥٠) .
- (٢) ابن اعثم : نفس المصدر والمجلد والمفحات .
- (٣) ابن اعثم : نفس المصدر والمجلد ، ص ٢٦١ .
- (٤) ابن الاثير : نفس المصدر والجزء والمفحة .
- (٥) نفس المصدر والمجلد ، ص ٢٦١ .
- (٦) لم نجد لها ذكر بهذا الاسم عند ياقوت وكى لسترنج .
 ولكننا وجدنا "هيزان" : من مدن ارمينية قريبة من
 شروان . (انظر : ياقوت : معجم ، ٣٣١/٢) ، فنظننا هي
 لوجودها في نفس المنطقة . وقد يكون حدوث الاختلاف
 تحريفا ، أو خطأ في النقل .
- (٧) ابن اعثم : نفس المصدر والمجلد ، ص ٢٦١ .

ويظهر أن تلك الأشارات الإسلامية وماحقته من نصر ومغانم قد أشارت الخزر ، ولعل ذلك ماكان يبغيه قائد المسلمين ، فتوجهوا اليه في أربعين الفا بقيادة ابن ملكهم ^{بن خاقان} (١) (٢) ونزلوا معه على نهر الران . فدارت بين الفريقين (سنة ١٠٤هـ) معركة عظيمة نصر الله فيها المسلمين وهزم الخزر ، وقتل الكثير منهم واسر ، وغنم المسلمون جميع مامعهم . بل قيل : وغرق الترك وعامة ذراريهم في الماء . ويفهم من هذا القول أن الخزر عبروا النهر الى المسلمين ، فلما هزموا لم يتمكنوا من العبور اما لقطع الجسر ، او لحيلولة المسلمين بينهم وبين الفرار ، فسقط الكثير منهم في النهر ، هروبا من هول الهزيمة وخشية القتل ، وتبع المسلمون من فر .

فتوح الجراح بعد معركة الران :

سئل النصر الذي حققه المسلمون في معركة الران ، مهمة

-
- (١) لم نجد تعريفا بنهر الران عند ياقوت وكى لسترنج .
 (٢) ابن اعثم : الفتوح ، م ٢٦١/٤ - ابن الاثير : الكامل ، ١٨٧/٤ .
 (٣) عن معركة الران انظر : ابن اعثم : نفس المصدر والمجلد ، ص ٢٦١-٢٦٢ - ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٩ - ابن الاثير : نفس المصدر والجزء والصفحة - البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢٠٨ (لم يحدد مكان المعركة) - اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٣١٣/٢ - الطبري : تاريخ الامم ، ١٤/٧ - (ذكر اللقاء ولم يذكر مكانه) - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٥٧/٩ - الذهبي : المعبر في خبر من خبر ، ١٢٦/١ (لكنه أسى المعركة "بهرازن" وجعلها مع الخاقان) - الذهبي : تاريخ الاسلام ، ٨٧/٤ - ابن خلدون : المعبر ، ٨٣/٣ - ابن العماد : شذرات ، ١٢٦/١ - الذهبي : دول الاسلام ، ٥٢/١ (جعلها في رمضان سنة ١٠٥هـ ، ويبدو أنه خلط بينها وبين نصر المسلمين عليهم سنة ١٠٥هـ ، عندما هاجموا أرمينية بقيادة الخاقان . انظر ذلك بعد : ص ٣٦٦-٣٦٧) .

الجراح ، فى اخضاع تلك المناطق لحكم المسلمين وسيادتهم ، وذلك فى اعقاب التخلص من القوة الرئيسية للخزر ، التى لم تعد قادرة على مواجهة المسلمين ذلك الحين على الاقل . فجرد الجراح جيشه لفتح مدن وحصون الخزر هناك . الا ان المصادر الاسلامية تقدم لنا معلومات مفترية عن تلك الجهود ، ترتيبا وزيادة ونقصا ، ولعل ما اصاب الاسماء من تحريف وتصحيف هو ما اورثنا ذلك الخل .

وقد لجأ الجراح فى حروبه مع الخزر الى سياسة التهجير لاهل تلك المناطق والحصون ، ردعا لهم ، وانعاقا لقوتهم بتحويلهم عن مكان القوة والاعتماد فى بلادهم ، الى مناطق اخرى ، ليضمن دوام ولائهم وطاعتهم ، فيقول الطبرى : ففتح
(١) - يعنى الجراح - الحصون التى تلى بلنجر وجلا عامة اهلها . وهذا أسلوب دفاعى لجأ اليه الجراح الحكيم ، سنلاحظه فى ثنايا حديثنا عن فتوحاته المقبلة . فبعد انتصار المسلمين فى الران تتبموا المنهزمين ، حتى وصلوا الى حصن يعرف بـ
(٢) "الحمين" نزل اهلها على الامان مقابل مال يؤدونه ، فاعطاهم
(٣) ذلك ، ونقلهم عنها الى حيزان .

(٤) الا اننا نجد شيئا من اللبس عندما يورد ابن قدامة نسا
(٥) يوافقه فيه البلاذرى ، يشير الى مقاومة الجراح لاهل بلاد

(١) تاريخ الامم ، ١٤/٧-١٥ - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٥٧/٩ .

(٢) لم أجد له تعريفا .

(٣) ابن اعثم : الفتوح ، م ٢٦٢/٤ - ابن الاثير : الكامل ، ١٨٧/٤ (لكنه لم يحدد المكان الذى نقلهم اليه) - ابن خلدون : العبر ، ٨٣/٣ (وهو كذلك لم يذكر المكان الذى نقلوا اليه) .

(٤) الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٣٣٠-٣٣١ .

(٥) فتوح البلدان ، ص ٢٠٨ .

(١) حمزين ، ومصالحهم على ان ينقلهم الى رستاق حيزان ، حيث جعل لهم منه قريتين . وحيث انا لم نعتز على تعريفات بهذه المواضع سوى حيزان ، فيغلب على الظن ان الحمين هو حمزين وخيزان هو حيزان ، فيكون الخبر الذى اوردته ابن اعثم وابن الاثير وابن خلدون ، هو الذى ورد عند من سبقهم كابن قدامة والبلاذرى ، وجاء ذلك التحريف فى الاسماء اثر النقل او سوء الخط .

الا ان خليفة بن خياط فى سياق حديثه عن فتح حمص بلنجر يورد ان اهله حولوا الى رستاق حيزان ، وقد يؤدى هذا الى الشك فى ان حمص حمزين هو حمص بلنجر الذى سنتحدث بعد قليل عن فتحه ، الا ان اختلاف الاحداث فى فتح كلا الحمين ، وما ترتب عليها من نتائج ، حيث ان اهل حمزين (الحمين) انتهى الامر معهم صلحا ، بينما تم فتح بلنجر عنوة ، يدل على لبس وقع فيه مؤرخنا ابن خياط . ان ان اهل بلنجر لم يحولوا عن حمصهم ، وهذا ماسنراه اثناء تحدثنا عن فتحه .

فتح رستاق يزموا :

بعد معالحة اهل حمزين (الحمين) ، سار الجراح الحكى الى رستاق "يزموا" ، فحاصر مدينة يزموا ستة ايام ، فلما وجد اهلهما جدية الحكى فى قتاله ، طلبوا الصلح ، فاعطاهم

-
- (١) لم أعتز لها على تعريف .
 (٢) لم أعتز على تعريف له بهذا اللفظ ، وقلنا ان الظاهر انه يعنى حيزان ، فجاء بزيادة نقطة على الحاء .
 (٣) انظر الخبر فى الصفحة السابقة .
 (٤) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٩ .
 (٥) لم نعتز له على تعريف .

(١)
ذلك وامنهم ، على ان يحولهم الى رستاق "قبلة" ، فتسلم
حمنهم ، وانزلهم بقرية الغانية في رستاق قبلة . ونحن في
هذا الخبر نقف حائرين امام مشكلة التصحيف فابن خياط
المؤرخ الاقدم يورد اسم الرستاق يزعوا ، بالزاي ، بينما
 نجد الاسم مصحفا عند ابن الاثير حيث يورده "يرغوا" بالراء .
 لكن ابن اعثم يقدمه لنا "برعوا" . وحيث اننا لم نعثر على
تعريف لاي من تلك اللفاظ ، لم يكن لنا بد من تقديم اللفظ
الذي ورد عند ابن خياط ، المؤرخ الاسبق . اما المكان الذي
نقلوا اليه ، فاخذنا بلفظ ابن اعثم وهو "قبلة" لوجود
تعريف لهذا اللفظ عما عداه ، مما يعنى صحته . وليس هنا
مكان للقول انها الفاظ لامكان متعددة ، فصفا الحدث ونتائجه
لا تختلف في كل هذه المصادر .

فتح حمص بلنجر (سنة ١٠٤هـ) :

(٣) (٤)
تجعل بعض المصادر فتح حمص بلنجر قبل معركة الران ،

-
- (١) قبلة : قلعة في الجبال القريبة من دربند من ارض
شروان . (كي لسترنج : بلدان ، ص ٢١٥) ، ويبدو ان
القلعة قسبة الرستاق ، فلا يصح ان ينقل الجراح هؤلاء
المحاربين الى حمص يعتممون به ، ويفسر ابن اعثم في
خبره ما ذهبنا اليه ، اذ يقول : انزلهم بقرية تسمى
الغانية في رستاق قبلة .
- (٢) انظر عن فتح يزعوا / ابن خياط : تاريخ ابن خياط ،
ص ٣٢٩ (وقد ورد اسم الرستاق عنده "يزعوا") - ابن
اعثم : الفتوح ، م ٢٦٢/٤ (وورد اسم المدينة عنده
برعوا) - ابن الاثير : الكامل ، ١٥٧/٤ (ورد عنده اسم
المدينة يرغوا) .
- (٣) ورد ذلك عند / اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٣١٣/٢ -
الطبري : تاريخ الامم ، ١٤/٧ - ابن كثير : البداية
١٥٧/٩ .
- (٤) بلنجر : مدينة ببلاد الخزر خلف باب الابواب ، قيل :
كان فتحها على يد عبد الرحمن بن ربيعة ، وقيل :
سلمان بن ربيعة الباهلي . (ياقوت : معجم ، ٤٨٩/١) .

الا ان غالبيتها ، تسوق ذلك بعد تلك المعركة ، كما اوردناه نحن في سياق الفتوح التي قام بها الجراح بن عبد الله .
 فبعد ان خلس الجراح من فتح يزعوا ، توجه بجنده الى حصن بلنجر ، وكان مشهورا بين حصونهم ، قاصره ، الا ان جيش الجراح الذي كان عدده بغلة وثلاثين الفا ، صعب عليه فتح ذلك الحصن ، حيث لجأ اهله الى طريقة دفاعية تمثلت في شد ثلاثمائة عجلة ، بعضها الى بعض ، واحاطوا بها حصنهم ، لئلا يمنع المسلمين من الوصول اليه ، فازداد حصنهم بها حمانة وازدادوا بها منعة .

فما كان من المسلمين ، الا ان وهب جماعة منهم انفسهم لله ، وتبايعوا على الموت ، وكسروا جفون سيوفهم ، فحملوا على الحصن ، ولم يثنهم عن الوصول الى ذلك العجل ، وحله ، ماقذفوا به من السهام ومالقيوه من القتال ، فتمكنوا من الوصول اليه ، وقطعوا الحبل الذي شد به العجل ، وجذبوها ، فالتحدرت جميعا ، وهنا دار القتال ، والحم الفريقان في معركة عظم فيها الامر على الجميع ، حتى كان النمر حليف المسلمين على اعدائهم الخزر ، فاستولى المسلمون على حصنهم عنوة ، وغنموا ما فيه . وكانت غنائم عظيمة ، اصاب الفارس منها ثلاثمائة دينار ، وكان ذلك الفتح يوم الأحد الثالث من ربيع الأول سنة ١٠٤هـ .

أما صاحب بلنجر ، فقد تمكن من الفرار في خمسين من

= وهذا يعني ان تلك المناطق كان قد تم فتحها من قبل ، لكن السلطة الاسلامية لم تكن ثابتة فيها ، وتعرضت للزوال ، بفعل انتفاض اهله كل ماآنسوا من المسلمين ضعفا .

قومه ، فشرى الجراح زوجته وأولاده وخدمه ، وبعث اليه بالامان ، فرد اليه حمته وأهله وأمواله ، ليكون منيعة للمسلمين وعينا لهم على أعدائهم .^(١)

فكان فتح البلنجر ، فتحا مبينا ، كما كان موقف الجراح الحكمي من صاحبه ، بعد نظر سنرى نتائجها الخيرة في سياق الاحداث التالية ، وذلك عندما يخبر المسلمين باتفاق الخزر واجتماعهم على قطع الطريق على المسلمين ، فينقذ المسلمين بذلك من كارثة كادت ان تحل بهم .

مصالحة اهل حمص الوبندر (سنة ١٠٤هـ) :

وامل الجراح الحكمي فتوحاته ، فبعد ان فرغ من امر بلنجر ، توجه الى حمص الوبندر ، وكان به نحو اربعين الف بيت من الترك ، وقال ابن خياط : اربعين بيتا . فحاصروهم ، حتى عظم الامر عليهم ، فسألوه الملح ، على مال يؤدونه فقبل منهم . وقيل : بل صالحوه على ان يكونوا معه على الخزر . فعزم بعد ذلك على المسير الى سمندر .^(٢)
^(٣)
^(٤)
^(٥)
^(٦)

-
- (١) عن فتح الجراح الحكمي لحمص بلنجر ، انظر : ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٩-٣٣٠ - ابن اعثم : الفتوح ، م ٢٦٢-٢٦٣ - ابن الاثير : الكامل ، ١٨٧/٤ - ابن خلدون : العبر ، ٨٤/٣ (ذكر ذلك بشيء من الايجاز) .
(٢) لم أعثر له على تعريف .
(٣) نفس المصدر ، ص ٣٣٠ (لكنه لم يصرح باسم الحمص) .
(٤) عن فتح الوبندر . (انظر / ابن اعثم : نفس المصدر والمجلد ، ص ٢٦٣ - ابن الاثير : نفس المصدر والجزء والصفحة - ابن خلدون : نفس المصدر والجزء والصفحة (لكنه حرف الاسم فأورده "الوبيد") .
(٥) ابن خياط : نفس المصدر والصفحة .
(٦) ابن اعثم : نفس المصدر والمجلد والصفحة .

ارتداد المسلمين الى شكى :

(١) كان الجراح قد اعتزم التوجه الى سمندر بعد فتح حصن الويندر ، الا ان صاحب بلنجر ، قد كتب اليه يخبره باجتماع الخزر لحربه ، وانتفاض اهل البلاد التي سار عنها ، وعزمهم على قطع الطريق على المسلمين ، ويمنحه بالاسراع في العودة قبل ان يتم لهم الامر ، فعاد الجراح مجدابجنده ، الا انه فيما يبدو قد اوقع في طريقه باهل منطقة تسمى "غوميك" ،^(٢) فلنصر وغنم وسبي . وواصل ارتداده حتى نزل شكى ، وكان الشتاء قد حل ، فاقام المسلمون بها . وقيل : بل قفل الى شكى ، وحتى جنده ببرذعة والبيلقان . وهذا الارتداد ، لايعنى للمؤرخ ، الا ان المسلمين خسروا ماوطنته اقدامهم من البلاد

- (١) سمندر : مدينة خلف باب الابواب ، بارض الخزر ، تبعد عن الباب مسيرة ثمانية ايام ، كانت دار مملكة الخزر فانتقلت مملكتهم الى "اتل" بعد فتح المسلمين لها اول مرة ، التي تقع على مسيرة ثمانية ايام وقيل سبعة ، بعد سمندر . (ياقوت : معجم ، ٢٥٣/٣) .
- (٢) لم اعثر على تعريف لها .
- (٣) ابن قدامة : الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٣٣٠-٣٣١ - البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢٠٨ . وقد اشار الطبري الى فتح الحمون التي تلى بلنجر واجلاء اهلها . (انظر : تاريخ الامم ، ١٥/٧) .
- (٤) شكى : ولاية بارمينية ، على نهر الكر قرب تغليس . ياقوت : معجم ، ٣٥٧/٣ .
- (٥) ابن اعثم : الفتوح ، م ٢٦٣-٢٦٤ - ابن الاثير : الكامل ، ١٨٧/٤ (وقد اورد اسمها "ملى" . فلم نجد له تعريفا) - ابن خلدون : العبر ، ٨٤/٣ (اورد الاسم "سبي" تحريفا) .
- (٦) ابن قدامة : نفس المصدر والصفحة - البلاذري : نفس المصدر والصفحة - وينفرد ابن خياط بالقول : ان الجراح عاد الى ورشان . (انظر : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٣٠) .
- (٧) البيلقان : قرية اقليم الران بعد خراب برذعة ، تقع الى جنوب برذعة وشمال نهر الرس . وهي مدينة عظيمة ، طيبة . (كي لسترنج : بلدان ، ص ٢١٢) .

وراء مدينة شكى ، ولعل المكسب الوحيد هو الغنم الذى اصابوه . وان كنا لانعدو الحقيقة ان قلنا ان انتصارات الجراح قد احييت العيبة الاسلامية فى نفوس الخزر وحلفائهم من الاقوام التركية غرب بحر قزوين ، كما انها مهدت الطريق لفتوحات وانتصارات اخرى .

ولا يغيب عن عين المتفحص ، ان هذه النتيجة تبين بجلاء ، ان الفتوحات الاسلامية فى هذه الجبهة ، كانت تعنى حربا مع عالم كبير ، واقوام لم تقبل دين الاسلام ، ولم يخبطها حكم المسلمين . فقد ظل جل اهلها على دياناتهم القديمة ، ولم يكن خضوعهم للسلطان الاسلامى الا ظاهريا ومؤقتا ، فطالما انتكشوا على المسلمين ، ونقضوا ولاءهم ، بل وهاجموا الممالك الاسلامية ، وحاولوا طرد الفاتحين منها ، كلما تيسر لهم ذلك ، وهكذا بقيت هذه الجبهة الارمينية ومثيلاتها بلاد ماوراء النهر ، منطقة حرب لاتنقطع ومراع لاينتهى ، حتى غزا الاسلام قلوب اهلها ، فثبت سلطان الله عليها .

وتشير المصادر الى ان الجراح الحكى بعد ارتداداه ونزوله شكى ، قد كتب الى الخليفة يزيد بن عبد الملك بما فتح الله على يديه ، ذاكرا له اجتماع الخزر لحربه ، كما سألته المدد . فوعده الخليفة بذلك ، الا ان الاجل قد أدركه قبل انفاذ المدد اليه . ويظهر ان الموقف على الجبهة لم

(١) ابن الاثير : الكامل ، ١٨٧/٤ - ابن اعثم : الفتوح ، م ٢٦٣-٢٦٤ - ابن خلدون : العبر ، ٨٤/٣ - صابر دياب ارمنيية من الفتح الاسلامى حتى مستهل القرن الخامس الهجرى ، ص ٥٠-٥١ (وقد ذكر عظمة الفنائم التى حمل عليها المسلمون ، حتى اصاب كل منهم ثلاثة آلاف دينار ، كما ذكر ان الخليفة يزيد بن عبد الملك ، قد امد الجراح بما طلب . نقلا عن ابن الاثير : نفس المصدر والجزء والصفحة اعلاه ، لكن ابن الاثير قال : وعده فقط)

يكن مطمئنا ، وان الخطر كان كبيرا باجتماع الخزر على حرب المسلمين ، وانتقاص اهل البلاد عليهم ، مما دفع بالجراح الى الانسحاب ، وطلب العون من الخليفة ، ويبدو ان الخليفة قد ادرك ذلك ، وهو الذى رايناه جادا فى السيطرة على الموقف فى ارمينية ، عندما بعث جيشا كان هدفه تطهير ارمينية من وجود الاعداء ، ومهاجمتهم فى بلادهم . لذلك بعث الى قائده يعده بالمدد ويقويه .

الموقف فى الجبهة الارمينية بعد يزيد بن عبد الملك :

حرص الخليفة هشام بن عبد الملك على اكمال مابداه سلفه ، فاقر الجراح على ولاية ارمينية ، وامده بما يمكنه من ميانة الثغور ، ودفع الاعداء عن ديار الاسلام .^(١)

ونحن بعد ذلك نقف امام غزو آخر ، قام به الجراح الحكمى (سنة ١٠٥هـ) ، على اللان ، حتى تجاوز بلنجر ، ففتح كثيرا من المدن والحصون وراءه ، واجلى اهل بعضها ، فنمر ،^(٢) ولغم . لكن هذه المصادر لاتحدد الشهر الذى حدثت فيه هذه الغزوة ، مما يحيرنا ، اتمت هذه الغزوة فى عهد الخليفة يزيد ، ام فى زمن خليفته هشام بن عبد الملك . الا ان اخبار بعض المصادر ، عن هجوم قام به الخزر بقيادة ملكهم جابان ،^(٣)

(١) اديب السيد : ارمينية فى التاريخ العربى ، ص ٩١-٩٢ .
 (٢) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٣١ - اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، م ٣١٥/٢ - الطبرى : تاريخ الامم ، ٢١/٧ - ابن الاثير : الكامل ، ١٩٣/٤ - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٥٩/٩ .
 (٣) ابن خياط : نفس المصدر والصفحة - ابن كثير : نفس المصدر والطبعة والجزء ، ص ٢٥٧ - الذهبى : تاريخ الاسلام ، ٨٨/٤ - الذهبى : المعبر فى خبر من عبر ، ١٢٨/١ .

(سنة ١٠٥هـ) على أرمينية ، وانتصار الجراح عليهم ، في معركة حدثت في الزم بين نهري الكر والرس ، وذلك في شهر رمضان من هذا العام ، يجعلنا نقدم احتمال قيام الجراح بغزوه لبلاد اللان ، بعد هجوم الخزر على أرمينية ، أي بعد شهر رمضان (سنة ١٠٥هـ) ، أبان خلافة هشام بن عبد الملك ، حيث كانت وفاة الخليفة يزيد بن عبد الملك في شهر شعبان من سنة ١٠٥هـ ، فنرى أنه بعد ارتداد الجراح إلى شكي ، في أعقاب غزوته التي تمت (سنة ١٠٤هـ) ، قام الخزر الذين اجتمعوا لحربه ، بالهجوم على المسلمين في أرمينية ، فهزموا في الزم ، وعلى أثر هزيمتهم هناك في شهر رمضان (سنة ١٠٥هـ) ، خرج الجراح في حملة تاديبية رادعة ، وتتبع الخزر ، وأعاد فتح كثير من البلدان فيما وراء باب الأبواب وبلنجر في أواخر عام ١٠٥هـ . فتحكون بذلك غزوة الخزر للديار الإسلامية ، وغزو الجراح لبلادهم مرة ثانية ، واللذان تمتا (سنة ١٠٥هـ) قد حدثا في خلافة هشام لايزيد بن عبد الملك .

(١) لم أذكر لها على تعريف .

المبحث الثالثالفتوح فى أرض الروم

أبنا الى اى مدى وصلت اليه الفتوحات فى العصر الاموى حتى نهاية عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز ، واهم منجزات تلك الحقبة ، بما فيها حروبهم مع الدولة البيزنطية ، والفتوحات التى تحققت لهم فى اراضيها .^(١)

ولقد تمثلت الجهود العسكرية التى تمت فى عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك ، ضد الروم ، فى تحصين الثغور وشحنها ، وصيانة الحدود والدفاع منها ، والفتح برا عن طريق الموانئ والشواطىء ، وفى ماتم خلال ذلك من فتوحات فى آسيا الصغرى ، والغزو بحرا لجزر الحوض الاوسط والغربى من البحر المتوسط عن طريق افريقية ، وهذا ماسنبينه اثناء عرضنا لتلك الجهود التى سيتضح على ضوءها ان عهد الخليفة يزيد ، كان خاليا من الحملات العسكرية الكبرى ضد البيزنطيين ، وفى معاودة التفكير فى فتح القسطنطينية عاصمتهم العتيقة ، وان كانت الموانئ والشواطىء التى وجهت لآسيا الصغرى ، قد حفلت بكثير من الانتمارات وفتح كثير من المدن والمواقع الرومية ، ولعل السبب وراء عدم التفكير زمنه من محاولة فتح القسطنطينية يعود الى كون عهده لم يكن ببعيد عن آخر محاولة لفتحها ، وهى تلك المحاولة التى تمت فى خلافة سليمان بن عبد الملك . وقد كلفت الدولة الكثير من الرجال والمال . ولم يكن فى

(١) انظر ذلك قبل : التمهيد ، ص ٣٩ .

امكان الدولة ان تتحمل تكاليف الانفاق على حملة مثل تلك الحملة ، وبعد فترة قصيرة من حدوثها .^(١) والتي من المحتمل ان الدولة فى عهده كانت لاتزال مشغولة بتعويض ما استنزفته من اموال . خصوصا ان بيت مال الدولة كان مثقلا بتحمل الانفاق على الاعمال العسكرية التى زخر بها عهده ، سواء فى مجال القضاء على الفتن الداخلية ، او الفتوح الخارجية . هذا فضلا عن ان الحملات الثلاث التى وجهت الى القسطنطينية قد انتهت بثبوت استحالة قيام البحرية الاسلامية التى لاتزال وليدة ناشئة ، بفتح القسطنطينية وهى على ما هى عليه من حماية الموقع ، وقوة التحصين ، بالإضافة الى ان الدولة البيزنطية لم تكن قد دخلت بعد فترة الضعف والتدهور ، وظلت قائمة بعد ذلك فترة زمنية طويلة ، ولعل ذلك الراى الذى تقول به بعض المصادر الاسلامية من ان المسلمين اتجهوا الى محاولة فتح القسطنطينية براءء عن طريق الالتفاف اليها من جنوب^(٢) أوروبا ، وهو ما يفسر انطلاق الفتوحات الاسلامية اول القرن الثانى العجى الى أوروبا عبر جبال البركات . اما خلو عهده من الحملات الكبرى ضد الروم ، فيبدو ان وراء ذلك تغير نظام الموانئ والشواطى ، وجعلها على قسمين صائفة اليمنى^(٣)

-
- (١) عن الحملة التى وجهها سليمان بن عبد الملك لفتح القسطنطينية ، انظر : هاشم الجاسم : دراسات تاريخية عسكرية ، ص ١٣٨-١٤٠ .
ولقد كان بين المحاولة الثانية (٥٤-٦٠) زمن معاوية ، والثالثة التى تمت زمن سليمان (٩٨هـ) ثمان وثلاثون عاما تقريبا .
- (٢) انظر ما كتبناه قبل عن تفكير المسلمين فى فتح القسطنطينية من الغرب عن طريق أوروبا :
التمهيد ، ص ٤٠ .
- (٣) انظر مائطرا على ذلك التنظيم من تغير قبل : العمل الرابع ، المبحث الثانى ، ص ٣٤٩-٣٥٠ .

(١) وأخرى يسرى . واستنزاف التحرك الخزرى على الحدود الارمينية فى زمنه ، جل جهده فى الميدان الشمالى . الى جانب ماطلبه انتقاص الصفد فيما وراء النهر ، واضطراب الأحوال الداخلية من توزيع الجهد والاهتمام . وعظما على ماذكرناه فليس من الصواب فى شيء القول بتوقف الحملات الاسلامية فى عهده على المواقع البيزنطية ، او اهمال تلك الجبهة ، وانشغال الخلافة بالفتن الداخلية حتى كادت جهود الدولة ان تتوقف تماما ضد الروم ، او ماغالى فيه فتحى عثمان عندما قال :
 "فى عهد الخلفاء الامويين الاقوياء توغل العرب داخل
 كليكييا وكبادوكيا . ولكن الدولة البيزنطية فى عهد يزيد
 الثانى وخلفائه الفعاف استردت المدن التى كان قد احتلها
 المسلمون" . ولاندرى على أى شيء اعتمد فتحى عثمان فى قوله ،
 ان لا تزودنا المصادر والمراجع التى اطلعنا عليها بمعلومات

- (١) يظهر ان حدوث هذا التغيير وجعل المائفة على قسمين
 يمنى ويسرى ، قد بدا منذ زمن الخليفة عمر بن عبد
 العزيز اذ يقول ابن خياط أثناء حديثه عن المائفة فى
 عهده : "فرقها - يعنى عمر - بين الوليد بن هشام وبين
 عمرو بن قيس السكوني" . (انظر : تاريخ ابن خياط ،
 ص ٣٢٤) . ومثل هذا التقسيم لانجده عند من سبقه ، بينما
 نرى استمراريته ووضوحه عند من خلفه .
 قال ذلك نبيه عاقل فى كتابه : تاريخ خلافة بنى امية ،
 ص ٣١٨ .
 (٢) سهيل زكار : تاريخ العرب والاسلام ، ص ٢١٩ .
 (٣) فتحى عثمان : الحدود ، ص ٩٩ .
 (٤) نفس المرجع ، ص ٥ .
 (٥) كليكييا وكبادوكيا ، من مناطق الخفور البيزنطية فى
 آسيا الصغرى ، وهى مناطق كبرى تحتوى على عدد من
 المدن والحصون ، ومرت هاتين المنطقتين الشفريتين
 كغيرها من المناطق الشفوية البيزنطية فى آسيا الصغرى
 بشيء من التنظيم والتغيير عبر عصورها المختلفة .
 ولمعلومات أوفى حول ذلك ، (انظر / هاشم الجاسم :
 دراسات تاريخية عسكرية ، ص ١٤-٥٧) .

عما قال ، بل تشير الى فتوحات وانتصارات اسلامية .
 منها ما يصفه ويؤكدده وسام فرج بقوله : " اذا كانت
 القسطنطينية قد تم انقاذها بغفل الامبراطور ليو الثالث
 الايسورى فان اجزاء كثيرة من آسيا الصغرى كانت لاتزال تحت
 رحمة اغارت العرب كل عام ، ففي سنة (١٠٤هـ/٧٢٣م) استولى
 العرب على حصن كماغه وعلى بلدة ايكونيون" .^(٢)
^(١)

والغزو الوحيد للروم على الديار الاسلامية زمن يزيد بن
 عبد الملك ، ما ذكر من مهاجمة الروم الساحل المصرى ،
 ونزولهم تنيس في رمضان (سنة ١٠١هـ) في ولاية بشر بن صفوان
 الكلبي (١٠١ - ١٠٢هـ) ، حيث قتل اميرها مزاحم بن مسلمة^(٥)

-
- (١) دراسات في تاريخ وحضارة الامبراطورية البيزنطية ،
 ص ١٧٨ .
- (٢) كماغه : عند ياقوت وكى لسترنج (كمخ) : مدينة بالروم
 على الفرات الغربى في يساره ، على مسيرة يوم اسفل
 ارزنجان ، وهي قلعة عظيمة ، في اسفلها مدينة على شفا
 النهر ، ومن اعمالها كثير من القرى الخمبة ، وتلفظ
 عند الروم كماغ ، او كمخا . (انظر : معجم البلدان ،
 ٤/٤٧٩ ، وبلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٥١) .
- (٣) ايكونيون او ايكونيوم : هي مدينة قونية ، وقد عرفت
 بهذا الاسم بعد فتح السلاجقة لها ، واتخاذها عاصمة لهم
 (كى لسترنج : نفس المرجع ، ص ١٧٢-١٨١) .
- (٤) تنيس : جزيرة في بحر مصر وبلدة من اجل بلدان مصر ،
 سميت نسبة الى تنيس بن حام بن نوح ، تقع على مقربة
 من البر بين الفرما ودمياط ، وهي جزيرة في وسط بحيرة
 يغفلها شريط برى عن البحر المتوسط ، تحتل بحيرتها
 بالبحر عن طريق قوهتين . (ياقوت : معجم ، ٥١/٢ - ٥٤ -
 المقرئى : خطط ، ١/١٧٦-١٨٢ . وقد اشار للحملة عليها
 زمن يزيد بايجاز) .
- (٥) بشر بن صفوان الكلبي : امير المغرب ، واحد الشجعان
 ذوى الراى والحزم ، ولى مصر ليزيد بن عبد الملك (سنة
 ١٠١هـ) ، ثم وجهه الى اماره افريقية (سنة ١٠٢هـ) ،
 فخرج اليها ، واقام في القيروان وغزا صقلية وغيرها ،
 ومات بالقيروان (سنة ١٠٩هـ) . (الزركلى : الاعلام ،
 ٥٤/٢) .

(١) المرادى فى جماعة من الموالى . ويفيد الخبر الى اشتراك القبط مع المسلمين فى الدفاع عن بلدهم ، كما يفيد ان تلك الحملة وان حققت بعض النجاح الا انها لم تكن الا مجرد غارة خاطفة ، ونوعا من اعمال القرصنة ، او ردة فعل لهجمات المسلمين الدائمة على ثغور بيزنطة البرية والبحرية . فالواقع ان مصر بعد فتح المسلمين الاسكندرية للمرة الثانية (سنة ٢٥هـ) ، استمرت بمحنة دائمة تحت الحكم الاسلامى . لكن الروم لم يسلموا بغياع مصر ، فحاولوا استعادتها ، وكانت معركة ذات الصواري (٣٤هـ) ، المحاولة الاولى والاكبر لتحقيق ذلك ، لكنها باءت بالفشل ، ومعهم ان نعرف ان من نتائجها ، انها كانت حدا فاصلا فى سياسة الروم تجاه المسلمين ، وافاقت الامبراطورية البيزنطية على حقيقة ان اى حملات برية او بحرية لاسترداد مصر او الشام ، يعتبر مجهود فائع ومحاولات فاش او انها (٦)

ومع ذلك لم تنقطع الفزوات البحرية الرومية على سواحل مصر والشام ، لكن الطابع الغالب على تلك الهجمات ، طابع القرصنة ورد فعل على الفارات الاسلامية الموجهة الى الممالك

-
- (١) اورد الكندى اسمه : "ابن احمر بن مسلمة المرادى" . (انظر : كتاب الولاة ، ص ٧٠) .
 (٢) الموالى : يقصد بهم اهل البلد من القبط .
 (٣) سيده اسماعيل كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، ص ٧٧ - عليه عبد السميع الجنزورى : هجمات الروم البحرية على شواطئ مصر الاسلامية فى العصور الوسطى ، الناشر مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ص ٤٩ - ٥٠ .
 (٤) عليه عبد السميع الجنزورى : نفس المرجع ، ص ٢٦ .
 (٥) عن معركة ذات الصواري ، انظر : عليه الجنزورى : نفس المرجع ، ص ٢٧ - ٤٤ - عمر العقيلي : خلافة معاوية بن ابي سفيان ، ص ١٠٢ - ١٠٦ .
 (٦) عليه الجنزورى : نفس المرجع ، ص ٢٤ .

(١) الرومية . وماكانت الغارة على تنيس زمن يزيد الا واحدة منها . والراجع ان هذه الحملة ، والحملة التي سبقتها على اللاذقية سنة ١٠٠هـ أيام عمر بن عبد العزيز ، كانت رد فعل لغزو المسلمين القسطنطينية زمن سليمان بن عبد الملك .^(٢)

اهتمامه بالثغور :

كان عمر بن عبد العزيز قد أمر ببناء اللاذقية التي هدمها الروم ابان اغارتهم عليها (سنة ١٠٠هـ) ، لكنه توفي قبل أن يتم ذلك ، فاتم بناءها وشحنها الخليفة يزيد بن عبد الملك^(٣) . وان كان البلاذري يؤكد اتمام عمر لها ، وان جهد الخليفة يزيد ، اقتصر على ترميمها وزيادة في شحنها . وليس من المنطق ترميم ماتم انشاؤه حديثا ، والاولى ان الخليفة يزيد اتم ماشرع عمر فيه من بناء اللاذقية وشحنها . ولانعشر للخليفة يزيد في مجال التحمين على عمل آخر ، مما يبين انه قد اقتصر على اصلاح ما تهدم ، ولعل الموقف في الجبهة وكون المسلمين في دور المهاجم ، وخلق فترته من تحرك بيزنطى على الثغور البرية ، هو ما صرفه عن ذلك . الا اننا نجد له جهدا آخر في ميدان الثغور ، وهو تأمين دروب الفاتحين ، فقد كان

-
- (١) علية الجنزوري : هجمات الروم البحرية على شواطئ مصر الإسلامية ، ص ٤٤ .
 (٢) أشارت علية الجنزوي الى مثل هذا القول ، (انظر : نفس المرجع ، هامش ١٤ ، ص ٤٩-٥٠) .
 (٣) فتحى عثمان : الحدود ، ص ٩٧ - وان كان هاشم اسماعيل الجاسم يقول : ان يزيد هو الذى أعاد بناءها . (انظر كتابه : دراسات تاريخية عسكرية ، ص ٩٨ . نقلا عن : شعيرة : المرابطون في الثغور البرية الرومية ، بحث في كتاب : الى طه حسين في عيد ميلاده السبعين) .
 (٤) فتوح البلدان ، ص ١٣٩ .

(١) (٢)
 الطريق بين انطاكية والمصيصة مسبعة ، يعترض الناس فيها
 الاسد ، فلما صادر الخليفة يزيد بن عبد الملك اموال بني
 المهلب بعد القضاء على يزيد بن المهلب الذي خلع الخليفة
 وخرج على سلطان الدولة ، كان مما اصابه ضمنها ، اربعة آلاف
 جاموسة كانت بكور دجلة وكسكر . فامر الخليفة يزيد بنقلها
 الى المصيصة مع زطها . (٣) (٤)

الحملات البرية ضد الروم :

سنعرض الآن لما تحقق من فتوحات اسلامية زمن الخليفة
 يزيد بن عبد الملك في الاراضي الرومية ، عن طريق الغزو برا
 بقيادة امراء الموائق والشواتي .
 ففي (سنة ١٠٢هـ) غزا عمر بن هبيرة الروم من ناحية
 ارمينية ، فانتصر عليهم ، واسر منهم سبعمئة اسير ، وكان

-
- (١) المصيصة : مدينة تقع على نهر جيحان (نهر بيرامس) ،
 فتحها عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، وبني حصنها
 واسكنها بعض الجند من ذوى البأس والنخوة ، وبني بها
 مسجدا ، ثم عمرها ابو جعفر المنصور ، واسماها
 المعمورة . (كى لسترنج : بلدان ، ص ١٦٢-١٦٣) . وأضاف
 ياقوت : انها من كفور الشام بين انطاكية وبلاد الروم
 بالقرب من طرسوس . (انظر : معجم البلدان ، ١٤٤/٥-١٤٥)
 (٢) مسبعة : أى تكثر فيها السباع .
 (٣) الزط : جيل اسود من السند ، اليه تنسب الثياب الزطية
 وقيل : الزط امراة جت بالهندية ، وقيل جيل من أهل
 الهند ، وقيل : الزط السباجة قوم بالبصرة . يقول
 الشاعر :

فجئنا بحى واثل وبلغها
 وجاءت تميم زطها والاساور
 انظر : اللسان (زطط) .
 (٤) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ١٧٢ .

(١)
 آنذاك اميرا على الجزيرة ، قبل أن يلى العراق . ويبدو أن
 هذه الغزوة تمثل الماثفة اليمنى ، ان نجد غزوة اخرى قامت
 فى نفس العام بقيادة الوليد بن هشام ، الى ارض الروم ،
 فنزل على المخاضة عند انطاكية . ويظهر ان هذه الحملة تمثل
 الماثفة اليسرى عن طريق الثغور الشامية . لكن المصدر
 الوحيد الذى اشار اليها لم يقدم لنا معلومات عن نتائجها .
 وتشير بعض المصادر الى حملة اخرى قام بها العباس بن
 الوليد على ارض الروم ، سنة ١٠٢هـ ، ايضا ، فافتتح مدينة
 "دبسة" . الا أن فتحى عثمان ينقل لنا ترجيح الدكتور شعيرة
 ان هذه الحملة كانت سنة ١٠٣هـ/٧٢١م بحجة أن العباس كان
 مشاركا فى اخراج فتنة ابن المهلب . الا أن القضاء على ابن
 المهلب كان فى صفر (سنة ١٠٢هـ) ، وتشير بعض الروايات الى
 وجود العباس بن الوليد فى حلب فى اعقاب ذلك ، فلا يستبعد أن
 (٨)

-
- (١) الطبرى : تاريخ الامم ، ٦١٦/٦ - اليعقوبى : تاريخ
 اليعقوبى ، ٣١٤/٢ - ابن الاثير : الكامل ، ١٨٢/٤ (قال
 وأسر منهم خلقا كثيرا وقتل سبعمائة أسير) . ويبدو
 أنه خطأ فى النقل ، فالطبرى قال : وأسر منهم بشرا
 كثيرا قيل سبعمائة فقلت القيل قتل . مجهول : العيون
 ص ٧٥ - فتحى عثمان : الحدود ، ص ٩٩-١٠٠ .
 (٢) الوليد بن هشام بن معاوية بن هشام بن عقبة بن أبى
 معيط الاموى ، كان عامل عمر بن عبد العزيز على قنشرين
 وعاش الى دولة مروان بن محمد . (ابن حجر : تهذيب ،
 ١٣٧/١١) .
 (٣) لم أذكر على تعريف للمخاضة ، وانطاكية : مدينة على
 نهر اورنطس ، وهى قصبة الثغور الشامية ، بينها وبين
 حلب يوم وليلة . (ياقوت : معجم ، ٢٦٦/١-٢٧٠) .
 (٤) اليعقوبى : نفس المصدر والجزء والصفحة .
 (٥) لم أذكر لها على تعريف .
 (٦) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٧ - ابن الاثير :
 نفس المصدر والجزء والصفحة (وأورد اسم المدينة
 "دلسه") .
 (٧) نفس المرجع والصفحات .
 (٨) انظر : الطبرى : نفس المصدر والجزء ، ص ٦٠٢ - ابن
 الاثير : نفس المصدر والجزء ، ص ١٧٥ .

يكون قد خرج غازيا الى ارض الروم فى اواخر ذلك العام خصوصا ان المصادر التى اشارت الى غزوته سنة ١٠٢هـ ، اشارت ايضا الى غزوة اخرى له سنة ١٠٣هـ . اما هدف الحملة (١) فيرجح انه لاريسا ، ويقال سيزا .

واستمر انفاذ الصوائف ، فكان على الماشقة الكبرى (٣)(٤) (سنة ١٠٣هـ) ، محمد بن مروان ، وعلى الصفرى عثمان بن حيان ، ولايفيف المصدر شيئا عن تلك الماشقتين ، من حيث الوجهة والنتيجة . ويبدو ان المقصود بالماشقة الكبرى ، الماشقة اليمنى ، وهى التى تخرج من الجزيرة ، والماشقة الصفرى اى اليسرى ، وهى التى تخرج من الشفور الشامية ، حيث ان محمد ابن مروان كان اميرا على الجزيرة ، وفى وصف اليمنى بالكبرى اشارة الى ما اكتسبته الجبهة الارمينية من اهمية

-
- (١) فتحى عثمان : الحدود ، ص ٩٩-١٠٠ . ويخلص ان خلو المعاجم من تعريفات لكثير من المواقع فى آسيا الصفرى يعود الى ايراد المصادر القديمة لاسماء تلك المدن والمواقع بصورتها المعربة ، بينما انحلت اليها معظم هذه الاسماء بعد الفتح التركى على غير هذه الصورة ، الى جانب قلة معرفة المصنفين العرب القدماء بجغرافية آسيا الصفرى ، ومخالفة كثير مما ذكروه للواقع . (انظر هذا القول عند / كى لسترنج : بلدان ، ص ١٦٨) .
- (٢) قال : محمد بن مروان ، والامح ابنه مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الاموى ، اذ كانت وفاة محمد بن مروان سنة ١٠١هـ . (انظر : الزركلى : الاعلام ، ٩٥/٧) . اما مروان بن محمد ، فهو آخر خلفاء بنى امية ، ولد بالجزيرة وتولى امارتها مع اذربيجان وارمينية ، فغزا وفتح ، استولى على الخلافة سنة ١٢٧هـ ، وسقطت الدولة الاموية فى زمنه على يد العباسيين (سنة ١٣٢هـ) ، وقتل فى بومير بمصر . (الزركلى : نفس المرجع والمجلد ، ص ٢٠٨) .
- (٣) عثمان بن حيان بن معبد المرى ، وال من الغزاة ، دمشق ، استعمله الوليد بن عبد الملك على المدينة ، وعزله سليمان ، تولى الماشقة (سنة ١٠٣هـ) ، وغزا قيصرية (سنة ١٠٤هـ) . ثقة عند اهل الحديث . (الزركلى : نفس المرجع ، ٢٠٥/٤) .
- (٤) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٨ .

فى خلافة يزيد بن عبد الملك ، على اثر التحرك الخزرى ومحاولة الروم استغلال ذلك .

كما غزا العباس بن الوليد فى سنة ١٠٣هـ ايضا ، ارض الروم ، وابن خياط واليعقوبى لم يحددوا وجهة الغزوة ، او مانتج عنها ، وان كان اليعقوبى قد اشار الى اصابة الناس فى السرايا ، وفى ذلك قرينة على فشلها . الا ان هناك من يذكر ان هدفه كان مدينة رسة ، وانه تمكن من فتحها .^(١) ويتضح ان هؤلاء المؤرخين خلطوا بين حملته على ديبه او رسله (سنة ١٠٢هـ) والحملة التى قام بها سنة ١٠٣هـ ، والتى لم يحدد هدفها .

ومن المرجح ان غزوة العباس كانت الشاتية ، لخروج الصائفة تحت امرة محمد بن مروان وعثمان بن حيان . مما يدل على ان الخليفة يزيد قد عكف على اخراج اكثر من حملة فى العام الواحد وفى نفس الاتجاه ، ليشغل عدوه بالدفاع عن نفسه ، وليبقى زمام المبادرة بيد المسلمين، ويمنع الروم من الاستفادة من تحرك الخزر او التحالف معهم ضد المسلمين ، وكان قد اعطاهم كثيرا من اهتمامه كما رأينا اثناء عرشنا لفتوحه فى ارمينية .

اما (سنة ١٠٤هـ) فقد تمكن عبد الرحمن بن سليم الكلبي قائد الصائفة اليمنى ، وعثمان بن حيان امير الصائفة اليسرى من فتح مدينة "مسرة"^{(٣)(٤)} . ويتضح من هذه الحملة ،

(١) تاريخ ابن خياط ، ص ٢٢٨ - تاريخ اليعقوبى ، ٢/٣١٤ .
(٢) الطبرى : تاريخ الامم ، ٦/٦١٩ - ابن الاثير : الكامل ، ٤/١٨٤ - ابن خلدون : العبر ، ٣/١٢٣ .
(٣) لم اعثر لها على تعريف .
(٤) ابن خياط : نفس المصدر ، ص ٣٣٠ - اليعقوبى : نفس المصدر ٢/٣١٥ (أورد اسم الكلبي ، عبد الرحمن بن سليمان) .

التنسيق القائم بين المائتين ، واجتماعهما على هدف واحد ،
 اذا مادت الحاجة . لذا فمن الغالب على الظن ان هذه
 المدينة كانت من الحصانة والمنعة بمكان ، مما دفع
 القائدين على تعاونهما على فتحها . ويتضح ان عثمان بن
 حيان بعد ان فرغ من فتح سررة اتجه بجندة الى مدينة قيصرية^(١)
 وهي حصن من حصون الروم ، فتمكن من فتحها في نفس العام .^(٢)
 وفي (سنة ١٠٥هـ) ، آخر خلافة يزيد بن عبد الملك ،
 قامت ثلاث حملات ، وفتحت مدينتي قونية ، وكمح . فقد غزا
 مروان بن محمد على المائنة اليمنى ، وافتتح مدينة قونية^(٣)
 من ارض الروم ، وكمح . وحيث ان المسافة بين المدينتين
 بعيدة ، كما انهما ليسا في اتجاه واحد ، فكمح في الشمال
 بالنسبة للجزيرة ، وقونية في الغرب منها ، في قلب آسيا
 الصغرى الى الجنوب منه ، على الطريق الى عمورية . مما
 يجعلنا نشك في قيامه بفتحها في حملة واحدة ، فقد يكون خرج
 من الجزيرة الى كل منهما على حدة في نفس العام . او ان^(٤)
 نأخذ بما أورده المؤرخ الاقدم وهو ابن خياط ، الذي اشار^(٥)
 الى الغزوة ، لكنه ذكر فتح مروان لمدينة واحدة من ارض
 الروم ، لم يسمها ، وقال : ناحية عنج .

-
- (١) هي المعروفة بقيصرية . (انظر هامش ٤ ، ص ٣٣٠ من تاريخ ابن خياط) . وهي من مدن الروم في آسيا الصغرى . (كس مستخرج : بلدان ، ص ١٦٨) . وتسمى قيسارية ايضا ، وهي مدينة عظيمة كبيرة ، كانت كرسى ملوك بني سلجوق . (ياقوت : معجم ، ٤/٤٢١) .
- (٢) ابن خياط : نفس المصدر ، ص ٣٣٠ - الزركلي : الاعلام ، ٢٠٥/٤ .
- (٣) ابن الاثير : الكامل ، ٤/١٩٣ .
- (٤) نفس المصدر ، ص ٣٣١ - ووافق ابن خياط في اقتراح مروان لمدينة واحدة ، ابن خلدون في كتابه : العبر ، ٣/١٣٣ . لم يسمها ، وقال : قريبة من ارض الزوكنج . وهذه لم نعثر لها على تعريف .
- (٥) عنج : لم نعثر لها على تعريف .

وحيث اننا لم نعثر على تعريف لعنج ، فقد يكون يعنى كمخ
مما يعنى ان فتح قونية تم فى غزوة اخرى سابقة لها او لاحقة
من نفس العام (اى ١٠٥هـ) .

(١)
وقد اوردنا لوسام عبد العزيز فرج خبرا يشير فيه الى
فتح كمخ او كماخ سنة ١٠٤هـ ، لا ١٠٥هـ ، مما يزيل الشك ان
صحت روايته ، مع انه ليس من المستبعد ان يكون المسلمون قد
فتحوها سنة ١٠٤هـ ، ثم عادوا لفتحها فى السنة التالية ،
لمودة الروم اليها بعد فتحها الاول .

كما لحزا عثمان بن حيان المرى ، بلاد الروم ، سنة
١٠٥هـ ، ايها . لكن المصادر التى اشارت الى هذه الغزوة لم
تبين هدفها ، وماحققت من نتائج . وان كنا نرى انها
المائة اليسرى ، وذلك عطفًا على ما علمناه من امرته على
تلك المائة فى السنتين السابقتين .

(٢)
وتشير مجموعة من المصادر الى غزوة قام بها سعيد بن
عبد الملك على ارض الروم ، فى العام نفسه ، فبعث سرية من
الف مقاتل ، فاصيبوا جميعا ، وينفرد اليعقوبى ، الذى لم
يذكر شان السرية واصابتها ، بتحويل القائد سعيد بن

-
- (١) انظر قوله قبل : ص ٣٧١ .
(٢) الذهبي : المعبر فى خبر من غير ، ١٢٨/١ - الذهبي :
تاريخ الاسلام ، ١٤٩/٤ (لكنه حذف نسبة من المرى الى
المزنى) - ابن العماد : شذرات ، ١٢٨/١ (وورد نسبة
مصحفا كما فى تاريخ الاسلام ، والاصح المرى) .
(٣) الطبرى : تاريخ الأمم ، ٢١/٧ - ابن الاثير : الكامل ،
١٩٣/٤ - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٥٩/٩ - ابن
خلدون : العبر ، ١٣٣/٣ .
(٤) سعيد بن عبد الملك بن مروان : امير أموى ، كان حسن
السيرة متعبدا ، كان يقال له سعيد الخير ، ولى الغزو
لعشام بن عبد الملك ، وتولى فلسطين للوليد ، وكان
عاملا للموصل ، وقد قتل يوم نهر ابي فطرس سنة ١٣٢هـ .
(الزركلى : الاعلام ، ٩٨/٣) .
(٥) تاريخ اليعقوبى ، ٣١٥/٢ .

عبد الملك لاتجاهه من أرض الروم الى ناحية الترك ، حتى بلغ قصر قطن^(١) . ويبدو ان غزوة سعيد بن عبد الملك كانت الشاتية فقد سبقه الى الغزو مروان بن محمد وعثمان بن حيان ومعروف ان الاول على المائفة اليمنى ، والثانى على اليسرى . مما يدفعنا الى ترجيح كونه خرج بالشاتية من الثغور الشامية . ويتضح انه قد سار حتى نزل بأحد الثغور الشامية ، فبعث سرية الى اتجاه لم تحدد له المصادر ، فاصيبوا ، فحول اتجاهه الى ناحية الترك . مما يدفعنا الى الشك ان اسباب تلك الهزيمة وما حدث لتلك السرية ، قد حمل بفعل برودة الشتاء ، او تدخل الترك وتعاونهم مع الروم مما جعل سعيد ابن عبد الملك ، يتتبعهم فى بلادهم ، وان كنا لانعلم ماذا فعل فى غزاته هناك . وان كان لنا ان نشير ان هذه الغزوات التى تمت (سنة ١٠٥هـ) لم تحدد المصادر الشهر الذى خرجت فيه مما يجعل من المتعذر التاكيد على حدوثها زمن الخليفة يزيد ابن عبد الملك المتوفى فى شعبان سنة ١٠٥هـ ، او زمن خلفه هشام بن عبد الملك .

(٢)

وقد اورد ابن خياط ان عبد الرحمن بن سليم الكلبى ، كان على المائفة حتى مات يزيد بن عبد الملك . وفى سوء معرفتنا بتولى عدد من القادة ومنهم عبد الرحمن بن سليم ، الخروج على رأس حملات الموائف والشواتى فى عهد الخليفة يزيد ، فاننا نرى انه كان امير المائفة

(١) قصر قطن : لم اجد له تعريفا .

(٢) تاريخ ابن خياط ، ص ٣٣٥ .

المام . أو أمير الثغور الشمالية الذي يشرف على انقاذ
الموائف والشواتي ، ويقود بعضها بنفسه .

الجهاد في البحر الأبيض المتوسط

زمن الخليفة يزيد بن عبد الملك :

اعتمد المسلمون في افريقية في غزواتهم البحرية للجزر
البيزنطية في وسط وغرب البحر المتوسط ، قبل انشاء دار
لمناعة السفن في تونس - على بن حسان بن النعمان ٧٤ - ٨٥هـ
على الاسطول المصري ، الذي كان يقوم بغزو تلك الجزر
(١) والعودة الى قواعده في مصر .

(٢) وبعد أن أصبح لافريقية اسطولها الخاص ، اتجه المسلمون
الى اتخاذ سياسة بحرية من اهدافها السيطرة على جزر البحر
المتوسط الغربي وعلى راسها صقلية ، واتخاذها قواعد بحرية
امامية تحمي السواحل الافريقية من هجمات الروم ، وتنطلق
(٣) منها الغزوات المنتظمة على الاندلس وغالة .

وقد تابع ولاية افريقية من قبل الخليفة يزيد بن عبد
الملك ، جهود من سبقهم من الأمراء بعد موسى بن نعيم - الذي
وجه اول غزوة للاسطول الافريقي سنة ٨٥هـ - في غزو الجزر
البيزنطية في وسط وغرب البحر المتوسط . فقد قام يزيد بن

-
- (١) أحمد مختار العبادي ، والسيد عبد العزيز سالم :
تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط ،
الناشر مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، ٢٨/٢ - ٣٤ .
(٢) عن بناء دار مناعة السفن في تونس ، ونشأة الاسطول
الإسلامي الإفريقي ، (انظر : أحمد العبادي والسيد عبد
العزيز سالم : نفس المرجع والجزء والمفحات) .
(٣) أحمد العبادي والسيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع
والجزء ، ص ٣٥ .

(١)
أبى مسلم ، أمير إفريقية (١٠١ - ١٠٢هـ) بغزو جزيرة صقلية
(٢)
(سنة ١٠١هـ/٧١٩م) .

كما وجه من قبله (سنة ١٠٢هـ) القائد محمد بن أوس
(٣)
الأنصاري ، فى غزوة بحرية الى صقلية أيضا ، فعادت الحملة
(٤)
سالمة غائمة . وكان محمد بن أوس أمير بحر تونس تلك السنة
وقد مات يزيد بن أبى مسلم عامل الخليفة يزيد على إفريقية
آنذاك ، وابن أوس غازيا فى البحر الغزوة المذكورة آنفا ،
ولم تكن إمارة ابن أوس للبحر سنة ١٠٢هـ ، وقيادته هذه

(١) يزيد بن دينار الثقفى ، بالولاء ، وال من الدهاة فى
العصر الأموى ، جعله الحجاج كاتباً له ، واستخلفه على
الخراج عند وفاته ، لما ظهر من مزاياء ، فآقره
الوليد ، فعزله سليمان ، وطلبه فأعجبه ، واستبقاه
عنده ، ثم تولى إمارة إفريقية (سنة ١٠١هـ) من قبل
الخليفة يزيد بن عبد الملك ، فقتله أهلها سنة ١٠٢هـ
(الزركلى : الأعلام ، ١٨٢/٨) .

(٢) محمود اسماعيل عبد الرزاق : الخوارج فى بلاد المغرب ،
حتى منتصف القرن الرابع الهجرى ، رسالة دكتوراه ،
مطبوعة ، نشر وتوزيع دار الثقافة ، الدار البيضاء ،
الطبعة الاولى ، ١٩٧٦م ، ص ٣٣ .

(٣) محمد بن أوس بن ثابت الأنصاري : من التابعين أهل
الفلس والدين والفقه ، يروى عن أبى هريرة ، قيل ولى
إفريقية (سنة ٧٣هـ) ، وقيل بل دخلها (سنة ٩٣هـ) .
وغزا المغرب والأندلس مع موسى بن نصير ، وهو ممن دخل
الأندلس للجهاد والرباط ، وكان على بحر تونس (سنة
١٠٢هـ) . وقد وافته المنية فى نفس السنة . (انظر :
الضبى : بغية الملتصق فى تاريخ رجال الأندلس ،
علمائها وأمرائها وشعرائها ، وذوى النباهة فيها ممن
دخل اليها وخرج عنها ، طبع بمطابع روكس ، مدينة
مجرىط ، ١٨٨٤م ، ص ٥١ - المراكشى : المعجب فى تلخيص
أخبار المغرب ، تقديم ممدوح حقى ، دار الكتاب ،
الدار البيضاء ، ص ٢٦ - الدباغ : معالم الايمان فى
معرفة أهل القيروان ، تصحيح وتعليق إبراهيم شبوح ،
مكتبة الخانجى ، مصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٨م ،
١٩٦/١ - ١٩٧ .

(٤) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٦ - فوزية محمد عبد
الحميد نوح : البحرية الاسلامية فى بلاد المغرب فى عهد
الأنغالبة (١٨٤-٢٩٦) ، رسالة ماجستير ، لم تطبع ،
مقدمة لقسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ،
كلية الشريعة ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٤-١٤٠٥هـ ، ص ٤٨

الحملة هي الاولى ، فقد ولى بحر افريقية قبل ذلك (سنة (١)

٩٣هـ) ، وشارك فى غزو المغرب والاندلس مع موسى بن نصير .

وان كنا لم نعلم بنتيجة الحملة الاولى التى قادها

يزيد بن ابي مسلم بنفسه ، فان خروج الحملة الثانية

ونجاحها يدل على نجاح الاولى ، اما تركيز امير افريقية على

جزيرة مقلية فيعود لاهميتها بالنسبة للروم ، وهى محاولات

منه لضرب تلك القاعدة البيزنطية العامة ، وتهديدا للاعداء

واشغالهم عن مهاجمة الساحل الافريقى .

(٢)

وفى سنة (١٠٢هـ/٧٢٠م) ، اشترك محمد بن يزيد القرشى،

(٣)

فى غزوة اخرى لمقلية .

والقول باشتراكه فى غزوة اخرى ، يعنى انه كان فى

الاولى . والذى كان قائدا للاولى من قبل ابن ابي مسلم هو

محمد بن اوس ، لذا فان الأرجح لدينا ، ان محمد بن اوس هو

(٤)

الذى خرج مرة ثانية ، لغزو مقلية لامحمد بن يزيد ، ان يروى

ان محمد بن يزيد كان فى سجن يزيد بن ابي مسلم عندما قتل .

(١) احمد العبادى والسيد عبد العزيز سالم : تاريخ البحرية الاسلامية ، ٣٠٠،٣٦/٢ .

(٢) محمد بن يزيد القرشى ، بالولاء ، امير افريقيا من قبل سليمان بن عبد الملك ، عزله عمر ، وقيل تولاه بعد مقتل يزيد بن ابي مسلم سنة ١٠٢هـ ، اعاده اليها اهلها ، واقهره الخليفة يزيد بن عبد الملك ، وكان عندهم وقيل : كان غازيا بمقلية وقدم . ثم عزل ببشر بن صفوان ، ثم بعد سنة ١٠١هـ . (الزركلى : الاعلام ، ١٤٣/٧)

(٣) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير (العصر الاسلامى) ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦م ، ٢٩٥/٢ (نقلا عن ابن الاثير : الكامل ، ١٨٢/٤ - السلاوى الاستقراء ، ص ١٠٣) - فوزية نوح : البحرية الاسلامية ، ص ٣٨ (نقلا عن : السيد عبد العزيز سالم واحمد العبادى

(٤) تاريخ البحرية الاسلامية فى المغرب والاندلس ، ص ٣٨) . انظر تلك الرواية عند / ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٦ - ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٢٤٣ - السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع والجزء ، ص ٢٩٤ .

وان محمد بن اوس كان غازيا لمقلية ، فلما عاد ولى امرة افريقية بعد ابن ابي مسلم ^(١) ، وان كانت الروايات قد اضطربت حول ذلك ، فمنها من قال ان الغازي الذي تولى بعد ابن ابي مسلم هو محمد بن اوس واخرى تقول محمد بن يزيد ، وشالطة تقول : اسماعيل بن عبد الله ^(٢) ، والاول الأرجح ، لورود الخبر بسجن محمد بن يزيد ، وكون محمد بن اوس هو امير البحر آنذاك ^(٣) .

اما ولاية بشر بن صفوان على افريقية (١٠٢ - ١٠٩هـ) فقد كانت حافلة بالغزوات البحرية ، على جزر سردانية وكورسيكا ومقلية ، وربما يعود ذلك لوصول قائد الاسطول الاسلامي في افريقية ، محمد بن اوس الانماري ، الى منصب ولاية افريقية ، عندما اختاره اهل الحل والعقد هناك عقب مقتل ابن ابي مسلم اميرا عليهم (سنة ١٠٢هـ) قبل ان يوليها الخليفة يزيد بن عبد الملك بشر بن صفوان . وولايته هذه تعتبر علامة مميزة في تاريخ البحرية الاسلامية الناشئة في افريقية ، اذ وصلت تحت امرته لها مع مطلع القرن الثاني الهجري ، الى مرحلة الفتوة ، وذلك بعد استيلاء المسلمين على السواحل البحرية الشرقية في اسبانية ، وكانت غزواته سنوية تقريبا ، الح بها على قواعد الروم القريبة ، لارهابهم ، واشغالهم عن مهاجمة سواحل المغرب ^(٤) .

-
- (١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ٤٨/١ - ٤٩ - حسين مؤنس : فجر الاندلس ، ص ١٥٩ .
 (٢) انظر مناقشتنا لذلك بعد : الفصل الخامس ، ص ٥١٦-٥١٩ .
 (٣) الفبي : بغية الملتصم ، ص ٥١ - الدبباغ : معالم الايمان ، ١٨٩/١ .
 (٤) فوزية نوح : البحرية الاسلامية ، ص ٤٨-٤٩ .

ومن غزواته في خلافة يزيد بن عبد الملك ، الحملة التي
وجهها بقيادة يزيد بن مسروق اليمصبي الى جزيرة سردانية ،
وذلك في المحرم من (سنة ١٠٣هـ) ، فكان نصيبها النجاح ،
حيث غنم المسلمون وسلموا .
كما وجه (سنة ١٠٤هـ) القائد عمرو بن فاتك الكلبي
لغزو البحر ، فغنم وسلم . وتقول فوزية نوح : ان هذه
الحملة لانصرى وجهتها ، وربما يكون الاسطول قد غزا فيهما
سردانية وكورسيكا ، هذا اذا لم يكن قد عرج كذلك في طريقه
على صقلية .

-
- (١) يزيد بن مسروق اليمصبي : لم أعتثر له على ترجمة .
(٢) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٨ - فوزية نوح :
البحرية الاسلامية ، ص ٤٩ .
(٣) لم أعتثر على ترجمته .
(٤) فوزية نوح : نفس المرجع والمفحة - ابن خياط : نفس
المرجع ، ص ٣٣٠ .
(٥) نفس المرجع والمفحة .

المبحث الرابع

الفتوح فى بلاد الغال

- (١) تكررت فتوحات المسلمين فى بلاد الغال ، منذ اجتاز
موسى بن نصير جبال البركات ، لأول مرة . (٢) (٣)

(١) بلاد الغال (الأرض الكبيرة ، غالة ، فرنسا) : تعنى عند العرب الأرض الواقعة بين جبال البركات (البرنية) ، وبين جبال الالب والأوقيانوس ، ونهر البيا ومملكة الروم وهذا المفهوم ينطبق على فرنسا أيام شارلمان . وأمامها تحدث بعدة لغات . (شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ٥١-٥٠) .

ويقول السيد عبد العزيز سالم : أن بلاد الغال انقسمت بعد سقوط الدولة الرومانية الى عدة ولايات منها : سبتمانيا ، وأكيتانيا ، وبروفانس ، وبرغنديا والدولة الميروفنجية شمال نهر اللوار . (انظر : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، ص ١٣٧) . وكان الحكم فيها للدولة الميروفنجية ، فلما ضعفت سيطر فرنج الجنوب على ملك أكيتانية ، وسبتمانية ، ودوقها "أود" وبقي بيدي القوط الغربيين قسم من مقاطعة لانغدوق وبروفانس . (شكيب أرسلان : نفس المرجع ، ص ٦٩، ٣٣) .

(٢) يقول محمد عبد الله عنان : أن بعض الكتاب يسمى جبال البرنيه خطأ بجبال البرانس ، حيث أن جبال البرنيه تسمى فى الجغرافيا العربية بجبال البرت أو البركات ، تحريفا عن الإسبانية (Puerta) ، ومعناها الباب ، وسميت هذه الجبال بهذا الاسم لأنها تحتوى على خمسة أبواب أو ممرات للمعبر . أما جبال البرانس فهي سلسلة أخرى من الجبال الإسبانية تقع شرقى ماردة وجنوبى طليطلة ، وسميت بذلك نسبة لقبيلة البرانس البربرية التى نزلت فى الأندلس على مقربة من هذه الجبال ، وتعرف فى الجغرافيا الحديثة بجبال المعدن ، لوقوعها بالقرب من مدينة المعدن . (انظر : دولة الإسلام ، هامش (١) ، ص ٨٢ ، وهامش (١) ، ص ٥٣) - وانظر ما أورده عبد الرحمن على الحجى ، حول التعريف بها ، وأسماء الممرات التى تخترقها ، فى كتابه : التاريخ الأندلسى من الفتح الإسلامى حتى سقوط غرناطة (٩٢-٨٩٧هـ/٧١١-١٤٩٢م) ، دار القلم ، دمشق ، بيروت ، دار القلم ، الكويت ، الرياض ، ساعدت جامعة بغداد على نشره ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م ، ص ٩٦-٩٨ .

(٣) انظر اشارتنا الى ما ذكر حول اجتياز موسى بن نصير الى بلاد الغال فاتحا ، وأهدافه ، قبل : الحميد ، ص ٤٠ .

وقد شهد عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك ، حملة من أهم الحملات التي قام بها المسلمون لفتح بلاد الغال عن طريق الأندلس ، وهي الغزوة التي قادها السمع بن مالك الخولاني (١٠١ - ١٠٢هـ) ، الى تلك الاضلاع .

كما تم الإعداد في عهده لحملة لاتقل أهمية عن سابقتها وهي التي قادها عنبة بن سحيم الكلبي ، الى تلك الاقطار ولنفس الغرض .

(١) فتوحات السمع بن مالك الخولاني في بلاد الغال :

من المتفق عليه ان ولاية السمع بن مالك (رمضان ١٠٠هـ - ذي الحجة ١٠٢هـ) ، قد جاءت من قبل الخليفة عمر بن عبد العزيز ، واستمرت باقرار الخليفة يزيد بن عبد الملك ، منذ توليه في رجب (سنة ١٠١هـ) ، حتى استشهاده السمع بن مالك في (١) (ذي الحجة ١٠٢هـ) .

غير ان المختلف عليه والمشوب بالغموض هو تاريخ خروج السمع بن مالك بحملته وهل كان ذلك في خلافة عمر بن عبد العزيز ، ام كان في زمن خليفته يزيد بن عبد الملك . اذ لم تمدنا المصادر والمراجع التي تمكنا من الاطلاع عليها بتاريخ دقيق لخروج هذه الحملة .

(٢) فمحمد عبد الله عنان ، يؤرخ لزحف السمع على لانجدوك

(١) من أجل ولاية السمع بن مالك على الأندلس : انظر : ابن عذاري : البيان المغرب ، ٢/٢٦ - حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ١٣٥-١٤٠ - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ١٣٤-١٣٥ - محمد عنان : دولة الاسلام ، ص ٧٤ - محمد زيتون : المسلمون في المغرب والأندلس ، ص ١٩٦ .

(٢) دولة الاسلام ، ص ٧٥-٧٦ .

(سبثما نيا) باواخر (سنة ٧١٩م) أي (أواثل سنة ١٠١هـ) وهذا
يعنى خروجها فى أواخر خلافة عمر بن عبد العزيز ، بينما نجد
شكيب أرسلان يؤرخ لخروج حملة السمع بن مالك الخولانى بقوله^(١)
كان ذلك (سنة ٧٢١م) أي (١٠٢هـ) ، فى خلافة يزيد بن عبد
الملك بعد أن مضى على فتح الأندلس إحدى عشر سنة لاغير .

كما سنرى الاختلاف على التاريخ لفتح مدينة أربونة^(٢) ،
وهى أول مدينة تواجه الفاتحين بعد عبورهم جبال البركات
وأول مدينة فتحها السمع فى حملته تلك بعد عبور البركات .
فقد كنا عولنا على تاريخ فتحها فى حالة الإجماع عليه ،
للتاريخ لبداية الحملة .

وسعيا منا للوصول الى الحقيقة ، عمدنا الى تاريخ
استشهاد السمع ونهاية حملته ، وإلى تاريخ خلافة يزيد بن
عبد الملك ، ومنطق الأحداث وسمات الفجرة ، فى محاولة
لترجيح أموب الآراء ، والوصول الى حقيقة ذلك التاريخ أو
ماقارب الحقيقة على الأقل .

فإذا ما أخذنا فى الاعتبار أن استشهاد السمع بن مالك^(٣)
ونهاية حملته كان فى التاسع من ذى الحجة (سنة ١٠٢هـ) .

-
- (١) غزوات العرب ، ص ٨٥ .
(٢) أربونة : كانت أهم حاضرة فرنسية جوار إسبانيا ، وهى
أول مدينة تستقبل الخارج من إسبانيا ، تقع على
ارتفاع عشرة أمصار عن سطح البحر ، وعلى مسافة ١٤ كم
منه الى الشرق ، يمر بالقرب منها نهر الأود ، ويمر
بها جدول له اسمه "روبين" . وأربونة من أقدم مدن
الأرض ، وقد تعاقب على ملكها عدد من الأمم ، من أسبقهم
السليتون من القرن (١٢ ق.م) ، وآخرهم قبل المسلمين
القوط . (شكيب أرسلان : نفس المرجع ، ص ٨٦-٨٧) .
وقال ياقوت : بلد فى طرف الشجر من أرض الأندلس ، بينها
وبين قرطبة ألف ميل . (انظر : معجم ، ١٤٠/١) .
(٣) ابن عذارى : البيان المغرب ، ٢/٢٦ - حسين مؤنس : فجر
الأندلس ، ص ١٤٠ - خليل السامرائى : الشجر الأعلى ، ص ١٢٥ .

وان قيامها كان فى اواخر خلافة عمر ، فهذا يعنى انها استغرقت ماينيف على العام والنصف ، وهى فترة زمنية كبيرة اذا ماقيست بالانجازات التى تحققت ابانها مع عظمتها ، خصوصا اذا ماوجدنا من يقول أن السمع قد توجه نحو طولوشة التى استشهد بالقرب منها فى ربيع سنة ١٠٢هـ ، حيث أن ذلك يشككنا فى أن يكون السمع قد قضى الوقت الذى سبق خروجه الى طولوشة فى فتح أربونة وماحولها . وتنظيم الامر هناك .

كما ان الناظر الى ماقام به السمع فى بداية ولايته من تنظيمات ادارية ومالية ، ومنشآت عمرانية ، واصلاحات داخلية، وجهود عسكرية استهدفت القضاء على الفتن الداخلية كإخماده لحركة العصاة المسيحيين فى المناطق الشمالية . يراها كفيلا بشغل الفترة التى قضاها السمع كامير لاندلس فى

- (١) حسين مؤنس : فجر الاندلس ، ص ١٤٠ .
- (٢) قام السمع بأمر من الخليفة عمر بن عبد العزيز بمسح الاندلس واخراج الخمس ، والكتابة الى الخليفة بصفتها (انظر : ابن عذارى : البيان المغرب ، ٢/٢٦ - ابن القوطية : تاريخ افتتاح الاندلس ، تحقيق ابراهيم الابيارى ، دار الكتاب العربى ، القاهرة ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ص ٣٨ - المقرئ : فتح ، ٤/١٣-١٤ - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ، ص ١٣٥ .
- (٣) من ذلك بناء قنطرة قرطبة ، وسورها ، ومقبرتها ، وجامع سرقسطة ، وغير ذلك . (انظر / مجهول : أخبار مجموعة فى فتح الاندلس وذكر امرائها ، تحقيق ابراهيم الابيارى ، نشر دار الكتاب العربى ، القاهرة ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، ص ٣٠-٣١) وقد أشار أن بناءها تم سنة ١٠١هـ ، مما يقوى ماسنذهب اليه من القول أن حملة السمع كانت فى خلافة يزيد لاعمر) - حسين مؤنس : نفس المرجع ، ص ١٣٩ - محمد زيتون : المسلمون فى المغرب والاندلس ، ص ١٩٧ .
- (٤) المراكشى : المعجب ، ص ٢٤ - محمد زيتون : نفس المرجع، ص ١٩٦-١٩٧ - خالد الموفى : تاريخ العرب فى الاندلس ، ص ٢٠٩ .
- (٥) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام ، ص ٧٥-٧٦ .

أواخر خلافة عمر بن عبد العزيز ، خصوصا أن معظم تلك الأعمال جاء الأمر بها من الخليفة عمر إلى السمح وبدأ في تنفيذها (١) (سنة ١٠١هـ) . بل قيل أن جابر مولى عمر والذي وكل بمهمة مسح الأندلس ، جاءه الخبر بموت الخليفة عمر وهو لم يفرغ من تخميس أرض الأندلس . (٢)

أما منطق الأحداث ، وسمة سياسة الخليفة عمر بن عبد العزيز ، فإنها تموره غير راغب في التوسع ، مقدما الإصلاح الداخلي ، ونشر الإسلام بين رعايا الدولة ، مع المحافظة على ديار الإسلام وعزة أهله ، على ذلك . وعلى وجه الخصوص سياسته نحو الأندلس ، فإن المصادر تشير إلى تفكير الخليفة عمر في نقل المسلمين من الأندلس وأخراجهم منها ، لبعدهم وانقطاعهم عن المسلمين ، فعدل عن ذلك بعد علمه بقوتهم ومنعتهم فيها . فليس لنا بعد معرفة موقف عمر هذا ، وسياسته الحربية المتمثلة في إيقاف الفتوح عند الحدود التي وصلت إليها مع المحافظة عليها . أن نقول بخروج السمح بتلك الحملة الكبرى لفتح بلاد الغال في زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز ، أو دون علمه وأذنه .

وهذا بالتالي يدفعنا إلى ترجيح قيام السمح بن مالك بحملته في بداية خلافة يزيد بن عبد الملك ، الذي اتسم معده

(١) ابن عذاري : البيان المغرب ، ٢/٢٦ - مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٣٠-٣١ .

(٢) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٢٨ .

(٣) ابن عذاري : نفس المصدر والجزء والصفحة - ابن القوطية : نفس المصدر والصفحة (قال : أنه كتب بذلك إلى السمح ، فأخبره بقوة المسلمين وكثرة مدائنهم ، وشرك معاقليهم) - مجهول : نفس المصدر ، ص ٣٠ - المقرئ : نفح ، ١٤/٤ .

بالعودة الى سياسة التوسع وتجديد عملية الفتوح ، ولانستبعد ان يكون السمح قد بعث الى الخليفة الجديد ببيعة اهل الاندلس ، واستاذنه في استئناف الفتح في بلاد الغال ، فاذن له ، وكانت حملته الشهيرة التي استشهد على اثرها .

وعليه فمن المرجح ان يكون السمح قد قفى على حركة اخيلا بن غيطشة في طركونة^(١) ، وهو في طريقه الى بلاد الغال ، ابان خلافة يزيد بن عبد الملك ، ويغلب ان يكون السمح قد قفى عليها بمن سار معه من قرطبة ، وقبل الوصول الى برشلونة ، التي اتخذها قاعدة تجمع ، اجتمع له فيها الجيش الاسلامي من نواحي الاندلس الاخرى ، اذ ان طركونة تقع في طريق برشلونة للقادم من قرطبة .

وبعد هذه المناقشة لتحديد بداية الحملة التي قام بها السمح بن مالك لفتح بلاد الغال ، نقوم بعرض لاهم احداثها وماحققته من فتح ونتائج ، ولعل في ذلك تفسيراً اوضح لما ذهبنا اليه .

حملة السمح بن مالك على بلاد الغال :

معد السمح بن مالك لغزوه ماوراء البرشات ، بتوجيه البعوث والمرايا الى بلاد الغال ، خلال انشغاله بالتنظيمات التي قام بها في الاندلس . ويبدو انه اراد بذلك تبين احوال^(٢)

(١) من أجل قضاؤه على حركة اخيلا في طركونة ، (انظر ماكتبناه عن تلك الحركة قبل : الفصل الثاني ، المبحث الخامس ، ص ٢٦١-٢٦٢) .
(٢) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ، ص ١٣٥ .

تلك البلاد وقوة أهلها ، الى جانب احياء روح الجهاد في نفوس الجند وجعلها ميدانا لتدريبهم واكتسابهم الخبرة .
لقد كان السمع رجلا قوى الايمان جم النشاط ، من خيار اهل زمانه ثقة وعدالة ، توفرت فيه الحكمة والخبرة والعقل فاجتمع عليه الناس ورضوا به ، مما ساعده على القبض على زمام الامور بكل حزم ، فقمع الفتن واصلح الامور المالية والادارية والعسكرية في ولايته .^(١)

وكانت ولايته تجديدا للغزو واستئنافا للفتح فيما وراء البرتات ، فانه ماكاد يخلص من مهمة التنظيم والاصلاح ، حتى هب لتوطيد سلطان الخلافة في الولايات الشمالية ، وحرب الاعداء فيما وراء البرتات .^(٢)^(٣)

لقد اتخذ السمع بن مالك من مدينة برشلونة قاعدة لتجمع الجيش الاسلامي ، المتوجه لفتح بلاد الغال ، وكان اختياره لها قاعدة لاعماله الحربية موقفا ، وذلك لموقعها البحري وصلاحيه مينائها لرسو السفن ، مما يسهل ارسال الامدادات العسكرية منها عن طريق البحر الى الساحل الجنوبي لبلاد الغال ، وبالاخص مدينة اربونة التي ستكون بعد فتحها

(١) المراكشي : المعجب ، ص ٢٤ - حسين مؤنس : فجر الاندلس ص ٢٤٦-٢٤٧ - محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام ، ص ٧٤ - خالد الموصلي : تاريخ العرب في الاندلس ، ص ٢٠٩ .

(٢) محمد عنان : نفس المرجع ، ص ٧٥-٧٦ . (وانظر جهوده في اخماد الحركات التمردية في الشمال ، قبل : الفصل الثاني ، المبحث الرابع ، ص ٢٥٤-٢٥٥ ، والمبحث الخامس ، ص ٢٦١ .

(٣) حسين مؤنس : نفس المرجع والمفحة .

(٤) برشلونة : قال ياقوت "برشليانة" بلدة بالاندلس من اقالييم لبله (انظر : معجم البلدان ، ١/٣٨٤) . وهي مدينة على الساحل الشرقي لاندلس في الشمال منه بالقرب من جبال البرتات .

قاعدة اسلامية متقدمة فيما وراء البرتات ، كما أن قربها من ممرات جبال البرتات ، وخاصة ممر "باربينيان" الموصل بين برشلونة وأربونة ، والذي سارت منه جيوش الاسلام الفاتحة الى بلاد الغال ، يدل على حسن اختياره وبعد نظره .^(١)

وفي اوائل خلافة يزيد بن عبد الملك زحف السمح بن مالك من برشلونة ، في جيش كبير ضم جماعة من وجوه اهل الاندلس ، قادة وزعماء ، مخترقا جبال البرتات من الشرق ناحية روسيون وعبر ممر باربينيان ، حتى اشرف على سبتمانيا من بلاد الغال وظل يتقدم بجيشه حتى وصل الى مدينة أربونة ، فغرض عليها الحصار ، وتمكن من فتحها بعد ثمانية وعشرين يوما . ويبدو أن الاستيلاء عليها كان عنوة ، إذ يقول شكيب ارسلان : فقتل - يعني السمح - رجالها وسبى نساءها وأطفالها .^(٢)

ونظرا لأهميتها المحتملة في استراتيجية موقعها

- (١) خليل السامرائي : الشجر الاعلى ، ص ١٢٥ .
- (٢) سبتمانيا : اقرب ولايات غالة ناحية الاندلس ، وتشتمل على سبعة مدن هي : أربونة ، ونيمه ، وآجد ، وبيزييه ولوديف ، وقرقشونة ، ومجلون ، وأربونة عاصمتها ، وقد كانت تابعة للقوط الغربيين . (السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ، ص ١٣٧) .
- (٣) أرغ محمد عنان لزحف السمح على سبتمانيا ب (اواخر سنة ٧١٩م / اى اوائل سنة ١٠١هـ) . انظر : دولة الاسلام ، ص ٧٦-٧٥ . وعن التاريخ لبداية هذه الحملة . (انظر : قبل ، ص ٣٨٧-٣٨٨) .
- (٤) عن مسير السمح بجيشه حتى وصوله أربونة ، (انظر : محمد عنان : دولة الاسلام ، ص ٧٥-٧٦ - خليل السامرائي نفس المرجع والمفحة - شكيب ارسلان : غزوات العرب ، ص ٨٥ - محمد زيتون : المسلمون في المغرب والاندلس ، ص ١٩٧-١٩٨) .
- (٥) لم نستطع الوصول الى تاريخ محدد لخروج الحملة ، أو وصولها أربونة . ولكننا رجحنا حدوث ذلك اوائل خلافة يزيد بن عبد الملك . (انظر مناقشتنا لذلك قبل : ص ٣٩٠) .
- (٦) نفس المرجع ، ص ٨٥-٨٨ .

الجغرافى ومواقبتها للبحر ، مما يسهل وصول الامدادات اليها بحرا من موانئ الاندلس الشرقية ، الى جانب منعها الطبيعية من جهة البر وقربها من الديار الاسلامية فى الاندلس ، اتخذها السمع بن مالك قاعدة (مسلحة) للمسلمين فى بلاد الغال ،^(١) فحصنها وشحنها بالميرة ، كما وضع حاميات اسلامية فى المدن المجاورة لها ، بعد فتحها . وتمشيا مع عادة المسلمين فى بناء الابراج والحصون على قمم الجبال ، لاستخدامها فى المراقبة والانداز ، حيث كانت المسلمين توقد بها النيران ليلا ، اعلاما بهجوم الاعداء ، ووقوع الحرب ، مما يترتب عليه جمع القوى وتوجيه الامدادات ، قام السمع بن مالك ببناء بعض الحصون والابراج على الساحل الجنوبى لبلاد الغال .^(٢)

وهكذا أصبحت برشلونة قاعدة جنوبية داخلية لتجمع القوات الاسلامية الآتية من سائر الاقاليم الاندلسية ، ومنها تسير الى القاعدة الشمالية اربونة ، والتي أضحت بعد فتحها وتحصينها أقصى ثغور الاسلام ، والقاعدة الاسلامية المتقدمة التى تخرج منها جيوش الاسلام الفاتحة ، الى اقاليم بلاد الغال المختلفة .^(٣)

-
- (١) دبل شكيب أرسلان على منعة اربونة الاسلامية ، بممودها بعد فتحها وصورتها خفرا اسلاميا ، أمام حصار شارل مارتل (سنة ٧٣٢م/١١٣-١١٤هـ) ، وحصار ببين القمير (سنة ٧٥٢م/١٣٤-١٣٥هـ) . حتى تمكن شارلمان منها (سنة ٧٥٩م/١٤١-١٤٢هـ) بعد أن ثار أهلها على الحامية الاسلامية لطول الحصار الذى استمر سبع سنوات . (انظر : غزوات العرب ، ص ٨٨) . وفى ذلك اشارة على ما صنعه المسلمون فيها من تحصينات وترتيبات عسكرية .
- (٢) شكيب أرسلان : نفس المرجع ، ص ٨٥-٨٨ .
- (٣) شكيب أرسلان : نفس المرجع ، ص ٢٩٧-٢٩٨ .
- (٤) حسين مؤنس : فجر الاندلس ، ص ٢٩٣-٢٩٤ - خليل السامرائى : الثغر الأعلى ، ص ١٢٥-١٢٦ .

وبعد أن حصن السمح أربونة وشحنها ، خرج بجندة فاتحا
 لمدن وحصون اقليم سبتمانيا التابع للقوط الغربيين ،
 فاستولى على قرقشونة ، وماصادفه غيرها من مدن ذلك الاقليم^(١)
 وحصونه ، مثل بيزى وماجلون ، وقد عرفت الاخيرة باسم "شفر^(٢)
 المسلمين" . فيبدو أن المسلمين اتخذوها قاعدة فحصنها^(٣)
 وجعلوا بها قوة عسكرية ، وقد تمكن السمح أثناء اجتياحه
 لجنوب بلاد الغال ، من التغلب على كل القوى التي قاومته^(٤)
 وتمدت لزهفه حتى اتم فتح جميع نواحي سبتمانيا .^(٥)
 وقد أرخ محمد عنان لفتوح السمح في سبتمانية ب (سنة^(٦)
 ١٠١هـ/٧٢٠م) . ويشير حسين مؤنس الى قيام السمح بالزحف على

-
- (١) قرقشونة : مدينة في غالة على نهر الاود . (شكيب أرسلان
 غزوات العرب ، ص ٢٨-٢٩) . ويقول ياقوت : انها مدينة
 غزاها موسى بن نصير ، حين افتتح الاندلس ، وفيها
 الكنيسة العظيمة عندهم المسماة "شنت مارية" . (انظر:
 معجم البلدان ، ٣٢٨/٤) .
- (٢) بيزى وماجلون : من المدن السبتمانية ، (انظر ذلك
 قبل : هامش ص ٢٩٣) .
- (٣) يجعل بعض المؤرخين كابراهيم على طرخان فتح السمح
 لهذه المدن وهو في طريقه الى طولوشة ، وهذا يتنافى
 مع منطق الاحداث ، إذ سئرى السمح ينظم أمور سبتمانية
 الادارية والمالية ويجعل لها حكومة مقرها أربونة ،
 قبل توجهه الى طولوشة عاصمة اكيثانية ، مما يعنى انه
 فتح سبتمانيا أولا فنظم أمورها ، ثم اتجه الى
 اكيثانية . انظر : المسلمون في أوروبا في العصور
 الوسطى ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، ١٩٦٦م ،
 ص ١٠٢-١٠٣ .
- (٤) عن فتوح السمح في سبتمانية ، (انظر : محمد عبد الله
 عنان : دولة الاسلام ، ص ٧٥-٧٦ - حسين مؤنس : فجر
 الاندلس ، ص ٢٤٦-٢٤٧-٢٩٣-٢٩٤ - محمد زيتون : المسلمون
 في المغرب والاندلس ، ص ١٩٧-١٩٨) .
- (٥) نفس المرجع والمفحات .
- (٦) نفس المرجع ، ص ٢٩٣-٢٩٤ - حسن ابراهيم حسن : تاريخ
 الاسلام ، ٣٢٠/١ .

(١)
اقليم بروفانس ، وايغاله شرق الردانة ، بل ووصله شمالا
الى مدينة ليون عاصمة اقليم برغنديا .
(٢)

ويبدو ان هذا الزحف على بروفانس وبرغنديا كان مجرد
اشارات سريعة ، هدفها التهديد ، لئلا يفكر أهلها في الهجوم
على المسلمين في سبتمانيا ، او التحالف مع أهل اكيثانية ،
والتي كان السمع يعتزم فتحها ، وذلك انما لم نجد أشرا يدل
على محاولة المسلمين تثبيت أقدامهم في هذين الإقليمين ،
سوى بعض الحصون الساحلية جنوب البروفانس ، مما يدل على أن
السمع استهدف من هذا الزحف تأمين وجود المسلمين في
سبتمانيا من الناحية الشرقية ، بإقامة هذه الحصون وارهاب
من ورائها شرقا وشمالا .

ولاشك ان السمع قد فقد جزءا من جنده ابان تلك الحروب
كما ترك بعضا منهم كحاميات اسلامية في المدن والحصون التي
افتتحها ، حفاظا عليها وبقاء للسيادة الاسلامية فيها . ومن
الواضح ان السمع بعد ذلك الجهد العسكري الكبير ، قد عاد
الى اربونة لاخذ قسط من الراحة ، واعدادا للجولة الثانية
من فتوحه ، كما كان عليه تنظيم امر سبتمانية بعد ان اتم
فتحها .

-
- (١) بروفانس : اقليم يقع الى الشمال الشرقي من سبتمانيا
على وادي ردونه (نهر الرون) ، وعاصمته مدينة
"أبينيون" . (السيد عبد العزيز سالم : تاريخ
المسلمين وآثارهم في الاندلس ، ص ١٣٧) .
(٢) برغنديا : اقليم يقع غربي نهر الرون ، وعاصمته مدينة
لودون (ليون) . (السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع
والصفحة) .
(٣) محمد زيتون : المسلمون في المغرب والاندلس ، ص ١٩٧-
١٩٨ .

تنظيمات السمع فى سبتمانية :

عمل السمع بن مالك على تنظيم الامور الادارية والمالية لاقليم سبتمانية ، فوزع الاراضى بين المسلمين واهالى البلاد الاصليين ، وفرض الجزية على النصارى ، وترك لهم الحرية الدينية ، والاحتكام الى شرائعهم . كما اقام بها حكومة اسلامية ، تتولى شئونها وترعى مصالحها . وهذه الاجراءات ، تبين بلاشك عزم المسلمين على البقاء ، وان فتوحهم لم تكن غارات خاطفة سرعان مايعودون بعدها الى الاندلس ، بل فتح اسلامى منظم يستهدف فتح ديار الكفر وجعلها اسلامية ، تملو بها كلمة الله ويطبق بها شرعه . فالسمع اراد بذلك تثبيت اقدام الفاتحين فى البلاد التى استولوا عليها ، واهضاء المبغاة الاسلامية عليها ، الى جانب اتخاذها قاعدة عسكرية ومرتكزا يلجأ اليه بعد الله وقت الحاجة ، مما يبين حنكة السمع وخبرته .

لهزو السمع اقليم اكيثانية :

ما أن فرغ السمع بن مالك من فتح اقليم سبتمانية وتنظيم اموره ، حتى اتجه بجيشه لمرابا نحو مجرى نهر الجارون

(١) تلك سياسة اتبعها الخليفة عمر بن عبد العزيز فى الاندلس ، استهدفت تثبيت جذور المسلمين ، وتمريب الاقاليم المفتوحة ، وايجاد مصالح للمسلمين فيه . (نبيه عاقل : تاريخ خلافة بنى أمية ، ص ٢٩٠) . ويخلص أن السمع الذى نفذها لعمر بن عبد العزيز فى الاندلس ، عمل على تطبيقها فى حالة فى عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك . (انظر : مناقشتنا لهذه السياسة فى شيء من التوسع ، بعد : الفصل الخامس ، المبحث الثانى ، ص ٥٨٥ وما بعدها) .

(٢) محمد عنان : دولة الاسلام ، ص ٨١ - عبد الرحمن الحجى : التاريخ الاندلسى ، ص ١٨٧ .

قامدا اقليم اكيثانية (اكوتين) ، وبالذات عاصمتها مدينة طولوشة^(١) . واتجاه السمع هذا يعنى ان غزوه موجه الى مملكة الفرنج^(٢) ، وان كان الدوق "اودو" امير اكيثانية قد استقل بها عند ضعف الملوك الميروفنجيين . وفى طريقه تمضى لزحفه سكان تلك الانحاء من البشكنس والفسقونيين ، ولقى منهم اشد المقاومة ، لكنه تمكن من تمزيق جموعهم والانتصار عليهم^(٣) ، فقمى طولوشة ، وفى طريقه اليها فتح مدينة طرسكونة^(٤) . ثم

- (١) طولوشة : (وتنطق تولوشة ، طولوزه ، تولوز) اخذت شكلها كمدينة فى عهد الرومان ، ثم صارت قاعدة مملكة التكتوارجيين ومركز علم وصناعة ، وبعد سقوط سلطنة روما صارت عاصمة لملوك القوط فى القرن الخامس الميلادى ، ثم أصبحت مركزا لدوقية اكيثانية فى القرن السابع والثامن ، ثم صارت كونتية مستقلة ، ولم تنضم الى مملكة فرنسا الا سنة ١٢٧١م . وقد كان غزو السمع لها لمضى احد عشر سنة على دخول العرب الاندلس . (شكيب ارسلان : غزوات العرب ، ص ٢٧-٢٨-٩٥) .
- لكن عبد الرحمن الحجي ، يجعل عاصمة اكيثانية مدينة برديل (بورديو) . (انظر : التاريخ الاندلسي ، ص ٢٠٤-٢٠٥) . الا ان شكيب ارسلان يخالفه فى ذلك ، فيقول : ان مدينة بورديو التى يسميها العرب "بورديل" وهى مدينة غرب فرنسا ، هى قاعدة مقاطعة "الجيروند" التى كان العرب يقولون لها "جيونده" . (انظر : نفس المرجع هامش ٣ ، ص ١١٧-١١٨) .
- (٢) كان "اودو" دوق اكيثانية ، واحد افراد الاسرة الميروفنجية ، اقوى امراء الفرنج فى غاليا واشدهم باسا ، استقل باكيثانية اثناء الاضطراب الذى ساد مملكة الفرنج ، وبسط حكمه على جميع بلاد الغال الجنوبية من اللوار الى البرشات ، والتف حوله الفرنج والبشكنس (النافاريون) واخذ يمد نفسه لانتزاع ملك أسرته من شارل مارتل ، المتغلب عليه . لكن غزو المسلمين شغله عن مشروعه ، وانصرف لردهم عن املاكه . (محمد عنان : دولة الاسلام ، ص ٨٠-٨١) .
- (٣) خالد الموفى : تاريخ العرب فى الاندلس ، ص ٢١٤ .
- (٤) طرسكونة : لم أعثر لها على تعريف . ومن قول حسين مؤنس : يتضح انها على مقربة من طولوشة ، عند مصب نهر الرون . (انظر : فجر الاندلس ، هامش ص ٢٤٧) .

استمر في زحفه حتى نزل على طولوشة فغرب السمع عليها
الحصار ، وجد في قتال أهلها ، مستخدما المنجنيق وسائر آلات
الحصار ، حتى أوشك أهلها على التسليم . لكن الأمير أودو هب
لإنقاذ المدينة ، ففك المسلمون عنها الحصار والتفتوا لقتال
أودو وجيشه .^(٢)

معركة طولوشة :

روعت فتوحات السمع بن مالك في سبثمانيا ، الأمير أودو
دوق اكيثانية ، الذي كان متجنباً مجابهة المسلمين مادامت
غاراتهم بعيدة عن أمارته ، لكن الأمر بدا له مخيفاً ،
فالقائد المسلم لم تكن فتوحاته غارات خاطفة تستهدف تهديد
العدو واضماف قوته ، أو لاهداف مادية ، بل أن أودو وجد
نفسه أمام قائد يوطد للمسلمين مافتحه ، وينظم ما استولى
عليه . ويحمي مكتسباته بما يكفل ديمومة السلطان الاسلامي
فيها ، ويهيئها لتكون مرتكزا يلوذون به عند الحاجة ،
وقاعدة ينطلقون منها الى ماوراءها . بل أن السمع اتبع
سياسة توطين المسلمين في البلاد التي تم فتحها . فقد جاز

(١) ينفرد أحمد العبادي بالقول : أن المسلمين فتحوا
مدينة طولوشة ، ثم توغلوا بقيادة السمع في إقليم
اكيثانية . (انظر : تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٨٧) .
(٢) من أجل زحف السمع على اكيثانية ، وفتح طرسكونة ،
وحصاره طولوشة . (انظر / حسين مؤنس : فجر الاندلس ،
ص ٢٤٧ - محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام ، ص ٧٥-٧٦ ،
٨١ - شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ٩٥-٩٦ - ابراهيم
طرخان : المسلمون في أوروبا ، ص ١٠٣ - السيد عبد
العزیز سالم : تاريخ المسلمين وشارهم في الاندلس ،
ص ١٣٧-١٣٨ - خليل السامرائي : الثغر الاعلى ، ص ١٢٧ -
محمد زيتون : المسلمون في المغرب والاندلس ، ص ١٩٨-
١٩٩) .

بجندة جبال البركات وقد احتملوا معهم نساءهم وأولادهم ،
مما يؤكد عزمهم على الاستقرار وفي تلك البلاد الى دولة
(١)
الاسلام .

وهذا ما ولد الخشية في نفس أودو الذي اظنه كان على
يقين بان السمع سيسعى لتأمين سبتمانيا ، بعد ان نظم
شئونها ، واقام بها حكومة اسلامية ، باعتبارها قد اصبحت
جزءا من الممالك الاسلامية ، وهذا ما يستلزم تأمينه ، وذلك
عن طريق التوسع فيما حوله . والمسلمون كما يقول هاشم
الجاسم : اهتموا منذ اللحظة الاولى بتأمين ممتلكاتهم ، وقد
سموا من اجل ذلك على قاعدة عامة تتمثل في ان كل توسع
اسلامى يستدعى تأمينه فتحا وتوسعا جديدا .
(٢)

ولنحتمل ايديا لرايه نقول : ان كان موسى بن نصير قد
جاز جبال البركات على امل فتح اوروبا من ناحية الغرب ،
والوصول الى القسطنطينية وفتحها من ناحية البر الاوروبى ،
فان السمع بن مالك قد خرج الى بلاد الغال فاتحا ليعلى كلمة
الله ، وينشر دينه ما استطاع ، وليؤمن فتوحات المسلمين في
الاندلس ، بالتوسع فيما وراءها . وهذا مادفع الامير أودو
الى حشد الجند وتجهيز الجيش ، تحسبا لهجوم المسلمين
(٤)

-
- (١) شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ٨٥ .
(٢) دراسات تاريخية عسكرية ، ص ٦٦ . (وقد عني باللمحة
الاولى ، فتوح المسلمين في الشام وما استلزمه الحفاظ
على سيادة المسلمين فيها من فتح لمصر واقليم الجزيرة)
(٣) انظر ذلك قبل : ص ٤٠ .
(٤) ان لم يكتب النجاح لحملة السمع في اجتياح غالة ،
فانه قد وفق في كسب ثغر اسلامى متقدم فيما وراء
البركات الا وهى مدينة اربونة ، وبعض حصون سبتمانية
الجنوبية . التى غدت قاعدة انطلاق للفتوحات اللاحقة ،
ودراء للمسلمين في الاندلس في حالة الدفاع .

المرتقب ، واستعدادا لمدتهم عن ممتلكاته .

الا أن الهجوم الاسلامى كان أسرع فيما يبدو مما توقع
أودو ، فما انتبه إلا وجند الاسلام يطوق طولوشة (طولوزه)
بحصار محكم جاد ، وعاصمة امارته تثن من وقع ضربات
المسلمين ومدق قتالهم ، حتى كاد أهلها أن يسلموها . فهرب
لأنقاذ عاصمته ، وسار بجيشه حتى اقترب من طولوشة والمسلمون^(١)
محاصرين لها ، فلما علموا بمقدمه اضطروا لفك الحصار عن
المدينة والتفتوا اليه ، وكان جيشه من الكثرة ماجعل مؤرخو
العرب يقولون : " أن العثير المتطاير من زحف اقدامهم كان
يغطى عين الشمس من كثرتهم " . وقيل : أن عدده كان عشرة^(٢)
الضعاف عدد الجيش الاسلامى . ومع ذلك فإن المراجع لم تزودنا^(٣)
بعدد محدد لكلا الجيشين . فالتقى الجيشان بالقرب من طولوشة^(٤)
وقد اعد السمع جفده معنويا وبث فيهم روح الجهاد المادق ،
وقرا عليهم بعض آيات النصر ، ونشب القتال فى معركة عنيفة
غير متكافئة ، صدق فيها المسلمون القتال ، وبلغت من الهول
مالا يتصوره العقل ، حتى خيل عند تلاقى الجمعين ، أن الجبال

(١) لم تشر المصادر أين كان أودو عن عاصمته ، ومن أين
قدم على المسلمين بجيشه . والمتوقع أنه خرج يستنهض
الناس لحرب المسلمين ومدتهم عن بلاده ، وقد يكون اتخذ
منطقة لتجمع الجند ، أو عسكر فى موقع ظن أن المسلمين
سيأتونه ، ففوجئ بهم وقد حاصروا عاصمته ، فاتجه
اليهم .

(٢) شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ٩٥-٩٦ .

(٣) محمد زيتون : المسلمون فى المغرب والاندلس ، ص ١٩٨-١٩٩

(٤) يشير حسين مؤنس أن بعض المراجع تذكر أن حدوث هذه
المعركة كان عند طرسونة . وقال : أن الأصح أن يقال
أنها عند طرسونة على مقربة من طولوشة عند ممب الرون
(انظر : فجر الاندلس ، ص ٢٤٧) . والصحيح أن طرسونة
مدينة بالاندلس ، من أعمال تطيلة . (ياقوت : معجم ،
٢٩/٤) . وهذا يسند قول حسين مؤنس ويقويه .

تلاطمت . وظل القتال سجالا بين الغريقين ، وقد أبدى المسلمون فيه شروب الشجاعة ، وهم يقتدون بقائدهم ، الذى كان يشدهم بقوله وفعله ، ويجدون له فى كل مكان ، يحمل على الأعداء فلا يقف فى وجهه شيء . غير أن القائد المسلم أصيب برمح فى رقبته خر على أثره صريعا ، ومات شهيدا . فلما رأى المسلمون ما أصاب أميرهم ، فت ذلك فى أعضادهم وأثر فى نفوسهم ، فاختلف نظام الجيش ، وحينها ولوا عليهم أحد كبار الجند وهو عبد الرحمن الغافقى الذى تمكن من الانسحاب ببقية الجيش فى معارة حرمت الفرنج من تعقب المسلمين ، وأصابتهم فى حالة التقهقر ، حتى وصل أربونة . وكان حدوث هذه المعركة واستشهاد السمح بن مالك الخولانى فى (٩ ذى الحجة سنة ١٠٢هـ / ١٠ يونيو سنة ٧٢١م) . كما استشهد فيها (٢)

- (١) انظر ترجمته قبل : الفصل الثانى ، المبحث الرابع ، ص ٢٥٥ .
- (٢) يشذ عن هذا التاريخ المجمع عليه فى جل المصادر الإسلامية والأجنبية ، الغبى فى كتابه : بغية الملتمس ، ص ٣٠٣ ، والذهبي : تاريخ الإسلام ، ٨٧/٤ وكوندى المشار الى قوله فى كتاب محمد عنان : دولة الإسلام ، ص ٨١ . حيث أرخ هؤلاء لها ب (سنة ١٠٣هـ) . كما خالفهم المقرئ نفع الطيب ، ١٤/٤ فى اسم المعركة التى استشهد بها السمح بن مالك ، فقال : قتل فى وقعة البلاط (يعنى بلاط الشهداء) . وهذا لبس منه بين استشهاد السمح وعبد الرحمن الغافقى الذى استشهد فى بلاط الشهداء سنة ١١٤هـ . (انظر عن استشهاد الغافقى فى بلاط الشهداء : أحمد العبادى : تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٨٨) . وهذا مادفع حسين مؤنس الى اتهام المقرئ بعدم الدقة (انظر فجر الأندلس ، ص ٢٧٢) ، كما أرخ لها كل من شكيب أرسلان غزوات العرب ، ص ٩٦ - وسيد أمير على : مختصر تاريخ العرب ، ص ١٣١-١٣٢ - ب (شهر مايو/أيار سنة ٧٢١م/أى ذو القعدة سنة ١٠٢هـ) والأصح ما قدمناه فى المتن . فشبّه الإجماع بالنسبة للمصادر الإسلامية على ٩ ذى الحجة سنة ١٠٢هـ . وهذا يقابل ١٠ يونيو سنة ٧٢١م . (انظر للتأكد من هذه المقابلة : اللواء محمد باشا : التوفيقات الإلهامية ، دراسة وتحقيق وتكملة محمد عمارة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، ١/١٣٤) .

عدد كبير من المسلمين ، حتى قيل مبالغة : انهم قتلوا عن
(١)
آخرهم .

ومن الواضح ان عبد الرحمن الغافقى ، ابقى جزءا من
جيوشه فى اربونة يحرس فتوح المسلمين فى سبتمانيا ويبقى على
سيادة المسلمين هناك ، ثم انصرف عائدا الى قرطبة بما تبقى
معه من الجند ، وظل يدير شئون المسلمين فى الأندلس حتى
قدوم الوالى الجديد عنبة بن سحيم الكلبى . وقد استطاع
(٢)
ابان هذه الفترة الوجيزة ، ان يستبقى الجزية على اربونة
وغيرها من قواعد سبتمانيا ، وان يخمد بوادر الخروج التى
ظهرت فى الولايات الجبلية الشمالية . ويبدو ان خسارة
(٣)
المسلمين امام اودو وجيشه ، واستشهاد قائدهم السمح بن
مالك الخولانى قد اطمع اهل المناطق التى تم فتحها فى
المسلمين ، وحاولوا التمرد على سلطانهم ، والخروج على
طاعتهم . اذ يقول شكيب ارسلان : انه لما شاع خبر انكسار
(٤)
المسلمين فى الوقعة التى حدثت بينهم وبين اودو دوق
أكيثانية بالقرب من طولوثة ، هب اهل اللانغدوق والبيرانة

(١) عن معركة طولوثة . (انظر : حسين مؤنس : فجر الأندلس ،
ص ٢٤٦-٢٤٧، ١٤٠، ٢٧٢ - شكيب ارسلان : غزوات العرب ،
ص ٩٥-٩٦ - محمد عنان : دولة الاسلام ، ص ٨١ - محمد
زيتون : المسلمون فى المغرب والأندلس ، ص ١٩٨-١٩٩ -
خليل السامرائى : الشجر الأعلى ، ص ١٢٥، ١٢٧، ١٢٨ -
السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى
الأندلس ، ص ١٣٧-١٣٨ - سيد امير على : مختصر تاريخ
العرب ، ص ١٣١-١٣٢ - حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام ،
٣٢٠/١ .

(٢) عن عودة عبد الرحمن الغافقى الى الأندلس بعد تراجعه
الى اربونة ، (انظر : شكيب ارسلان : نفس المرجع
والصفحة - حسين مؤنس : نفس المرجع ، ص ٢٤٧ - محمد
زيتون : نفس المرجع ، ص ١٩٩) .

(٣) محمد عنان : نفس المرجع ، ص ٨١-٨٢ .

(٤) نفس المرجع ، ص ٩٦ .

لخلق طاعة المسلمين ، الا ان المسلمين كانوا متمكنين في اربونة ، وجاءتهم نجدات من الاندلس ، فشنوا الغارات على اهل تلك البلاد ، واعادوهم الى الطاعة .

وعليه نرجح ان يكون عبد الرحمن الغافقى قد باشر بعد تراجعه الى اربونة ، امر تثبيت اقدام المسلمين فيها واخماد هذا التمرد ، ثم انصرف الى الاندلس . ومن البديهي انه قد استعمل على اربونة نائباً عنه ، ومن الاندلس قام بارسال مدد للمرابطين في شغل اربونة يتقوون به على عدوهم فتولى عامله فيها استكمال فرض السيادة الاسلامية على اقليم سبتمانية ، واعادة من تمرد الى الطاعة .

وبوقفة نتقصى فيها اسباب خسارة المسلمين في طولوشة والتي كانت اول خسارة يتعرض لها السمع وجنده في بلاد الغال نجد ان السبب المباشر منها هو تفوق جيش العدو عددا واستعدادا ، ومقتل قائد المسلمين في ارض المعركة ، وهو امر عظيم الاثر في نفوس المحاربين الاوائل ، وغالبا ما أدى الى هزيمة الجيش الذى يسقط قائده في ساعة القتال .^(١)

وان كان حسين مؤنس اعتمادا على رواية اجنبية ، يشير

(١) من امثلة ذلك في تاريخ الاسلام ، خسارة المسلمين في موقعة مؤتة امام الروم وحلفائهم من العرب (سنة ٨هـ) عندما استشهد قادة المسلمين الذين حددتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم زيد بن حارثة ، وجعفر بن ابي طالب ، وعبيد الله بن رواحة . فعاد بالجيش خالد بن الوليد الى المدينة ، وكذلك خسارة المسلمين في معركة (الجسر) سنة ١٣هـ ، وكانت ضد الفرس ، عندما استشهد قائدهم ابو عبيد الثقفى ومن اوصى به من القادة بعده وكانوا سبعة ، فتراجع المثنى بن حارثة ببقية الجيش الى الحيرة . (انظر عن ذلك : ابن الاثير : الكامل ، ١٥٨/٢ - ٣٠١ - ٣٠٣) .

(١)

الى علاقة مصاهرة وتحالف تمت بين مونوسه وبين اودو دوق
اكيثانية ، فعمل على ايداء العرب . وهذا ماجعل حسين مؤنس
يظن ان يكون هذا التحالف أحد أسباب هزيمة المسلمين عند
طولوشة .^(٢)

ونحن لانؤكد هذه الرواية ، اذ لم نجد لها ذكرا في
المصادر الاسلامية ، وعلى ذلك لانستطيع موافقة حسين مؤنس في
اتخاذ تلك العلاقة سببا لخسارة المسلمين امام اودو ، لأن
ذلك مجرد فرض ليس له قرينة تقويه ، وقد اعتمد على رواية
مطعون فيها . ونحن لانستبعد ان يكون من الاسباب المباشرة
التي أدت الى خسارة المسلمين خروج اهل طولوشة بعد فك
الحصار عنهم ، ومشاركتهم في المعركة ، فوقع المسلمون بين
كماشتى جيش اودو من الامام ، وقوة المدينة من الخلف .
ونؤيد حسين مؤنس فيما ذهب اليه ، من ان اعتماد القادة في
فتوحاتهم فيما وراء البركات على البربر ، كان من عوامل
الضعف في الجيش الاسلامي . اذ لم يشترك من العرب الا أعداد
قليلة ، حيث ان من عبر منهم الى الاندلس ، كان بالكاد يكفي
لفرض السيادة على الاندلس ، بعد استقرار العرب فيه ، فكان

(١) كان مونوسه على حد قوله : من الجنس البربري ، كان
أميرا من قبل أمير الاندلس على المنطقة الشمالية في
الاندلس ، وكان مركزه مدينة خيخون . (انظر : حسين
مؤنس : فجر الاندلس ، ص ٣١٩، ٣٥١) . لكن خليل
السامرائي يشكك في هذه الرواية من الاصل ، ويؤكد أن
شخصية مونوسه متحولة ، وأنها من كيد المليبية
الغربية ، التي تستهدف الطعن في الاسلام وتاريخه .
معتمدا في ذلك الى خلو المصادر الاسلامية من هذا الخبر
وبعض الدراسات الحديثة حول هذه التهمة . (انظر :
الخضر الاعلى ، ص ١٠٧-١٠٨) - وكذلك عبد الرحمن الحجى :
التاريخ الاندلسي ، ص ١٩٢-١٩٣ .
(٢) فجر الاندلس ، ص ٢٥١-٢٥٣ .

غيابهم عن الفتوح في بلاد الغال وهم مادة الاسلام واهل الخبرة ، من اهم الاسباب التي أدت الى فشل الحملات الاسلامية هناك . كما ان بعد المسلمين في الاندلس عن مركز الدولة ، حرمهم من توجيه الحكومة وامداداتها . كما ينفي حسين مؤنس^(١) ايعاز ذلك الى الجشع في الغنائم ، او قوة الدولة الفرنجية .

(٢) فتوحات عنبسة بن سحيم الكلبي في بلاد الغال :

استمر عبد الرحمن الفافى اميرا للاندلس بتقديم اهل^(٢) الاندلس له منذ استشهاد اميرهم السمع بن مالك الخولانى تاسع ذى الحجة (سنة ١٠٢هـ) ، حتى قدوم عنبسة بن سحيم الكلبي اميرا للاندلس ، من قبل بشر بن مغوان عامل الخليفة يزيد بن عبد الملك على افريقية والمغرب ، وذلك في (مفر سنة ١٠٣هـ) .^(٣)

ومن هنا يأتى دور القائد الامير عنبسة بن سحيم الكلبي في متابعة عمليات الفتح الاسلامي فيما وراء البرتات ، ليصل براية التوحيد الى اقصى حد وملتته الفتوح الاسلامية في وادي

(١) فجر الاندلس ، ص ٢٩٦-٢٩٧ ، وانظر مناقشتنا لما اتهم به الفاتحون المسلمون في بلاد الغال والرد عليه ، بعد ص ٤١٩-٤٢٠ .

(٢) انظر ماسنذكره عن ولاية عبد الرحمن الفافى الاولى أثناء حديثنا عن سياسة الخليفة يزيد بن عبد الملك الادارية في : الفصل الخامس ، المبحث الاول ، ص ٥٣٦-٥٣٨

(٣) عن ولاية عنبسة بن سحيم على الاندلس ، (انظر : ابن عذارى : البيان المغرب ، ٢/٢٧ - ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٤٤) (لكنه لم يؤرخ لها) - محمد عنان : دولة الاسلام ، ص ٨٢ . وكذلك ماسنكتبه عنها خلال حديثنا عن سياسة الخليفة يزيد الادارية في : الفصل الخامس ، المبحث الاول ، ص ٥٣٨ ومابعده .

(١)

نهر الرون حتى ذلك الحين ، ألا وهي مدينة سانس .

اذ كان عنبسة من طراز السمع بن مالك ، رجلا ثقيا
واداريا بارعا ، وعسكريا فذا . كان حريصا على الاسلام
وامينا على دولته . فكان خير خلف لخير سلف .^(٢)

لقد شغل الامير الجديد صدر ولايته بضبط الامور في
الاندلس ، واخماد الفتن فيها ، ومن ذلك توجهه الى المنطقة
الشمالية في الاندلس للقضاء على حركة بلای ، واخماد التمرد
الذي قام به أخيلا بن غيطشة في مدينة طركونة حتى^(٣)
استقام له امرها ، ثم أعد نفسه للجهاد وبأشر الفتح فيما^(٤)
وراء البرشات بنفسه .

لكننا نواجه هنا نفس المشكلة التي واجهناها أثناء
دراستنا لحملة السمع بن مالك ، وهي بداية خروج عنبسة بن
سحيم بحملته الى ما وراء البرشات . فغير واضح متى بدا
جهاده في بلاد الغال ، وكم استغرق من الوقت ، وهل خرج
للجهاد مرة واحدة ، أم سبق حملته التي استشهد فيها غزوات
أخرى ، وهل قادها بنفسه أم ولاها غيره من القادة ، أو كانت
بواسطة القوات الاسلامية المرابطة في شفر اربونة .^(٥)

ونحن لانفتقد التاريخ لتلك الحملة ، ولكننا نجد

-
- (١) سانس : قبة مقاطعة فرنسية تسمى "يوند" . (انظر :
شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ١٠٦ ، هامش (١) منها) .
(٢) عبد الرحمن الحجى : التاريخ الاندلسي ، ص ١٩٠ .
(٣) من أجل خروجه للقضاء على حركتى بلای ، وأخيلا ، (انظر
ماكتبناه عن الحركتين قبل : الفصل الثانى ، المبحث
الرابع ، ص ٢٥٢ ، المبحث الخامس ، ص ٢٦٠) .
(٤) المقرئ : نفح ، ١٥/٤ - الناصرى : الاستقواء لاخبار دول
المغرب الأقصى ، تحقيق ولديه جعفر ومحمد الناصرى ،
دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٥٤م ، ١٠٣/١ .
(٥) عبد الرحمن الحجى : نفس المرجع والمفحة .

الاختلاف على تاريخ خروجها ، فمن المصادر والمراجع مايؤرخ لقيامها ب (سنة ١٠٥هـ) ، وأخرى تجعلها (سنة ١٠٧هـ) . وحيث^(٢) أنا لم نجد تاريخا لما قام به من أعمال داخلية خصوصا جهوده في اخمد ففتحتى بلاى واخيلا ، لنقدر على فونها انساب تلك التواريخ المشار اليها لخروجه ، فانا مجبرين على تقدير ذلك بالنظر ، الى نهاية الحملة واستشهاد قائدها عنبة بن سحيم وماتم على أثرها من فتوح ، آخذين في الاعتبار ما قام به من أعمال قبل خروجه ، مستنيرين بما قدره السابقون لنا من المؤرخين .

فبالنظر الى ما قام به عنبة من أعمال داخلية ، خصوصا جهوده في اخمد حركتى بلاى واخيلا ، وتنظيماته المالية والادارية . نجد انها ولا بد قد أخذت منه وقتا ليس بالقصير .^(٣) وايضا نجد ان فتوحه التى تمت في هذه الحملة وما قام به اثناءها من تحصينات وتنظيمات ، كانت كفيلة باستغراق وقت

-
- (١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ٢٧/٢ - محمد عنان : دولة الاسلام ، ص ٨٢ (وقد حدد خروجها في أواخر سنة ١٠٥هـ/أوائل سنة ٧٢٤م) - محمد زيتون : المسلمون في المغرب ، ص ١٩٩-٢٠٠ (نقلا عن : شكيب أرسلان : تاريخ غزوات العرب ، ص ٨٥) - خليل السامرائى : الشفر ، ص ١٢٨ (نقلا عن رينو : غزوات ، ص ١١٢) .
- (٢) ابن الأثير : الكامل ، ١٩٧/٤ - حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٢٤٦ - السيد عبد الميزز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ١٣٨ - عماد الدين خليل : دراسة مقارنة (بحث) ، ص ٣٠٣ .
- (٣) كان لعنبة دور في تنظيم الخراج وقسمة الأرض والعشور فيبدو أن السمع قد دفعه حب الجهاد الى الخروج بحملته قبل أن يتم مابدأه من تنظيمات مالية وادارية ، فعمل على اتمام ذلك عنبة بن سحيم ، كما طاف بمختلف المقاطعات الأندلسية ينظر في المظالم وينشر العدل بين الناس . (انظر في هذا الصدد ماأوردته : محمد عبد الله عنان : نفس المرجع والمفحة - محمد زيتون : نفس المرجع والصفحات .

ليس بالقليل . وعلى هذا فنحن نرجح التاريخ الاول لخروج هذه الحملة وهو (سنة ١٠٥هـ/ ٧٢٣ - ٧٢٤م) . وهو ماأخذ به أكثر المؤرخين الذين تعرضوا لدراستها ، كابن عذارى ، الذى يعد من المصادر القديمة المعتمد عليها فى تاريخ المغرب . ونحن بذلك نستبعد قول من أرخ لخروج غنبة بحملته ب(سنة ١٠٧هـ) وان كان التاريخ الاخير قد ورد عند ابن الاثير . اذ ان استشهاد غنبة فى (شعبان سنة ١٠٧هـ) جعل من المشكوك فيه ان يكون قد خرج بحملته فى ذلك العام . وقد قام بكل تلك الفتوحات فى ماسبق شعبان من تلك السنة .

ونحن لانعرف على وجه التحديد الشهر الذى خرجت فيه حملة غنبة الى بلاد الغال من (سنة ١٠٥هـ) ، الا ان محمد عنان يقول بخروجها فى (اواخر سنة ١٠٥هـ/ اوائل سنة ٧٢٤م) . وهذا مايجعلنا نرجح خروجها فى اوائل خلافة هشام بن عبد الملك (شعبان سنة ١٠٥هـ/ربيع الثانى سنة ١٢٥هـ) ، ان لم يكن فى اواخر خلافة يزيد بن عبد الملك .

وعطفا على ماوصلنا اليه ، يكون الاعداد والتجهيز لهذه الحملة قد تم فى عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك ، وقد يكون خروجها قد تم فى اواخر زمنه ايضا . اما ماتم على يد غنبة من فتوحات فى بلاد الغال فان ذلك قد حدث فى خلافة هشام بن عبد الملك .

(١) البيان المغرب ، ٢/ ٢٧ .

(٢) الكامل ، ٤/ ١٩٧ .

(٣) دولة الاسلام ، ص ٨٢ .

(٤) ذهب لمثل هذا القول عماد الدين خليل فى بحثه : دراسة مقارنة ، ص ٣٠٣ .

ومن هنا سنعرض في شيء من الإيجاز لما تم على يد هذا القائد فيما وراء البرتات من فتوحات ، كونها خارج النطاق الزمني لبحثنا ، إلا أن من المهم ذكر ذلك لتوضيح بعض مآزينا إليه ، ولتمام الفائدة .

فتوحات عنبسة بن سحيم فيما وراء البرتات :

عرف عنبسة بن سحيم اهتمامه بدر ولايته إلى تنظيم أمر الأندلس ، وأخماد الفتن . فلما تم له ذلك ، واستقرت الأحوال في ولايته ، وكان قد أعد نفسه وجهز جيشه ، نهض للجهاد ، والاستمرار في الفتح فيما وراء البرتات ، سيرا منه على خطى سلفه السمح بن مالك ومن سبقهما من الأمراء المجاهدين ^(١) . وقد اتخذ عنبسة مدينة برشلونة قاعدة تجمع للجيش الإسلامي من مقاطعات الأندلس المختلفة ، ثم توجه (سنة ١٠٥هـ) على رأس جيشه إلى بلاد الغال ، مختاراً جبال البرتات عبر ممر باربينيان ، حتى وصل إلى أربونة ، فاستقر فيها ، وعمل على دعم خط الدفاع الأمامي لها ^(٢) . ونحن هنا نلاحظ أن عنبسة اتبع نفس الخطوات التي سار عليها سلفه السمح بن مالك ، وسار في نفس الطريق ، وذلك أمر طبيعي ، باعتبار أن برشلونة بموقعها القريب من جبال البرتات ناحية ممر باربينيان ، جعلها قاعدة حربية داخلية ، يتجمع فيها الجيش

(١) إلى مثل هذا القول ذهب حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٢٤٦ - خليل السامرائي : الثغر الأعلى ، ص ١٢٨ - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ١٣٨ .
(٢) ابن عذاري : البيان المغرب ، ٢/٢٧ - المقرئ : فتح ، ٤/١٥ - خليل السامرائي : نفس المرجع ، ص ١٢٨ .

الاسلامى من مدن الاندلس المختلفة ، ثم يسير برا او ينقل بحرا الى اربونة ، الثغر الاسلامى المتقدم وراء البركات .
والتي عمل السمع على تحصينها ، وحصين ماحولها من المدن
السبتمانية ، لتكون تلك الحصون خطا دفاعيا يمد عن اربونة
(١)
ويحميها .

وبعد ان عزز عنبسة تحصينات اربونة وقوى الخط الامامى
لها ، ابتدا سلسلة فتوحاته ، باعادة السيادة الاسلامية على
سبتمانية ، فيبدو ان المسلمين قد خسروا بعض فتوحاتهم بعد
استشهاد السمع ولم يتمكنوا من استعادتها ، حتى وصلها
عنبسة . ومن تلك المدن قرقشونة ، لذا سارع عنبسة الى
فتحها . فاستولى عليها عنوة . لكنه بعد ذلك لم يسر فى نفس
(٢)
الاتجاه الذى سلكه السمع ، وهو التوغل شمالا نحو اقليم
اكيثانية ، بل سار نحو الشرق مع ساحل البحر . وفى طريقه
(٣)
اعاد فتح مدينة نيم ، دون مقاومة ، واخذ من اهلها رهائن
(٤)
ارسلهم الى برشلونة . ويبدو انه اتخذ هذه الخطوة مع اهل
نيم ليضمن ولائهم ، وعدم انتقامهم على المسلمين ، وان ذلك
من شروط الصلح معهم . وبعد ان اتم فتح اقليم سبتمانية ،
واصل زحفه شرقا نحو اقليم بروفانس ، حتى وصل الى نعر
الرون ، ففتح بروفانس ، ثم اتجه شمالا مع نعر الرون حتى
وصل مدينة ليون ، ففتحها ، وتوغل فى اقليم برغندية

-
- (١) انظر ترتيبات السمع العسكرية فى اربونة وماحولها
قبل : ص ٣٩٣-٣٩٤ .
(٢) خليل السامرائى : الثغر الاعلى ، ص ١٢٨ - شبيب ارسلان :
غزوات العرب ، ص ٩٨ . لكن من المؤرخين من قال ان
فتحها تم صلحا . (انظر : ابن الاثير : الكامل ، ١٩٧/٤)
خليل السامرائى : نفس المرجع والمفحة فى رواية اخرى
(٣) انظر تعريفا لاقليم سبتمانية ومدنه قبل : ص ٣٩٣ .
(٤) شبيب ارسلان : نفس المرجع والمفحة - خليل السامرائى :
نفس المرجع والمفحة .

(برجاندنيا) فاستولى على مدينة ماسون وشالون ومنها وجه جيشه على قسمين ، الاول سار الى ديجون ولانكر ، والآخر سار حتى بلغ مدينة أوتون ، فى اعالي الرون . بل قيل : أن عنبسة ^(١) ^(٢) بلغ مدينة سانس شمال أوتون ، والتي تولى اسقفها الدفاع عنها ، ساعده على ذلك وغورة المنطقة التي تحيط بها ، فادرك عنبسة أن طول البقاء أمام هذه المدينة قد يعرض جيشه للإبادة ، اذا ماتهيا للعدو فرمة العجوم ، فقرر العودة ، وقد صدق ظنه ، إذ هاجمه الاعداء خلال عودته فاصيب بجروح ^(٤) توفي على اثرها ، وذلك فى (شعبان سنة ١٠٧هـ / ديسمبر - يناير ٧٢٥ - ٧٢٦م) . ومن المؤرخين من يعزو عودة عنبسة الى اضطراب الاحوال فى الأندلس . ومامن شك أن التماذى فى الايفال

-
- (١) أوتون : مدينة على مسافة (١٠٦ كم) الى الشمال الغربى من ماسون . (انظر : شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ١٠٤ وهامش (٥) فيها) .
- (٢) انظر عن فتوح عنبسة فى بروفانس وبرجنديا حتى أوتون ، (أحمد العبادى : تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٨٧ - خليل السامرائى : الشفر الأعلى ، ص ١٢٨-١٣٠ - إبراهيم بيضون : ملامح التيارات السياسية ، ص ٣٠٨ - حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى ، ١/٣٢٠) .
- (٣) عبد الرحمن الحجى : التاريخ الأندلسى ، ص ١٩٠-١٩١ - شكيب أرسلان : نفس المرجع والصفحة - خليل السامرائى : نفس المرجع والصفحة .
- (٤) ليس هناك مكان محدد لهذه الموقعة ، التي استشهد فيها عنبسة ، كما أن تاريخ استشهاده مختلف عليه . (انظر بعد : الفصل الخامس ، المبحث الاول ، ص ٥٤٢-٥٤٣) .
- (٥) خليل السامرائى : نفس المرجع ، ص ١٢٩-١٣٠ (نقلا عن / على المياح : العوامل السوقية والتعبوية واثرها على الفتوح فى فرنسه (بحث) ، ص ١١٦) - ابن الأثير : الكامل ، ٤/١٩٧ - ابن عذارى : البيان المغرب ، ٢/٢٧ أحمد العبادى : نفس المرجع ، ص ٨٧ - عبد الرحمن الحجى : نفس المرجع والصفحة - حسن إبراهيم حسن : نفس المرجع والجزء والصفحة - إبراهيم بيضون : نفس المرجع والصفحة (لكن عزى نهايته الغامضة لأسباب لا ترتبط بحملته العسكرية ، وإنما بظروف داخلية فى قرطبة) . وهو بذلك يشير الى أنه عاد الى قرطبة وهذا يخالف إجماع جمهور المؤرخين باستشهاده فى بلاد الغال .

دون التوطيد لسلطان المسلمين ، وتأمين ظهورهم ، فيما تم فتحه من مدن ، ساعد الاعداء على التجمع ، وقطع الطريق على المسلمين أثناء هودتهم ، ف خسروا بذلك جل ما فتح على ايديهم ، فولى الناس بعد استشهاد عنبسة عذرة بن عبد الله الفهرى ،^(١) الذى تراجع بهم الى اربونة . فجاءه المدد من الاندلس ، وشن المسلمون غاراتهم من جديد فى كل جهة ، وبكل قوة ، حتى أعادوا هيبتهم ولم يجدوا لهم مقاوما .^(٢) الا ان سلطان المسلمين فيما يبدو قد اقتصر على اقليم سبتمانيا وقاعدته مدينة اربونة .

ويرى بعض المؤرخين الغربيين ان فتوحات عنبسة ، كانت فتوحات حذق ومهارة لابطش وقوة .^(٣) والحقيقة ان المسلمين فى فتوحاتهم لم يكونوا قط اهل بطش وقوة ، الا عندما يلقون من عدوهم المقاومة ، او نفس المعهد . ولا يعتمد لجوؤهم الى القوة ، ماباحه الشرع لهم ، ممكنين عما لايناسب مبادئ دينهم السامية ، وخلقهم الرفيع .

وهذا القول بالنسبة لفتوحات عنبسة ، فيه اشارة الى ان غالبية فتوحه تمت ملحا ، يؤكد ذلك قول خليل السامرائى "وسار عنبسة من نيم متبعاً مجرى نهر الرون حيث وجد الطريق امامه خالية من أية مقاومة"^(٤) . وانه استخدم الحنكة والحكمة فى تحقيق اهدافه ، قبل استخدام القوة العسكرية التى يقودها

(١) ابراهيم طرخان : المسلمون فى أوروبا ، ص ١٠٦ (نقلا عن حسين مؤنس : فجر الاندلس ، ص ٢٤٧-٢٤٨) .
 (٢) عبد الرحمن الحجى : التاريخ الاندلسى ، ص ١٩١ - شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ٩٨ (أورد الاسم مفردا ومحرفا "حديرة") - ابراهيم طرخان : نفس المرجع ، ص ١٠٥-١٠٦ .
 (٣) الزركلى : الاعلام ، ٩١/٥ .
 (٤) الشفر الاعلى ، ص ١٢٩ .

(١)

شم توقف الفتح الاسلامى فى بلاد الغال مايقارب الاربع سنوات حتى تولى امر الاندلس عبد الرحمن الغافقى ، فى ولايته الثانية (١١٢ - ١١٤هـ) ، فكان على يديه تجديد الغزو ومواصلة الجهاد فيما وراء البرتات .^(٢)

(٣) دراسة تحليلية لبعض النقاط الهامة فى هاتين الحملتين

ولاشك ان حملتى السمح وعنبسة من اهم الاعمال الحربية التى قامت فى عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك ، وخاصة ، حملة السمح بن مالك التى تمت احداثها فى زمنه ، واوجدت للمسلمين شغرا اسلاميا متقدما ، وهو مدينة اربونة الذى ظل اكثر من نصف قرن رمزا للوجود الاسلامى فى ارض الفرنج ، وقاعدة تنبعث منها جيوشهم الفاتحة فيما وراء البرتات . علاوة على ماحققته من فتوحات فى تلك البلاد .

وليس لدينا نص يدل على اشراف الخليفة وتوجيهه لهذه الحملات ، الا ان ليس لدينا مايشبت عكس ذلك . كما ان خروج عنبسة بحملته بعد استشهاد السمح وكثير من جيشه قرب طولوشة لايمكن ان يتم دون امر الخليفة او عامله على افريقية والمغرب ، بعد ان عادت الاندلس ، الى التبعية الادارية لافريقية فى عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك . ونحن لانستبعد^(٣)

- (١) عبد الرحمن الحجى : التاريخ الاندلسى ، ص ١٩١ - احمد الميادى : تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٨٧ - حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ، ٢٢٠/١ .
- (٢) عن فتوحات عبد الرحمن الغافقى فى بلاد الغال ، (انظر احمد السيد دراج : عبد الرحمن الغافقى ، بحث ، رسالة المسجد ، العدد الرابع ، سنة ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، ص ٨٠-٨٥ وغيره من المصادر والمراجع الاندلسية) .
- (٣) من أجل ذلك ، انظر بعد : الفصل الخامس ، المبحث الاول، ص ٥٣٨-٥٣٩ .

أن خروج منبسة بحملته والاعداد لها جاء بتوجيه من الخليفة يزيد انتقاما لمقتل السمح ، واحياء لهيبة الدولة ، واستمرارا فى الفتح والجهاد فى تلك البلاد . خصوصا اذا عدنا بالذاكرة الى ما حدث من الخليفة فى المواقف المشابهة كتوجيه الجراح الحكى على رأس جيش كبير الى أرمينية ، بعد العزيمة التى تعرض لها أميرها من قبل الخزر . أو توجيه الحرشى لاعادة سلطان الدولة على ماوراء النهر ، بعد أن فشلت محاولات أميرها السابق ^(١) .

وإذا ما تنساء لنا عن العوامل التى وقفت فى وجه نجاح الحملات الإسلامية فى بلاد الخال ، وفتح تلك البلاد ، فلنا أن نغيب أن من الأسباب الرئيسية فى فشل تلك الحملات ، كون تلك الحملات خرجت بقيادة ولاية الأندلس ومعتمدة على امكانيات الولاية وحدها ، الى جانب اتباعها أسلوب الهجوم السريع ، وعدم تثبيت اقدام الفاتحين فيما استولوا عليه . فقد كان استشهاد القيادة فى المعركة يؤدى الى ارتداد الجند حتى نقطة البداية ، وتوقف الفتح لسنوات . لأن تلك القيادة كانت تتمثل فى شخص الأمير ، فعندما يقتل ، يتوقف الفتح حتى يأتى أمير جديد ، رافعا راية الجهاد ، وقادرا عليه . كما أن الاعتماد على امكانيات ولاية الأندلس لحسب ، جعل القوة الفاتحة محدودة القدرة معما كبرت ، فالفتح وراء البرتات

(١) من أجل ذلك ، انظر قبل : المبحث الأول ، ص ٣٢٧-٣٢٨ ، ص ٣٥٤ وما بعدها .

كان يعنى حرب عالم كبير ، واسع المساحة ، متعدد القوى ، قوى الشأن . ولم يكن فتحه ممكنا الا باشراف الدولة ودعمها وتوجيه القوى الكافية وعلى أكثر من محور حتى يشغل كل بما يواجهه . فقد أدت قلة الجند بقيادة السمع الى خسارته أمام جيوش اودو الجرارة ، وساعد ايغال عنيزة فيما بعد ، الى قطع الطريق عليه ، كما أدى تحالف شارل واودو الى كسر الجيش الذى قاده عبدالرحمن الغافقى بعد ذلك . اما أسلوب الهجوم السريع وعدم تأمين الفتح فقد وقع فيه ايضا عنيزة ومن بعده عبد الرحمن الغافقى ، فخسر المسلمون كل ما وصلوا اليه فى حملتيهما . ولولا اهتمام السمع بن مالك بتحسين اربونة وبعض المدن والحصون فى سبتمانيا ، مدركا ما كنا نقول ، لما بقى للمسلمين موطئ قدم فيما وراء البركات عند خسارتهم فى كل مرة ، وظلوا كما هم فى حدود الاندلس .

والحق ان حملة السمع بن مالك ، تمثل البداية الجديدة لحركة الفتوح الاسلامية فيما وراء البركات ، لاتسامها بالتنظيم والعمل على فتح ثابت لبلاد الغال ، يهدف الى نشر الاسلام وادخال تلك البلاد فى رحاب الدولة الاسلامية . يؤكد ذلك ما اشرنا اليه من اعمال السمع التنظيمية والعسكرية فى اقليم سبتمانية ، والتي استهدفت تثبيت اقدام الغاتحين فى ذلك الاقليم واعطاءه العبقة الاسلامية وفرض سيادة المسلمين عليه . الى جانب توطيئ جماعات من المسلمين فى مدن

(١) ابراهيم بيضون : ملامح التيارات السياسية ، ص ٣٠٧-٣٠٨

(٢) حسين مؤنس : فجر الاندلس ، ص ٢٩٧ - شكيب ارسلان : غزوات العرب ، ص ٢٩٤ .

(٣) انظر قبل : ص ٣٩٣-٣٩٤-٣٩٧ .

(١)
سبتمانية كانوا قد خرجوا بأسرهم كمرابطين في ذلك الثغر الجديد .

وهذا مايدعو الى القول أن فتوح المسلمين في بلاد
الغال تعد من أمجد الجهود الاسلامية الحربية ، بل أن تفحيات
قاداتها فاقت كثيرا مما عداها ، وعدت رجالاتها كالسمح
وعنيسة والفاقي في طليعة قادة المسلمين العظام . وهذا (٢)
ماجعل ذكرها باقيا في الالهام كأنه حديث عهد ، لما فيها
من المجد والعظمة . بينما تلاشى تذكارات غزوات النورمانديين
وغيرهم ممن غزا تلك البلاد من الالهام ولم يبق الا في بطون
التواريخ . (٣)

(٤)
ومع ذلك فإن استجابة أهل غاليا للاسلام كانت محدودة
ولعل مرد ذلك للنكسات السريعة التي تعرض لها الفاتحون
وعدم البقاء بينهم مدة طويلة ، حتى يتعرفوا على الاسلام
ويلمسوا سموه وعظمة مبادئه ، فقد اتمف دخول أهل المناطق
التي يدين أهلها بدين سماوى في الاسلام بالبطء ، لكننا
نجدهم أخيرا يدخلون فيه أفواجا ، عندما يعلمون حقيقته
ويرون عدالة أهله . (٥)

وكما عودنا مؤرخوا الغرب ، بالنيل من الاسلام وتشويه
تاريخ المسلمين ، نجدهم هنا يحاولون تهوين شان جهود
الفاتحين في غالة ، قائلين انها لم تسر وفق خطة مرسومة ،

-
- (١) من أجل ذلك انظر قبل : ص ٣٩٩-٤٠٠ .
(٢) حسين مؤنس : فجر الاندلس ، ص ٢٩٧ .
(٣) شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ٣٠٣ .
(٤) شكيب أرسلان : نفس المرجع ، ص ١٠٦-١٠٧ .
(٥) مثال ذلك : تاخر قبض مصر في الدخول في الاسلام ، وكذلك
أهل الاندلس ، وأهل أرمينية .

(١)
وانهم في البداية وجدوا مقاومة واهية . والحقيقة كما
اسلفنا في الصفحات السابقة ان المسلمين خرجوا من اجل فتح
منظم ، وكفيئنا للرد على ذلك ما اوجده السمح في سبتمانيا
من تنظيمات وتحصينات لمبغها بالمبغة الاسلامية ، واعتبارها
ثغرا اسلاميا وراء البركات . وان كنا قد اشرنا الى ان تلك
الخطط العسكرية خصوصا فيما عدا حملة السمح لم تكن كافية ،
وتفتقد الاعداد الكافي والقوة الكاملة المدعمة بعون الدولة
(٢)
وارشادها .

اما المقاومة فلم تكن واهية ، صحيح ان اقليم
سبتمانيا اعتمد في الدفاع عن نفسه على قوته الذاتية
لتبعيته للقوط الغربيين ، الذين زال ملكهم في الاندلس ،
اما بقية اقاليم بلاد الغال فقد ابدت من القوة وكان عندها
من العدة ما يفوق المسلمين وكان كفيلا بردهم ، وهذا
ما لمسناه في حملتي السمح وعنيزة . اولم يخسر السمح عند
طولوشة عندما واجهه جيش يفاعفه عشر مرات . والواقع ان ضعف
الدولة الميروفنجية ، كان مناسبا في حالة توفر الامكانيات
الاسلامية الكافية ، اذ من المفيد استغلال انقسام بلاد الغال
الى اقاليم ، بفتح كل اقليم على حدة وفي آن واحد ، وذلك
عن طريق توجيه عدد من الجيوش ضمن خطة شاملة ، لاجتياح بلاد
الغال وفتح اقاليمها ، مما يفقدها امكانية تحالف قواها
ومواجهة المسلمين سواء .

ويلحظ المدارس تحالف اودو وشارل مارتل من اجل ايقاف

(١) شكيب ارسلان : غزوات العرب ، ص ١٠٦-١٠٧ .

(٢) انظر ذلك قبل : ص ٤١٥-٤١٦ .

الغافقى ومد جيشه ، عندما عجزت قوة اقليم اكيثانية من الوقوف فى وجهه .

ونسلم اتهامهم بالانحراض المادية على لسان ^(١) الذى يقول : ان غزوات العرب فى بلاد الغال كانت للاستيلاء على النفائس التى اشتهرت بها الاديرة والكنائس فى تلك المنطقة . ونكتفى بقول شكيب ارسلان فى الرد عليه اذ يقول : "ولما جاء المسلمون ودخلوا ارض فرنسه فاتحين لم يكن لهم مقصد سوى نشر دين الاسلام واخضاع فرنسه وكل اوربة لاحكام القرآن ، ولكن فيما بعد ذلك دخل فى تلك الغزوات مقاصد اخرى ، كحب الذهب او الاخذ بالشار ، ومن هذا القبيل نزول العرب فى ^(٢) اواخر القرن التاسع فى ارض بروكسل " .

كما اتهموهم بتهديم بعض الاديرة فى بلاد الغال ، واذا ماص ذلك ، فان الرهبان قد اعتموا مع بعض الناس فى تلك الاديرة وقاموا المسلمون منها ، حتى فتحوها عنوة ، فقاموا بهدمها حتى لايتخذوها معاقل للمقاومة وحرب المسلمين . فلم يكن المسلمون ليهدموها لو سلموا دون مقاومة ، وهذا مايعترف به رينو عندما يقول : "وكان هؤلاء (يعنى المسلمين) لايسيئون معاملة الذين يدخلون فى طاعتهم بدون مقاومة ^(٣) ويكفونهم القتال . وهذه الحقيقة هى مايناسب موقف الاسلام والمسلمين من الاديان وامحابها ، المتمثل فى اعطائهم الحرية الدينية ، والابقاء على دور عباداتهم .

(١) تاريخ سورية ، ٧٨/٢ .

(٢) غزوات العرب ، ص ٢٩٤ .

(٣) محمد زيتون : المسلمون فى المغرب والاندلس ، ص ١٩٨ .

(١)
والثابت عنهم كما يقول حسين مؤنس أنهم لم يخربوا
كنيسة أو يحرقوا ديرا ، وإذا ما قورنوا بالشعوب التي كانت
تسود بلاد الغال في ذلك الحين ، من فرنجة وقوط غربيين
وشرقيين وبرغنديين لتبيننا أن المسلمين كانوا أعظمهم حضارة
وابعدهم عن النهب والتخريب ، ومهما بحثنا في حوثيات ذلك
العصر فلن نجد بين من ظهروا على مسرح الحوادث في بلاد
الغال خلال النصف الأول من القرن الثامن الميلادي (أي من
٨١هـ - ١٣٢هـ) رجالا نستطيع أن نقارنهم بالسمح بن مالك أو
عنبسة بن سحيم أو عبد الرحمن الغافقي . الذين يعرفون عن
المسيحية أكثر مما يعرفه أمراء الفرنج ، كما أنهم رجال
دولة ذات نظم وقوانين مقررة ، في حين كانت نظم الدولة
الفرنجية في طور التكوين ، وكانت تعتمد على قوانين
الجرمان الأولى ، وهي شبيهة بقوانين العرب الجاهليين .
فالحرب لم تكن بين الاسلام والنصرانية بقدر ما كانت مراعا
بين حضارة وجاهلية ، وبين نظام وفوضى . وهي مراعاة بين الحق
والباطل ، والنور والظلام .

(١) فجر الاندلس ، ص ٢٥٨-٢٥٩، ٣٠٤.